شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

نسيم الرياض شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى
(القطعة الثالثة من الجزء الثاني)

المؤلف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري

قطعة ثالثة من النصف الثاني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

علي قومه وذهابه مغاضبا مفارقا لهم ولم يصبر منتظرا لامر الله فلن نقدر عليه
بمعنى لن نواخذه بغضبه واذهابه فاطلق السبب فليس فيه ظن لعدم
قدرة الله عليه وليس هذا راجعا الي معنى القضا عليه لان المواخذة بالقضا
والحكم السابق كما قيل هو كما تقدم عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم وقد تقدمت ترجمته وما في بعض النسخ ابو زيد وفي بعضها ابن دريد
من تحريف الناسخ والصحيح الاول كما في المقتفي للبرهان الحلبي فظنا انه
ان لن نقدر عليه تقدير حرف وقد ورد حذفه كثيرا كقوله
قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب
اي تحبها وهو مفصل في كتب النحو والاستفهام انكاري اي افظن عدم
قدرتنا عليه اي لم يظنه ولم يخطر بباله كما اشار اليه بقوله ولا يليق اي لا يناسب
عقلا ولا شرعا ان يظن بالنبي من الانبيا انه جهل مستند من منعات ربه
وهي هنا قدرته تعالي وتعلقها بكل شي وفي نسخة انه جهل وكفره اي مثل
ما تقدم في انه مصروف عن ظاهره توله اذ ذهب مغاضبا الصحيح
مغاضبا لقومه لكفرهم اي اقامتهم علي كفرهم فراغمهم بفراقهم رغما لهم لظنه انه
سايغ شرعا حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله
وان ينتظر الاذن من الله كما قاله الزمخشري وهو اي التفسير المذكور قول ابن
عباس والضحاك وغيرهما من السلف لا مغاضبا لربه اذ لا يليق ذلك بمقام النبوة
اذ مغاضبة الرجل معناه معاداته له وهو تفسير باللازم لان العداوة تقتضي
عدم الرضا ومعاداة الله تعالي كفر لا يليق بالمومنين فكيف يليق بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام وكيف استفهام تجوز به عن الاستبعاد لما بعده كما تقدم والمغاضبة مفاعلة
اريد بها اصل الفعل او هي علي ظاهرها لانها بمعنى العداوة وهي من الجانبين
لانه عاداهم لله وعادوه لجهلهم وكفرهم فلا حاجة لصرفه عن ظاهره وقيل ذهابه
في صورة الغضب لانه كان مستحييا اسم فاعل بباين اي حيا من قومه ان يبقوا
بدل من قومه اشتمال اي يصفوه بالكذب لانه اوعدهم بعذاب يحل بهم
لما خالفوه وعين لهم مدة كما تقدم وهي من السمة بمعنى العلامة كالكي وغيره
فاستعير للصفة لانها تميز كالعلامة اي كراهة ان يصفوه به اذ كان
اجلهم اربعين ليلة فقالوا ان رايناه مخايله امنا فلما راوا ذلك امنوا فكشف
عنهم العذاب كما قصه الله بقوله الا قوم يونس لما امنوا الاية وقوله او يقتلوه
اي وخوفا من ان يقتلوه فهو كقوله متقلد اسيفا ورمحا كما روي في الخبر المذكور
في قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد تقدم بعض منه وليس هذا
راجعا الي القول بانه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه لا وجه
له وفي مراة الزمان ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فراي راعيا
في فلاة فسقاه لبنا وهو مستند الي صخرة فاعلمه انه يونس وامره ان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يغرا على قومه السلام فقال يا نبي الله لا استطيع لان من كذب منا قتل
قال فان كذبوك فالشاة التي سقيتني من لبنها وعصاك والصخرة يشهدون
لك فاتاهم الراعي واخبرهم فانكروا فنطقت الشاة والصخرة والعصا وشهدت
له فقالوا له انت خيرنا اذ رايت نبينا وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل انه
ذهب يغاضبا البعض الملوك في عهده فيما امر به اي بسبب امر امره به من التوجه بيان
لما الا امر امره الله تعالى به على لسان نبي اخر اي بواسطة يبلغه
له وضمير امره للملك فقال له اي قال يونس عليه الصلاة والسلام للملك
غيري اقوى عليه مني اعتذارا له لخشيته من التقصير فيه فعزم عليه اي صمم او
اقسم عليه انه يفعل ما امره به ولم يقبل عذره فخرج لذلك اي لما صنعه الملك
معه مغاضبا له اي للملك لا لربه كما توهم وهذا اشارة لما في بعض التفاسير
كما حكاه الاخفش من ان يونس عليه الصلاة والسلام خرج مغاضبا لملك
كان لقومه في الذي ذكر كما روي عن ابن عباس شعيب والملك اسمه حزقيل
فاوحى الله الى شعيب ان قل لحزقيل ان يبعث نبيا من انبياء بني اسرائيل
الى اهل نينوى يامرهم بتخليص بني اسرائيل فاني ملق على قلوب جباريهم وملوكهم
فقال ليونس اخرج اليهم فقال يونس هل امرك الله باخراجي لهم وسماني فقال لا
قال ها هنا اقوياء قال عليه فخرج مغاضبا الى حرما قضه الله وقد روي عن
ابن عباس ان ارسال يونس عليه الصلاة والسلام ونبوته اي بعثته نبيا مرسلا الى
اهل نينوى من ارض الموصل انما كان بعد ان نبذه الحوت ونبذه بلفظ الماضي
المعلوم وفي نسخة بعد نبذه باضافة المصدر لمفعوله اي قذفه من بطنه
والمراد مطلق الالقاء وقال الراغب النبذ القاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد
به ولذا يقال نبذه نبذ النعل الخلق وقال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم
انتهى وفيه نظر لانه لا يناسب قوله فنبذناه بالعراء فتامل واستدل
لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم العراء بالفتح
والمد المكان المتسع الخالي من البناء والشجر فهو كانه عار وكان الحوت
يسير مع السفينة رافعا لراسه ليتنفس واختلف في مدة لبثه في
بطنه كما مر وقوله وهو سقيم اي ضعيف كالطفل حين يولد من حرارة
بطن الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين يعمل من قطن اذا اقام وهي شجرة تين وقيل
هي القرع وعلى هذين فاطلاق الشجرة عليه مجاز لانها لا ساق والمشهور
لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويقول هي شجرة اخي يونس
فانبتت عليه لتظله وياكل منها وقيل لانها لا يقع عليها الذباب وارسلناه
الاية ووجه الاستدلال انه فكر الارسال بعد اخراجه من بطن الحوت
والواو وان لم تفد الترتيب على الصحيح لكن الترتيب الذكري تقتضيه
لان غيره مخالف للظاهر وهو معنى ما نقل عن الشافعي اذ لا وجه

للعدول

للعدول عن الظاهر من غير قرينة وقوله او يزيدون او بمعنى الواو والمراد
وصفهم بالكثرة او تردد من راهم وقد اجيب عما استدل به ابن عباس
رضي الله عنهما بانه ارسال لغوي اي ارجعه الى من ارسل اليه اولا او هو
ارسال لغيرهم الى غير ذلك مما ذكره المفسرون ويستدل ايضا اي لقول ابن عباس
كما استدل بما قبله بقوله ولا تكن الخطاب له صلى الله عليه وسلم كصاحب الحوت
اذ ضجر ولم يصبر فاصبر فان الله ناصرك وذكر القصة يعني قوله اذ نادى وهو
مكظوم الخ ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وهذا بناء على ان معنى
اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته وهذا ليس بمتعين فقوله فتكون هذه
القصة قبل نبوته وارساله لقومه غير مسلم لما تقدم وانما قال هذا ابن عباس
لانه قبل النبوة يجوز صدور ما ذكر عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه
ثم اورد سوالا على الاصل الذي قرره من براءة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحوه فقال فان قيل فما معنى قوله صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن الاغر المزني انه اي الامر والشان
ليغان على قلبي الغين بالغين المعجمة وياء ونون الستر والتغطية وهو قريب
من الغيم ويكون بمعناه اي ترد على قلبي امور تشغله ويقال غين على قلبه
اذا عرض له وسوسة ونحوها ولما توهم من ظاهر الحديث انه قد يعرض له
صلى الله عليه وسلم شك في بعض شؤونه اورد سوال بانه مخالف لما قرره
لان قوله فاستغفر الله في كل يوم وفي نسخة في اليوم مائة مرة وفي طريق اي في
رواية له في اليوم اكثر من سبعين مرة يقتضي انه خواطر غير مرضية محتاجة
للعفو عنها دفعه وقال اذا سمعت هذا وعرفت ما يوهمه فاحذر ان يقع بباالك
اي يخطر على قلبك وفكرك وذكر البال فيه لطف صادف محزه ان هذا الغين
الوارد في هذا الحديث وسوسة او ريبا اي شكا في شيء من امور المتعلقة
بالوحي وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم في شيء من امور الدين ثم وضحه بعد بيان
معناه وما وضع له لغة في هذا الكلام ما يغشى القلب ويغطيه عطف تفسير
وهو استعارة لما يشغله قاله الامام ابو عبيدة وفي نسخة ابو عبيد القاسم ابن
سلام كما تقدم واصله اي ما وضع له اولا ماخوذ من غين السماء وهو الماء الغيم
عليها اي على السماء واطباقه تغطية جميع نواحيها وقريب منه ما قيل انه الغيم
المطبق فيحتمل ان النون مبدلة من الميم وقال الغرم اي غير ابي عبيدة
الغين شيء يغشى بفتح الياء والشين المخففة او بضمها وكسر الشين المشددة
والاول اظهر القلب اي يعرض له اوسوسة ولا يغطيه كل التغطية اي لا يغطيه
كله كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء اي في الجو فلا يمنع ضوء الشمس لرقته وكذلك اي
مثل ما ذكر من انه لا يفهم منه انه وسوسة لا تفهم من الحديث انه يغان على
قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة في اليوم ثم بينه بقوله اذ ليس يقتضيه لفظ

الذي ذكرناه اي لا يدل عليه دلالة منسبقة وهو اكثر الروايات اشارة الى ان
فيه روايات اخر وانما هذه المذكور في الحديث عقب الاستغفار لا للغير فانه واقع
بعد الاستغفار المرتب على الغير بالفاء وان احتمل كون كل استغفار لغير
فيكون المراد العدد واما الروايات فلا تنافي بينهما لا باعتبار الاحوال
او لان من سبعين هو المائة نفسها فيكون المراد بهذا العدد اشارة تغلات
قلبه وفتراته اي فتورها وكسلها وسهوها اي زوال صورتها عن الذكر وبين
ما غفل عنه في فترتها بقوله من هذا وتذكرا اي ذكره صلى الله عليه وسلم لله
بلسانه وقلبه ومشاهدة الحق ان اريد به الله تعالى فالمراد مشاهدته
في مرايا مصنوعاته حتى كانه يراه بعين عيانه وان اريد بها هو حق ثابت
متيقن من العلوم الحقة والامور اليقينية اللدنية فالامر واضح ولما كان
هذا يوهم امرا لا يناسب مقامه صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه لا ينبغي
ذكره فانه يقتضي تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم
لا يفترون عن العبادة والتسبيح طرفة عين اشار الى دفعه بما لم يتنبه
له المعترض فقال بما كان اي بسبب ما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه
بالدال المهملة المضمومة مبني للمجهول اي فوض اليه واعطيه قال الراغب
الدفع اذا عدي بالى معناه الاناسة لقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم
فان عدي بعن فمعناه الحماية نحو ان الله يدفع عن الذين امنوا من مساءة البشر
المعاساة والمكابدة مباشرة ما فيه مشقة من امور غيره وسياسة الامة السياسة
هي الحكم والتدبير لامر غيره من ساسه يسوسه اذا قام عليه لاصلاح امور وهو
لفظ عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص بما يكون بطريق القهر والضبط
ومعانات الاهل اي الاعتنا بامرهم والتقيد بما فيه معاشهم وتعاوة الولي اي
القيام بالامر الذي يتعلق بالولي او هو من يواليه ويتبعه والعدو وهو
من يظهر عداوته ومقاومته مقابلته بالغلبة والقهر كما كان يفعله صلى
الله عليه وسلم في غزواته وتدبير جيوشه ومصلحة النفس اي مصلحة
نفسه في امور معاشه وكلفه بالبنا للمجهول معطوف على دفع اليه اعباء جمع عبء بهمزة في اخره وهو كالحمل لفظا ومعنى بكسر اوله
اداء الرسالة وهو ما يكون له في تبليغها ودعوة الخلق وحمل بفتح اوله الامانة اي ما استودعه
الله من اسراره واعطا كل ذي حق حقه وليس المراد بها طاعة الله التي
اوجبها عليه كما قيل وهو صلى الله عليه وسلم في كل هذا اي ما دفع اليه وكلفه
مما ذكر من المعاساة وما بعدها في طاعة ربه وعبادته فاذا دفع لما يتوهم من انه كان
اللائق به صلى الله عليه وسلم انه لا يشغله شيء عن ذكر ربه ومشاهدته
بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية ولا امور رياسية وانما الله شغله
بذلك مما انقطع عنه الا لخدمته التي امره الله عز وجل بها كما قيل

اريد

اريد صلاحه ويريد هجري ... فاترك ما اريد لما يريد

ولما ورد عليه ان هذا اذا كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار
انما يكون من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله ولما كان صلى
الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة اي له رتبة عند الله ومنزلة
عالية على كل مخلوق والمكانة بالتاء تختص بالمحل المعنوي كالمنزلة واعلاه درجة
الدرجة ما كان في جانب العلو ضد الدرك ومكانة ودرجة تمييز واتمهم اي
اكملهم به اي بالله معرفة فهو اعرف بالله مما سواه واخر هذا لانه مرتب
على ما قبله في المعقول والمحسوس وكانت حاله الحال مرتبة اي امره وشانه عند
خلوص قلبه لله بحيث لا يمر به سواه وخلوهمه اي جعل امره منفردا بالتوجه
لجنابه الاعلى فيكون قلبه معه وحده في خلوته فان ذاكر الله جليس الرحمن
كما ورد عنه واقباله بكليته اي بذاته كلها قلبا وقالبا ومقامه هنا ذكر اي
اقامته مع الله في حظيرة قدس قربه واشار بالبعد لعلو مقامه ثمة ارفع
اي اعلى حاليه اي حال اشتغاله بالظاهر وحالة كونه عالم السرائر وكل منهما
رفيعة ولكن هذه ارفع رأى صلى الله عليه وسلم اي علم او شاهد مآل
فترته عنها اي عن ارفع حاليه وشغله بسواها اي اشتغاله بغيرها عشا عن حاله
حاله وهو مفعول ثان لرأى او حال وغض الطرف اغضاؤه واطباقه ويكون
بمعنى النقصان كما يقال غض صوته قاله الراغب وهو المراد هنا وكني به
عن التنزل عما ذكر وخفضا اي حطا وتنزيلا عن رفيع مقامه وهذا بالنسبة
الحالة الاخرى وان لم يكن كذلك في نفسه فاستغفر الله تعالى اي طلب مغفرته
وعفوه ومسامحته له من ذلك لعده بالنسبة لمقامه الاخر كالذنب كما قال البحتري

اذا اسماسني اللائي ادل بها ... كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

ولذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من مجلسه قال استغفر الله الذي لا اله
الا هو الحي القيوم واتوب اليه وروي انه كان يقول رب اغفر لي وتب
علي انك انت التواب الرحيم مائة مرة وهذا التفسير اولى وجوه الحديث التي
ذكرت في توجيهه واشهرها الى معنا ما اشرنا اليه مآل كثير من الناس وحام حوله
اي دار بالطرافه وقرب منه كقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى
واصله رفرفة الطائر على الماء اذا اراد النزول عليه وقارب اي حاول القرب
والوصول ولم يرد اي لم يصل اليه استعارة من ورد الماء اتاه ليستقي منه وفيه
اشارة الى ان ذلك فيه شفاء العليل وثلج الصدور وان النفس لها ظما اليه
وفيه من البلاغة ما لا يخفى وقد قربنا غامض معناه اي ادنيناه لمن قاربه
ففيه لطف لا يخفى اي خفيه الذي لم يتضح واصله المكان المنخفض فكني
به عما ذكر ثم صار حقيقة فيه وكشفنا لمستفيد اي طالب الفائدة العلمية
من تجارته الرابحة محياه بالضم والفتح والتشديد بمعنى الوجه وفيه

استعارة مكنية وتخييلية بتشبيهه بحسان مخدرة والكشف للحديث هنا
لرفع عينه واظهار مخباه لعينه وهو اي هذا التفسير مبني اي متفرع
على جواز الفترات والغفلات والسهو على ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام في
غير طريق البلاغ فلا يجوز فيه ذلك لمنافاته له على ما سياتي في هذا الكتاب وفي
كلامه نظر لا يخفى فانه جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله
بامر امته واهله فلا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه على غير
اساسه وهو عندي كالغفلة فيما قاله فتامله فانه غريب ومن
هنا علمت سر دعا الملايكة لبني ادم بالمغفرة وتفسير صلاتهم بها ومعنى
قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا رحمت كل شي رحمة وعلما وسع
تذليل هذه الاية بما ذكر فهذه طريقة اي اختار وامذهبا ورايا كقوله
والناس فيما يعشقون مذاهب من ارباب القلوب اي اولياء الله
الذين لا خوف عليهم الذين نور الله قلوبهم وطهرها حتى صار من ارباب الكشف
لتقشفهم ولبسهم الصوف او لصفا قلوبهم او لمضاهاتهم لاهل الصفة كما بيناه
في كتاب نشر الفليل من قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اي ما ذكر
من الغفلة وما بعده جملة اي كله ومجموعه واجلة اي عظمه صلى الله عليه وسلم
بتنزيهه عن مثله ان يجوز بالبنا للمجهول بضم اوله وتشديد واوه المفتوحة
اي يراه جايزا الطلاقة على حال من احواله سهوا وفترة السهو الذهول
عن شي بتنبيه له سريعا وقيل انه في الشي تركه عن غير وعن الشي تركه
مع علم ومنه الذين هم عن صلاتهم ساهون والفترة السكون بكسل ونحوه
كما تقدم الحديث هذا الحديث والهمتعلقة بذهبت ما يهم بضم اوله وكسرها
من اهمه اذا اقلقه واحزنه وخاطره بالنصب مفعوله اي قلبه وفكره وجعل
فكره ذاهم مجاز كقوله وبعد فكره اي يجعله ذا غم والغم والهم الحزن وقد
يفرق بينهما من امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
وصونه ورحمته لهم فيستغفر لهم اي يدعو لهم بالمغفرة لما صدر منهم او لما سيصدر
فالغين خواطره فيما يتعلق بهم واستغفاره صلى الله عليه وسلم انما هو لهم
فلا اشكال في الحديث اصلا قالوا اي المشايخ المتوهمون له صلى الله عليه وسلم
عما ذكر وقد يكون الغين هاهنا اي في هذا الحديث هو السكينة اي الوقار
والتاني والطمانينة في الامور التي تغشاه اي تعرض له لقوله تعالى فانزل الله
سكينته عليه اي طمانينته وحلمه ووقاره وفي الضمير في عليه قولان احدهما
على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني على ابي بكر قال ابن العربي قال
علماونا وهو الاقوى لانه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله سكينته
عليه بنا مبين النبي صلى الله عليه وسلم وسكن فسكن جاشه وذهب روعه
وحصل الامن والسكينة لهما معان منها الوقار والسكون والرحمة وقيل

انها

انها وردت بمعنى ذات الطيفة هوايية لها وجه كوجه الانسان او على صورة
هرة مع بني اسرايل اذا ظهرت انهزموا وردت بمعنى السحابة كذا في
الشرح الجديد وقال الراغب في قوله وانزل السكينة في قلوب المومنين قيل
هي ملك يسكن قلب المرء من دبر منه ومنه ان السكينة تنطق على لسان عمر وقيل
هي العقل ويقال له سكينة اذا سكن عن الميل والشهوة والسكينة زوال
الرعب وعليه قوله تعالى ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وما ذكر من انها
شي له راس كراس الهرة لم يصح ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عقدرها على هذا
اظهار العبودية والافتقار الى ربه عز وجل وهو ليس بذنب بل خضوع وخشوع
وقال ابن عطا تقدمت ترجمته استغفاره وفعل هنا اي الواقع في هذا الحديث
تعريف للامة اي تعليم لهم يحملهم على الاكثار من الاستغفار اي طلب مغفرة ربهم وقال
غيره اي غير ابن عطا ويستشعرون اي يدركون ويعرفون من تعريف رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واصله طلب الشعور فعبر به عما ذكر الحذر اي الاحتراز
من المعاصي والخوف منه كما قال تعالى ويحذركم الله نفسه وفي نسخة الحصر
اي حبس انفسهم على طاعة الله والامتناع من الذنوب ولا يركنون اي لا يميلون
ميلا ما الى الامن من الوقوع في المعاصي والذنوب منها قال ابن حام حول الكما
يوشك ان يقع فيه ويحتمل الحديث ان تكون هذه الاغاية في قوله صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبي حالة خشية واعظام اي يخطر بباله عظمة
الله والخشية منه تغشى قلبه اي تعرض له حالة من تصور ذلك فيستغفر
حينئذ اي حين ما غشيته هذه الحالة شكرا لله تعالى على نعمة جليلة اذ
عرفه عظمته وخشيته وهو اعظم المعلومات فهو نعمة لا يساويها غيرها
وملازمة لعبوديته اي مداومة عليها اذ مقتضاها عده نفسه مقصرة لا تفي
باداء حقه فلذلك يستغفره كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمته
العبادة اي كما ورد في حديث انه صلى الله عليه وسلم اكثر من قيام الليل
حتى تورمت قدماه فقال له الصحابة اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا عطفه بالفا
على كلامهم بتقدير اذا انعم الله علي بمغفرة ما تقدم وما تاخر ففي مقابلة
هذه النعمة اللايق مني الشكر واعظمه الاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان
ولا عمل له افضل من الصلاة وقد كمل شكره بلسانه لما قال هذا فلذا قال
عبدا شكورا فاعترف بعبوديته وهي من اعظم النعم عليه واتي بصيغة
المبالغة وفا السببية وهو معطوف على كلامهم ويسمى عطف تلقين
كما صرح به سيبويه وذكره في الكشاف كامر وهذا الحديث رواه البخاري
وغيره وفي رواية له افلا احب ان اكون عبدا شكورا فان الشكر يديم
النعم او هو معطوف على مقدر اي اترك التهجد فلا اكون الخ وفيه حث

لغيره ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالابدان كما قال اعملوا آل
داود شكرا لكن غيره اذا خشي الملال لا ياتي الا بما يستطيعه كما ورد في الحديث
فلا منافاة بينه وبين قوله عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى
تملوا وعلى هذه الوجوه الاخيرة قالوا هي قوله وقد يكون الغين الى هنا وقيل من
قوله وذهبت طايفة من ارباب القلوب الخ يحمل اي يفسر او زد في بعض طرق هذا
الحديث من رواية البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فيفسر الغين بما مر
ويحمل الاستغفار له لما مر او لامته تعليما لهم والعدد للاستغفار لا للغين
لبعده لفظا ومعنى وقال الخيضري في خصايصه قال السهروردي
لا تعتقد ان هذا نقص بل هو كمال يتم الكمال ومثله بجفن العين لسبل
لدفع القذا عن العين فيمنع من الرؤية فهو نقص بحسب الظاهر
وكمال في الحقيقة وهكذا بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم للاغيار الثايرة
من انفاس الاغيار الى سرة حدقة بصيرته صيانة ووقاية لها وقوله
ابن الجوزي هفوات الطباع البشرية لا يخلو احد منها والانبيا عليهم الصلاة
والسلام وان عصموا من الكبايرلم يعصموا من الصغاير مبني على خلاف المختار
وقال ابن بطال الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشد الناس اجتهادا في العبادة
فهم دايمون في شكره معترفون بالتقصير عما يجب له تعالى ويحتمل انه عد
اشتغاله بالمباحات ذنبا كالاكل والشرب والجماع وغيره من امور الدنيا
والنظر في امر العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله ومراقبته فعده ذنبا
بالنسبة لعالي مقامه بمنعه من اتصاله بحضرة القدس وكونه تعليما
لامته مخالف للسياق وكذا ما قيل انه لاطلاعه على ما يحدث من امته بعده
وفي الاحيا كان صلى الله عليه وسلم دايما يترقى في المقامات فاذا انتقل من مقام
الى اعلى منه راه نقصا فتاب منه واستغفر وحسنات الابرار سيات المقربين
كما قاله الجنيد وتعقب هذا بانه يدل على وقوع الاستغفار معرفا
بحسب الاحوال وظاهر الحديث يخالفه كما قال ابن حجر وفيه نظر لانه ليس
في الحديث ما يدل على افتراق واجتماع انتهى وسبق العراقي عن هذا
الحديث فاجاب بما مر ثم قال والظاهر ان الجملة الثانية مترتبة على
الاولى وان سبب الاستغفار الغين بدليل ما روي حتى استغفر الله في استغفر
الله ويحتمل ان الجمع بينهما من الراوي فاخبر بحصول ذلك الغين مع كثرة الاستغفار
فما ظنك بمن لم يكن كذلك والجملة حال مقدرة وقال بعض المشايخ من الصوفية
الغين في اصطلاح ارباب السلوك شهود الحق بشهود الاغيار التي
هي حجاب عن شهود الحق وهو منزه عنه فالمراد به اختلاف التجليات
كالتجلي الصفاتي والذاتي وقال الشاذلي اشكل علي هذا الحديث فرايته

عرض

صلى

صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الاغيار
وفي لطايف المنن لابن عطا الله وحل الرموز القدسي من ظنه غين غفلة وحجاب
فقد اخطا وانما كان صلى الله عليه وسلم يستغرق في انوار التجليات فيغيب
في ذلك الحضور فيسال المغفرة اي ستر هذه الحالة لانه من الغفر بمعنى الستر
لان الخواص لدوام لهم تجلي ما يكاشفون به تلاشوا عن ظهور سلطان الحقيقة
وهذا الستر لهم رحمة وللعوام عقوبة لانه حجاب يستر عين بصايرهم فانهم
مستورون عنه بغيره والخواص مستورون به عن ما سواه وهو ستر عن
دنو الذات المحرق للسوا كما قال ابن الفارض

ولولا احتجابي بالصفات لاحرقت ... مظاهر ذاتي من سما سبحتي

هذا محصل ما قاله اهل الباطن والظاهر وزبدة ما في الحديث من الظواهر
والسراير فاختر لنفسك ما يحلو ثم انتقل للشبهة اخرى ترد على الاصل
الذي قرره فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو
شا الله لجمعهم اي جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين على الهدى بهدايتهم
للعقايد الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل احد منهم عن الطريق المستقيم
فلا تكونن من الجاهلين اول الاية فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما
في السما فتاتيهم باية وهو شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لما راى من حرصه على
ايمان الناس فنهيه عن الجهل بقدرة الله لما شا تنويه هم انه لم يحط بذلك
وهو منزه عنه ودفعه بما سياتي وكذلك قوله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام
فلا تسيلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون
من الجاهلين حين ناداه وقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
يعني ما وعده به من نجاة اهله لما قال تعالى احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك وابنه من اهله فسيله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه سواله وسببه
لما لا يليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام والى دفع وجه السوال والشبهة
اشار بقوله فاعلم امر لكل من يمكن توجيه الخطاب اليه وسد مسد مفعوليه
قوله انه لا يلتفت بالبنا للمجهول اي لا يتوجه التفات احد ونظره في ذلك اي
في خطابه تعالى لها بما ذكر الى قول من قال من المفسرين في اية نبينا اي في الاية
الاولى التي نزلت في حقه صلى الله عليه وسلم وقوله فيها فلا تكونن من الجاهلين
وان معناها لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شا لجمعهم على الهدى باسناد
الجهل بمشية الله اليه ولا تلتفت ايضا لقول من قال في اية نوح عليه الصلاة والسلام
لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقولنا فانك لا تجد لميعاد وعلل عدم الالتفات
لهذا القول بقوله اذ فيه اي في هذا القول وتفسير الايتين بما ذكر اثبات
الجهل بصفة من صفات الله تعالى وهي قدرته وعلمه وذلك لا يجوز على الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم لمعرفتهم بالله تعالى وصفاته والمقصود اي المعنى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المراد من هاتين الايتين وعظهم اي ارشادهم وتنبيههم على ان لا يتشبهوا
في امورهم حين الدعوة للخلق بسمات الجاهلين اي لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر
والحرص على سرعة المراد مما هو شان الجاهلية كما قال ابي اعطك فهو دليل
على انه ارشاد له صلى الله عليه وسلم ان لا يتسم بما ليس من شانه ولا يتخلق
بما يضاهي اخلاق الجهلة لانه جاهل بذلك وليس في اية منها اي من الايات
المذكورة دليل على انهم على تلك الصفة اي صفة الجهل بصفة
من صفات الله فانهم اعلم الناس بها التي نهاهم عن الكون عليها اي الاتصاف
بذلك والنهي عن الكون ابلغ من النهي عن الاتصاف بها كما قرره ابن جني
في كتاب المحتسب فكيف يكونون وهم اعلم الخلق على صفة نهوا عن الكون
عليها والاستفهام لاستبعاد ذلك واية نوح عليه الصلاة والسلام المذكور
فيها قصته وهي قوله اني اعظك الى اخرها قبلها فلا تسئلني ما ليس لك به علم
فهي موذنة بان المراد نهيه عن التشبه بالجهلة لنهيه عن السوال
عما لا يحتاج اليه فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى من الجري على ظاهرها ونسبة
ما لا يليق بهم اليهم لان مثل هذا السوال عما ليس به علم من حال ابنه قد يحتاج
الى اذن من الله فلا يقدم عليه بدونه وقد يجوز اباحة السوال فيه ابتداء منه
من غير اذن فيختلف باختلاف الاحوال والمقامات فنهاه الله ان يسئله عما طوي عنه
اي اخفي عنه علمه به فتشبه الامر الخفي عنه بثوب مطوي ملفوف لا يظهر
باطنه وما في داخله واكنه اي ستره كقوله قلوبنا في اكنة اي حجاب يمنع الادراك
من غيبه اي من الامر المغيب عنه وفي نسخة في غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه اغراقه
وعدم ادخاله في سفينته بيان لما طوي عنه واكنه لانه لم يكن على دينه
لانه كان يبطن الكفر ونوح عليه الصلاة والسلام لم يعلمه ثم اكمل الله نعمه عليه
جمع نعمة وفي نسخة نعمته بالافراد باعلامه بذلك اي ما سال عنه وانما
جعله من كمال النعمة لانه علم ما لم يعلم وتبين له ما نهي عن السوال عنه بقوله
عز وجل له انه اي ابنه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بكفره وخروجه عن
دينه انه عمل غير صالح تعليل لنفي كونه منهم ومعدود امن اهله حكاه
اي هذا التفسير حكاه عن السلف مكي تقدمت ترجمته كذلك اي مثل
قصة نوح عليه الصلاة والسلام في انها مخالفة للظاهر محتاجة للتاويل
بانها تشبيه بمن امتطى مطية الجهل امر فعل مبني للمفعول نبينا صلى الله
عليه وسلم في الاية الاخرى السابقة وهي ولو شاء الله الى اخرها بالتزام الصبر متعلق
بامر والمراد بالامر ما يلزم النهي وامره صلى الله عليه وسلم بالصبر مذكور
صريحا في ايات اخر كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل على اعراض قومه
عن دينه وعنه ولا يحرج من الحرج وهو ضيق الصدر والقلق عند ذلك اي عند
اعراضهم عنه فيقاسي حاله حال الجاهل بشدة التحسر اي التاسف والندم

على عدم

على عدم اطاعة قومه له حكاه اي ما ذكر من التفسير ابو بكر بن فورك تقدمت ترجمته
والكلام على اسمه في منع الصرف وعدمه وقيل معنى الخطاب في قوله فلا تكونن من
الجاهلين لامته محمد لا له صلى الله عليه وسلم فهو تعريض كما تقدم تحقيقه اي فلا تكونوا من
الجاهلين اي من اتصف بصفاتهم وانخرط في سلكهم حكاه مكي ايضا وقال مكي قيله في
القرآن كثير فيخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء فهذا الفصل الذي قرره في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام من تاويل ما يوهم
نسبتهم لما لا يليق بعلي مقامهم وجب وفي نسخة اوجب القول بعصمة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام منه لشرفهم وكمال علمهم ورجحان عقولهم وتبرئة الله لهم عن النقائص
بعد النبوة قطعا لقيام الادلة عليه والحاصل ان معنى الاية الاولى انه تعالى لما راى
اشتداد حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وشق عليه حتى كاد يهلك نفسه
لم يرض بها لكه فقال له ان كان عظم ذلك عليك فان امكنك ان تغوص في الارض
لتطلع منها اية لهم او تنصب سلما تصعد به الى السماء لتاتيهم باية منها حتى
يومنوا اي انت لا تستطيع هذا فما فايدة هذا الحرص ولو اراد الله هدي جميع
الخلق فلا تحرص على ما لم يرد وقيل كانوا يقترحون عليه ايات يودون لو اجيبوا لها
حرصا على ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا لتاتيهم بما اقترحوه فافعل
ليومنوا وقيل ابتغاء النفق والسلم هو الاية فهذه ثلاثة اوجه الاول بيان لشدة
حرصه عليه الصلاة والسلام وانه لو قدر على المحال فعله والثاني بيان لحرصه على تثبيت
مطلوبهم ومقترحهم والثالث حرصه على جعل الصعود والهبوط اية لهم حتى
يومنوا به وترك القاضي الاخيرين لان عادة الله ان من اجيب لما اقترح عجل هلاكه
وهو منافي لحرصه على ايمانهم ولان المتبادر من الاية ان النفق والسلم غير الاية
مع ما فيه من الترغيب الاعتزالية وقصة نوح ابنه كنعان بعد ما سال الله نجاته
فقيل له انه سبق القول بهلاكه لكفره والكلام فيه مفصل في التفاسير فلا نطيل
بذكره ثم اورد سوالا اخر على ما قرره من الشك في شيء مما يتعلق بالعقائد والدين
فقال فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا اي حفظ الله لهم عما ذكر وانه لا يجوز
عليهم شيء من ذلك ولا يصح اعتقاده فيهم فما معنى اذن وقعت في جواب سوال مقدر
فاصلة بين المضاف والمضاف اليه ملغاة لعدم شروط عملها وعبد الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم اي تخويفه بتقدير صدور شيء من ذلك منه وتهديده على
ذلك ان فعله ونحوه مما يقتضي جواز مثله عليه وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية حبوط العمل بطلانه بالكلية بحيث لا يثاب عليه ولا يبقى له عمل من حبطت
الدابة اذا وجدت مرعى طيبا فاكلت منه اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنها فماتت
فالاتيان بالشرط واسناد الشرك له صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر يدل على جواز
مثله عليه وعلى غيره من الانبياء مع انهم منزهون عنه واطلاق الاحباط في هذه الاية
مخصوص لان ذنب العظيم عظيم او هو مقيد بموته على ذلك كما يعلم من قوله من يرتدد منكم

عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم والجواب على ما تقدم واللام الاولى
موطية لقسم مقدر والثانية في جوابه وقوله بالجزاي وما ملخص قوله تعالى ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك اي فان فعلت فانك اذا من الظالمين ونهيه عن ان يدعو غير ربه
اي يعبده لان الدعا هنا بمعنى العبادة يقتضي صدوره منه صلى الله عليه وسلم
وتاويله مما مر اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية اي وضعف الممات اي يضاعف
له عذاب الدنيا والاخرة قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي لو افترى علينا
لاخذنا منه باليمين جواب لو وعطف عليه قوله ثم لقطعنا منه الوتين والعلام على الايتين
وسبب نزولهما في التفاسير والذي يهمنا هنا ما قصد المص بايرادهما هنا وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمراد بهم الكفرة والجهلة واطاعتهم بموافقتهم
عليه ومثله لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم فكيف اسند اليه فيها وقد مر جوابه
وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك وهذا بنا على الظاهر من ان المراد يمنعه من قبول الحق
كما في قوله ختم الله على قلوبهم لا على تفسير مجاهد بانه ان يشا يربط على قلبك بالصبر
على اذاهم حتى لا تلقي مشقة وقوله تعالى وان لم تفعل ما امرت به فما بلغت
رسالته اي فكانك لم تبلغ شيا منها لتقصيرك فهذا يقتضي جواز تقصيره ظاهرا
في تبليغ جميع ما اوحي اليه فامره بان يبلغه جميعا ولا يخشى مكروها من احد
فان الله عصمه وصانه وجعله في حصن حمايته وكان عمر رضي الله عنه اول من
اظهر ذلك وقال لا يعبد الله سرا وقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فيما يودي الى تفريط في شي من امر الدين روي انه صلى الله
عليه وسلم لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام اليهود وقد تبعه ناس على نفاق
منهم فكان يلين جانبه لهم ويتجاوز عن قبايحهم فنزلت هذه الاية فيهم
وقيل في سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدي وغيره ثم شرع في الجواب
عما ذكر في ذلك فقال فاعلم وفقنا الله واياك للوقوف على معاني كلامه
فانه لا يكون الا بتوفيق منه تعالى انه عليه الصلاة والسلام لا يصح عقلا ولا
شرعا ولا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم ان لا يبلغ شيا مما امره الله بتبليغه كما يوهمه
ظاهر قوله فما بلغت رسالته ولا ان يخالف امر ربه كما يوهمه قوله فان لم تفعل ولا ان
يشرك به ولا يتقول علي الله اي يكذب عليه ويفتري كما مر في قوله ولو تقول
علينا الاية ما لا يحب بالحا المهملة اي ما لم يرده ولم ياذن له فيه او يفتري عليه اي يكذب
عليه وهو بمعنى يتقوله واعاده لانه صريح في المراد وقد يفرق بينهما بان يراد بالتقول
تكلفه فيما يقوله بزيادة او مبالغة فيه وهو المناسب لعظمه باو او يضل عن الصراط
والطريق المستقيم بالطاعة غير الله فهو اشارة الى قوله تعالى وان تطع اكثر من في
الارض يضلوك الى او يختم على قلبه ويطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق او يطبع
الكافرين والمنافقين في امر تهواه انفسهم وهو اشارة الى قوله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فان الامة اجمعوا على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة

وبعدها

وبعدها عن الكفر غير الخوارج حيث جوزوا عليهم بعض الذنوب وهي كفر عندهم
وبعض الشيعة القايلين بجواز اظهار الكفر تقية ولا يعتد باقوالهم الواهية
فلذا كان المراد بقوله لين اشركت تهييج الرسل وافتناط الكفرة على طريق الفرض
اي اذا كان هو لا يحبط عملهم به فكيف حال غيرهم وكذا قيل في نفي الافتراء والتقول
عنهم وقس عليه ما بعده فكن يسر الله امره اي حاله صلى الله عليه وسلم وشانه
او ما امر به بالمكاشفة يتعلق بيسر او بما مر او بهما على التنازع والبيان عطف
تفسير لان المراد بالمكاشفة كشفه له وتبيينه او المراد بالاول ما يكشفه بالتمام
وبالثاني ما يوحي به اليه في البلاغ متعلق بامره وقيل بالمكاشفة للمخالفين
متعلق بالبلاغ اي من خالفه فيما بلغه لهم عن ربه ويجوز في قوله بالمكاشفة
والبيان ان يراد به المبارزة والاظهار للبلاغ من غير مبالاة باحد فهو متعلق
بامره فاذا لم يبارزهم به فكانه لم يفعل وان ابلاغه بفتح همزة ان وهو معمول
لمقدر اي واعلمه ان تبليغه لما امر به ان لم يكن بهذه السيرة اي على هذه الحالة
والطريقة من تبليغ جميعه واظهاره والصدع به فكانه ما بلغ اصلا لانه
كالعدم كمن ترك ركنا من اركان الصلاة لم يعتد بصلاته وانث اسم الاشارة
لان السبيل تذكر وتونث وطيب نفسه طيب النفس جعلها مسرورة غير مكدرة ولا
خايفة من شي وقوي قلبه اي كان قويا متحققا لانه لا يصيبه مكروه ويقابله
ضعفه وهو خوفه مما يتوهمه بقوله والله يعصمك من الناس اي يحميك ويصونك عنهم
حتى لا يقدر احد على شي يضرك وهذه الاية ان كانت نزلت بعد احد فهي
على عمومها وكان قبل نزولها له صلى الله عليه وسلم حراس يحرسونه فلما نزلت
ترك ذلك وان كانت نزلت قبلها فالمراد عصمته من القتل فلا ينافي ما اصابه
باحد من جراحته وكسر ثنيته لحكمة تطييبا لقلوب المومنين وتكثيرا
للثواب فمن ظن من تلاقي الحروب ان لا يصاب فقد ظن عجزا كما قال الله
عز وجل لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حين ارسلهما فرعون
وقومه للجبابرة لا تخافا اني معكما اي حافظا وناصرا لكما على هولا مع
عتوهم وتجبرهم فليغا اوامري واصدعا بالحق لتنشدا اي لتقوي وتزيد شدة
بصايرهم اي موسى وهارون ومحمد صلى الله عليه وسلم فيكونوا على بصيرة ويقين
في امورهم في الابلاغ اي تبليغ ما ارسلوا به لهم واظهار دين الله من غير خوف
ويرهبونهم بالبنا للمجهول والنصب معطوفا على تشدا خوف العدو لوعده تعالى
بحفظهم ونصرهم عليهم المضعف للنفس صفة خوف اسم فاعل بتخفيف العين
وتشديدها اي المودي لضعف نفس من خاف فهو بنون وفا وسين مهملة
وروي للبيقين بيا بين تحتيتين وقاف بينهما ونون والاولى اولى رواية
ودراية لان يقين الانبيا عليهم الصلاة والسلام بربهم قوي ابدا وان جاز
ضعف انفسهم بمقتضى البشرية ويويده بل يعينه قوله تعالى فاوجس

www.alukah.net

في نفسه خيفة موسى والخوف من المضرات امر طبع عليه البشر مع انهم على يقين من
ان الله هو الضار النافع وهو لا ينافي التسليم والتوكل الا تراهم خندقوا في
الاحزاب وهاجروا عن عدوهم ودخلوا الغار وهو بحسب المقامات فلا يرد
عليه ان بعض الاولياء لا يفر من الاسد واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل تقدم انه
ليس فيه شيء له صلى الله عليه وسلم وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة معناه ان هذا
العذاب المضاف في الدنيا والاخرة جزاء من فعل هذا التقول والافترا على الله
وجزاء اولئك ممن يفعله فاذا هدد به من لا يصدر عنه فما بالك بغيره وكذلك
اي ما ذكر في الايتين قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله الخطاب له
صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد غيره بطريق التعريض قرعا للعصا ايقاظا لهم
وتحريكا لغفلتهم لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم عن ارتكاب مثله كما صرح
تعالى بالمراد اذ قال مخاطبا لهم ممن يحاول ان تطيعوا الذين كفروا الاية يعني قوله برد وكم
على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين فان الخطاب للمنافقين اذ قالوا للمؤمنين باحد
لما ارجف بقتله صلى الله عليه وسلم ارجعوا لاخوانهم وادخلوا في دينهم فلو كان
محمد نبيا ما قتل وكذلك قوله فان يشا الله يختم على قلبك خوطب والمراد غيره وكذلك
قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك كما تقدم بيانه وما اشبهه مما خوطب به فالمراد
به غيره تعريضا وايقاظا وان هذه الحال المذكورة من الاحباط ونحوه حال من اشرك
بالله لا حاله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
فلا بد من تاويله كما مر واما قوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين في رايهم بما تقدم
فليس فيه انه اطاعهم وانما نزلت لما تابعه بعض اليهود على نفاق منهم فكان صلى
الله عليه وسلم يداريهم رجاء ان يحسن اسلامهم وليس في الاية انه صلى الله عليه
وسلم فعل ما نهي عنه ولما استشعر سوء الاوهوان يقال حيث كان الامر كما ذكر
فلم نهي عنه اجاب عنه بقوله والله سبحانه يعامل نبيه صلى الله عليه وسلم
بما لا يجوز ان يعامل به غيره ولا يسئل عما يفعل فله ان يمنعه عما يشاء والتصور
صدوره منه ويامره بما يشاء وان لم يتصور مخالفته له كقوله اتق الله وكما
قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي يعبدونه وقوله الاية اشارة لقوله
بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم عن
مجلسه ولا كان من الظالمين اي ممن ظلمهم بطردهم وهم اجقا بتقريبه لهم
واكرامهم وانه لا يطيع فيهم من يبغي ارضاءه وكان المشركون قالوا
لا نرضى مجالسة مثل هؤلاء يعنون سلمان وصهيبا وبلالا وخبابا فاطردهم
عنك وطلبوا ان يكتب لهم بذلك فقاموا وجلسوا ناحية فنزلت الاية تنهاهم
عما قالوه كما في مسلم وانما نهاه بذلك رجاء لاسلامهم مع ان ذلك لا يضر اصحابه
لعلمه صلى الله عليه وسلم بالحوالهم ورضاهم بما يرضاه كما فسره المفسرون

فصل واما عصمتهم

اي حفظ الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام
من هذا الشيء اي اعتقاد ما لا يليق في التوحيد والعلم بالله وصفاته وبما
اوحي اليه من امور الدين كما تقدم قبل النبوة اي قبل ان ينبئهم الله ويأتيهم الوحي
من الله والنبوة والرسالة والفرق بينهما مشهور وليس هذا محل تفصيله
فللناس من علماء الاصول والسلف خلاف جرى بينهم مذكور في كتبهم والصواب
اي القول الموافق للواقع والادلة التي على خلافه خطا من قايله انهم معصومون
اي محفوظون مصونون قبل النبوة من الجهل بمعرفة ذات الله تعالى بوجه ما او
بحقيقته وصفاته فلا يجهلون شيئا منها ومعصومون ايضا من التشكيك في شيء من ذلك
وفي نسخة او التشكيك بالعطف باو والفاصلة اي لا يقع في نفسهم شك في ذات
الله ولا في صفة من صفاته لان فطرتهم جبلت على التوحيد والايمان واما قوله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالمراد به الايمان بما لا يعرف الا
بالوحي كوجوب الصلاة ونحوه من فروع الشريعة وقوله من الجهل بيان لما قصد
من العصمة فلا وجه لما قيل انه اطلق فيما مر العصمة وكان عليه ان يعينه
وهو اظهر من الشمس لا يخفى على ذي بصيرة وقد تقرر ان العصمة عند المتكلمين
ان لا يخلق الله في النبي ذنبا وعند الحكماء ملكة تمنع من الفجور حاصلة من العلم
بالقبائح والمحاسن فانه الزاجر عن المعاصي والداعي للطاعة ويتاكد في الانبياء
بالوحي الالهي وقيل العصمة خاصة في النفس والبدن بسببها يمتنع عن صدور
الذنب وياباه انه لو كان كذلك ما استحق المدح والثواب لانها ليست داخلة
تحت الاختيار وهم مكلفون بالاتفاق وفي التحرير لابن الهمام العصمة عدم القدرة
على المعصية او خلق مانع منها غير ملجئ وهو مناسب لقول الماتريدي العصمة
لا تزيل المحنة اي الابتلاء المقتضي لبقاء الاختيار ومعناه كما في الهداية انها
لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية بل هي لطف من الله يحمله على فعله
ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء واعلم ان العلامة القرافي
قال في التقييد شرح الاربعين الرازية العصمة لغة الامتناع ومنه العصم
لبعض الوحش لبعده عن مظان الاذى وامتناعه واستعصم الرجل امتنع
ومنه عصمة الزوجية وحملة الشرع يطلقون العصمة على معنيين احدهما
عدم المعصية في الجملة ومنه قولهم في الدعاء نسالك من العصمة تمامها والثاني
عصمة الانبياء والملائكة عن الكفر دون سائر البشر مع ان الله اثنى على الخلق بدوام
الايمان فلا بد من تفسير عصمة الانبياء بغير عدم الكفر ومنع الله منه حتى يصح
قولنا ليس احد منا معصوما وان كنا غير كافرين مساوين للانبياء في ذلك
فتمييزهم انما هو باعلام الله لنا انه صانهم في قضائه وقدره عن الكفر
وقدر لهم السعادة الابدية حتما مقضيا فهذا الاعلام الرباني هو عصمة
الانبياء والملائكة ومجموع الامة دون كل واحد منهم انتهى وقد نقل عنه اي تقوت

وهو ماخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى الكتف ولكون عمل الانسان واعتماده
بذلك قيل عضدته بمعنى قويته كما اشار اليه الامام الراغب الاخبار والاثار هما بمعنى
وقد يفرق بينهما كما تقدم اي قوي كل منهما الاخر حتى حصلت القوة التامة والمراد بهما ما
اشتهر من احوالهم وصفاتهم المأثورة المعروفة عند كل احد عن الانبيا كلهم والمرسلين
باسرهم وليس المراد انه نقل عنهم بل عرف منهم وفي حقهم فمن قد رهنا وعن غيرهم
لم يصب تنزيههم اي تبريتهم عن هذه النقيصة بصاد مهملة اي الصفة المنقصة
لمن اتصف بها منذ ولدوا اي من ابتدا زمن ولادتهم الى اخر عمرهم والكلام على مذهب ومنذ
معروف في كتب النحو ونشاتهم بالجر معطوف على تنزيههم والنشاة ابتدا خلقهم
لازمن شبابهم كما توهم على التوحيد وهو عدم الشرك بالله والايمان بالله وكل ما يجب
الايمان به بل للاشتغال على سبيل الترقي على اشراق انوار المعارف جمع معرفة
والمراد معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به واشراقها سطوع انوارها منهم
وشدة ظهورها في احوالهم واقوالهم ونفحات الطاف السعادة والنفحة الرائحة
الطيبة التي تفوح اي كونهم سعد الدارين فشبه ما يلوح منهم من امارتها بالرائحة
طيبة تعبق منهم فتعطر الكون وفي الحديث ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا
لها كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا فمن اراده ينظره
ولم ينقل احد من اهل الاخبار عن احد غيره ان احدا نبي بالبنا للمجهول وهو اخره
اي صيره الله نبيا واصطفى اي اصطفاه الله واختاره لذلك وهو مجهول
ايضا بمن عرف بكفر وشرك وهو من عطف الخاص على العام قبل ذلك اي قبل
نبوته واصطفائه ومستندا اسم مفعول اي ما يستند اليه ويعلم به هذا الباب اي
باب معرفة احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام النقل عن اهل الاخبار والاثار
ويؤيده العقل الدال على انه تعالى لا يختار من خلقه لنبوته الا من كان كذلك
فليس المراد الحصر ولذا عقبه بما يدل على ان العقل موافق للنقل فقال وقد
استدل بعض عليه بدليل عقلي وهو ان القلوب والعقول السليمة تنفر اي تكره
فكانها تفر عن كان هذه اي صفة الكفر والشرك سبيله اي طريقه والمراد عادته
ودابه قيل ان فيه اشارة الى ان منهم من خالف في ذلك فجوز عدم عصمتهم عن
الكفر قبل النبوة الا انه ليس بصواب وقد نقل الباقلاني انه جوزه عقلا
وان لم يقع ان الله بعث كافرا ولا فاسقا وفي المواقف اجمعت الامة على عصمتهم
عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم وانا اقول ناقلا لما يؤيد ذلك ان قريشا
قدرمت بنا صلى الله عليه وسلم عليه واصل الرمي في الاعيان كرمي السهم والحجر واستعير للشتم
والقذف كالرجم والمراد انها هذه منه ونسبته لعل نقيصة مثل قولهم انه ساحر او
مجنون او شاعر الى لم تترك شيا من مفترياتها التي وسعتها قوتهم لحتى افترته عليه
وعيره بفتح العين المهملة وتشديد اليا المثناة التحتية وراء مهملة كفار الامم انبياءها
وفي نسخة انبيائهم اي نسبوهم للعار وهو الامر الذي يستقبح وينفر منه وقال

الراغب

الراغب عيرته ذممته من العار وقولهم تعايروا بنو فلان قيل معناه تذاكروا العار
وقيل تعاطوا العيارة اي فعل العير في الانتقالات والتحليلة ومنه عارت الدابة
انتهى فالمعنى عيروهم بكل ما امكنهما وفي نسخة امكنهم اي تيسر لهم وجاز صدوره
منهم واختلقته وكذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم واصل اختلاق الشي اختراعه من
غير سبق لمثله فيعم كل كذب بما قص الله عليه اي ذكره في كتابه الكريم وفي غيره من
الكتب الالهية من تكذيبهم ورميهم بانواع البهتان ونقلته الرواة الينا نقلا
مستفيضا بحيث لا يمكن انكاره ولم يجد في شي من ذلك اي من الكتب الالهية
والاخبار المروية او المراد ما نقلته الرواة لقوله تعيير الواحد منهم اي من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي نسبتهم لعار بذنبهم ووصفهم بوصفه اي
تركه بعد اتباعه الهته ان كان هذا الضمير راجعا لمن غير المعلوم من السياق
فالامر واضح لا لواحد لانه من الانبيا وليس لهم الهة اللهم الا ان يكون على طريق
الفرض فحينئذ يصح تفسير ذلك بالكتب الالهية والاخبار فاعرفه وتقريعهم اي
توبيخه وتعييره بذمه اي ذم احد من الانبيا بتركه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد جامعهم اي وافقهم واجتمع معهم عليه اي على عبادته كما فعلوا او لو كان هذا الكاوا
اي كفار الامم بذلك اي تعييره وتوبيخه برجوعه عن عبادة الهتهم التي كان موافقا
لهم على عبادتها مبادرين بدال وراء مهملتين اي مسارعين لذكره مقدمين
له على جميع ما افتروه ويتلونه بالبا الجارة ومثناة فوقية ولام مفتوحتين
وواو ونون مشددة ونون وضمير مضاف اليه مصدر تلون تلونا اذا تغير
وتنقل من حال الى حال اخر تنقل من اللون كالبياض والصفرة تجوز به عن الاحوال
كما عبر به عن الاجناس والانواع قال الراغب يقال فلان اتى بالوان من الاحاديث
وتناول الوانا من الطعام فيعبوده اي ما يعبده متعلق بتلونه المتعلق بقوله
تحتجين اي مقيمين الحجة والدليل فيقولون انت لا تستقر على دين تارة تعبد
هذا وتارة تعبد ذاك فما صرفك عن معبودك الاول ومعبود قومك ولكان
توبيخهم له اي توبيخ كفار كل امة لنبيهم بنهيهم مصدر مضاف للمفعول اي نهي
النبي لامته عما كان يعبد قبل اي قبل نبوته اقطع بنا وظا مهملة اي اقوى واشد قطعا في
الحجة اي الدليل الذي استدلوا به من توبيخه هو المفضل عليه فيهما على التنازع
او التجاذب بنهيهم عن تركهم الهتهم ان قبل الظاهر عن الهتهم وترك تركهم
او عن تركه قيل ضمير نهيهم للكفار وضمير تركهم للانبيا عليهم الصلاة والسلام
وما كان يعبد اباؤهم من قبل اي قبل انبيائهم فنفي اطباقهم اي اتفاق كفار الامم واجماعهم
يقال اطبق القوم على كذا اذا اتفقوا على الاعراض عنه اي عن التوبيخ بما ذكر وهو
اقوى واظهر في احتجاجهم على رسلهم دليل على انهم لم يجدوا سبيلا وطريقا موصلا
اليه في نص او خبر او اثر اذ لو كان لهم سبيل اليه لنقل بالبنا للمجهول اي نقل الرواة

لهم ونقل لنا من بعدهم احتجاجهم به ولم ينقله احد ولو نقل لهم ذلك ما سكتوا
عنه بل بادروا اليه قبل كل شيء كما لم يسكتوا اي الكفار عن وفي نسخة عند تحويل
القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة فانهم وبخوا به وشنعوا حين سفههم الله تعالى
بقول السفهاء الاية وقالوا ما ولاهم اي ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها في اول
امرهم كما حكاه عنهم في القران والكلام عليه مفصل مشهور في كتب التفسير والحديث
وقد استدل القاضي القشيري هذا هو الامام عبد الرحيم بن الامام عبد الكريم ابن
هوازن الاستاذ ابو نصر بن الاستاذ ابي القاسم القشيري صاحب الرسالة
المجمع على جلالته وعلمه وزهده وامامته تخرج على امام الحرمين توفي سنة
اربع عشرة وخمسمائة بنيسابور وله عدة اولاد كما فصله البرهان الحلبي
وقال انه لم يل هو ولا احد من اولاده القضا فقوله المصلة القاضي لا اصل
له وما قيل انه شخص اخر غير معلوم موهم لغير مراده على تنزيهه عن هذا اي عن
الكفر والاشراك قبل النبوة لا عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك في شيء
لعدم مناسبته لما بعده وان كان منزها عن ذلك ايضا بقوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية تقدم ان الميثاق العهد وهو
ماخوذ من الوثاق وهو حبل يشد به الاسير استعير للعهد كما استعير له الحبل
كما ورد في الحديث بيننا وبينهم حبال وتمام الاية ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وخص هؤلاء بالذكر لشرفهم العام عليه
وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم لشرفه وفضله على جميع الانبياء والميثاق
الذي اخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الى دين الاسلام وان
يصدق بعضهم بعضا ويبشر به وكان هذا حين كتب وقدر كل ما هو كائن
وقال مجاهد انه كان في عالم الذر ووجه الاستدلال على احد الوجهين
انه اذا عهد اليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه وتوحيده فكيف يصدر عنهم
ما يخالفه قبل النبوة وبعدها وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة الحديث وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فعهد اليهم او الى
اولادهم فهو على تقدير مضاف او اكتفى بذكر انبيائهم او سماهم انبياء تهكما لقولهم
نحن احق بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم وقد قدمنا الكلام على هذه الاية
وان للسبكي فيها تاليفا مستقلا لخصناه فيما مر قال القشيري طهره الله
اي براه ونزهه عما لا يليق بعلي قدره في الميثاق اي حين اخذ الميثاق عليهم
في عالم الازل وبعيد غاية البعد عند العقول السليمة ان ياخذ الله منه صلى
الله عليه وسلم الميثاق والعهد الوثيق المحكم بالايمان وامور الدين كله وكذا
اخوانه من الانبياء والمرسلين قبل خلقه وظهوره في عالم الارواح والذر وادم بين
الماء والطين ثم ياخذ ميثاق النبيين باعهده اليهم بالايمان به اي بمحمد صلى الله

عليه وسلم ونصره على اعدائه ان ادرك زمانه فيتبعه ويكون من امته قبل
مولده اي زمان ولادته صلى الله عليه وسلم بدهور جمع دهر وهو الزمان الطويل
كما قيل

ان دهرا يلم شملي بسعدي ... لزمان يهم بالاحسان

ويجوز بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ايضا من الجواز او التجويز وهو منصوب
معطوف على ياخذ اي وان يجوز الخ ويجوز رفعه بتقدير وهو يجوز على الشرك
او غيره من الذنوب والضمائر عائدة عليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز عليه ولا على غيره
من الانبياء الشرك ولا غيره من الذنوب بعد اخذ الميثاق عليهم قبل خلقه بالايمان
واقامة شرعه القويم هذا اي تجويز الشرك والذنوب عليهم بعد اصطفائهم واخذ
الميثاق عليهم ما اي الذي روي لا يجوزه عليه وعليهم الا شخص ملحد فاسد العقيدة
عادل عن طريق الحق ونهج الصواب يقال لحد اذا احرف حرفه مايلة عن الوسط كلحد
القبر ثم عم لكل ميل يقال لحد والحد وشاع في الميل عن الحق وصار حقيقة فيه
هذا المذكور يعني كلامه اي كلام القشيري واستدلاله على ما ذكر قال وكيف يكون
ذلك وفي نسخة وكيف ذلك وفي اخرى فكيف وهو اسم استفهام عن الكيفية
والهيئة التي وقع عليها الامر تجوز به عن التعجب الانكاري فهو انكار
لتجويز ما ذكر عليه بانكار حالته التي يكون عليها لان كل امر لا ينفك عن
حالة وصفة يكون عليها فاذا انكرت حالته لزم انكار وجوده كناية على
وجه برهاني اقوى من انكاره ابتداء كما قرروه في قوله كيف تكفرون بالله
وذلك اشارة لتجويز ما ذكر وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام كما
تقدم عن انس في رواية مسلم وشق قلبه صغيرا اي في حال صغره وهو عند
مرضعته حليمة كما تقدم تفصيله واستخرج منه علقة اي قطعة صغيرة
من دم متجمد تشبه العلقة المعروفة وقال جبريل عليه الصلاة والسلام هذا
المستخرج حظ الشيطان منك اي نصيبه في وسوسته لبني ادم الذي يسرم من
غيرك لقبوله ما يلقيه له فباخراجه لم يبق له عليه سبيل كغيره من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين وجملها نفس الحظ مبالغة وتقدم فيه كلام نفيس ثم غسله بما
زمزم او الكوثر كما تقدم اي قلبه الشريف وملاه حكمة وايمانا تمثيل لاستقرارهما
فيه او انه تعالى جسم ذلك بقدرته وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في قصة
الاسراء كما تظاهرت اي اشتهرت وقويت من قولهم ظاهره اذا اعانه به
اي بشق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وقد وقع مرارا كما تقدم اخبار المبدا
اي الاحاديث الصحيحة الواردة في ابتداء امره ونبوته فهو مصدر ميمي
او اسم زمان او مكان والاول اظهر ولا يشبه عليك بضم اوله وفتح ثانيه المعجم
وفتح الموحدة المشددة مبني للمجهول اي لا يشبهه عليك ويوقعك في شبهة

وليس كقوله تعالى ولكن شبه لهم وهذه شبهة شرع في دفعها لايهامها
في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما قدمه في تنزيههم عن الشك في معرفة الله
وصفاته بقول ابراهيم اي بسبب قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما جن
عليه الليل في الكوكب اذ راه طالعا والقمر اذ راه غاربا والشمس هذا ربي هذا اكبر
الاية اي لا تقع في شبهة مما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام في طلاقه على
هذه الكواكب ربا وهو من كبار اولي العزم وذلك اشارة الى ما روي وهو انه
عليه الصلاة والسلام لما كان في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن
ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت فقالت لابيه الغلام الذي
تحدثوا بانه يغير دين اهل الارض هو ابنك واخبرته بما قال ثم اتاه ابوه فقال
له مثل ذلك فلطمه ثم قال لابويه اخرجاني من السرب فاخرجاه فنظر ايلا
وغيرها سارحة فقال لا بد لهذه من خالق يطعمها ويسقيها وتفكر في خلق
السموات والارض فقال ان الذي خلقني ورزقني هو ربي لا اله سواه ثم نظر الى
كوكب طلع وهو المشتري او الزهرة طالعة فقال هذا ربي الى اخر ما قصه الله
عنه وهذا ما ذكره اهل الاخبار والى جواب هذه الشبهة اشار المص بقوله
فانه قد قيل كان هذا في الطفولية هو مصدر طفل اذا كان طفلا اي ولدا صغيرا كما
تقدم لكن الذي ذكره الراغب وغيره ممن يعتمد عليه من اهل اللغة طفل طفولة
وطفالة فاذا كانت الطفالة مصدرا لا يحتاج الى النسبة التي تصير بها
الجوامد مصادر فان مثله سماعي كالخصوصية كما فصله المرزوقي وغيره
من ايمة اللغة الا ان المص ثقة فلعله وقف عليه وابتدا النظر والاستدلال
على وحدانية الله تعالى ووجوده لقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
على قومه وقيل لزوم التكليف في ابتدا تمييزه من غير ثبات على ما قاله بل اراد
الاستدلال على وجود صانع قديم لا يجري عليه تغير الا انه جواب ضعيف
لاقتضايه صدور شك منه في صغره ومثله لا يليق بمثله صلى الله عليه وسلم
وكونه تنبيها لابويه وقومه على خطايهم في عبادة غير الله جواب اخر فاذا قاله
في الكلام هنا غير مناسب لمنا فانه لقوله وابتدا النظر الخ وذهب معظم الحذاق
جمع حاذق وهو من له ذكا وفهم ومعظم بمعنى اكثر من العلما والمفسرين اشارة
الى ضعف ما قبله وان قايله لا يعتد به الى انه عليه الصلاة والسلام انما قال
ذلك اي هذا ربي الخ تبكيتا وفي نسخة تبكيتا وبناء بها المعطوف الاتي لقومه
لانهم كانوا يعبدون الكواكب والتبكيت بالمثناة الفوقية والموحدة وكاف
ومثناة تحتية ساكنة واخره مثناة فوقية وهو اللوم والتقريع يقال بكته
اذا عنفه واستقبله بمكروه او غلبه بحجة وكله صحيح هنا وفي الكشاف انه قول
من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل وهو جواب اخر قريب مما ذكر ومستدلا
عليهم بالزام الحجة لان الظهور والاحتجاب تغيران يوذنان بالحدوث منافي

للالوهية

للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر بارخا العنان حتى ينقاد والتحق من غير عناد
وقيل معناه اي معنى قوله هذا ربي هذا اكبر الاستفهام الانكاري بتقدير الهمزة كما
بينه بقوله الوارد مورد الانكار الذي صدر منه الانكار لا على طريق الشك
ولا الاعتقاد ولا بعد فيه وان كان الاصل عدم التقدير والمراد اهذا ربي
اي لا يليق بمثله ان يكون ربا معبودا او قال الزجاجي قوله هذا ربي اي على قولكم
وفي نسخة قولهم اي حكاية لقول الخصم حتى يكر عليه بالابطال كما تقدم في
كلام الكشاف فاقال الله تعالى في اية اخرى اين شركايي فاضافهم الى نفسه
لما سيلهم تهكما منه اي عندكم اي كونهم شركا على زعمهم وادعايهم كما في هذه
الاية فسماهم الله شركا باعتبار اعتقادهم الفاسد وقومه ان كانوا يعبدون
الكواكب فهو ظاهر وان كانوا يعبدون الاصنام فابطال الوهية الاجرام العلوية
النيرة يقتضي ابطال غيرها بالطريق الاولى وفي شرح المواقف هذا الكلام صدر
عن الخليل عليه الصلاة والسلام قبل تمام النظر في معرفة الله وكم بينه وبين
نبوته اذ لا تتصور نبوة الا بعد تمام ذلك النظر فلا اشكال او يختار انه
لم يعتقده فيكون كذبا صادرا قبل البعثة او هو على سبيل الفرض ارشادا
لقومه كما في برهان الخلف اي الكواكب لو كانت اربابا كما يزعمون لزم ان يكون
الرب متغيرا وذلك باطل وفيه ما فيه ويدل على انه اي الخليل عليه الصلاة
والسلام لم يعبد شيا من ذلك اي من جنس الكواكب والاوثان ولا اشرك
قط لاستغراق الازمنة بالله عز وجل طرفة عين اي في اقل الازمنة وطرفة
العين مقدار تحريك جفنها من اعلى لاسفل ويكني به عن غاية القلة وطرفة
مصدر منصوب على الظرفية الزمانية ومثله كثير قول الله فيما حكاه عنه
اذ قال لابيه ازر وقومه ما تعبدون سايلا لهم مضيفا العبادة لهم قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين الاية ثم قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
يريد انهم اعداء العابد بهم لتضررهم بعبادتهم فوق ضرر اعدى اعدايهم
وهو الشيطان فضرر الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح
من التعريض واشعارا بانها نصيحة بدا فيها بنفسه ليكون ادعى الى القبول
كما قال البيضاوي وقوله الا رب العالمين استثنا منقطع والقول بان
هذا الاستثنا لاحتمال انه بعد النبوة لا وجه له وفي المقام كلام يضيق عنه
البيان هنا فحسبك ما فيه شفا الصدور وقال اذ جا ربه بقلب سليم اي من الشرك
فسلامته منه دليل على انه لم يعرض له اصلا وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
اي باعد بينهم وبين عبادتها فهذا يدل على انه هو وذريته لم يصدر منهم شي
من ذلك فان قلت فما قوله اي قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد اقول التمس
ليس لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فانه ربما يتوهم منه انه في

شبهة قيل في الجواب انه اراد به الاستيقان بربه وقد استحيى نفسه وعلى انه
انما يهتدي بتوفيق الله له فقال لقومه ان لم يهدني اي يقويني بمعونته
اكن مثلكم ايها القوم في ضلالتكم وعبادتكم لغير الله وانما قال هذا وهو مهتد
بلا شك على معنى الاشفاق على قومه ترحما لهم والحذر اي الخوف من الله والاحتراز
عما هم فيه والا اي وان لم يحمل ما ذكره على هذا لم يكن لذكره هنا فايدة فهو معصوم
في الازل قد بما في قضا الله له بالسعادة وتطهير فطرته من الضلال وهذا السؤال
وارد على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الريب والشبهة
وبعض الشراح هنا حاطب ليل تركنا ما كثر به سواده فان قلت فما معنى قوله
في سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن فالعود يقتضي انهم كانوا على دينهم وكفرهم وهم معصومون
من ذلك قبل البعثة وبعدها كما تقدم فالاية بشكل ظاهرها عليهم ثم قال الله
عز وجل بعد بالبنا على الضم اي بعد قول الذين كفروا ما ذكر وقيل بعد قوله
لنخرجنكم من ارضنا الاية وسبا في ما فيه عن الرسل اي حاكيا عنهم وما تقدم كان
محكيا عن قومهم لا عنهم والثاني اظهر في الاشكال لان قومهم قد يظنون انهم
قبل البعثة كانوا على دينهم واما الرسل فعلى يقين من خلافه فكيف يصح منهم
ان يفتروا او على التقدير الثاني قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها ليس بعد هذه الاية فان الاولى في سورة الاعراف وهذه في سورة ابراهيم
وكونها بعدها في النزول يحتاج الى نقل وقيل انها بعدها في الجملة لان القصة
واحدة وهي قصة شعيب وليس المراد بالرسل جميعهم بل الجنس الصادق على
الواحد وقد وقع جوابا للكفرة فهو اقوى في الشبهة فانهم لا يقولون على انفسهم
ما لم يتصفوا به لانهم منزهون عن الكذب ومعنى قد افترينا على الله التعجب
اي ما كذبنا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها فضلا عن الدخول
فيها وجواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله وهو ما من لفظ مستقبل معنى
لدخول حرف الشرط عليه تقديرا وقد مقربة للحال اذا عرفت هذا فلا يشكل
عليك لفظ العود بمعنى الرجوع الى الكفر المقتضية لاتصافهم به اولا وهم معصومون
منه قبل البعثة وبعدها كما قرره اولا فيشكل وانما تقتضي اي تستلزم بحسب
الدلالة انهم اي الرسل انما يعودون الى ما كانوا فيه اي داخلين فيه ومتصفين
به من ملتهم يعني الكفر لان الملة تطلق عليه كالدين فان هذه اللفظة اي لفظة
العود وردت كثيرا في كلام العرب الفصحا لغير ما ليس له اي لما لم يثبت له ابتدا اي
قبل حاله التي هو عليها مما ينافيها بمعنى الصيرورة وهي وجود الشي بعد ان لم يكن
تقول صار لفلان كذا او صار غنيا بعد فقره وفي المحصول ان ما صار اليه
شرع نسخ وقيل الصابر لذلك امهم فادخلوا فيهم بطريق التغليب او هو
باعتبار ظنهم وزعمهم او على حد قولهم ضيق فم الركية يجعل المتوهم كالمحقق

وفيه كلام في شرح المفتاح وحواشيه كما جا في حديث الجهنميين اي الحديث
الذي في حق اهل جهنم المروي في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه عاد واحما بضم اوله وفتح ثانيه بزنة ضرد اي سودا كالفحم جمعه واوله
اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله من كان في قلبه حبة خردل
من ايمان فاخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعاد واحما فيلقون في نهر الحياة
فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وعاد هنا بمعنى صار ولم يكونوا اي
الجهنميون قبل ذلك كذلك اي حمما ومثله اي مثل الحديث في ان عاد بمعنى صار
وحدث وان لم يكن موجودا قبل قول الشاعر هو امية بن ابي الصلت من
قصيدة مدح بها سيف بن ذي يزن ملك اليمن لما ظفر بالحبشة وقد
غلبوا على ملكهم فغزاهم ونفاهم عن بلاده وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه
وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وفيهم قريش وعبد المطلب فانشده
امية بن ابي الصلت قوله

لا يطلب الثار الا ابن ذي يزن ... يمم البحث للاعداء جولا
اتى هرقلا وقد سالت نعامته ... فلم يجد عنده للنصر تشكالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة ... من السنين يهيج النفس والمالا
حتى اتى بني الاحرار يقدمهم ... نحالهم فوق متن الارض اجلالا
الى ان قال فيها

فاشرب هنيا عليك التاج مرتفقا ... في راس غمدان دارا منك محلالا
قد لبط بالمسك اذ سالت نعامتهم ... واصبح اليوم من بردك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وعارضها بعضهم بقصيدة منها في مدح الصوفية فقال

لله تحت قباب العز طايفة ... اخفاهم في ثياب القهر اجلالا
هم السلاطين في اثواب مسكنة ... استعبدوا من ملوك الارض اقبالا
غبر ملابسهم شمعا طسمهم ... جروا على فلك العليا اذيالا
هذي المناقب لا قعبان من عدن ... خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا
هذي المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه وفي كثير من كتب الادب والتاريخ والسير
باسانيد صحيحة ولها قصة مشهورة وفيها البشارة ببعثته صلى الله عليه
وسلم كما فصله وليس الشعر المذكور منها كما توهمه من لا خبرة له بالادب واساليب
كلام العرب وليس كما قيل لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة ولا لعمر بن عبد
العزيز وانما تمثل رضي الله عنه بهذا البيت فتوهم الحافظ الحلبي انه له وهذا
مثل في الفخر بمعالي الامور وعدم التنزل لسفاسفها وشيبا بمعنى خلطا
ومزجا والقعب انا معروف يقول انك في معال وقصور رفيعة منذ ذا

بالحرام الشرور تجود بالاموال لست كعرب البادية الذين جودهم سقي
ضيفانهم لبنا بما مزج به يعود في يومه بولا مراقا وجودك بمكارم واموال
تبقى عندمن انعمت عليه فتشتان بينك وبين غيرك فعاد هنا بمعنى صار
لانه لا يتصور انها كانت بولا قبل ذلك واليه اشار بقوله وما كان ما ذكر قبل
ذلك كذلك اي بولا وهو ظاهر وانما اطلنا فيه لما في الشرح هنا من الخلط
ثم اورد سوالا اخر على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال
فان قلت لما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى الخطاب له صلى الله عليه
وسلم واصله فهداك فحذف المفعول رعاية للفاصلة فانه يقتضي نسبته
صلى الله عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال شرعا اما بالكفر او بارتكاب
المعاصي وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنهما وجوابه قوله فليس هو من الضلال الذي
هو الكفر فانه صلى الله عليه وسلم معصوم من المعاصي قبل النبوة وبعدها
فضلا عن الكفر واذا كان كذلك فقيل معناه هنا ووجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها
لان الضلال معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية فكل
عدول ضلال سوا كان عمدا ام لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة
كقوله فعلتها اذن وانا من الضالين كما ياتي قاله اي التفسير المذكور محمد
ابن جرير الطبري وقد قدمنا ترجمته وقيل معناه وتاويله ووجدك بين اهل الضلال
فعصمك عن ان تنتظم في سلكهم وتعد منهم فصانك من ذلك اي من الضلال
ووافقت اهله فيه وهداك للايمان به ومعرفته اذ جعله فطرة لك
ثم اودع فيك ما يرشدك له بعقلك السليم اي ارشدك له بالوحي والى
ارشادهم اي ارشاد من لم يكن مهتديا للحق افعال من الرشد ضد الغي وهو
قريب من الهداية كما قاله الراغب وله معان اخر اليه اي الى الايمان وسلوك
الطريق المستقيم بتبليغ ما اوحي وكذا اي قريب منه ومشابه له ونحوه نقل
عن السدي رحمه الله وقد تقدمت ترجمته ونقل ذلك ايضا عن غير واحد اي
عن ناس كثير من اهل التفسير فعلى هذا الضلال بمعناه المشهور وليس
متصفا به ولكونه بين اهله اطلق عليه مجازا بعلاقة المجاورة وليس من
قبيل قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما لا يخفى ولم يبين وجهه الشراح هنا
وقيل معناه المراد ضالا عن شريعتك التي اوحاها الله سبحانه وتعالى اليك
اي لا تعرفها قبل ان اوحي اليك فالضلال بمعنى الغفلة وقد ورد بهذا المعنى كقوله
ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى كما قيل له صلى الله عليه وسلم بعد
ما اوحي اليه فلا تكن من الغافلين ويأتي ايضا انه بمعنى النسيان واستدل
له بهذه الاية ومثله قبل البلاغ ليس بنقص كذا قيل فهداك وذلك الى
ما لا تعرفه وانت طالب له فعلمك ما لم تكن تعلم وقوله والضلال ههنا اي في
هذه الاية على هذا القول التحير اي الوقوع في الحيرة حتى لا يدري اين يذهب وما

يفعل

يفعل • حيرة تمت فأي فتى • رام عمرا فلم يحر •
لا يناسبه فانه ليس للغافل والناسي حيرة فالظاهر تفسيره بعدم المعرفة كما
صرح به ومن لم يعرف شيا وطلبه تحير فتدبر ولهذا كان صلى الله عليه وسلم قبل
نزول الوحي عليه يخلو اي يختلي ويعتزل الناس بحرا حوا بالصرف وعدمه اسم
جبل بمكة كما تقدم فيطلب ما يتوجه به الى ربه اي بسبب تصفية باطنه واعمال
فكره وسيلة توصله الى الله ويتشرع به اي يتخذه شريعة وعبادة تقربه لربه
وفي نسخة يسرع بلا تا بضم اوله وبكسر ثالثه وشينه معجمة وقيل انه بسين
مهملة من الاسراع في اصل المص وقيل الرواية الصحيحة الاول وهو الاظهر
ولم يزل صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك حتى هداه الله ودله دلالة موصلة
الى الاسلام والدين الحق بما جاه عن الحق تعالى في بدء الوحي قال اي حكي في نسخة
معناه الامام القشيري التي تقدمت ترجمته يعني انه صلى الله عليه وسلم
كان موحدا في اول امره طالبا لاتمام النعمة عليه بهدايته لما يرضيه ويكمله
ثم عليه بذلك وقيل معنى ضالا لا يعرف الحق اي الدين الحق لانه لا يعرف
الا بالوحي فهداك اليه بما اوحاه له وهذا في المعنى مثل قوله عز وجل وعلمك ما لم
تكن تعلم من الشرع واحكامه او من خفيات واسرار الله التي لم تقف عليها
ومعنى ما لم تكن تعلم ما لم يكن في قوتك وقدرتك علمه ولذا عدل عما لم تعلم
وهو اخصر واظهر واما كونه لغوا لان كل احد انما يعلم ما لم يعلم اذ تعليم
ما يعلم تحصيل للحاصل ولذا قال السبكي في عروس الافراح وغيره ان قوله
علم الانسان ما لم يعلم بتقدير ما لم يكن يعلم فليس بشي لانه للامتنان او تاويل
ما لم يكن من مقامك علمه والوقوف عليه ومر لهذا تتمة عن بعض حواشي المطول
قال الدلجي بن عيسى الامام في العربية والكلام شارح الكتاب المعروف بالرماني وقد
تقدمت ترجمته قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الاية لم يكن له اي
من شانه وصفته ضالة معصية اي ليس الضال هنا بمعنى مرتكب المعاصي
لعصمة الله له فالضلال اما اول ومفسر بما مر وقيل معنى هدى هنا اين بين امرك
الناس بالبراهين والادلة القاطعة لعرف الشبه فيك وفيما جيت به حتى
صرت لا تخفى على احد والبرهان الدليل اليقيني ومن تفسيره الهداية به
علم معنى ضالا وانه وجدك خفيا وكنزا مخفيا لم يعرفه الناس ولم يطلعوا
على شانه وعلو قدره فاظهره الله حتى ذاع وشاع وملا الافكار والاسماع
فتقدير مفعوله على هذا هدى الناس كلهم وهدى العقول وقيل معناه ووجدك
ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة بان جعلها دار هجرتك ومثواك فالمراد انه
بعد البعثة ودعوة الناس لدينه مع ما كان عليه قومه في القيام عليه صلى
الله عليه وسلم واذيته وهجرة بعض المسلمين للحبشة كان في حيرة مترددا
في الاقامة بمكة والهجرة للمدينة يرجو ان يوذن له في الهجرة اليها حتى اذن الله

في ذلك كما فصل في السير وقيل المعنى وجدك قائما بأعباء الرسالة وبتبليغها
وهو عالم بذلك قبل وقوعه ولكن هو تمثيل وتنويه بأمره ومحبة الله له فكأنه
امر مطلوب لعظيم خطره عليه كما يقال العلم ضالة المومن فهدى بك ضالا بارشادك
له فضالا مفعول لهدى قدم عليه لرعاية الفاصلة وليس صفة حتى يتوجه السوال
وهو وجه متكلف عهدته على قائله لا ناقله وعن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق
الذي تقدم ومحمد هو الباقر بن زين العابدين فقال جعفر معناه ووجدك ضالا
عن محبتي لك اي لم يظهر لك اني اتخذتك حبيبا لي مقربا عندي في الازل اي في حدوث
القدم قبل خلقك اي لا تعرفها هو معنى ضالا فعرفتك اليك بمعرفتي اي انعمت
وتفضلت لاني احبك وهو تفسير لقوله فهدى فعلى هذا لا يتوهم فيه نقص
لان معناه ليس احد اكرم علي منك قال في المجمل الازل القدم واصله انهم قالوا
للقديم لم يزل ثم نسبوا له باختصار فقالوا ازلي ثم ابدلوا الياء همزة فهو من النعت
عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق لضيق القلوب عن تقديره وهي كلمة
محدثة وقرا الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ووجدك ضال بالرفع فالضلالة
صفة لغيره على هذه القراءة الشاذة فلا يرد السوال فهدى فهو على هذا لازم اي اهتدى
بك لسعادة الدارين او المعنى فهداه الله بك وجوز ايضا على القراءة المشهورة
ان يكون فاعل وجد ضمير الواحد المفهوم منه وضالا حال من هذا الضمير وهو بعيد
وقال ابن عطا في تفسير الاية ووجدك ضالا اي مميلا لمعرفتي فهداك بانوار هدايته
وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور في اللغة بينه بقوله والضال قد يرد
بمعنى المحب كما قال الله تعالى انك لفي ضلالك القديم هو من كلام اخوة يوسف
عليهم الصلاة والسلام لابيهم حكاه الله عنهم اي فارادوا انك على محبتك
القديمة ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان وقيل ارادوا بضلالك
خطاه وقيل جنونه من حب يوسف عليه الصلاة والسلام كما قاله الحسن ولم
يريدوا اي لم يقصدوا ولد يعقوب عليه الصلاة والسلام فيهما اي فيما حكي عنهم
في هذه الاية ضلالة في الدين بان يعتقدوا خطاه في دينه باعتقاد ما يخالفه
او اصراره على ما ينافيه اذ قالوا ذلك معتقدين مثله في نبي الله الذي عصمه الله عن
الخطا في دينه علما وعملا لكفروا في اختراعهم على نبي الله ونسبته لما لا يليق به وتحقيره
ومثله كثير في الشرع فلذا فسر الضلال بالمحبة ومثله اي مثل كون الضلال بمعنى المحبة
في هذه الاية انا لنراها في ضلال مبين هو في حق زليخا وقد شغفها حب يوسف
عليه الصلاة والسلام فان المناسب للمقام انه بمعنى محبة بينة اي ظاهرة مكشوفة
لافتضاحها عند هذا اي ابن عطا الذي فسر الضلال فوضع اسم الاشارة موضع
الضمير لتميزه اكمل تمييز وفي بعض النسخ ومثله عند هذا الخ وقال الجنيد
رحمه الله في تاويل هذه الاية وهو ابو القاسم بن محمد الزاهد العابد شيخ
وقته ونسيج وحده واصله من نهاوند ونشا بالعراق وتفقه باخذه عن

ابي ثور واحد اصحاب الشافعي واخذ الطريقة عن السري السقطي والمحاسبي وتوفي
سنة سبع وتسعين ومائتين وهو من فقهاء الشافعية كما في طبقات السبكي
ودفن بالشونيزية بقنطرة خالة السري وجدك مفسرا في شان ما انزل اليك من القران
تفسير لقوله ضالا فهداك لبيانه باظهاره وبيان ما خفي من معانيه في حال تبليغه
لامته كقوله وانزلنا اليك الذكر الاية المراد بالذكر القران لما ذكر من التذكير
والموعظة لتبين للناس ما نزل اليهم ما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه
في ابتداء امره ومثله لا ضير فيه وقيل معناه وجدك ضالا بمعنى انك في خفاء حالك بين
الناس كمن ضل فتاه وفارق قومه حتى خفي امره عليهم فهو استعارة وعبارة عن
انك ابعد ذلك احد من الناس ولم يعرف اتصافك بالنبوة حتى اظهرك الله فهداك السعدا
اي من اسعده الله بمعرفتك واتباعك والايمان بك وفي الاية وجوه كثيرة منها
انه بمعناه الحقيقي لانه صلى الله عليه وسلم وهو طفل ضل في شعاب مكة فرآه
ابو جهل لعنه الله ورده لجده عبد المطلب كما رواه ابن عباس رضي الله عنهما وعن
ابن جبير انه صلى الله عليه وسلم خرج مع ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته
وعدل به عن الطريق في ليلة مظلمة فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس
نفخة رماه بها للهند ورده صلى الله عليه وسلم فمن الله عليه بذلك وعن كعب
ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد المطلب جلست لتصلح ثيابها فلم
تره وسمعت هدة شديدة فقالت ابن الصبي قالوا لم تره فصاحت وا محمداه فرآه
ابليس لعنه الله على هيئة شيخ منك على عصا وقال اذهبي لهبل يرده عليك فجاء
وقبل راس الصنم وقال ربك ابن السعدية عليها فتساقطت الاصنام وقالت
له اليك عنا فما ارتعد وقال لها لا بل ربي يحميه فاطلبيه فطلبته في
جماعة من قريش فيهم عبد المطلب فتضرع الى الله تعالى قائلا في ذلك

يا رب رد ولدي محمدا • فارده لي لتحمد عندي يدا
فشمل قومي كلهم تبددا

فسمعوا هاديا يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه وها هو بتهامة عند
شجرة فوجدوه عندها يلعب باوراقها وقيل المعنى وجدك ضالا عن
طريق المعراج فهداك له ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها اي في تفسير
اية ووجدك ضالا فهدى ان معناها ضالا عن الايمان لانه صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكفر وكل ما ينفر عنهم
القلوب وفي الكشاف من قال انه صلى الله عليه وسلم كان على امر قومه اربعين
سنة ان اراد خلوه عن الامور السمعية فنعم وان اراد انه على كفرهم ودينهم
فمعاذ الله فانه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء معصومون قبل النبوة
وبعدها عن الكبائر والصغائر الشائنة فما بالك بالكفر والجهل بالصانع
ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى نقيصة عند الكفار ان يسبق منه انتهى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما نقل عن الكلبي والسدي من ان الاية على ظاهرها ومعناها وجدك
كافرا في قوم كفار مخالف للاجماع ويبعد عن الادراك ان ينسب صلى
الله عليه وسلم الى الاشراك ولهذه الرواية الشاذة بل الفاسدة رد الزمخشري
فيما قاله والعجب ممن نقل هذه المقالة وقال لا وجه لترديده مع حملها
على الشق الثاني وكذلك اي مثل اية ووجدك ضالا فهدى وتاويلها قوله
تعالى في قصة موسى صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قال فعلتها اذا وانا من الضالين
وقرا ابن مسعود من الجاهلين اي ومعناه من المخطيين الفاعلين شيا بغير قصد
وتعمد لقتل النفس التي قتلها او الذاهبين الى ما يفضي اليه الوكز قصدا
من التاديب وهذا معنى جايز قبل النبوة فلا يتوهم من هذه الاية ان
فيها تنقيصة لموسى عليه الصلاة والسلام لان الضلال بمعنى الخطا وضمير
فعلتها للفعلة التي فعلها وهي قتله قبطيا من اتباع فرعون بمصر قبل نبوته
ونجاه فرعون عليها لما دعاه وعدد نعمه عليه بقوله الم نربك فينا وليدا
الى قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها
اذا وانا من الضالين فوصف نفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب
بان الضلال بمعنى الخطا وعدم القصد لقتله وانما اراد دفعه فوكزه فمات
من وكزه ومثله لا ضير فيه لانه خطا معفو عنه ويأتي الكلام على ذلك
ايضا قاله اي قال هذا التفسير لهذه الاية ابن عرفة وهو الحسن العبدي
المودب المحدث الثقة الذي روى عنه الترمذي وهو معمر عاش مائة
وسبع او عشرة وتوفي سنة سبع وخمسين ومائتين وهو المراد هنا عند
الحافظ الحلبي وغيره لا ابن عرفة الذي هو ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة
المعروف بنفطويه وقال التلمساني انه المراد هنا وفيه نظر وقال الازهري
ابو منصور محمد بن احمد امام اهل اللغة صاحب التهذيب توفي سنة سبعين
وثلثمائة معناه اي معنى من الضالين في الاية من الناسين وعروض
النسيان للانبيا عليهم الصلاة والسلام جايز وهو تكذيب لمن عون لعنه
الله في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين والمراد به
عدم القصد اذ القتل لا يكون نسيانا اللهم الا ان يريد نسيان انه من
السبط وجند فرعون وهو الظاهر لقوله وقد قيل ذلك اي ان الضلال
بمعنى النسيان في قوله عز وجل في حق نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم
ووجدك ضالا اي ناسيا فهدى اي فهداك ورد ذكرك كما قال ان تضل
احداهما اي تنسى احدى المراتين ما شهدت به فتذكرها الاخرى ما نسيته
ثم اورد اية اخرى تخالف ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
عن الشرك وكلما ينفر كالجهل فقال فان قلت فما معنى قوله عز وجل لنبينا
صلى الله عليه وسلم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب

ابن اقبرس

ولا

ولا الايمان ووجه السوال انه نفى عنه صلى الله عليه وسلم معرفته بالقران
المنزل عليه وبالايمان والاول صحيح لان عدم معرفته بالقران قبل الوحي
امر محقق والمشكل انما هو الثاني لانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
مومنا قبله وهو معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم ولذا قيل
ان المراد به الايمان بما يجب الايمان به من احكام الشريعة لا مجرد التوحيد
والتصديق والكل ينتفي بانتفاء جزئيه ولا حاجة لما تكلفه بعضهم من ان
الايمان المراد به ما ذهب اليه المحدثون وهو التصديق بالقلب والاقرار
باللسان والعمل بالجوارح ومجموعه لم يكن معلوما له صلى الله عليه وسلم
قبل الوحي فالجواب عما ذكر في هذه الاية ان السمرقندي هو الامام ابو الليث
رحمه الله وقد تقدمت ترجمته قال معناه اي ما ذكر في هذه الاية ما كنت
تدري قبل الوحي ان تقرا القران اي لا تعرف قراءته ولا دراسته ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان
وقيل انه بعيد غاية البعد فان قدر مثله في النظم فلا قرينة تدل عليه
وقد يقال تعريف الايمان بمهدي والمراد به امته اي لا تدري كيف يومن
قومك واي طريق يدخلون في الايمان والاسلام وهو بدعوته له وستسمع
بيانه قريبا وقال بكر القاضي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما قاله
السمرقندي مما هو قريب منه قال اي بكر لا السمرقندي كما قيل ومقوله
هو قوله ولا الايمان مصدر بمعنى المفعول اي ما يجب الايمان به
الذي هو الفرايض والاحكام الشرعية التي كلف بها علما وعملا مما لا بد منه فان
اي بكر كان صلى الله عليه وسلم قبل اي قبل نزول الوحي ومجي الملك له
مومنا اي مصدقا بتوحيده وانه لا اله الا هو ثم نزلت الفرايض التي لم
يكن يدريها قبل اي قبل نزولها وقبل بعثته فزاد بالتكليف اي بسبب
ما كلفه الله من الفرايض ايمانا وهو اي ما قاله السمرقندي وبكر
احسن وجوه اي احسن ما وجهت به هذه الاية واحسن تفاسيرها
لانه تعالى لم يرد انه صلى الله عليه وسلم لا يدري وانه لا يعرف الايمان
لانه لو كان الامر كذلك قال ما كنت تدري الكتاب ولا الايمان فلما
اتى بما الاستفهامية كان معناه انه لم يدر حال الكتاب وحال الايمان
وحال الكتاب تلاوته وحفظه وهو امي لا يعرفه وحال الايمان لم يرد
به ايمان النبي بالله وهو مجبول عليه متيقن له من ابتدا خلقه الخ فالمراد
به ايمان غيره من امته وهو انما يعرف ايمانهم المضمر في قلوبهم الا اذا
دعاهم فاجابوه وطابق لسانهم جنانهم فهذا تفسير له بلازمه البين
وهو وجه دقيق كما اشار اليه المطهر رحمه الله ومن لم يقف على مراده
قال على هذا الايمان في هذه الاية معناه التصديق والاقرار والعمل
والتصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو معناه الحقيقي شرعا

عرضي

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما عداه غير داخل فيه الا على قوله واما تفسيره بدعوة الخلق ومعرفتها
فلم يقله احد فكيف يكون ما ذكر وجها ولا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه
والمراد ما قدمناه وقيل معناه ما كنت تعرف الكتاب قبل نزوله عليك
ولا الايمان بالفرايض والاعمال التفصيلية قبل مجي الكتاب الذي هو
تبيان لكل شيء وهذا اوجه اخر غير ما ذكره المص رحمه الله ومنهم من نزل
عليه كلام المص فخلط وخبط فان قلت اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
عالما بالله وصفاته فما معنى قوله تعالى له وان كنت من قبله لمن الغافلين
فوصفه بالغفلة ان كانت غفلة عن ايات الله قبل الوحي فاما قرره
اولا وردّه بقوله فاعلم انه اي ما ذكر من وصفه بالغفلة ليس بمعنى الغفلة
التي في قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون فان الغفلة في هذه الاية غفلة
عن العلم بالله وصفاته واول الاية ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم
النار بما كانوا يكسبون وهو صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة بل
معنى الغفلة المذكورة ما حكى ابو عبيد الهروي امام اهل اللغة ان معناه
لمن الغافلين عن قصة يوسف مع ابيه واخوته عليهم الصلاة والسلام فانه صرح
قوله نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت
من قبله لمن الغافلين اذ لم يعلمها الا بوحينا قبل ما قصه الله عليه والغفلة
عن مثله مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وهذا اظهر من ان يذكر فالفرق
بين الغفلتين ظاهر وفي التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده
للعلم بما لم يعلم كانه عالم وتشبيه وكذلك اي ما ذكر مما يوهم ما لا يليق
بعصمته قبل النبوة الحديث الذي رويه ابو يعلى الموصلي في مسنده وعثمان ابن
ابي شيبة وهو من المحدثين الا انه ضعيف على ما ياتي لانه نسب اليه اوهام
بسنده عن جابر رضي الله عنه كما قال ابو يعلى حدثنا ابن ابي شيبة قال حدثنا
جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد
اي يحضر مع المشركين بمكة في صغره مشاهدهم اي محل اجتماعهم عند اصنامهم
وهذا هو محل الانكار من هذا الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه الا في رواية
ذكرها السهيلي وقال انها مرة واحدة على ما فيها وكان ذلك بالحاح عليه من
عمه ابي طالب ثم لم يعد لها فسمع ملكين خلفه كانا موكلين به يحفظانه احدهما
اي احد الملكين يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه واقرب منه وعهده مبتدا
خبره محذوف اي قريب والعهد بمعنى الزمان كقولهم في عهد خلافة فلان
باستلام الانصاب وفي الزهر لابن الانباري الاستلام افتعال من السلمة وهي الحجر
ومعناه مس الحجر او هو استفعال من اللامة وهي السلاح اي حض نفسه وحتف

وعن

وعن الفرا استلمت الحجر واستالمته بالهمز انتهى ولم يقف الدماميني في حاشية
البخاري على هذا فذكره بطريق البحث من عنده وفي كشف الكشاف انه ماخوذ
من عين لا من مصدر وفيه ضرورية تقديرية وهو افتعال للاتحاد والاختصاص
اي اتخذ سلمة وحجرا لنفسه يعظمه بالاشارة اليه بيده ومنه ثم عم لكل تقبيل
فلم يشهدهم اي لم يشهد المشركين في مشاهدهم بعد اي بعد ما سمع من الملكين
ما قالاه وهذا الحديث مشكل لما تقرر من انه لم يكن على شيء مما كان عليه المشركون
من ولادته الى وفاته صلى الله عليه وسلم وارده المص رحمه الله تعالى بقوله
هذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا اي انكارا شديدا ولم يقل بصحته واصل
الجد ضد الهزل استعير لما ذكر وقال هو موضوع وكذب لم يثبت والثابت
خلافه او شبيه بالموضوع على زنة فعيل بمعنى انه يشبه الموضوع بشدة ضعفه
وليس من الفضايل حتى تغتفر روايته وحرف بعضهم شبيه بتشبيه تفعل
منه وروي يشبه مضارع مجهول مشدد الباء وقال الدارقطني ان عثمان وهم
بوزن غلط ومعناه ويقال وهم وواهم بمعنى غلط ايضا في اسناده والحديث بالجملة
اي اجمالا منكر غير متفق على اسناده اي روايته فلا يلتفت اليه اي لا يعتبر بل
ينبغي تركه وعدم روايته اصلا لثبوت خلافه كما سيبينه المص وقال انه مما
انكر عليه احاديث اخر رواها مع ان الشيخين رويا عنه بعض الاحاديث
وعثمان هذا هو عثمان بن محمد بن ابي شيبة ابو الحسن العبسي الكوفي الحافظ
توفي سنة تسع وثلاثين ومايتين وضعفوه الا ان ابن معين قال انه
ثقة مامون والسعيد من عدت هفواته ثم اشار الى رده ما رد سنده وبين
الوهم فيه ما قال والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه
اي ما يخالفه معنى عند اهل العلم بالحديث واحواله صلى الله عليه وسلم من قوله
صلى الله عليه وسلم بغضت بالتشديد والبناء للمجهول الي الاصنام اي جعلني
الله مجبولا على عدم حبها وهو يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها
ولم يوافق قومه في امرها ومن قوله في الحديث الاخر الذي رويته ام ايمن حاضنته
صلى الله عليه وسلم وهي ام اسامة واسمها بركة وهي صحابية وترجمتها مشهورة
وحديثها هذا رواه ابن سعد عن ابن عباس عنها حين قال له عمه ابو طالب
والده في حضور بعض اعيادهم وكان قال له صلى الله عليه وسلم يا بني لم لا تشهد مع
قومك مشاهدهم عند اصنامهم يريد بذلك ان يؤلف بينه وبينهم باظهاره
لموافقته لهم عليه لما راى اجتنابه لهم ولاصنامهم وعزموا عليه اي الحوا
عليه واقسموا عليه فيه اي في شان الحضور معهم يقال عزم عليه اذا اقسم
وهو قسم استعطاف وطلب وضمير عزموا لاهل بيته لاخبارهم اياه طالبا بانه
لا يريد ذلك واليه اشار بقوله بعد ظهور كراهته لذلك اي لحضور مشاهدهم خرج
صلى الله عليه وسلم معهم اي مع اهل بيته وقومه الى اعيادهم ومجامعهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ورجع من عندهم مرعوبا اي ظاهر عليه اثار الرعب والخوف وفي نسخة منقولة
من الام فقال الفا فصيحة اي فسالته عمه عن سبب رعبه فقال كلما دنوت اي قربت
منها لامسها بيدي من صنم بدل من قوله منها مفسر له تمثل اي ظهر لي شخص وهو
ملك موكل بحفظه صلى الله عليه وسلم ظهر له على مثال رجل ابيض طويل يصيح بي وراك
بالنصب على انه ظرف جعل اسم فعل اي ارجع لا تمسه اي لا تمس صنما منها
بيدك كما يفعلون وهذا سبب رعبه صلى الله عليه وسلم لانه كان قبل بعثته
وانسه بالملايكة الكرام عليهم الصلاة والسلام فلم يشهدها اي لم يحضر صلى الله
عليه وسلم بعد مبني على الضم اي بعد ما راى ذلك الملك الموكل بحفظه عيدا لهم
يجتمعون فيه عند اصنامهم وهذا مناف لقوله انه كان يشهد مشاهدهم
المقتضي لوقوع ذلك منه باختياره مرارا فان كان يقتضي تكررا بعدها
كقولهم كان حاتم يكرم الضيف وهذا الحديث تقدمت الاشارة اليه في الاسرا
حين تلقاه البراق وهو ضعيف ايضا وقوله في قصة بحيرا الراهب بفتح البا والمد
والقصر وقصته معروفة حين صلى الله عليه وسلم الى الشام مع عمه ابي طالب
ومر بصومعة بحيرا وراى السحاب تظله والشجرة التي نزل صلى الله عليه
وسلم تحتها تميل اليه لتظله وقصته مشهورة حين استحلف النبي صلى الله
عليه وسلم اي اقسم عليه او طلب منه ان يحلف باللات والعزى اسم صنمين
معروفين اذ لقيه بالشام اي قريبا منها او بارضها واقليمها في سفرته مع عمه ابي طالب
لما استصحبه معه صغيرا لانه كان لا يفارقه سفرا ولا حضرا وهو يومئذ صغير
وراى بحيرا عند قدومه عليه فيه صلى الله عليه وسلم علامات النبوة كتظليل
الغمامة له وميل الشجرة لجانبه ونزوله صلى الله عليه وسلم في منزل كان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه كما فصل في قصته واراها صاحبه قبل النبوة
فاخبره بذلك وفي نسخة فاخبره اي اخبر بحيرا ابا طالب بذلك اي بعلامات النبوة
التي شاهدها فيه فقال له اي لبحيرا النبي صلى الله عليه وسلم لا تسئلني اصله
كما في نسخة لا تسالني مخفف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها اي لا تقسم علي بهما لما
فيه الشرك وتعظيم الاصنام فوالله اقسم صلى الله عليه وسلم بالله ارشادا للرويا
لما حقه ان يقسم به وتاكيد لقوله ما اتيت شيا وكرهته قط بغضهما اي كبغضي
لهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم سل عما بدا لك اي عن كل شي خطر ببالك وقد
تقدم الكلام على هذا التركيب واعلم ان قصته صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي
طالب رواها ابن سعد في طبقاته وابن سيد الناس في سيرته وحاصلها
بيانا لما مر ان قريشا كانوا يجتمعون في كل حول مرة بنخلة يسمى بواط
بضم البا وفتحها ثم واو مخففة وبعد الالف طا ثم تا تانيث اسم هضبة فيها اصنام
لهم عيد فيه في كل سنة فقال ابو طالب انا نراك تخالفنا في امر الهتنا ونحن

نخاف

نخاف عليك من ذلك والحوا عليه حتى غضب ابو طالب فلم يزالوا به صلى
الله عليه وسلم حتى ذهب معهم وبينما هو معهم ثمت غاب عنهم ما شا الله
ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما دهاك فقال اخشى ان يكون بي لمم فقالوا
له ما كان الله ليبتليك بالشيطان مع ما فيك من خصال الخير فما رايت قال
اني كلما دنوت من صنم منها يميل الي رجل ابيض طويل يناديني وراك يا محمد
لا تمسه ثم ما عاد صلى الله عليه وسلم الى عيد لهم حتى نبي واما قصة بحيرا
فمذكورة ايضا في السير وقد عرفت محصلها وكذلك اي مثل ما ذكر في الدلالة
على خلاف ما رواه ابن ابي شيبة او مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله عليه
وسلم عما كان عليه اهل الجاهلية المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام واحواله
المروية عنه في السير فتوفيق الله له بهدايته وخلوص طويته من ابتدا
خلقته الى وفاته والمعروف مبتدا اخبره قوله انه كان قبل نبوته بفتح همزة
انه وقوله كذلك مبتدا اخبره الجملة التي بعده او انه مبتدا موخر وكذلك
خبر مقدم والمعروف بدل من اسم الاشارة كما ان المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج
فكان صلى الله عليه وسلم اذا حج يقف بعرفة اسم مكان معروف يقف به الحاج وسمي
عرفات ايضا ويقال المعرف والتعريف قال ابن دريد في مقصورته ثم
اتى التعريف بقرع مجبتا واصله الوقوف بعرفة وعرفة علم منقول من
جمع عارف سمي به لتعارف ادم وحوى فيه وقيل ان عرفه اسم مولد
ويرده حديث الحج عرفة وقيل عرفات اسم المكان وعرفة اسم يوم الاجتماع
وفيه كلام ليس هذا محله لانه اي عرفة كان موقف ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم فهداه الله لاتباع شريعته ومخالفة الجاهلية فيما
كانوا عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة لانها من الحرم وساير العرب تقف
بعرفات وهي خارجة عن الحرم فخالفهم صلى الله عليه وسلم في ذلك كما في
صحيح البخاري وفي هذا انزل ثم افيضوا من حيث افاض الناس الاية
فصل قال القاضي ابو الفضل هو كنية المولف عياض رحمه الله
تعالى قد بان اي ظهر واتضح بما قدمناه في هذا الباب عقود الانبيا عليهم الصلاة
والسلام جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعار من العقد وهو جمع الاطراف
في التوحيد اي اعتقاد وحدانيته تعالى وعدم الشرك والايمان اي التصديق
بكل ما يجب الايمان به والوحي النازل عليه من الله وعصمتهم في ذلك اي حفظهم
عن اعتقاد خلاف ذلك المذكور كله على ما بيناه في الفصل الذي قبل هذا اما ما عدا
هذا الباب اي غير ما ذكر من التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم فيه من
عقود قلوبهم اي جزمها وهو بيان لما عدا فجماعها بكسر الجيم بمعنى جميع
ومجتمع والمراد جملتها وما يجمعها اي جملة عقود قلوبهم في غير هذه
انها اي قلوبهم كلها مملوة علما ويقينا نصب على التمييز والمراد بما عداها

ما لابد من علمه كاحوال الاخرة والبرزخ والملايكة على الجملة اي هذا حالها اجمالا
لا تفصيلا لانه لا يحصي لكثرته وانبائها اخر اي اشتملت وجمعت وقوله من المعرفة
والعلم بيان لما تقدم عليه بنا على جواز تقدم من البيانية على تبيينها كما ذهب اليه
بعض النحاة ومن منعه يقدر له مبينا يبينه على ما ياتي والفرق بين المعرفة
والعلم ان الاولى تتعلق بالجزييات والعلم بغيرها او بما يسبقه جهل ولذا
قيل انه لا يطلق على الله معرفة الا ان ابن جماعة اعترض عليه وقال انه ورد
في الحديث ما يخالفه وقد بيناه في غير هذا المحل بامور الدين والدنيا جزييا تها
وكلياتها ما لا شيء فوقه اي يزيد عليه ويفضله وفوق ضد تحت ويكون في
المكان والزمان والجسم والعدد ونحوه فاستعيرت لما ذكر كما قال الراغب
ومن طالع الاخبار اي الطلع ما اتى كتبها والمطالعة تختص عرفا بالنظر في الكتب
واعتني اي اهتم واشتغل بالحديث النبوي رواية ودراية وتامل اي فكر ودقق
النظر واصله امر من الامل استعير لما ذكر ما قلناه فيما تقدم وجده محققا
كما قلناه وقد قدمنا منه اي من الامور المتعلقة بعقد قلوب الانبيا في كل ما ذكر
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع في ما اظهره الله على
يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات في القسم الاول
اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما ولا اي مع ما ذكر بعده في هذا الكتاب فعلى
بمعنى مع او محتويا ذلك عليه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف استثنا
منقطع كما لا يستدراك على ما قبله اي لكن احوالهم مختلفة فبعضهم له مرتبة
فيها اعلا مما عداه كنبينا صلى الله عليه وسلم فالتفاوت لا ضرر فيه وقال
الباقلاني يجوز عقلا عدم معرفة النبي ببعض شرايع من قبله وعدم معرفته
ببعض الفروع الفقهية التي فرعها الفقها لكنه اذا سئل عنها لابد ان يعرفها
وكذا علمه باللغات بشرط ان لا يخل بالتوحيد كما قيل وفيه نظر لا يخفى
فاما ما تعلق منها اي من العلوم المفهومة من السياق لا بالعقود بامور الدنيا
كامر المعاش واحوال الناس فلا يشترط بالبنا للمفعول مبني للمفعول وناير فاعله
العصمة في قوله في حق الانبيا العصمة من عدم معرفتهم ببعضها ويجوز ان يكون مبنيا
للفاعل ونصب العصمة على المفعولية والضمير فيه للعلما واجاد في قوله
ببعضها لان عدم معرفتها بالكلية ينافي شدة فطنتهم وسلامة عقولهم والمراد
ما لا تعلق له بالدين اصلا فيجوز عدم معرفتهم بذلك او اعتقادها على خلافها عليه
كقصة تابير النخل وستاتي ورجوعه صلى الله عليه وسلم لراي الحباب
ابن المنذر في بدر والمراد ما يشمل الظن لا الجازم منه ولا وهم بفتح الواو
وسكون الهاء المهملة اي لا تقصير ولا نقص ولا عيب عليهم اي عايد على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فيه اي في عدم معرفته وبين علته بقوله اذ همهم جمع همة
وهي العزيمة من هم بالامر اذا عزم عليه متعلقة اي مشغولة بامور الاخرة

وانبائها

وانبائها جمع نبا وهو الخبر وعبر به لانها انما تعلم بالوحي واخبار الله لهم بها وامر
الشريعة وقوانينها وهو لفظ رومي معرب وامور الدنيا بمقاصدها اي تخالفها فالاشتغال
بها لا يليق بعلو هممهم خلافا لغيرهم من اهل الدنيا اي غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
من الناس الذين يعلمون بدل من اهل الدنيا تلويحا لان علمهم لا يعتد به لانهم انما
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ففيه اشارة لبلادتهم وانهم انما يعلمون ظاهر
زخارفها الذي يتمتعون به دون باطنها الذي يستعدون به للاخرة
ويتزودون به لدار القرار من صالح الاعمال وتنكير ظاهرا اشارة الى
انه متاع قليل وهم عن الاخرة هم غافلون عنها لا يخطر بالهم تدارك ما يلزمهم
منها فهم كالانعام وهم الثانية تكرير للاول وغافلون خبرها او مبتدا
خبره غافلون والجملة خبر الاولى وعلى كل حال فيه تاكيد لغفلتهم وهو اقتباس
واشارة بالمصادفة الى ان المراد بالدنيا ما تحض لها كرياستها وجاهها ولذايذها
بخلاف سيء امور المعاملات فانها امور شرعية يلزمهم بيانها فلا حاجة لذكره
هنا لانه سياتي واليه اشار بقوله كما سنبين هذا الباب الثاني ولكنه
ضمير شان وهو استدراك على ما قبله لا يصح تعليلا لانهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا
اصلا فان ذلك اي عدم علمهم بشيء منه يؤدي الى نسبتهم الى ما لا يليق بهم من
الغفلة والبلد اي شدة البلادة وعدم الادراك وهم المنزهون عنه اي عما ذكره من
الغفلة والبلد لكمال عقولهم وتمام خلقتهم فالله نزههم وابعد خلقهم عن مثله
واشار بتعريف الطرفين لكمالهم فيه حتى كانه مخصوص بهم والحاصل ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام كلهم لابد لهم من العلم بالعقايد والشرايع والوحي يقينا
من غير شك وشبهة واما امور الدنيا المتجنبة فلا يلزمهم العلم بها لكنهم عليهم
الصلاة والسلام لكونهم اكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم علمهم بها وانما
يكون ذلك في النادر وليس في كلامه هنا ما يقتضي ان كل نبي اكمل اهل زمانه
واعلمهم كما قيل وهو غير مسلم لقول بن الهمام انه اكمل اهل زمانه ممن ليس
بنبي وقيده في الكشاف بمن ارسل اليه وهو الحق فلا يلزم ان يكون موسى
عليه الصلاة والسلام اعلم من الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل اليه
ولا يحتاج الى ان يقال انه موسى بن عمران لا موسى بن عمران بل ارسلوا الى
اهل الدنيا وقلدوا بالبنا للمجهول اي ولوا وحكموا ومنه تقليد القضا وهو
في الاصل من قلادة العنق سياستهم اي ضبط امورهم امرا ونهيا بالقهر
واصلها القيام على الشيء بما يصلحه وهدايتهم اي ارشادهم لكل خير في الدارين
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم تبيان ما ينتظم به صلاح المعاش والمعاد وهذا
اي النظر والسياسة لا يكون ويوجد مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية
بان لا يعلم شيا منها اصلا لانه مانع للنظر في اخواهم لكن العلم بها ليس
مقصودا لهم بالذات وعلى الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وسيرهم جمع سيرة وقد تقدمت في هذا الباب اي في هذا النوع من العلم وهو العلم بامور
الدنيا معلومة بما اشتهر من اخبارهم ومعرفتهم بذلك المذكور مشهورة لا تخفى على اهل
العلم واما ان كان هذا العقد اي علقه قلوبهم بالاعتقاد الجازم فما يتعلق بالدين
وان كان له تعلق بالدنيا كالمعاملات فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا بالعلم
به يقينا وجزما من غير شك وشبهة فيه ولا يجوز عليه جهله جملة اي لا يجهل
شيا منه ولا يخفى عليه شي من جملته ويجوز ان يراد بالجملة الاجمال اي يعلم علما اجماليا
اي انه يجب اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم لا يجهل شيا مما له تعلق بالدين وقيل
انه قيد للنفي اي انتفى جهله به انتفا كليا فيعلم جميع ذلك لانه اي علمه بذلك
لا يخلو علمه من ان يكون حصل عنده ذلك العلم صادرا من وحي من الله بارساله ملك ونحوه
نوما اي امرا لا يصح الشك منه صلى الله عليه وسلم فيه اي في الوحي وما يتعلق
به بنا على ما قدمناه كما علمته قبل هذا واذا لم يحصل منه ادنى شك في شي من ذلك
فكيف الجهل اي فكيف يصح منه وهو انكار لجهله بانكار كيفيته وحاله على طريق
برهاني لانه اذا وقع لا بد ان يقع على كيفية مخصوصة بل حصل له العلم اليقيني
اي المتيقن واستدركه لانه لا يلزم من عدم العلم تيقن ضده لا يكون فعل ذلك
الامر المتعلق بالدين ببيان احكامه حلالا وحرمة ونحوه باجتهاده وهو افتعال
من الجهد وهو الطاقة والوسع وبذله في تحصيل المطلوب وهو تحصيل
الحكم بما اعلمه الله واستخراجه من قواعد الدين بالتفاته اليه فيما لم ينزل
عليه فيه شي من الوحي في بيان حكمه فيعلم حكمه بذلك وهو في غيره تحصيل
ظن بحكم شرعي استخرجه من نص ونحوه على القول بجوز وقوع الاجتهاد منه
صلى الله عليه وسلم في ذلك اي فيما لم ينزل عليه وحي فيه على قول المحققين
الذاهبين لجواز اجتهاده وهو القول الصحيح ثم على هذا هل يجوز وقوع الخطا
منه فيما اجتهد فيه فمنعه بعضهم وجوزه بعض مع الاتفاق على عدم اقراره
صلى الله عليه وسلم على الخطا وهذا رجحه كثير من الاصوليين وذهب كثير
منهم الى ترجيح عدم الخطا في اجتهاده اصلا واليه مال المص رحمه الله تعالى
وادلتهم مبسوطة في كتب الاصول فمن ارادها فليأخذ المامن مجاريه وعلى
مقتضى بصيغة المفعول اي على ما يقتضيه ويدل عليه لزوما حديث ام المؤمنين
هند بنت ابي امية المشهورة بام سلمة رضي الله عنها بفتحات فيما رويته عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال اني انما اقضي بينكم براي واجتهادي فيما لم ينزل علي فيه شي
اي فيما لم ينزل الله فيه شي من وحيه وهو صريح في وقوع الاجتهاد منه صلى
الله عليه وسلم اخرجه الثقات اي رواه مسند امن يوثق به كابي داود
وغيره فهو حديث صحيح دال على صحة اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسبب
هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم اتاه رجلان يختصمان في مواريث واشياء
قد درست فقال اني الخ وهو كما علمت دليل على اجتهاده ووقوعه منه

خلافا

لم يجوزه

خلافا لمن يجوزه او جوزه وقال لم يقع لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى او خصه بالحروب لان اجتهاده في حكم الوحي لاستنباطه
منه بالقياس فليس وقوله صلى الله عليه وسلم لا ادري في بعض الاحيان
لا ينافيه لعدم ظهور القياس له والقياس مستند الى الوحي لقوله تعالى
فاعتبروا يا اولي الابصار وكقصة اسرى بدر جمع اسير كاسارى
وهما بمعنى وقيل الاسرى من لم يوثق والاسارى الموثقون وهم سبعون
رجلا والقصة كما في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر والصحابة
رضي الله عنهم ما ترون في هولا فقال ابو بكر رضي الله عنه بنو العم والعشيرة
ارى ان تاخذ منهم فدية يكون لنا بها قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم
للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا عمر فقال ارى ان
نضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر وصناديده فنزل ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض بعدم الفدية فجلس صلى الله عليه وسلم
هو وابو بكر يبكيان فقال لهما عمر لم تبكيان اخبرا ني فان وجدت بكا
بكيت والا تباكيت فقال صلى الله عليه وسلم ابكي لما عرض من الفدا لقد عرض
عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة عنده وتقدم ذلك مع ما فيه فهذا
دليل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم كما علمته وكقصة
الاذن للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فانه اذن لجماعة استاذنوه
في القعود عنها فاذن لهم باجتهاد منه ولم ينتظر الوحي فعاتبه الله على
ذلك مع لطفه في تقديم العفو عنه بقوله عفى الله عنك لم اذنت لهم حتى
يتبين لك الذين صدقوا الاية لانه كان منع من استاذنه واعتذر
باعتذار بعض المنافقين لم يعرف نفاقهم حتى نزلت اية التوبة عليه
على راي بعضهم راجع للقصتين او للثانية فقط فانه قيل ان ذلك كان باجتهاد
منهم عنده صلى الله عليه وسلم بنا على ان العتاب لهم وخطابه لقبوله له
واقرارهم مع انه خلاف الاولى او ان الله خيره في ذلك قبل واذن له ولا
اجتهاد فيه وانما كان عليه ان ينتظر الوحي حتى يتبين الاولى به وفيه
مباحث وانظار دقيقة فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاد اي يترتب
عليه ويكون ثمرة له ومن بيانية او تبعيضية او تجريدية الاحقا موافقا
للواقع صحيحا في نفسه بقطع النظر عن الواقع ومطابقته وهذا بنا على ان
صلى الله عليه وسلم لا يخطئ في اجتهاده اصلا كما ارتضاه الغزالي
وبني عليه انه يجوز القياس على ما اجتهد فيه وهو اللايق بمقام النبوة
ومثله في هذا كله سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وذهب ابن الحاجب
وغيره الى انه يقع منه الخطا نادرا الا انه لا يقر عليه وليس ما استدلوا
به خطا بل خلاف الاولى فان ارادوه ارتفع الخلاف فتدبر هذا القول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من ان اجتهاده صلى الله عليه وسلم لا يكون الا حقا صحيحا هو الحق الذي
لا يلتفت ولا يعتد بالخلاف من خالف فيه بان قال لا يجتهد اصلا او يقع في
اجتهاده الخطا او اجتهاده مخصوص بالحروب ممن اجاز عليه الخطا الاجتهادي
ونحوه وهذا وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها ان لو قام عليه دليل لا على
الذي قاله
القول بتصويب المجتهد بصيغة التثنية او بصيغة الجمع اي موافقة حكم كل منهما او
منهم للصواب وقوله الذي هو الحق والصواب مفعول تصويب في محل نصب اي
ما اعتقده كل موافق للحق والصواب فكل مجتهد مصيب كما قيل

رمى فاصاب قلبي باجتهاد • صدقتم كل مجتهد مصيب •

او الذي مبتدا خبره قوله عندنا وهو احد قولين ورجحه المص والاشعرية
فالضمير للاشعرية ولا على القول الاخر الذي ذهب اليه الجمهور
القايلون بان الحق في طرف واحد غير معين فالاخر خطا الا انه لا اثم عليه
فيه وهذا في غير النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يخطي ولا يقر على الخطا
لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم اي لعصمة الله له من الخطا في الاجتهاد في
الشرعيات قيده به لانه محل الخلاف بخلاف العقايد وامور الوحي كما تقدم
وما لا تعلق له بالدين فان الاول لا يجوز فيه الخطا بالاتفاق كما تقدم
تفصيله ومحل الخلاف في اجتهاد غير الانبيا ولان القول في تخطية المجتهدين اي كلام
الاصوليين فيما يتعلق به انما هو بعد استقرار الشرع فلا يتصور لانه يكون قياسا
على حكم شرع قبله ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل
عليه فيه من الوحي ولم يشرع له قبل اي قبل اجتهاده فيه ونظره ليظهر له الصواب
في محل الاجتهاد فلا يتصور خطاؤه لان خطا المجتهد انما يظهر بمخالفة نص
او اجماع او قياس جلي وقد تقرر انه لم يسبق به شرع وهذا دليل على انه
لا يقع الخطا في اجتهاده صلى الله عليه وسلم وفيه بحث لان الاجتهاد بالنظر
في نظايره فان اراد انه لم يترل شي في عينه فمسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد
وان اراد شي من نوعه واشباهه فممنوع فهذه مغالطة وتمويه هذا
المذكور فيما اوحي اليه او عمل فيه برايه واجتهاده فيما لم ينزل فيه شي فيما عقد
صلى الله عليه وسلم اي علمه علما جازما او عزم عليه قلبه واعمل فيه فكره من
امور الدين التي لا بد منها سوا كان من العقايد وامور الوحي مما لا بد من علمه
من غير شك فيه او من الشرع المعلوم بالوحي او الاجتهاد كما فصله وليس هذا
مخصوصا بالاعتقاديات كما قيل واما ما لم يعقد النبي صلى الله عليه وسلم عليه
قلبه ولم يعلمه علما جازما من النوازل جمع نازلة وهي القضية التي تحدث له
ويحتاج لبيان الحكم فيها وقوله الشرعية اي المتعلق بها حكم شرعي من حل وحرمة
ونحوه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يعمل شيا منها اولا اي في ابتدا بعثته وقبل
الوحي والاذن له في التشريع الا ما اعلمه الله بالوحي اليه شيا فشيا اي شيا بعد شي

على سبيل التدريج بحسب الوقايع واسبابها المقتضية لبيانه وهذا
منصوب على الحال كقلته النحويا بابا لانه ماول بمفصل ونحوه وليس التاني
تاكيد او تفصيله في كتب العربية حتى استقر على جملتها اي علم جميعها عنده
اي في علمه وحفظه لما نزل عليه منها اما بوحي من الله او اذن له في ان يشرع ذلك
بفتح اوله وثالثه المخفف او بضم اوله وكسر ثالثه المشدد اي ياخذ في بيانه
او يبين ما حكم الشرع فيه برايه واجتهاده ويحكم في القضايا بما اراه الله اي
عرفه وعلمه بوحي او الهام ونظر فيما انزل عليه كما قال تعالى انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله والاية دالة على اجتهاده فيه وانه
مصيب فيه وقد كان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها اي من النوازل
الواقعة ليبين الله له الحكم فيها ويجتهد في قليل منها احيانا ولكنه لم يمت حتى
استقر على جميعها عنده اي تحقق صلى الله عليه وسلم وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام
الشرعية اللازمة ولذا قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وفي نسخة استقرع
بغاء وعين معجمة اي استوفى واستكمل وهو استعارة من استقراء الماء وصبه
كانه افاض ماءه على العطاش وتقررت وتحققت معارفها اي العلوم بالاحكام الشرعية
وجزيياتها لديه اي عنده وعند امته على التحقيق اي متيقنة محققة بلا تردد
ورفع الشك والريب اي الاشتباه في شي منها وانتفا الجهل عن امته بالجملة اي اجمالا وقد
يراد بهذه الكلمة على كل حال وبكل وجه فلا يصح ولا يجوز عقلا وشرعا منه صلى
الله عليه وسلم ومن كل نبي الجهل بشي من تفاصيل الشرع اي شرعه صلى الله عليه وسلم
الذي امر بالبنا للمفعول اي امره الله بالدعوة اي دعوة امته اليه اي الى اتباعه
والعمل به لان جهله بنا في امره بدعوته ولا تصح دعوته الى ما لا يعلمه لانه طلب
للمجهول وهو ممتنع عقلا وعبث غير مفيد فكان صلى الله عليه وسلم اعلم
الناس باحكام ربه وله الولاية العامة على جميع خلقه والامامة العظمى
فكان يحكم بالقضا والسياسة والافتا ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر
عليه الصلاة والسلام كما قاله السيوطي والفرق بين احكامه بما ذكر
فصله السبكي والقرافي في قواعده وللعلامة ابي شامة فيه تاليف مستقل
لا يستطيع هذا المقام تفصيله وان تكلم بعضهم هنا كلاما غير مهذب
فان اردت تحقيقه فانظر كلام القوم فيه واما ما يتعلق بعقده اي بجزم
قلبه فيما بصره الله به عليه الصلاة والسلام من ملكوت السموات والارض
الملكوت مبالغة في الملك كالرهبوت والجبروت وقد يخص بغير المشاهد
كعالم الامر كما مر والمراد علمه صلى الله عليه وسلم بحقيقة الاجرام العلوية
وانها حادثة مستغنية عنها وما فيها من الملايكة الموكلين بها والكواكب
التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات لحكم الهية وكذلك الارض
التي جعلها الله مقر العباد وعلمه فيها علما اطلع به على حقيقتها وما اودعه

فيها وليست كما تزعم الفلاسفة واهل الطبيعة من امور مخرومة القواعد كثيرة
المفاسد وخلق الله اي مخلوقاته التي بثها فيهما واودعها واودعها حكما تحار فيها العقلا
وفي كل شي له اية • تدل على انه الواحد •
وتمييز اسمائه الحسنى الدالة على ذاته وبديع صفاته وفي قوله تعيين اشارة الى انها
توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به اذن شرعي والكلام عليها مفرد بالتاليف
واجل ما صنف فيها كتاب الامام القرطبي وقيل يصح ان يطلق عليه كل اسم ثبت
اتصافه به مما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف والكلام عليه
مفصل في كتب الاصول وايات الكبرى اي عجايب مخلوقاته الدالة على عظمته والكبرى
بمعنى العظيمة مما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم مما شاهده في نفس الاسرا كما تقدم واسرار
الاخرة كالحشر والنشر واهوال الموقف والصراط والميزان والنفخ في الصور واشراط
الساعة اي علاماتها الدالة جمع شرط بفتحتين وفي الاساس يقال لاوايل كل
شي اشراطه ومنه اشرط اليه رسولا اذا قدمه واشراط الساعة مشهورة والساعة
مقدار من الزمان ثم خص بالقيامة وقيل الاشراط تختص بعلاماتها الصغارى
كما نقله الخطابي عن ابي عبيدة والمشهور شمولها للصغار والكبار كخروج المهدي
والدجال واحوال السعدا والاشقيا في البرزخ والدنيا والاخرة وما لهم من نعيم
وعقاب وعلوما كان من احوال الامم السالفة وما كان في ابتدا خلق العالم وما يكون بعده
من الفتن وغيرها كما في حديث حذيفة المشهور مما لا يعلمه الا بوحي اعلمه الله به
من المغيبات فعلى ما تقدم اي وقع على اسلوب ما تقدم والفا في جواب اما من
انه بيان لما تقدم معصوم فيه عن الخطا والشك في شي منه لا ياخذه اي لا يعرض
له ولا يطرا عليه فيما اعلم بالبنا للمجهول اي اعلمه الله بوحيه وجوز فيه
البنا للفاعل اي اعلم به امته منه اي ما ذكر شك ولا ريب وتردد في علمه به
بل هو فيه اي فيما اعلم به على غاية اليقين والجزم به بلا تردد فقلبه صلى الله عليه وسلم
مطمين بعلمه لا يقلق ويضطرب لان اصل معنى الريب الاضطراب كما حققه
اهل اللغة لكنه استدراك من كونه على غاية من اليقين لانه ربما يتوهم احاطة
علمه بتفاصيلها فلذا قال لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك لانه مما يعجز
عنه البشر وان كان عند صلى الله عليه وسلم من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر
سواه لما خصه الله به من اطلاعه على ما لم يطلع عليه احد غيره لقوله صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي اني لا اعلم الا ما علمني ربي اي لا يعلم
شيا مما يخفى على الناس الا بتعليمه تعالى وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث روي
في الصحيحين ولا خطر على قلب بشر اي احد من الناس وهو حديث قدسي
اوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر بلغها الطاعة عليه اقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
الاية جزا بما كانوا يعملون ففيه دليل على ان من احوال السعد اما لم يطلع عليه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وبله اسم فعل بمعنى دع والاية ايضا تدل على ان الله
تعالى اخفى ذلك عن انبيايه من احوال السعدا الذين تتجافا جنوبهم عن المضاجع
وقرة العين سرورها اما لان دمعة السرور باردة او لانها تقر وتسكن لعدم
التفاتها لغيرها فيه وما يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام قد يخفى
عليهم بعض العلوم قول موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام وهو من كبار الانبيا
عليهم الصلاة والسلام للخضر في قصته التي قصها الله في القران هل اتبعك على ان
تعلمني مما علمت رشدا او موسى هو ابن عمران وما روي عن نوف البكالي من انه
موسى بن منشا وهو نبي اخر من بني اسرايل ليس من اولي العزم هو قول اهل
الكتاب يرون ان موسى الكليم مقامه اجل من ان يتعلم من غيره وقد نقل ما قاله
نوف لابن عباس رضي الله عنهما فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل
هذا بان نوفا تابعي صالح ثقة فكيف يقال انه عدو الله فقيل انه قصد زجره في
حال شدة غضبه وتهوره لما سمع ما يخالف ما سمع عنده عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم واما كونه استعار كقاتله الله فليس بشي والخضر هو صاحب
موسى عليهما الصلاة والسلام وهو بليا بن ملكان والكلام فيه هل هو ولي او نبي
او ملك وهل هو حي الان مشهور وللعلامة الخيضري فيه كتاب سماه الروض
النضر في احوال الخضر لم يدع فيه مقالا لغيره يحتاج اليه وخضر كحذر لقبه
سمي به لانه كان اذا جلس على ارض اخضرت له وقصته معلومة وتفسير
هذه الاية قد كفينا مونته ووجه استشهاد المص بهذه الاية والقصة
غني عن البيان وما يدل على ان النبي لا يجب ان يعلم تفاصيل كل شي قوله صلى
الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الديلمي عن انس رضي الله عنه في بعض
الادعية المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم اسئلك يا الله باسمايك الحسنى تاتيث
احسن واسماوه عز وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعاني الجليلة والحسن
في العرف العام يقال لما يدرك بالبصر واكثر ما جا في القران لما تستحسنه
البصيرة كقوله تعالى الذين يستمعون القران فيتبعون احسنه كما
قاله الراغب في مفرداته ما علمت منها وما لم اعلم بدل من اسمايك وهذا
الحديث يدل على ان لله اسما لم يعلمها صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه الا الله ولا
ضير في مثله ومثله قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد في مسنده
فيه اسئلك بكل اسم هو لك اي مخصوص بك مما سميت به نفسك اي ذاتك
وفيه دليل على صحة اطلاق النفس على ذاته من غير مشاكلة خلافا لمن
منعه وفيه لبعض المحققين تفصيل حسن وهو انه ان كان بمعنى الذات
صح اطلاقه مطلقا نحو كتب على نفسه الرحمة وان كان بمعنى الروح ونحوه
كقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لم يطلق الا مشاكلة فتدبر او
استاثرت به اي انفردت بعلمه دون غيرك في علم الغيب عندك اي في جملة

معلوماتك المغيبة عن غيرك والشاهد فيه كالحديث كالذي قبله وقد قال
الله تعالى مما يدل على انه لا يحيط بجميع العلوم غيره وفوق كل ذي علم عليم هو
اعلم واعلى رتبة في العلم فهذا دليل على ان علم البشر متناه محصور وقال
القاضي في تفسيره المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو
الله عز وجل الذي له العلم البالغ فلا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم
وهو مخصوص التهى وهو اشارة الى دفع شبهة تقريرها ان الله ذو علم فهو
داخل في هذه الكلية فيقتضي ان فوق الله عليم يعلم ما لم يعلمه بانها قضية
مخصوصة بالمخلوقين فالعليم الذي فوق كل ذي علم هو الله لا غير فهو عام مخصوص
وقال زيد بن اسلم وغيره في تفسير هذه الاية اشارة الى ما قلناه المراد ان رتبة العلماء
لا تزال تترقى في العلم حتى ينتهي العلم الى الله تعالى فهو الذي فوق كل ذي علم فوقية
بالغة الى مرتبة ليس فوقها شيء اصلا فهو العليم المحيط علمه بكل شيء علما بسائر
الجزئيات علما تفصيليا خلافا للفلاسفة القائلين بانه يعلم الكليات
دون الجزئيات وبطلان قولهم مذكور في كتب الكلام الا ان النصير الطوسي قال
في مقالة له في هذا البحث ان المحققين لم يقفوا على مرادهم وانهم لم ينكروا
ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به نطاق البيان هنا وقد ذهب الى ما قاله
النصير ابن عربي في فتوحاته وارتضاه بعض مشايخ عصرنا ولكل وجهة
وفوق كل ذي علم عليم وهذا اي انتهاء العلم اليه تعالى مما لا خفاء به عند من
له عقل سليم اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها اي لا يقفون على جميعها ولا يحيطون
بشيء من علمه وهو احاط بكل شيء علما وهو في الاصل استعارة من احاطة
العدو داخله ولا منتهى لها عطف تفسير لعدم الاحاطة هذا اي ما ذكر من عصمة
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بعقد قلبه فيما ذكر في هذا الفصل
كما اشار اليه بقوله حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي
اعتقاده الجازم فيما ذكر في هذا الفصل من التوحيد المراد به ما يتعلق
بالعقائد والشرع ونحوه مما اوحي اليه والمعارف والامور الدينية من عطف
بعض افراد العام عليه لمزيته والكلام على العلم وحقيقته علم الله الحضوري
وما له وعليه مما تكفلت به الكتب الكلامية ولكل مقام مقال
فصل واعلم ان الامة اي امة الاجابة مجمعة على عصمة النبي اي
حفظه صلى الله عليه وسلم من الشيطان فالتعريف في النبي للجنس او للاستغراق
ويجوز ان يكون للعهد ويعلم غيره بطريق الدلالة فانه تعالى قال ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان فاذا لم يكن له سلطان على خلص عباده علم انه ليس
له تسلط على انبيائه عليهم الصلاة والسلام بالطريق الاولى وكفاية منه اي
حمايته لا في جسمه بانواع الاذى اي اذى الشيطان مما يكون من اصابته او
اصابة جنده من الجن كالصرع والطاعون وذات الجنب فانها من الشيطان

ولذا لم يرض صلى الله عليه وسلم بلدوده في مرض موته لظنهم ان به ذات
الجنب فقال انها من الشيطان او قد عصمني منه كما ياتي ومنه علم ان الطاعون
لا يصيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يسلط الشيطان على خاطره
اي فكره وقلبه صلى الله عليه وسلم بالوساوس جمع وسوسة وهو ما يلقيه
الشيطان في نفسه قيل ومن الوسوسة ما هو غير اختياري لا يقدر الانسان
على دفعه ولا يؤاخذ به ما لم يعمل او يتكلم وهذا ما لم يعصم عنه احد لانه من
الاعراض البشرية الا انه صلى الله عليه وسلم معصوم عن ان يقترفه اذا عرض
له نادرا وليس من هذا القبيل السحر فتامله وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو
علي هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل ابن
حيرون العدل تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره بكسر الباء الموحدة
وسكون الراء المهملة وقاف والف ونون نسبة لبرقانة قرية من نواحي
خوارزم وهو الامام الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي
الشافعي امام بغداد كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين علي بن عمر الدارقطني
نسبة لدار قطن محلة ببغداد كما تقدم قال حدثنا اسماعيل الصفار بن محمد
ابن اسماعيل الامام العابد الثقة النحوي المشهور الصفار نسبة لعمل
الصفر وهو النحاس توفي سنة احدى واربعين وثلاثمائة وقد جاوز
التسعين باربع سنين قال حدثنا عباس بمهملتين بينهما موحدة الترقفي بفتح
المثناة الفوقية وسكون الراء وضم القاف وفا مكسورة وياء نسبة وهو امام
ثقة روى عنه بن ماجة وغيره وهو يروي عن الفريابي وترقف قيل اسم
امراة وقيل اسم بلده قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفريابي وقد تقدم عن
سفيان الاشجعي الكوفي وقد تقدم ايضا عن مسروق بن الاجدع الهمداني
العابد الزاهد التابعي توفي سنة ثلاث وستين واخرج له الستة عن عبد
الله بن مسعود الصحابي المشهور في حديث رواه مسلم عن سالم بن ابي الجعد
عن ابيه عن ابن مسعود ورواه من طريق اخر لعلو سنده فيه وعظم رجاله
قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم اي معاشر الناس من احد
من زائدة واحد مبتدا خبره مقدم عليه وهو منكم وزيادة من لتاكيد العموم
الا وقد وكل مشدد مبني للمجهول اي عين لملازمته كالحفيظ الملازم لحفظه
كما قال تعالى وما انت عليهم بوكيل فاستعمل المقيد في المطلق مجازا به قرينه اي
الذي يكون مقارنا له من الجن وقرينه من الملائكة اما قرين الجن فانه موكل بوسوسته
واغوائه واما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة لا من الكتبة كما قيل العدم
مناسبته لما هنا قالوا اي قال الصحابة الحاضرون عنده صلى الله عليه وسلم
واياك يا رسول الله اياك ضمير نصب معمول لمقدر واصله او كل بك قرين من
الجن كغيرك فحذف الفعل وحرف الجر فانتصب الضمير وانفصل وانما عدل

عن الظاهر تادبا واشارة الى استبعاد ان يكون كغيره في ذلك لان معنى
توكيله به تسلطه عليه بوسوسته واغوايه وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم من مثله او الضمير مستعار من ضمير الرفع واصله وانت كما ورد
في رواية صححها البرهان عن ابن عباس رضي الله عنهما وستاتي قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واياي اي وكل بي قرين من الجن كغيري ثم استدرك
ببيان تميزه صلى الله عليه وسلم بقوله ولكن بالتشديد والتخفيف الله بالرفع
والنصب على وجهي لكن اعانني عليه اي على قريني من الجن فحفظني منه ومنعه
من التسلط علي لهدايته للاسلام فاسلم بصيغة الماضي من الاسلام
اي هدى الله قريني للاسلام ببركة مقارنته له صلى الله عليه وسلم اي سلمني
الله منه وقال النصير الطوسي في شرح الاشارات في الحديث ما من مولود
ولد من بني ادم الا ولد معه قرين من الشياطين فقيل وانت يا رسول الله
كذلك قال وانا كذلك الا ان الله اعانني عليه فاسلم اي فاسلم الشيطان
ومنهم من انكر هذه الرواية وقال الرواية الصحيحة فاسلم ومعناها ان الله
اعانني عليه حتى اسلم من شره فان الشيطان لا يسلم قط انتهى ومنهم من اوله
فقال المراد بالشيطانية القوة الغضبية واسلامها انقيادها للعقل
والنفس القدسية واليه ذهب الامام الغزالي في الاحياء ويجوز كون الروايتين
بمعنى على ان اسلم مضارع في جواب النفي وقد يخرج عليه البيت زاد غيره
اي غير سفيان راوي هذا الحديث فيه عن منصور بن المعتمر الذي تقدم
في جملة رواة هذا الحديث فلا يامرني هذا القرين الا بخير فصار قرينه صلى
الله عليه وسلم قرين خير وروي عن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي
اي عن عائشة رضي الله عنها فهو بيان لما قبله فاسلم بضم الميم وهمزة
المتكلم مضارع مرفوع اي فانا اسلم منه وفي نسخة اي فاسلم انا منه ومن
وسوسته وصحح بعضهم هذه الرواية وحملها على الرواية الاولى ولم يخرجه المحدثون
وقد تقدم في كلام الطوسي وهو ليس من فرسان هذا الميدان وروي بالبنا
للمجهول والرواية في صحيح البخاري فاسلم بصيغة الماضي يعني القرين تفسير
لضمير الفاعل المستتر فيه ومعنى اسلم انه انتقل عن حال كفره بنا على ان الشياطين
منهم من يسلم وقوله الى الاسلام متعلق بانتقل اي تحول من حال الاخرى
فصار لا يامر الا بخير كالملك القرين الموكل به وهو اي هذا المعنى وهو انتقاله
من الكفر الى الاسلام ظاهر الحديث المفهوم من سياقه بدليل قوله ورواه بعضهم
فاستسلم اي انقاد وكف عن الوسوسة قال بن الاثير رواية اسلم بفتح
الميم يشهد لها ما روي كان شيطان ادم كافرا وشيطاني مسلما وروايته
حتى اسلم ورواية مسلم بضم الميم وقد علمت ان المص رحمه الله مرجح لرواية
الفتح وان في الحديث ثلاث روايات وان اسلم جا بمعنى استسلم وانقاد ايضا

وقيل

ابن اقبرس

قيل انه تقدم ان الشيطان ممنوع من التسلط بالاذى على المومنين
وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخطف كتميم رضي الله فلعله لتقدم
سبب يمنع من حفظه انتهى ولا يخفى انه في حق الانبيا محقق وفي غيرهم
اغلبي والنادر لا حكم له ومر ان القرين الملازم ولذا سميت الزوجة قرينة
وقدم قرين الجن لمناسبة المقام له وحديث عائشة هذا في مسلم قالت خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من عندها ذات ليلة قالت فغرت فلما جا قال ما لك
يا عائشة اغرت فقالت كيف لا يغار مثلي على مثلك فقال اجاءك شيطانك قلت
اومعي شيطان يا رسول الله قال نعم ومع كل انسان قلت ومعك يا رسول الله
قال نعم ولكن الله اعانني عليه حتى اسلم قال الخطابي رحمه الله الصحيح المختار
عندهم اي وجمهور القاضي عياض الفتح كما مر وهو المختار لقوله ولا يامرني الا بخير
واختلفوا في الفتح فقيل اسلم بمعنى استسلم كما رواه مسلم وقيل معناه صار
مسلما وهو الظاهر انتهى وايد هذا بما اخرجه البيهقي وابن الجوزي في الوفا
عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال فضلت على ادم بخصلتين
كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه فاسلم وكن ازواجي عونا لي وكان شيطان ادم
كافرا وكانت زوجته عونا على خطيئته وقد اشار الى ذلك الصرصري رحمه
الله في نونيته بقوله

في خصلتين يفوق ادم فيهما ... وهما لاهل الحق واضحتان
شيطان ادم كافر يغوي وقد ... وصلت هداية الى الشيطان
وكزوجه عون عليه وانه ... بنسائه قد كان خير معان

ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع ما اسلم من الشياطين الا شيطانان
شيطان نبينا صلى الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه الصلاة والسلام وقال
بعضهم بل سائر الانبيا على هذا المنوال فتدبر قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف
هذا الكتاب رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه صلى الله عليه وسلم في
احتياجه الى اعانة الله له عليه حتى يسلم منه وحكم قرينه من الجن الذي وكل به
وهو عطف تفسير لما قبله ووصفه بقوله المسلط على كل احد من بني ادم وفي
نسخة المسلط على بني ادم والمراد المسلط نوعه وجنسه لان قرينه مختص به
فكيف الظن بمن بعد منه ولم يقارنه من الشياطين اي نوعهم احد انه لا يسلم
منه فعدم تسلطه معلوم بالطريق الاولى لا يقدر على الدنو منه وهو لم يلزم
صحبته لان الله لم يجعله قرينا له اذ القرين معناه الملازم للصحبة كما تقدم ولا
اقدر بضم الهمزة والبنا للمفعول اي لم يجعله الله قادرا على الدنو والقرب منه صلى
الله عليه وسلم لعصمة الله له عن تسلطه عليه وعلى سائر الانبيا وخلص عباده
وقد جا الاثار والاحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم بتصدي اي تعرض
الشياطين له صلى الله عليه وسلم في غير موطن اي في مواضع كثيرة كالصلاة وغيرها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رغبة مفعول او حال في اطفائه ويابى الله الا ان يتم نوره واماتة نفسه اي اهلاكه
اوصده عما هو مشغول به من العبادة وادخال شغل عليه اي بالوسوسة المانعة
له عن الفكر فيما فيه صلاحه وصلاح امته فعلوا ذلك اذ يبسوا اي اعلموا واظهروا له
عن طريق الحق فاتعلموا اي رجعوا عما قصدوا له خاسرين خائبين لعدم قدرتهم
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى القرب منه كتعرضه اي تعرض الشيطان له صلى الله
عليه وسلم وهو مستغرق بالتوجه الى الله في صلاته فاسره اي اخذه
وقهره باستيلائه عليه قهرا وبينه بقوله في الصحاح اي الاحاديث الصحيحة
المروية في البخاري ومسلم وغيرهما قال ابو هريرة رضي الله عنه في حديث قيله اي
رواه عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان تعرض لي وفي نسخة عرض لي اي اتاني فعقر
ووقف عندي قال عبد الرزاق بن همام الامام الحافظ كما تقدم في ترجمته وهذا التسوا
في زيادته على الصحيحين في صورة هر وهو السنور الذي يقال له قط
والشياطين تتمثل باي صورة ارادت من الحيوان وغيره فشد علي اي حمل
ووثب وثبة علي يقال شد يشد بكسر الشين المعجمة وضمها اذا حمل العدو
ونحوه ليقطع علي صلاتي اي يبطل صلاتي باخراجي منها واصله ليقطع علي الخاء او
اراد ان يقطع صلاتي ويفسدها فامكنني الله منه اي اقدرني عليه
ومكنني من اخذه وقهره فذعته بفاء وذال معجمة وعين مهملة ومعجمة
ويقال دأته بدال مهملة ومعجمة وهمزة اي خنقته ودفعته حتى صرعته
وروي فاخذت بحلقه واصل الذعت بمهملة ومعجمة الدفع بعنف والعك
في التراب كما في النهاية وفي غيرها انه الفظ في الماء والخنق الشديد وانكر الخطابي
المهملة وصححه غيره ولقد هممت ان اوثقه اي اربطه والوثاق ما يشد به قال
تعالى فشدوا الوثاق وهممت بمعنى عزمت ونويت الى ساوية اي بسارية
من سواري المسجد والسارية العمود المنصوب ليوضع عليه سقف ونحوه
وكان ذلك ليلا في تهجده ولذا قال حتى تصبحوا اي تدخلون في وقت
الصباح تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان عليه الصلاة والسلام والاخوة
هنا المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة والمشاركة في امر ما
رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب
لان الملك الذي اعطاه الله له ملك الانس والجن والدنيا كلها وليس
طلب سليمان لذلك محبة للدنيا وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلاء كلمة
الله وتنفيذ امره وقدم الدعاء بالمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة
وللاشارة الى ان القيام باعباء الملك والنبوة شاغل عن العبودية فهو
عنده صلى الله عليه وسلم كالذنب فرده الله اي رد ذلك الشيطان خاسئا
اي خائبا حقيرا لعدم ظفره بما اراد ومنه قولهم للكلب اخسأ لانها تدل على
الطرد مع التحقير قال الخطابي هذا يدل على ان سليمان واصحابه كانوا

يرون

يرون الجن على خلقتهم الاصلية فيجوز وقوعه لغيرهم فان قلت كيف
ياتي الشيطان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لو سلك عمر فجا لم
يسلكه الشيطان فكيف يخاف عمر ولا يخافه صلى الله عليه وسلم حتى يتغلب عليه
قلت عمر رضي الله عنه لما لم يكن معصوما محفوظا من الجن حفظه الله بالقاء
الرعب منه في قلوبهم لحدته وشدته والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من
الجن والانس فلو سلكوا فجا اخذوا واوثقوا ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم
لا تليق بغيره كما قيل وفي شرح مسلم للنووي ان سليمان عليه الصلاة
والسلام اختص بهذا عن غيره فامتناعه صلى الله عليه وسلم عن امساكه اما
لانه لم يقدر عليه لذلك او قدر وتركه تواضعا وتادبا منه وكونه لم يقدر
يرده قوله امكنني الله منه وفي حديث ابي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم
الذي رواه البيهقي عن عبد الرحمن بن جبير وابو الدرداء هو عويمر واختلف
في اسم ابيه على اقوال فقيل عامر وقيل مالك وقيل قيس وقيل ثعلبة وهو انصاري
خزرجي اسلم غب بدر وتوفي سنة اثنين وثلاثين واخرج له احمد والستة
وله مناقب مشهورة ان عدو الله ابليس لعنه الله جاني بشهاب اي شعلة من نار ليجعله
في وجهي اي يلقيه علي لقطع صلاته والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
جملة حالية او معترضة في كلام ابي الدرداء وذكر ابو الدرداء انه فزعه صلى الله
عليه وسلم بالله منه اي قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله منك ولعنه له وقوله
ثم اردت اخذه مصدر مفعول لاردت وفي نسخة اخذه مضارع بتقدير ان كما في
بعض النسخ وذكر نحوه اي نحو قول ابي الدرداء كهمت ان اوثقه وفاعل ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم ولذا قال وفيه تقدير اي لولا وثقته لاصبح موثقا مربوطا
يتلاعب به ولدان اهل المدينة ولدان بكسر الواو جمع وليد وهو الصبي الصغير وهذا
الحديث في مسلم وفيه مسايل فقهية منها ان الدعاء على غيره بالخطاب لا يبطل
الصلاة لقوله فيه لعنك الله ان لم نقل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم
او قيل تحريم الكلام وان الجن ترى بخلقتها الاصلية وقوله تعالى انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم اغلبي وقد قيل انه مخصوص بالانبياء كرؤية الملك
قال الشافعي ومن زعم انه يراهم ردت شهادته لمخالفته القران وكان النووي اخذ
منه قوله من منع التفضيل بين الانبياء عن المخالفة القران وحمل بعضهم
كلام الشافعي على زعم رؤية صورهم التي خلقوا عليها واستشكل ما ذكر شيخنا
ابن قاسم بان غاية ما في الاية اثبات حالة لا نراهم فيها وليس فيها عموم ولا
حصر وذلك لا ينافي ان لنا حالة اخرى نراهم فيها خصوصا وقد وردت
الادلة برؤيتهم وكذلك اي مثل حديث ابي الدرداء ما روي في حديثه صلى
الله عليه وسلم الوارد في الاسراء وطلبه عفريت له صلى الله عليه وسلم وطلبه
هنا بمعنى توجهه نحوه ليرميه بشعلة من نار فعلمه جبريل عليهما الصلاة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والسلام ما يتعوذ به منه بان قال له قل اعوذ بالله منك فانه حرز له وذكره
اي امر الشيطان معه في الاسرا او تعليم جبريل له الامام مالك في الموطا
وهذا كان قبل صعوده صلى الله عليه وسلم للسما وكونه قصد تعليم جبريل
له لا معنى له والعفريت الشديد الخبث المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم
مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط في كتب اللغة وما علمه له جبريل
هو قوله اعوذ بكلمات الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرا في الارض وشر
ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وطوارق الليل الا طارقا يطرق بخير
وقال له اذا قلتهن اطفات ناره ولما لم يقدر الشيطان على اذاه اذ لم يصل اليه
ولم يسلط عليه لعصمة الله له بباشرته اي بالقرب منه جدا لانها في الاصل ملاصقة
البشرة وهي ظاهر البدن تشبيها بالتوسط الى عداه بكسر العين وضمها اسم جمع عدو
اي لما لم يصل اليه ابتدا او كان متمكنا من الوصول لاعدايه وهم الكفرة جعلهم
واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوايهم وتحريضهم على اذيته واغوايهم
كقصته اي الشيطان مع قريش بعد موت ابي طالب لما جد صلى الله عليه
وسلم في دعوتهم وانذارهم في الايتمار هو افتعال من الامر ومعناه المشاورة
في المهم بمثل النبي صلى الله عليه وسلم وهو رايهم الذي استقروا عليه وتصوره اي
ظهور ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي نسبة لنجد وهي ارض فوق تهامة
وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم وكانت
صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة قالوا لا يدخلن عليكم معكم
في الشورى احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد ولما ورد في الحديث انها محل
الفتن ومنها نجم قرن الشيطان وكان وقف بباب دار الندوة وهي دار
قصي التي كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كما مر فقالوا له من انت قال شيخ من نجد
رايت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
اري ان تحبسوه في دار تسد وامنا فذها غير كوة تعطوه منها طعامه
وشرابه فقال الشيخ بيس الراي يا تيكم من يقاتلكم ويخرجه منها فقال
الاسود بن ربيعة اري ان تخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ
بيس الراي اذا اخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
اري ان تاخذوا من كل بطن غلاما معه سيف فيضربوه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فنعقله اي
فيرضوا منا بالدية فقال الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه واخبر جبريل
عليه الصلاة والسلام بذلك وترك عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او
يقتلوك او يخرجوك الاية وامر بالهجرة فكان ما فصل في السير وتصور الشيطان
مرة اخرى في غزوة بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله

السيوطي

السيوطي رحمه الله ولم يورد الحديث في صورة سراقة بن مالك الذي قدمنا
ترجمته وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه البيهقي
رحمه الله في دلايله ان الشيطان تمثل لكفار قريش ببدر في صورة سراقة
ابن مالك بن جعشم الكناني وكانت قريش تخاف من بني بكر ان ياتوا لهم
من خلفهم لانهم كانوا قتلوا رجلا منهم فقال لهم ما اخبر الله به من القا الشيطان
لهم انهم لا يهزمون وهم بقا تلون عن دين ابايهم وكان تمثل مع جنده لهم
بصورة قوم من بني مدلج فيهم سراقة اتوا لامدادهم فقال الشيطان لهم
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فامدهم الله بجنود من الملايكة فلما
راهم ابليس ولى عنهم فقالوا انك جارنا فقال اني اري ما لا ترون اني اخاف
الله اي اهلاكه لي والجندي وهو احد الوجوه في الاية واليه اشار المص
رحمه الله وقيل المراد وسوسته لهم بما ذكر وتصور الشيطان ايضا مرة
اخرى بنذر قريشا ويخوفهم بشانه اي بامره صلى الله عليه وسلم عند بيعة العقبة
وهي منى السفلى التي بايعه الانصار عندها قبل الهجرة ثلاث مرات كما فصل في
السير والمراد البيعة الثالثة وكان الانصار بايعوه صلى الله عليه وسلم بها
بمحل فيه الان مسجد يسمى مسجد البيعة فلما راى ذلك الشيطان صرخ
باعلى صوته هذا محمد ومعه الصباة قد اجمعوا على حربكم فقال صلى الله
عليه وسلم لما سمعه هذا ازب العقبة اي شيطانها واصل الازب بهمزة
وزاي معجمة مفتوحتين الكثير الشعر سمي به الشيطان وتفصيله في السير
ايضا وكل هذا المذكور من امر الشيطان الذي تعرض فيه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما ذكر فقد كفاه الله امره الفا زايدة في الخبر او هو بتقدير
اما او توهمها وعلى ما في بعض النسخ وقد بالواو والخبر مقدر اي وقع حفظه
منه وهمه ضره بفتح الضاد اي ضرره وضمها غير مناسب هنا والضمير لكل
او للشيطان وشره كما كفى سايرا الانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ عصمهم منه
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان عيسى نبي الله عليه الصلاة والسلام كفي بالبنا للمجهول اي كفاه الله وحفظه
من لمسه اي من ان يلمسه او يمسه كما في بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق
فجا الشيطان لعيسى عليه الصلاة والسلام حين ولادته ليطعن اي لينخسه
ويمسه بيده في خاصرته بخا معجمة وصاد مهملة هي جانبه مما فوق اضلاعه
وهي الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب اي في شي حجبه عن الوصول للمس جسده
قيل هو المشيمة وقيل ما لف فيه وقيل انه امر حجبه الله به عنه او محجبته امه
من عنه والفا سببية اي بسبب كفاية الله له وقع طعنه في الحجاب والحديث
كل بني ادم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم
عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب وفي رواية ما من مولود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والسلام ما يتعوذ به منه بان قال له قل اعوذ بالله منك فانه حرز له وذكره
اي امر الشيطان معه في الاسرا او تعليم جبريل له الامام مالك في الموطا
وهذا كان قبل صعوده صلى الله عليه وسلم للسما وكونه قصد تعليم جبريل
له لا معجزة له والعفريت الشديد الخبث المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم
مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط في كتب اللغة وما علمه له جبريل
هو قوله اعوذ الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرا في الارض وشر
ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وطوارق الليل الا طارقا يطرق بخير
وقال له اذا قلتهن اطفات نارك ولما لا يقدر الشيطان على اذاه اذ لم يصل اليه
ولم يسلط عليه لعصمة الله له مباشرته اي بالقرب منه جدا لانها في الاصل ملاقاة
البشرة وهي ظاهر البدن تسببا للتوسط الى عداه بكسر العين وضمها اسم جمع عدو
اي لما لم يصل اليه ابتداء او كان متمكنا من الوصول لاعدايه وهم الكفرة جعلهم
واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوايهم وتحريضهم على اذيته واغوايهم
كفعله اي الشيطان مع قريش بعد موت ابي طالب لما جد صلى الله عليه
وسلم في دعوتهم وانذارهم في الايتمار هو افتعال من الامر ومعناه المشاورة
في المهم بتسلل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ايتمارهم الذي استقر واعليه وتصوره اي
ظهور ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي نسبة لنجد وهي ارض فوق تهامة
وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم وكانت
صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة قالوا لا يدخلن عليكم معكم
في الشورى احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد ولما ورد في الحديث انها محل
الفتن ومنها نجم قرن الشيطان وكان واقف بباب دار الندوة وهي دار
قصي التي كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كما مر فقالوا له من انت قال شيخ من نجد
رايت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
اري ان تحبسوه في دار تسد وامنافذها غير كوة تعطون منها طعامه
وشرابه فقال الشيخ بيس الراي يا تيكم من يقاتلكم ويخرجه منها فقال
الاسود بن ربيعة اري ان تخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ
بيس الراي اذا اخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
اري ان تاخذوا من كل بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنوها شم على حرب قريش كلهم فنعقله اي
نعطيهم امنا بالدية فقال الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه واخبر جبريل
عليه الصلاة والسلام بذلك وترك عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او
يقتلوك او يخرجوك الاية وامر بالهجرة فكان ما فصل في السير وتصور الشيطان
مرة اخرى في غزوة يوم بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله

السيوطي

السيوطي رحمه الله ولم يورد الحديث في صورة سراقة بن مالك الذي قدمنا
ترجمته وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه البيهقي
[illegible] الشيطان [illegible] في صورة سراقة

بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد
بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر
غاسق اذا وقب ومن شر النفثات في العقد ومن
شر حاسد اذا حسد
بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس
من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس
في صدور الناس من الجنة والناس
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

يولد الا والشيطان يمسه حين يولد ويستهل صارخا من مس الشيطان
الا مريم وابنها وهو المذكور في اية اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم وليس هذا مخصوصا بعيسى كما قد يتوهم من ظاهره وفي شرح مسلم
عموم عدم طعن ابليس ونخسه لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا ولا يلزم
منها ان لا يمس انما يلزمها عدم الاغوا والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص
عيسى بهذه المنقبة تفضيله على نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر امه معه مما
يدل عليه دلالة ظاهرة فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن لافضل
منه نعم حديث مولده صلى الله عليه وسلم الدال على انه لم يستهل دال
على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن
الشيطان من القرب منه لامتلات الارض بالملايكة الحافين به فتدبر
ولما ساق مسلم حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا
من نخسه قال القرطبي في شرحه اي في اول وقت الولادة يسلط عليه
بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة امها بعينى قولها
اني اعيذها بك الاية وامها امراة عمران وهي حنة بنت فاقود وهو
عام شامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاولياء ومع ذلك عصمهم
الله منه لقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين
وقد خص الله نبينا صلى الله عليه وسلم بان قرينه اسلم فلا يامر الا بخير وهذه
لم يوتها غيره انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال وقوله مسلم صياح المولود
نزغة من الشيطان روي بنون وزاي وغين معجمتين وروي فزغة بفاء وعين
مهملة وللمزني في تاويل الحديث تخيل باباه الحق الصريح فان اردته
فانظر الكشاف وشروحه وقال صلى الله عليه وسلم حين ولد بالبنا للمجهول من
اللدود بفتح اللام ودالين مهملتين بينهما واو دواء يسقى من ما وأجزاء حارة
يوضع في احد شقي الفم ينغر غربه ثم يشربه واسما الادوية بهذه الزنة
كالسعوط والمالدوه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى احد في البيت الا لدّ
عقوبة لهم لما تالم في مرضه الذي مات فيه فالاضافة فيه للعهد وقال له
صلى الله عليه وسلم خشينا اي خفنا عليك ان يكون بك اي وقع بك واصابك
ذات الجنب وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالدمل ولذا انث وهو مخوف
قل من يسلم فهو موت باعتبار انه سمي ذبيلة لانه لا يصدر الا من واحدة
كالقيل الا انه امر تبع فيه الشراح بعضهم بعضا وهو مخالف لما قرره الاطبا
فان الذبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطبا انه قد يكون في المعدة وذات
الجنب في الخاصرة واسمها معرب عن معناها فقال صلى الله عليه وسلم انها
اي ذات الجنب من الشيطان اي هي وخز يصيب الناس من الشياطين كالطاعون
لانه بسبب وسوسة كما قيل وليست ايضا من طعنه المولود حين يولد

ولم

ولم يكن الله لعصمته له ليسلطه عليه تعظيما له صلى الله عليه وسلم ومن اللطايف
ما قلته مما جنا لبعض الاخوان وقد تزوج بعجوزة

يا خليلي قد اصطفيت عجوزا ... هي دامن الممات اشد
قال ذات الجنب ابتليت بها ... ما لي لدود لها وخصمي الد

وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات الجنب نسبة الخاصرة وهي
من تسمية الاسقام الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وكانت نصيبه صلى الله
عليه وسلم فيظنها عرق الكلية وهو مرض اخر ومن هنا علم خطا من قال انها
لا تصيبه الامرة كما تقدم ولما اراد وان يلدوه صلى الله عليه وسلم اشار اليهم
بالمنع منه فظنوه لكراهة المريض الدوا فلما افاق قال لا يبقى احد في البيت
الا لد كما مر وكونها من الشيطان ومن طعنه ورد في احاديث اخر واليه يومي
قوله فان قيل فما معنى قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم فان اصل معنى النزغ لغة ادخال شي يفسد كالطعن
كما ذكره الراغب فاتصال السوال بما قبله وبما عند له الفصل في غاية
الظهور وان اطال فيه بعضهم بغير طايل يفيده وحاصله ان الله عصمه
صلى الله عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه باذية او وسوسة وفي الاية
ما يوهم خلافه وان كانت ان الشرطية لا تقتضي الوقوع ولو سلم فالمراد بالمتعة
لجعل ما يصيبهم كانه يصيبه واسند النزغ للمصدر مجازا كقوله جد جده
واصل النزغ الطعن ثم شاع في كل مفسد كما علم فقد قال بعض المفسرين في تفسير
هذه الاية انها اي هذه الاية راجعة الى قوله تعالى قبل واعرض عن الجاهلين ثم قال
الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك ويستفزنك اي لا تكافي السفها
الذين خفت احلامهم اذا اغضبوك بمثل فعالهم واعرض عنهم ولذا قيل ان هذه
الاية جامعة لمكارم الاخلاق ولذا قال له جبريل لما سالة صلى الله عليه وسلم
عنها ان الله امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
بحمله على ترك الاعراض عنهم لجزايه لهم بمثل فعلهم فاستعذ اي قل اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ولا تطعه وتفعل بنزغه وهذا من مكارم الاخلاق لا من
امر بشينه فان الغضب على السفيه وجزاوه بمثل فعله تاديبا له لا يعد من
الامور الشيطانية والاستعاذة عند الغضب مشروعة وعلى هذا
ليست الاية منسوخة باية القتال كما قيل وقيل النزغ هنا اي في هذه الاية
الفساد مستعار من النزغ بمعنى الطعن والنخس كما قال تعالى حكاية عن يوسف
عليه الصلاة والسلام من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد
ما بيني وبينهم بما حملهم عليه في قصته معهم فالمراد هنا فساده بوسوسته له
في حال غضبه وحمله على ما لا يليق به فاذا خطر بباله يستعيذ بالله طلبا
للنجاة من كيده وقيل معنى ينزغنك يغوينك من الاغراء بغين معجمة وراء مهملة

وهو الحث والتحريض على امر ما يحركك بازعاجك للانتقام ممن اغضبه والنزغ ادنى
الوسوسة اي اقلها لحديث النفس والتفكر واصل معنى الوسوسة الصوت الخفي ومنه
قيل لصوت الحلي وسوسة كما قيل

قالوا كلامك وسواس فقلت لهم ... وقد يقال لصوت الحلي وسواس

وهذا تقول له العامة وشوشه بالاعجام ما امره الله في هذه الاية انه متى تحرك اي طرا
عليه وعرض له غضب على عدو لسوء ما يصدر منه او رام الشيطان من اغوايه به واتباع
به كنه على فتكه فهو بعين معجمة وراء مهملة وفي نسخة اعوانه بعين مهملة ونون
وما في بعض النسخ من اغرائه بغين وزاي معجمتين فهو تحريف من النساخ والصواب
الاول خواطر اي بمعنى اقل وساوسه جمع وسواس حال يجعل له سبيل اليه اي حاله من
التلبس بمثله لعصمته منه ان يستعبد منه بقبول امره لان مجرد الوسوسة والخطور
بالبال لا يضر في عصمته صلى الله عليه وسلم وان كان امرا ممنوعا وهذه الاية
في سورة الاعراف وهي المذكورة هنا ووقعت في سورة فصلت مسبوقة
بقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وهاهنا ثلاث معنى وسياق فيكفي بالبنا للمجهول اي يكفي الله رسوله
صلى الله عليه وسلم اذا استعاذ به والتجا اليه امره اي امر الشيطان بوسوسته
لصرفها عنه ويكن ذلك سببا تاما عصمته لعصمته صلى الله عليه وسلم من مجرد
الخواطر وهو نهاية الحفظ والعصمة اذ لم يسلط الشيطان عليه بالنزغ من
النزغ له فضلا عن التمكن منه وايصال اذيته له ولم يجعل له قدرة عليه
فيرجع خائبا خاسئا وقد قيل في هذه الاية غير هذا من التفاسير التي اقتصر
منها على ما يناسب غرضه فيما اعتقد له هذا الفصل وكذلك اي مثل ما ذكر
من حفظ الله له عن تسلط الشيطان عليه لا يجوز ان يتصور الشيطان في صورة الملك
بان يتمثل بمثاله ويقول له انا ملك ارسلني الله اليك لحفظ الله له عنه ومنعه
من ان يأتيه من هذه الصورة وهذه شبهة اوردها منكرو النبوة بانه
من اين يعلم ان الاتي له ملك بلغه الوحي عن الله لم لا يجوز ان يكون جنيا
وليس عليه امره فيلتبس الوحي بغيره لا يقع ذلك في اول الرسالة اي في اول امره
بدعوة الخلق الى الله ولا بعدها الظاهر بعده اي بعد الاول في اثنايه والاعتقاد
اي اعتماده صلى الله عليه وسلم في حقيقة ما اتاه وعدم احتماله لغيره في ذلك
اي في عدم تلبس الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك دليل المعجزة اي قوة
يقينه دليل على انه معجزة له او هو يعتمد في انه امر الهي على ما ظهر له من المعجزة
كتسليم الحجر عليه واظلال الغمام له لمعنى قوله لا يصح اي لا يجوز عقلا ذلك
والقول بانه لا مدخل للعقل فيه وانه امر علم من الشرع ومعنى لا يصح انه ممنوع
من جانب الشرع كلام باطل بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما اتاه عن الله
الملك هذا هو الخبر او خبر بعد خبر ورسوله الذي ارسله الله من رسل الملائكة

حقيقة

حقيقة لا تمويها وتلبيسا عليه من غير شك فيه اما بعلم ضروري يخلقه الله له
بديهي غير محتاج لدليل لعدم تردده فيه او برهان ودليل قطعي يظهره
لديه مما يشاهده من معجزاته كنطق الحجر وتسليم الشجر وكل ذلك لتم كلمة ربك
فتبلغ الغاية احكامه واخباره ومواعيده صدقا في خبره له ووعيده وعدلا
ما حكم به من احكامه التي بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل وحالان لا مبدل
لكلماته اي لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل الزيادة عليها
ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم اخر الشرايع وهذا تعليل لما ذكره
من حفظه صلى الله عليه وسلم من ان يتصور له الشيطان بصورة ملك فيكون
ما يلقيه امرا يختلط اقابلا للتغيير والتغيير ولذا عقبه بقوله فان قيل فما معنى
قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم التمني هنا بمعنى
التلاوة والامنية الكلام المتلو لان التمني ما يتصوره الانسان في نفسه والمتلو
كذلك في اصل السوال المذكور انك قلت ان الشيطان لا يتسلط على الانبيا عليهم
وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام بوسوسته وهذه الاية تدل على ان الشيطان
لعنه الله يخلط عليهم فيما اوحي اليهم عند تلاوته وهذه الاية تدل على ان بين
النبي والرسول فرقا وقد اختلفوا في الفرق بينهما بعد الاتفاق على انهما من ينزل
عليه الملك بالوحي والمشهور ان الرسول اخص من النبي وهو من يكون مامورا
بالتبليغ اولا شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب ويستقل كل منهما
بمعنى الاخر وقد مر جميع ذلك فاجاب بقوله فاعلم ان للناس اي للعلما
لانهم هم الناس اقاويل جمع قول فهو جمع الجمع منها اي من جملة هذه الاقاويل
السهل والوعث اي ما هو ظاهر سهل فهمه ومنها ما هو خفي يعسر فهمه وهو مستعار
من المكان السهل وهو المنبسط الذي يسهل المشي فيه والوعث المكان الكثير الرمل
الذي يشق المشي فيه ومنه ارض وعثا ثم استعمل مجازا او استعارة لمعنى الشاق
ومنه ما ورد في الحديث اللهم اني اعوذ بك من وعثا السفر اي مشقته فلهذه
الكلمة هنا موقع ليس للمشقة فالمعنى منها ما هو ظاهر تسلكه الافهام بسهولة
ومنها ما هو صعب يشق على اقدام الافهام وهو بفتح الواو وسكون العين
المهملة والمثلثة والسمين مستعار من السمن وهو الممتلئ باللحم والشحم والغث
بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة ضده وهو الناقة المهزولة استعير لما فيه
من فوايد جليلة ولما خلا عنها يعني ما جمع بين حسن العبارة وجزالة المعنى
واولى ما يقال فيها اي ما يقال في تفسيرها واولى بمعنى احق بالقبول او بمعنى
اقرب كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الميراث فلاولى رجل ذكر اي اقرب
من الميت وهو الاعصبة ما عليه الجمهور اي ما استقر عليه راي الاكثر
من المفسرين ان التمني معناه هنا اي في هذه الاية التلاوة لانه تفعل من مني بمعنى قدر

كما قال الشاعر

لا تامنن وان امسيت في حرم ... حتى تلاقي ما يمني لك الماني

اي ما قدره لك المقدر والتمني امر يتبدره المرء في نفسه وهو بمعنى تلا قال

تمنى كتاب الله اول ليلة ... تمنى داود الزبور على رسل

والقا الشيطان في قوله القى الشيطان في امنيته اي في متلوه شغله مصدر بوزن ضرب مضاف لفاعله اي شغل الشيطان للتالي بخواطر اي امور دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه واذكار جمع ذكر اي حديث نفس يذكره فيلهيه من امور الدنيا بيان لهما للتالي صفة لخواطر واذكار اي كائنة وعارضة له حتى علة لشغله يدخل مضارع ادخل وفاعله ضمير الشيطان ومفعوله الوهم في قوله عليه اي على التالي الوهم اي الغلط او مضارع دخل فالوهم فاعله والنسيان فيما تلاه او يدخل عليه غير ذلك اي غير الوهم والنسيان على افهام السامعين وبين ما يدخل على افهام السامعين بقوله التحريف لما تلاه عليهم وسوء التاويل الناشي عن تحريف ما سمعوه ما يزيله الله مفعول القا وينسخه اي يحوله من الباطل الى الحق ويكشف لبسه اي يزيله ويبينه ويظهر ويحكم اياته اي يحققها ويبينها وسياق الكلام على هذه الاية مفصلا باشبع من هذا اي باكثر منه تفصيلا وهو استعارة من الشبع ضد الجوع لان العلم غذاء الارواح وهذا التفسير هو المنقول عن السلف وهو احسن ما قيل فيها كما قاله النحاس وهو المنقول عن ابن عباس كما سياتي وتفسير التمني بالتلاوة مشهور في اللغة والتفسير كما علم وذكر الكسائي والفراء انه يقال تمنى اذا حدث نفسه قال القرطبي وهو المعروف في اللغة ومن قال انه والذي فيها اعم منه فقد قصر فانه قد صرح به الراغب في مفرداته فليت شعري ما هذه الكتب التي راها وفتشها وليس هذا منافيا لما ذكره اولا من عصمة الانبياء عن الوساوس لان الذي عصم منه الانبياء الخواطر القارة واما مجرد الخواطر فلا تضرهم ولا يقرون عليها وبه صرح الثعلبي في تفسيره وقد حكى الامام ابو الليث الحنفي السمرقندي وقد تقدمت ترجمته في تفسيره انكار قوم قال تسليط الشيطان على ملك سليمان وعلى ايوب وهو حجي اخذ خاتمه الذي يتصرف في ملكه به بامر الله فهرب سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان رد الله عليه الخاتم وان ذلك الشيطان كان يسمى صخرا الخ ما ذكرنا القصاص من الخرافات في قصته وقد رده ايضا بان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبسوطة بعد هذا كذا ذكرنا قوله ثم قال في هذه القصة ان الجسد الذي ذكره الله في قوله والقينا على كرسيه جسدا هو الولد الذي ولد له حين قال صلى الله عليه وسلم لاطوفن على نسائي هذه الليلة وتحمل كل واحدة منهن بذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله وكان له تسعون امراة فلم تحمل منهن غير واحدة بشق رجل واهل القصص ذكروا فيه غير ذلك كما سياتي ان شاء الله

تعالى

تعالى وما ذكره السمرقندي هو المعتمد عند المفسرين وقد حكى ابو محمد مكي وقد مناترجمته في قصة ايوب نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو كما قال ابن اسحاق ايوب بن اموص بن تارح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وقيل غير ذلك وكان في زمن يعقوب وتحته ابنته وابوه آمن بابراهيم وامه بنت لوط وقد فصل احواله صاحب مراة الزمان وذكرنا منها طرفا في غير هذا المحل وقيل انه بعد سليمان وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي المرء مشقة عظيمة ونصب بمعنى تعب يعني ما اصابه في بدنه وقرئ بضم وسكون وفيه قراءات اخر انه بالكسر مقول القول لا يجوز لاحد ان يتاول اي يفسر ما ذكر في هذه الاية برايه فيقول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر بالضم وهو المرض في بدنه لان الله تعالى عصم الانبياء عليهم الصلاة والسلام من اذيته وتسلطه عليهم ولا يكون اي لا يقع ولا يصح ذلك اي كون الشيطان امرضه الا استثنا منقطع اي لكن كل ما يصيبهم بفعل الله وامره اي تقديره ليبتليهم اي يوقع بهم بلاء من مرض وغيره ويثيبهم اي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما ابتلاهم وفي نسخة ويثبتهم من الثبات بمثلثة وموحدة ومثناة اي يصبرهم حتى يكون منهم ثبات على شكره والرضا بقضائه وهذا اشارة لما ذكر في القصص وبيان لرده وان ذكره بعض المفسرين لما في ظاهر الاية من اسناد ما مسه للشيطان وهو اسناد مجازي نادب امر ربه في عدم اضافة الشر له لان كل ما صدر عنه خير من حيث صدوره عنه والذي قالوه ان الشيطان لعنه الله حسده لما راه من نعم الله عليه وكثرة تصدقه وكان ابليس اذ ذاك لا يحجب عن السما فقال يارب لو سلطتني عليه لكفرك فقال اذهب فقد سلطتك على ماله واهله وجسده وكانت زوجته رحمة بنت لوط عليه الصلاة والسلام وقيل بنت افرايم بن يوسف فاصابه قروح عمت بدنه واهلك ماله وولده ودوره وكان نفخ في بدنه فتقرح كله وقعد الملعون في الطريق يتطبب فقالت له زوجته ايوب ان هنا عبدا مبتليا فهل لك ان تداويه فقال نعم ان قال لي انت شفيتني فاخبرته زوجته بذلك ويلك هو الشيطان ان عافاني الله لاجلدنك مائة جلدة فكان ما كان من امر الضغث ثم اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وركض برجله فنبعت عين ما اغتسل منه فرد الله عليه صحته وجماله وكان مدة بلائه سبع سنين وزيادة وقد ذكر ابن العربي هذه القصة وبين ما لم يثبت فيها قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به لاهله اراد باهله زوجته رحمة ويصح ان يراد به ظاهره فهو على هذا لم يصب بشيء في نفسه وانما اضاف ما اصاب اهله اليه مجازا وقد قدمنا ما وسوس به لاهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع نبي الله

عليه الصلاة والسلام وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب
كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهو الذي اقام لبني اسرايل احكام
التوراة بعده وقسم الشام بين بني اسرايل وقاتل الجبابرة وردت له الشمس
كما مر وتفصيل احواله معلوم من التواريخ وهو فتى موسى المذكور في القران وما
انسانيه الا الشيطان ووجه السوال انه نبي وقد سلط عليه الشيطان حتى
انساه ذكره وسياتي جوابه وان اذكره بدل من مفعول انسانيه ومثله قوله
تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام فانساه الشيطان ذكر ربه وكذا قوله نبينا صلى الله
عليه وسلم حتى نام عن الصلاة اي صلاة الصبح فنام حتى فاته وقتها فقضاها
بعد طلوع الشمس بوادي الوادي اي فيه متعلق بنام او بالصلاة وهو واد بقرب
مكة وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل به امر بلالا ان يصيح به اذا اطلع الفجر فغفل
عنه فنام صلى الله عليه وسلم حتى ادركه حر الشمس كما في الموطا وفي البخاري
عن عمران بن حصين كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كنا في اخر
الليل وقد رقدنا رقدة لا رقدة احلا منها عند المسافر فما ايقظنا الا حر الشمس
فكبر عمر رضي الله عنه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا قالوا
له لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال
بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فنام
حتى طلعت الشمس وقال ما القيت علي نومة مثلها قط فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالارتحال عن الوادي ثم نزل فتوضى واصلى بهم
وفي مصنف عبد الرزاق عن عطا بن يسار انه كان ببطن تبوك ونحوه
في دلايل البيهقي وقيل انه كان بغزوة موتة فقال صلى الله عليه وسلم لما انتبه
ان هذا واد به شيطان وفي هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لبلال خذ
كل رجل براس راحلته فان هذا منزل حضرنا فيه شيطان واخر الصلاة
حتى خرجوا من ذلك الوادي كما مر اذ لم يكن تركها قصدا وانما تحول عن الوادي
كراهة ما اصابه من الغفلة ولانه يخشى فيه من اعدا المسلمين لا لان الوقت
كراهة فان قلت كيف هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا
ينام قلبي قلت اجاب عنه المص فيما ياتي وتبعه النووي بان القلب
لا يدرك ما تدركه الحواس الظاهرة كالعين والاذن وانه صلى الله عليه وسلم
كان له حالان في احدهما وهو الاكثر ان قلبه لا ينام وفي بعض الاحيان تنام
عينه وقلبه لعارض كتعب سفر ونحوه وفيه تشريع للقضا وتاخير
ولو كان قلبه الشريف يقظانا لم يعذر صلى الله عليه وسلم في تاخير الصلاة
والجواب الثاني هو الاولى وهذا الحديث له اصل ايضا في مسلم عن ابي
هريرة وله طرق اخرى وقال القرطبي اخذ بعض العلما بظاهره فقال
من انتبه من نومه عن صلاة فاتته في سفر فليتحول عن موضعه وقيل انما

يستحب

يستحب في ذلك الوادي بعينه كما في قصة اثار ثمود وقيل انه مخصوص
به صلى الله عليه وسلم لان مثل ذلك لا يطلع عليه غيره ولا باس بالقول باستحبابه
مطلقا وهو مناف لحديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها
لا كفارة لها الا ذلك وسياتي ما فيه عند ذكر الجواب عنه وما معنى قول
موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم في وكزه وفي نسخة وكزته ومعناهما واحد
والوكز الدفع والضرب بجمع الكف ووكزه المراد به وكز القبطي المذكور في القران
هذا الوكز من عمل الشيطان وهو مقول القول وهو معصوم فكيف وقع منه ما وقع من
قتل من لم يومر بقتله فلذا سماه ظلما واستغفر منه ووجه السوال ظاهر
وكان موسى صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يركب مع فرعون في مواكبه الا انه لم
يكن على دينه فلحقه مرة في وقت القايلة او بين العشاين فدخل مدينة منف
في وقت غفلة فوجد رجلين يقتتلان احدهما قبطي والاخر من بني اسرايل
من قوم موسى فاراد القبطي ان يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسى لينصره
عليه ونصرة المظلوم واجبة في ساير الملل فوكزه موسى بيده او بعصا ليدفعه
فقتله ولم يكن هذا ظلما منه صلى الله عليه وسلم وانما جعله من عمل الشيطان
استعظاما لتركه الاولى ولم يضفه الى الله تادبا منه فاعلم جواب الشرط
في قوله فان قلت ان هذا الكلام المذكور عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام في
السوال قد يرد في القران والحديث ما هو اعم منه او بمعناه في جميع هذا المحكي
عنهم على مورد مستمر بالاضافة لكلام اي طريق معروف في استعمال كلام العرب او هو
فاعل يرد اي دابهم في كلامهم ومعتادهم فيه والاول هو الظاهر وفاعل
يرد ضمير الكلام في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بيان لكل قبيح كقبح
الشخص في منظره والافعال القبيحة الصادرة من الناس فيقولون
للقبيح هو شيطان ويضيفون الافعال القبيحة له وقوله فالشيطان متعلق
بوصفهم او فعله مجرور معطوف على الشيطان فاذا راوا شخصا قبيحا قالوا هذا
فعل الشيطان كما قال تعالى في شجرة الزقوم التي في جهنم طلعها كانه رءوس الشياطين
ما فيها مما يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها تشبيها تخييليا بذلك
لما استمر عندهم من تشبيه كل قبيح بها وان لم يروها وهذا كقول امرئ القيس
ومسنونة زرق كانياب اغوال كما بين في كتب المعاني وقيل الشياطين
حيات كبيرة هايلة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في المار
بين يدي المصلي فاليقاتله فانما هو شيطان والحديث رواه مسلم عن ابي سعيد
الخدري رضي الله تعالى عنه وفيه اذا صلى احدكم الى شي يستره فاراد احد
ان يجتاز بين يديه فليدفعه في نحره فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان
والامر للندب لا للوجوب وانما يندب اذا كان بين يديه سترة وانما يفعل
ذلك اذا لم يرتد باسهل الوجوه وذكر المقاتلة مبالغة في شدة الدفع والا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالمقاتلة افعال كثيرة لا تجوز في غير صلاة شدة الخوف وقوله هو شيطان
استعارة تصريحية شبهه بالشيطان في صدور الافعال القبيحة منه
وقيل انه مجاز مرسل لان الشيطان سبب لما فعله واما كونه حقيقة لقوله
شياطين الانس والجن فليس بشيء لانه مجاز ايضا وانما كره ذلك انه شغله عن خدمة
ربه وتوجهه اليه وايضا من اض اذا رجع اي نرجع الى الجواب عما مر في السؤال
فان قول يوشع عليه الصلاة والسلام وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره الذي
حكاه الله عنه لا يلزمنا الجواب عنه لعدم وروده على ما قررناه من عصمة
الانبياء عن تسلط الشيطان عليهم اذ لم يثبت له في ذلك الوقت اي وقت
صدور هذا القول عنه وهو في خدمة موسى عليهما الصلاة والسلام نبوته
اي انه كان نبيا حال كونه مع موسى مصاحبا له في سفره وهو خادمه ويدل
على ذلك قوله تعالى وفي نسخة قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه الخ والفتى
في الاصل معناه الشاب فاستعمل بمعنى العبد والخادم لان الغالب استخدام
الشباب وتوقير الكبار وهو من الاداب الشرعية ففي الحديث انه صلى الله
عليه وسلم قال لا يقل احدكم عبدي وامتي ولكن يقول فتاي وفتاتي وانما
سمي يوشع فتى موسى لانه كان يلازمه فيقوم مقام العبد ويقال انه ابن
اخته وهو يوشع بن موسى بن نون كما في صحيح البخاري والمروي عن العلماء
الثقات انه انما نبي اي جعله الله نبيا واوحى اليه بعد موت موسى وقيل
انه نبي قبل موته اي موت موسى عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ قبيل
بالتصغير اشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسيأتي فيه كلامه ايضا وقد
قيل انه نبي في حياته فكان اذا سأله عما اوحي اليه يقول صحبتك كذا وكذا
ولم اسألك عما اوحي اليك فلما راى ذلك كره الحياة وسأل ربه ان يقبضه اليه
وقيل الاصح انما نبي بعد موسى وقول موسى عليه الصلاة والسلام في وكز القبطي
انه من عمل الشيطان كان قبل نبوته فلا يرد السؤال به لان الكلام في عصمة
الانبياء عن تسلط الشيطان عليهم بدليل القرآن فانه قص فيه القصة على انه
انما نبي بعد ذلك كما يعرفه من عرف الآية وتفسيرها في سورة القصص فانها
قبل خروجه لمدين واستيجار شعيب له ومكثه عنده فانه صرح في الآية بانه بعد
ذلك وقوله في الشرح الجديد ان المراد بقول موسى ما قاله ليوشع وان
ما في القرآن ذكره بانه فتاه دون ان يقول نبي الله مع مخالفته للشروح والاوجه
له وقصة يوسف وما فيها مما عقد له الفصل الجواب عنها انه قد ذكر بالعناء لكن
اي ذكر على التفسير وغيرهم انها كانت قبل نبوته اي قبل نبوة يوسف عليه
الصلاة والسلام فلا يمتنع قبلها ان يخطر عليه خاطر ينسى به ذكر ربه المشار
اليه بقوله فانساه الشيطان ذكر ربه وهذا احد قولين فيه وقيل انه نبي
في الجب وهو على حجر مرتفع فيه بدليل قوله تعالى واوحينا لتنبئنهم بامرهم

هذا

هذا وهو قبل مجيئه لمصر وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وهو ابن
ثمان عشرة سنة ومن الانبياء من نبي صغير قبل الاربعين فعلى هذا يجاب
بانه انما كان استعانة بمخلوق ومثله جائز وان لم يلق بمنصب النبوة فاضافة
ما هو خلاف الاولى الى الشيطان تادبا ولا ضير فيه وهذا بناء على ان ضمير
الشان راجع ليوسف وقد قال اكثر العلماء والمفسرون في قوله تعالى فانساه الشيطان قولين
اخرين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه ليس المراد به يوسف عليه الصلاة
والسلام والرب بمعنى السيد اي المالك وانما المراد احد صاحبي السجن وليس
المراد بصاحب السجن مالكه بل من طال حبسه فيه فالاضافة لادنى ملابسة
كقوله يا سارق الليلة اهل الدار وربه المراد به في الآية على هذا سيده وهو
الملك الشيطان انسها اي انسا الشراب المسجون ان يذكر بزنة يفتعل وفي بعض
النسخ بضم الياء وكسر الكاف المشددة والاول هو الصواب لانه الموافق لقوله
اذكرني عند ربك الملك شان يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن والورطة
التي وقع فيها وكان دخل معه فتيان من عبيد الملك احدهما شرابه الذي
يسقيه الشراب وكان الملك عمر فيهم طويلا فدشوا في شرابه سما فلما اخبره
الملك حبسهما فالقيا يوسف وهو مسجون معهما ورأى كل منهما رؤيا قصها
على يوسف وبينها له ثم قال لمن راه ناج منهما وهو الشراب اذا خلصت
اذكرني عند ربك يعني الملك فتسلط الشيطان عليه حتى انساه ان يذكر
للملك قصة يوسف فعلى هذا لم يتسلط الشيطان على يوسف حتى يرد السؤال
والى ذلك اشار المص وايضا اي مثل ما ذكر في جواب الشبهة عن قصة يوسف ويوشع
فان مثل هذا النسيان المذكور من قبل الشيطان بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بمعنى
عند وجانب يقال لفلان قبل فلان كذا اي عنده قال تعالى في الذين كفروا قبلك
مهطعين وفي بعض النسخ من فعل الشيطان والجار والمجرور حال من اسم الاشارة
يفيد انها منه والخبر قوله ليس فيه تسليط على يوسف ويوشع او هو خبر بعد
خبر يوسف متعلق بتسليط وتنزع بنون وزاي ساكنة وغين معجمتين وقد تقدم
معناه لعصمة الله لهما عن ان يكون له سلطان عليهما وعلى غيرهما من الانبياء
واما هو الضمير لمثل يشغل خواطرهما معجمتين من الثلاثي ويجوز كونه من المزيد على
لغة غير فصيحة كما تقدم اي شغل ليس بطريق الوسوسة والتسليط بل بامر
اخر مما يرد على الخاطر ولا يستقر وهو تذكيرهما اي يوسف ويوشع من امرهما
ما ينسيهما بالتشديد للمهملة والتخفيف ما انسيا اي يذكران نسيانه من اخوانهما
السالفة كاستعانة يوسف بمخلوق وشان الحوت الذي نسيه يوشع ونسبة
للشيطان تادبا كما مر لا محذور فيه واما قوله اي قول نبينا صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي تقدم بيانه وروايته عن مسلم ان هذا واد به شيطان وتقدم
بيان الوادي ومكانه فليس فيه اي في هذا الحديث ما يقتضي ذكر تسليطه اي

الشيطان عليه صلى الله عليه وسلم ولا وسوسته له صلى الله عليه وسلم لعصمته
وتزاهته عن مثله فهو لا يقدر على ان يقرب من سرادق حمايته بل ان كان ذكر في
الحديث ما يوهم تسلطه عليه فمحتمل ظاهر محتمل التاويل فيه فقد بين وكشف صلى الله عليه وسلم
فيه امر ذلك الشيطان في هذه الواقعة بقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مالك
واليهقي عن زيد بن اسلم ان الشيطان اتى بلالا بعد ما امره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ينتظر طلوع الفجر ويوقظه صلى الله عليه وسلم من نومه فلم يزل الشيطان
يهديه كما يهدى الصبي الصغير في مهده حتى نام بلال فلم يستيقظ حتى اصابه صلى الله
عليه وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي
اخذ بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله يهديه بضم المثناة التحتية وسكون
الهاء ودال مهملة مكسورة مخففة واخره ياء ساكنة وهمزة مضمومة او هو بفتح اوله
وسكون ثانيه وفتح دال الدو بعده همزة او الف ودال مشددة الا ان رسمه
بالياء في النسخ وكذا يهدي في قوله كما يهدي الحقال الجوهري هدأ الصبي
وهدوا اذا سكن واهدأت الصبي اذا سكنته وامررت يدك عليه لينام
وكذا في القاموس وافعال ابن القطاع وغيره ومثله هداه بالتشديد مهموزا
ومعتلا وهدنه بنون وهدهده كله بمعنى تحريك الصبي او مهده لينام
والحديث في الصحيحين اعلم ان تسليط الشيطان في ذلك الوادي الذي
نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى فاتتهم
صلاة الفجر به وقد رجعوا من الغزاة انما كان تسلطه على بلال رضي الله عنه
لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى يرد السؤال
الموكل بفتح الكاف المشددة اسم مفعول اي المعتمد عليه في الحفظ عن خروج
الوقت بكلاءة الفجر بكسر الكاف كالحراسة وزنا ومعنى فهو ممدود ومهموز وقد
تبدل همزته ياء كما في النهاية يقال كلاه يكلؤه اذا حرسه وضمن معنى المراقبة
اي مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير مضاف
وله وجه وجيه هذا اي ما ذكر من ان تسليط الشيطان انما كان على بلال
ازجلناه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ازهذا واد به شيطان تنبيها
مفعول له على سبب النوم عن الصلاة بنا على ان المراد ان الشيطان تسلط
على من غفل عن الصلاة حتى فات وقتها بطريق من الطرق لكن ليس المسلط
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بلال وان الشيطان تحيل عليه
في غلبة النوم كما تتحيل الام والدائية على طفلها حتى يستغرق في نومه
واما انجعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي فانه صلى الله
عليه وسلم لما استيقظ من نومه امرهم بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه
واد به شيطان كما مر وعلة لترك الصلاة فيه لان الانفل في قضا الفوائت
الفائتة بعذر ان يبادر بقضائها في اول تذكرها فلما ترك ذلك وارتحل

وقال

وقال ان هذا واد به شيطان دل مساق كلامه على ان كونه لم يصل به لذلك فليس
فيه ما يقتضي ان الشيطان تسلط على بلال فضلا عنه صلى الله عليه وسلم
وهو اي ما ذكر من انه علة لارتحاله وترك الصلاة دليل فعيل بمعنى مفعول
اي مدلول مساق بفتح الميم مصدر بمعنى سياق حديث زيد بن اسلم والسياق
ما يفهم من ذكر شيء وزيد تقدم بيانه وهو هذا الحديث المذكور لكنه من طريق
اخر رواه مالك في الموطا والبيهقي عن زيد بن اسلم وعلى هذه الرواية المعنى
يتعين سياقها ما ذكر فلا اعتراض اي بهذا الحديث في هذا الباب الذي عقد لكون
الشياطين لا تسلط لهم على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بوسوسة ونحوها
لبيانه اي بيان حديث زيد لما ذكر ووضوح دلالته عليه وارتفاع اشكاله
اي زواله بالكلية حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله لما يخالفه
فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم لما كان هذا الباب
معقودا لعصمة الانبياء في عقايدهم واحوال قلوبهم واقوالهم وافعالهم قدم الكلام
على الاول لانه الاهم والاساس وعقبه بالثاني وهو ما يتعلق باقوالهم فقد
قامت الدلايل اي صحت او ثبتت فصارت كالعماد والسناد الذي يقوم به غيره والدلايل
جمع دليل وقد قال ابن مالك في شرح كافيته انه لم يات فعايل جمعا لفعيل اسم
جنس وان جاز بطريق القياس وفي الايات البينات انه يحتمل ان يكون جمع دلالة
بمعنى دليل وفعالة يجمع على فعايل قياسا مطردا وقد قال امام الحرمين ان
الدليل يسمى دلالة والظاهر انه مجاز انتهى وقد تقدم التنبيه على هذا ايضا
الواضحة اي الظاهرة القاطعة العقلية والنقلية من الايات والبراهين بصحة
المعجزة اي المعتضدة بصحة معجزاته او الباء تجريدية كما في قوله فسل به خبيرا
على احد القولين وهذا احسن واقوى على صدقه اي انه صادق فيما اخبر به
ووجه الدلالة تقرر لك في الاصول والاصح انها دلالة عقلية اظهر من الشمس
واجمع الامة على صدقه صلى الله عليه وسلم وصدق اخباره فيما كان طريقه البلاغ
وهو مصدر او اسم مصدر بمعنى التبليغ عن ربه ما اوحي اليه لانه لازم الرسالة
انه معصوم فيه اي فيما امر بتبليغه للخلق عن ربه من الاخبار متعلق بمعصوم عن شيء
منها اي مما طريقه البلاغ ملتبسا بخلاف ما هو به الباء بمعنى على او للملابسة
اي لا يخالف شيء من اخباره الواقع لا قصدا لمخالفة حتى يكون كذبا وقوله ولا عمدا
ان فسر بالقصد فهو عطف تفسير كما قاله الراغب وان قيل القصد ما كان
بسبب والعمد ما كان بلا سبب كما قال التلمساني فهو تاسيس وهو الاولى
ولا سهوا او غلطا الاول ما كان بغير قصد والثاني ما قصده خطا لظنه واقعا
وفي نسخة وغلطا بالواو واذا في هنا اما تعمد الخلف في ذلك اي في
الاخبار عما طريقه البلاغ فمنتف عنه لانه غير لايق بمقامه والخلف قيل انه
بضم الخاء بمعنى الكذب في اخباره عن امر مستقبل والكذب يكون عن الماضي وقيل

انه بفتحها وسكون اللام بمعنى الباطل واصل معناه القبيح الردي
ومنه المثل سكت الفا ونطق خلفا وتفسيره بالمخالفة غير متجه الا
ان يريد مخالفة الواقع فيرجع لما قبله وقوله بدليل المعجزة متعلق
بمنتف القائم مقام قوله الله لمن بعث اليهم الرسول صدق رسولي ونبي فيما
قال لكم وبلغكم عني بدليل معجزاته التي هي برهان قاطع على صدق مدعاه
اتفاقا وباطباق اهل الملة اي اتفاقهم على ذلك واصل معنى الاطباق
جعل الشيء مطابقا لاخر اي موافقا له اجماعا منصوب بنزع الخافض اي
اطباقهم ثابت بالاجماع منهم وقوله اهل الملة اشارة الى بطلان قول
البراهمة والصابئة باستحالة ثبوت النبوات عقلا كما بين في علم الكلام
ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب المعتزلة وبعض الشيعة الى انها
واجبة عقلا من جهة اللطف وذهب الاشعري واهل السنة الى القول
بجوازها عقلا ووقوعها عيانا وادلتهم مفصلة في كتب الكلام ولما كان
كل خبر محتملا للصدق والكذب من حيث هو قالوا الدليل على صدقه صلى الله
عليه وسلم معجزته ولا يرد عليه قول المنكرين انها فعل والفعل من حيث هو
لا يدل على الاختصاص بشخص معين الا باقتران لدعواه وللاقتران اسباب
اخر كان لخرق العادة احوالا مختلفة واذا احتملت الوجوه عقلا لم تثبت
الدلالة لان القرينة والتحدي دالان على بطلان هذه الاحتمالات
وسبيل تعريف الله عباده صدق الرسالة بالايات الخارقة للعادة كسبيل
تعريفهم الاهيته بالايات الدالة عليها والتعريف يكون بالقول تارة وبالفعل
اخرى فالتعريف بالقول كقول الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وبالفعل
كتعجيزهم عن معارضة ما علمهم من الاسماء وتعجيز الخلق عن معارضة القران المنزل
على نبينا صلى الله عليه وسلم ودلالة المعجزة على صدقه دلالة عقلية وهذا معنى
ما قاله المص كما تقرر في علم الكلام واما وقوعه اي وقوع خبره على خلاف ما هو عليه
فيما طريقه البلاغ على جهة الغلط في ذلك من غير تعمد وقصد منه بل بسهو
ونحوه بهذه السبيل اي طريق انتفائه كطريق انتفاء العمد فيه عنه فان
الدليل الدال عليه دال على انتفاء هذا ايضا الا ان الاول متفق عليه
وهذا مختلف فيه لكونهما على نظم واحد سهو الاستاذ بضم الهمزة وسين
مهملة ساكنة وثناة فوقية والف وذال معجمة وهي كلمة معربة معناه الرئيس
في علم او صناعة وتفصيله في كتابنا شفاء الغليل فيما في كلام العرب من
الدخيل ابي اسحق الاسفرايني وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران واسفرايين
بكسر الهمزة وفتح الفا بلدة بخراسان وهو امام جليل متبحر في علوم الدين كلاما
وفروعا واصولا توفي بنيسابور يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة واربعمائة
وقال بقوله واتبعه في هذه المسئلة يعني ان المعجزة تدل على صدقه صلى الله

عليه

عليه وسلم فيما قاله وانه لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا قصدا ولا غلطا
ولا سهوا بطريق من الطرق فمعجزته صلى الله عليه وسلم كما دلت على نبوته
دلت على صدقه وهذا القول ارتضاه المص ومن جهة الاجماع الدال على انه لم
يصدر عنه صلى الله عليه وسلم الكذب لا قصدا ولا سهوا وهو معطوف على
قوله بهذه السبيل فقط اي الدال على ذلك انما هو المعجزة والاجماع لا دليل
عقلي غيرهما ووردت الشرع بانتفاء ذلك اي انه ورد في الايات المتواترة
والاحاديث الصحيحة ما يدل على ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم على هدى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وغيره ما يدل عليه صريحا وتلويحا وما يدل
على ذلك ايضا عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ملكة نفسانية تمنع عن التقابض
والمعاصي والكلام بما يخالف الواقع نقيصة تنافيها العصمة وفي دلالة
ذلك على عدم صدوره السهو منه نظر لا من مقتضى المعجزة اسم مفعول اي ليس
ما يدل عليه دلالة التزامية عقلية كدلالة اعتق عبدك عني على بيعه لي
وقوله نفسها اشارة الى ان للمعجزة دخلا في ذلك عند القاضي ابي بكر الباقلاني
بتشديد اللام المالكي كما تقدم ومن وافقه على مذهبه وهذا مرتبط بقوله
ومن جهة الاجماع اي هنا والحاصل انه صادق فيما طريقه البلاغ
والدال على صدقه معجزته عند الاسفرايني وعند الباقلاني ورود
الشرع بذلك واجماع الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم وسبب
الاختلاف ونتيجته ما اشار اليه بقوله لاختلاف وقع بينهم اي بين
الاسفرايني واتباعه وبين الباقلاني ومن وافقه في مقتضى دليل المعجزة
اي في دلالتها على صدقه وانها بمنزلة قول الله انه صادق ام لا
لا نطول بذكره فانه بحث طويل صعب المدرك فيخرج عن غرض هذا الكتاب
الذي وضع لبيان شرف قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم من غير تطويل
واطناب يمل من غير تعرض للمباحث الكلامية فلنعتمد ما هو اصل مقصود
كاف فيما قصدناه على ما وقع عليه اجماع المسلمين من غير تعرض للدلالة
العقلية وما اجمعوا عليه هو انه لا يجوز بتخفيف الواو وتشديدها عليه
صلى الله عليه وسلم خلف في القول اي ما يخالف الحق الواقع في ابلاغ الشريعة
اي فيما طريقه ذلك مما امر بتبليغه والاعلام بما اخبر به عن ربه تعالى وما اوحاه اليه
من وجه الذي نزل عليه الملك به بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال الا على
وجه العمد بان يتعمد الاخبار بخلاف الواقع ولا على غير عمد من خطا ونسيان
كما تقدم ولا في حال الرضى والسخط بفتحتين او بضم فسكون وهي كراهة
ذلك الامر المخبر به او في حال رضاه عن خاطبه وسخطه عليه والرضى يقابل
كما في حديث اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك ويكون في مقابلة الجبر
والاكراه كما فعله برضاه اي اختياره وارادته لا قهرا وجبرا وعلى الوجهين

يذكر ان الله يرضى بالكفر لعباده ام لا كما وقع بين الماتريدية والاشعرية في
تفسير قوله ولا يرضى لعباده الكفر هل المراد جميع عباده او خلصهم والاضافة تشريفية
كما فصل في محله والصحة والرضى اي لا يبغ ذلك منه صلى الله عليه وسلم في صحته ولا في حال
مرضه واختلاف مزاجه الذي قد يشوش الفكر مما يودي لمثله ذكر دليلا على
ما قاله من الشنه فقال وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن وايل السهمي الصحابي المشهور
رضي الله عنه وهذا الحديث رواه عنه الامام احمد وابو داود والحاكم وصححوه وفيه
قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال اي اكتب كلما سمعته مني قلت في الرضى والغضب اي
في حالتيك هاتين قال نعم اي اكتب ما تسمعه في حال رضاي وغضبي فاني لا اقول
في ذلك المذكور كله من حالتي الرضى والغضب الا حقا فلا يصدر عنه صلى الله
عليه وسلم ما يخالف الواقع لا عمدا ولا غيره لعصمه الله له في فعاله واقواله كلها
وانما يريد ذلك ليتيقظ او ليرقعه محله في الصدق وفيه رد على من منع كتابة الحديث ونقله
عن بعض الصحابة والتابعين وقال انهم كرهوه لحديث لا تكتبوا عني شيئا غير القران
ومن كتب عني غيره فليمحه كما رواه مسلم والبخاري في قصة ابي شاه عام الفتح وقد اجيب
عنه بانه منسوخ او انه مخصوص بعصره في حياته صلى الله عليه وسلم اما بعده فصارت واجبة
او المراد النهي عن كتابة الحديث مع القران لئلا يختلطا به او المراد لا تكتبوا عني شيئا
كنت قلته لم اجا القران بما يخالفه واول ما دونت كتب الحديث في زمن عمر
ابن عبد العزيز رحمه الله كما ذكره الطبري في كتاب مناقبه ولتزدن بالمعجمة من
الزيادة وفي نسخة ولتزد فيما اشرنا اليه فيما مضى قريبا من دليل المعجزة عليه اي
دلالتها على ما ذكر بيانا مفعول تزد وهو توضيح وتاييد لما قاله الاسفرايني
فتقول تفصيل لهذه الزيادة اذا قامت المعجزة من اقامة الدليل اي دلت على صدقه
صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر به عن الله وانه لا يقوله الا حقا وصدق التراهنة عما سواه
وعصمة الله له عما عداه فقوله ولا يبلغ عن الله الا صدقا تاكيد لما قبله وان المعجزة قائمة
مقام قول الله صدقت في كل ما قلت لدلالتها على ذلك بطريق الاقتضاء والاستلزام فصارت
عبارة عنه بطريق الكناية وفي نسخة صدق عبدي فيما يذكره وتخبر به عني وهو رسول
اي رسول الذي ارسله اليكم لا بلغكم ما ارسلته به اليكم مما اوحاه الله الي وامرني بتبليغه واين
فكم ما نزل عليكم وفي نسخة اليكم وتنزيله عليهم بواسطته صلى الله عليه وسلم والمراد نزوله
عليهم ووصوله اليهم ونزوله على نبي بين اظهرهم والنزول في القران تارة ينسب
الى النبي صلى الله عليه وسلم وحده فيقال نزل وتارة الى الامة فالمراد بالاول مشافهة
ملك الوحي له وبالثاني مطلق الوصول والبلاغ او هو من قبيل سنوا فلان قتلوا قتيلا
والقاتل واحد منهم ودلالة المعجزة على صدقه تقدم بيانها وظهورها على يد الكاذب
ممتنع عقلا وعادة وقال الشهرستاني في نهايته الاقدام من اصطفاه الله لرسالته
واجتباه لدعوته كساه ثوب جمال في الفاظه واخلاقه واحواله فتعجز الخلائق عن
معارضة شيء من ذلك فتصير جميع حركاته معجزة لما دونهم من الحيوانات وما ينطق عن

الهوى

الهوى اي ما يصدر عنه امر بمجرد هوى نفسه وتشهيه ان هو الا وحي يوحى اليه
وتقدم بيانه وبيان انها لا تدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يجوز له الاجتهاد وقد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع وما اتاكم الرسول
فخذوه اي تمسكوا به وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ولا تتركوه لانه انما يامركم بما امره
الله وانما ينهاكم عما نهى الله عنه فان فسرت بما اعطاكم من الفيء فخذوه وما نهاكم
عنه من الفيء فلا تاخذوه فانه انما يعطي وينهى باسر الله دل على ما ذكر ايضا بطريق
النحوي والقياس فلا يقال ان الاية لا تدل على المراد على هذا التفسير فلا يصح ان يوجد
منه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وهو ما طريقه البلاغ عن الله خبر سمع منه او
صح عنه بخلاف مخبره بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وتخفيفه اي لا يصدر عنه خبر
غير مطابق للواقع على اي وجه كان خبره الصادر عنه فلو جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم
الغلط والسهو فيما بلغه عن الله وقد حماه الله عنه لما تميز لنا من غيره اي ما تميز صوابه
الواجب اتباعه عن غيره او خبر من خبر غيره ولا اختلط الحق بالباطل ولم يتميز احدهما
عن الاخر فالمعجزة الخارقة للعادة المتحدي بها كما تقدم مشتملة على تصديقه اي ثبوت
صدقه فيما اخبر به عن ربه جملة واحدة اي في جميع ما جاء به من جميع اخباره وما
يبلغه عن الله من غير خصوص اي تخصيص لامر دون امر بدليل يقوم على التخصيص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم وتبريته ساحته فيما يبلغه عن ربه ذلك اي عن ان
يقع منه اخبار بما يخالف الواقع قصدا او غلطا او سهوا واجب وقوعه واعتقاده
برهانا اي بطريق البرهان القطعي العقلي المعلوم من المعجزة والتحدي بها كما تقدم
واجماعا من جميع اهل الملل الاسلامية وعلماء الدين كما قاله ابو اسحاق الاسفرايني بدليل
المعجزة القائمة مقام قول الله صدق رسولي فيما قاله لا كما قاله الباقلاني من انه
بورود الشرع والاجماع لا البرهان العقلي كما عرفت تفصيله فصل متمم لما
قبله وقد توجهت اي صدرت ووقعت في جهة من قولهم وجهة اذا ارسله في جهة
فتوجه ويكون توجه بمعنى اقبل وليس بمرادها هنا اي في هذا المبحث لبعض الطاعنين
من الطعن وهو الضرب برمح ونحوه فاستعير للدخل والاعتراض كما قال تعالى طعنوا
في دينكم سوالات جمع سوال وهو طلب امر من الامور فقد يكون لتعلم ونحوه مما يحمد
وقد يكون تعنتا منهيا عنه وطلبا لامر منهي عنه كما قال تعالى لا تسالوا عن اشياء
ان تبد لكم تسوكم منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن جرير
وابن المنذر وابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير بسند فيه ما سياتي لما قرا في صلاته سورة
والنجم وقال اي بلغ في قراءته الى قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واللات
صنم كان لقريش او لثقيف والعزى تانيث الاعز وهي سمرة كانت لغطفان تعبدها
ومناة صخرة كانت لخزاعة وهذيل بعبد انها والثالثة الاخرى بمعنى المتاخرة لضعة
مقدارها صفتان لمناة وامر هذه مبين في التفاسير غنى عن البيان قال
قايل سمع ما قاله عند تلاوته صلى الله عليه وسلم كما سنبينه تلك المذكورة من اللات

وما بعدها الغرانيق العلا جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون
او غرنيق بضمها وفتح النون وهي طير حسن طويل من الماكيير طويل العنق ابيض
واصله الشاب الناعم استعير للاصنام والعلا تجريد لزعمهم انها ترتفع للسما وان
شفاعتهن لترتجى اي تؤمل وتنتظر ويروى لتنتظر اي تقبل عند الله لزعمهم الفارغ وفي رواية
وان شفاعتها لترتجى وانها لهم الغرانيق يعنون الملايكة وفي رواية اخرى والغرانيقة العلا تلك
الشفاعة ترتجى ومعانيها متقاربة فلما ختم اي اتم صلى الله عليه وسلم قراة هذه السورة
سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون ممن كان حاضرا عنده من الصحابة
رضي الله عنهم والكفار الحاضرون عنده ايضا لما سمعوه اثنى على الهتهم بقوله المتقدم
تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وما وقع في بعض الروايات لهذه القصة
ان الشيطان القا اي هذه الكلمات على لسانه فسبق لسانه بها سهوا منه ثم تنبه او نبهه
جبريل لها وكان ذلك ابتلا من الله ليعلم من يثبت على ذلك او يتزلزل وان النبي صلى
الله عليه وسلم كان لحرصه على ايمان قومه تمنى ان لو نزل عليه شي مما يوحي اليه يقارب
بينه وبين قومه اي يقربهم من الاسلام حتى يشركوا عنادهم وفي رواية اخرى لهذه
القصة انه صلى الله عليه وسلم كان تمنى الا ينزل عليه شي ينفرهم عنه من الطعن فيهم
وفي الهتهم ولم يزل كذلك حتى نزلت عليه سورة النجم وهذه الرواية والتي
قبلها بمعنى فان عدم التنفير عنه والقرب بينه وبين قومه متساويان وذكر
صاحب هذه الرواية وناقلها هذه القصة اي قراته صلى الله عليه وسلم سورة
النجم وسجوده وسجود المسلمين والكفار معه وان جبريل جاه عليه الصلاة والسلام
بالوحي عرض عليه اي قرا عليه هذه السورة وفاعل عرض ضمير النبي صلى الله وسلم
فلما بلغ اي وصل في قراته هاتين الكلمتين يعني تلك الغرانيق العلا الخ قال له اي
قال جبريل له صلى الله عليه وسلم ما جيتك من الله بوحي فيه هاتين الكلمتين يعني تلك
الغرانيق العلا وفي نسخة الايتين فحزن اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك
وفي نسخة فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم اي لما قال جبريل له فانزل الله لما راى
حزنه صلى الله عليه وسلم تسلية له صلى الله عليه وسلم والتسلية اذهاب
حزنه بتطييب خاطره قوله وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الاية تقدم في تفسير
هذه الاية ما فيه كفاية وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم تمنى ان يوحى اليه
ما يقرب قريشا منه ويستغفرهم فلما نزلت هذه السورة وقراها الى قوله ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه تلك الغرانيق العلا الخ فتكلم بها ثم مضى في قراتها
حتى ختمها فسجد معه من سمعه من المسلمين والمشركين رضا بما قاله لظنهم انه
رضي بالهتهم فلما امسى اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فعرضها عليه حتى بلغ
قوله تلك الغرانيق العلا فقال له ما جيتك بهذا وهذا لم يقله الله فحزن صلى الله
عليه وسلم مغموما حتى نزل عليه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية
فطابت نفسه لتسلية الله له فيها باخباره ان كل نبي ورسول وقع له مثل ذلك من القا

الشيطان

الشيطان في الوحي وتلاوته في اثنايه ثم بين له ذلك ونسخه الله فكانه قال
له لك اسوة بمن سبقك من الرسل والانبيا وانزل عليه صلى الله عليه وسلم
تسلية له ايضا وان كادوا ليفتنونك الاية اي قوله عن الذي اوحينا اليك
لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيا قليلا وان مخففة من الثقيلة اي قاربوا ان يخدعوك عما اوحيناه اليك
حتى تقول ما لم تقله مما ارادته قريش وحتى تركن الى بعض الكفرة لتميل قلوبهم
للاسلام فبين الله لك ذلك وثبتك على الحق واغناك عن المداراة كما فسره
المفسرون وبين في اسباب النزول اذا عرفت ما ذكر فه واردت كشف
غطايه عنك فاعلم اكرمك الله بما علمك وهداك لدفعه ان لنا في
الكلام على تنقيد هذا الحديث الذي اورده عليه بعض الطاعنين كما تقدم ما خذ
اي طريقين في الاخذ على الكلام فيه نقلا وعقلا من اخذ عليه اذا منعه عما
يريد فعله حتى كانه امسك من تشبث به واعتمد عليه ممن وراية احدهما في
توهين اصله اي تضعيف روايته ونقله من الوهن وهو الضعف
وجعل ثبوته اصلا للسوال والجواب المبني عليه واصل الوهن ضعف
الخلقة كقوله وهن العظم مني والثاني على تسليمه وصحة روايته نزلا وارخا
للعنان لمن اورده اما الماخذ الاول ففي الكلام على صحة روايته فيكفيك
في تضعيف روايته ان هذا حديث لم يخرجه بالتشديد والتخفيف اي
لم يروه بسنده احد من العلما بالحديث اهل الصحة من يعتمد على روايته
واتى باسم الاشارة مكان الضمير لتمييزه اكمل تمييز لقرب العهد به
ولا رواه ثقة من يوثق بنقله بسند سليم اي سالم من الطعن والعلة والجرح
من نقاد السلف متصل الى قايله ومن نقل عنه واذا اولع به بضم
الهمزة وكسر اللام وعين مهملة يقال اولع بكذا فهو مولع بالفتح اذا الهج
واكثر من ذكره ويكون بمعنى الكذب وعبر به لابهام ذلك وعلله
من الاحاديث الموهمة لما يليق بالرسل عليهم الصلاة والسلام المفسرون
فانهم يوردون كثيرا من الاحاديث الضعيفة الموهمة لما يليق
بتمام النبوة والمورخون بالهمزة وقد تبدل واوا واهل التاريخ نقلة
الاخبار واختلف في لفظ التاريخ فقيل انه الارخ وهو الفتي من
البقر وقيل انه معرب ماه روز اي حساب الشهور والايام واول من
ارخ الكتب عمر بن الخطاب كما فصلناه في غير هذا المحل المولعون اي
المفسرون جمع مولع بفتح اللام وهو المكثر من الشي بكل غريب من الاخبار
والقصص التي لم تشتهر وتعرف الملتقفون بالمثناة الفوقية بعدها
لام وقاف وفا وفي نسخة الملقون بحذف الفا يقال تلقفه اذا تناوله
بسرعة وتلقاه اذا اخذه من غيره والتلقي تفعل من اللقا وهو المقابلة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من التصحيف كل صحيح لفظه ومعناه وستصحيح لفظه كالمحرف لفظه ومعناه كالمفسر
بغير المراد والصحف جمع صحيفة والاخذ من الصحف غير مقبول عند
السلف لانه قد يتحرف لفظه ويخفى معناه او يفهم منه غير المراد والمقبول
التلقي من افواه الرجال واعلم ان ابن سيد الناس قال بلغني عن الحافظ
المنذري انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية وان الحافظ
الذهبي خالفه فيه ولا وجه لتصحيحه الا ان يثبت بسند لا مطعن فيه
ولا سبيل لذلك انتهى وفي سيرة مغلطاي ان الشيطان القاه في امنيته كما
ذكره الكلبي عن باذان عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قالوا انه باطل
نقلا وعقلا وسياتي ما في سنده ولقد حدثني ابو بكر بن العلا المالكي
وفي نسخة حذف ابو وتقدمت ترجمته وهو المشهور بابن العربي حيث قال
لقد بلي الناس بالبنا للمجهول من الابتلا وهو الامتحان اي صار لهم بلية ومحنة
اي اصيب الناس ببعض بعين مهملة وضاد معجمة مقابل كل وهو ما صح في
بعض النسخ وفي بعضها ببغض بغين معجمة ثم ضاد معجمة وفي نسخة بتقصي
بجاء ثم مثناة فوقية وقاف مفتوحة وصاد مهملة مشددة مكسورة
ومثناة تحتية مخففة من تقصيته اذا تاملته تاملا تاما كما قال ابو تمام اهل
الامر يا صاحبي تقصيا نظريكما كانه بلغ اقصاه واصله تقصص تفعل من
قص عليه الخبر فابدل من احد حروف التضعيف حرف علة كما قالوا تظني في
تظنن ونظايره اهل الامر بالمد اي اصحاب الارا الفاسدة والمذاهب الباطلة
والتفسير اي بعض المفسرين الذين يذكرون في تفاسيرهم قصصا لا اصل
لها يبنون عليها تاويلات بعيدة وامورا غريبة وتعلق بذلك اي بما ذكر
من كلام اهل الاهوا وبدع التفاسير لا بحديث سورة النجم بخصوصه كما
قيل الملحدون جمع ملحد من اللحد وهو العدول عن الاستقامة فيطلق
على كل من لم تكن عقيدته حقا ضعيف بعض نقلته بفتحات جمع ناقل
كفاسق وفسقة يعني به رواته او من ذكره في كتاب له فيكون اشارة
لمن ابتلي به من اهل الاهوا السابقين ونحوهم من المفسرين والقصاص
واضطراب رواياته الاضطراب في اصطلاح المحدثين ان يقع من الراوي
اختلاف في روايته فيرويه تارة على وجه واخرى على وجه اخر وهكذا
او يرويه راو على وجوه مختلفة بشرط ان لا يكون بعض طرقه ارجح من
بعض فان العمل حينئذ بالارجح فلا يعد مضطربا عندهم ومن فسر
الاضطراب بعدم عزوه الى مامون لم يصب وانقطاع اسناده الاسناد
يكون بمعنى المسند وهم رواة الحديث وبمعنى مصدري وهو ذكر السند
وانقطاعه ان يسقط منه واحد فاكثر غير الصحابي ومنه الانفصال قوله
واختلاف كلماته هو قريب من الاضطراب ثم بين ذلك بقوله فتارة يقول انه

اي

اي ما ذكر وقع في الصلاة او الضمير له صلى الله عليه وسلم والتقدير قراها
في الصلاة واخر يقول انه قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة اي سورة
النجم والنادي والندي مجلس يجتمع فيه القوم للمشاورة وفصل الامور
المهمة ولذا سميت دار قصي دار الندوة كما مر واخر يقول انه قالها اي الكلمات
المذكورة وقد اصابته سنة اي وقد عرض له اوايل النوم من غير قصد منه فالسنة
بكسر السين اول النوم وهو النعاس وقيل السنة ثقل في الراس والنعاس
في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع الادراك
واخر يقول بل حدثت بتشديد الدال نفسه في سنة فخطرت بباله وحديث
النفس ما يجري على فكره من غير تلفظ به حتى كانه يحادثها فسهى اي حصل
له سهو حتى تكلم بها في اثنا قراته سورة النجم واخر يقول ان الشيطان قالها
يعني الكلمات المذكورة على لسانه صلى الله عليه وسلم اي تكلم بها الشيطان
وهو لا يدري فظنها وحيا الى النبي عليه وسلم من كان عنده فتوهم انه صلى الله
عليه وسلم نطق بها عن قصد وانها من القران حقيقة وان النبي صلى الله عليه
وسلم لما عرضها وقراها على جبريل قال له ما هكذا اقراتك فحزن لذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما مر واخر يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقراها بل اعلمهم الشيطان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها اي قرا الكلمات المذكورة في اثنا تلاوته
سورة النجم وعرضها على جبريل فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي وصل
لقراة هذه الكلمات التي اعلمهم الشيطان بها قال جبريل عليه الصلاة والسلام
والله ما هكذا انزلت هذه السورة الى غير ذلك من الاقوال الموذنة بان الشيطان
له دخل في ذلك مع انه ليس له سلطان على الذين امنوا وهذا كله صدر من اختلاف
الرواة ومن حكيت هذه كابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم من المفسرين والتابعين
كالزهري وابي بكر بن عبد الرحمن بن هشام وسعيد بن جبير لم يسندها احد منهم
اي لم يذكر لها سندا مرضيا احد ممن حكيت عنه ولا رفعها الى صاحب اي الى
صحابي من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قالها وقيل المعنى لم يعزها
لصاحب قد قالها واكثر الطرق التي رويت منها عنهم فيها اي في هذه القصة
واهية ساقطة ضعيفة غير مرضية لا يعول عليها والمرفوع منه اي ما رفع فيه
ذكر من روى هذه القصة وفي نسخة منه حديث شعبة بن الحجاج الذي رواه
عن ابي بشر بكسر البا الموحدة وسكون الشين المعجمة وهو جعفر بن ابي وحشية
اياس التابعي الثقة توفي سنة خمس وعشرين ومائة واخرج له اصحاب
الكتب الستة وله ترجمة في الميزان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال فيما احسب اي اظن ومثله يستعمل للشك فيما قارنه ثم بين المهم ما وقع
فيه من الشك من الراوي بقوله فيما احسب فقال الشك المذكور في
الحديث اي في متنه واصله لا في سنده والحديث هو حديث شعبة المذكور

ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وان المفتوحة وما بعدها بدل من الحديث وذكر شعبة القصة المذكورة في هذا الحديث بتمامها وانه صلى الله عليه وسلم تمنى ان ينزل عليه ما يطيب نفوس قومه عسى ان يؤمنوا فنزل عليه سورة النجم فقرأها حتى بلغ افرأيتم اللات والعزى الآية فقال تلك الغرانيق العلا الى آخر السورة وسجد فسجد معه المسلمون والمشركون وفرح الكفار قال ابو بكر البزار بتقديم الزاي المعجمة على الراء المهملة نسبة لعمل بزر الكتان بلغة البغداديين وهو الحافظ المشهور كما تقدم هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل الى احد من الصحابة الذين حضروا عنده او اليه صلى الله عليه وسلم يجوز ذكره لصحة نقله والاعتماد عليه الا هذا الحديث المسند الى ابن عباس ولم يسنده اي لم ينقله مسندا عن شعبة الا امية بن خالد وهو ثقة اخرج له مسلم وغيره وتوفي سنة احدى وثمانين وترجمته في الميزان وغيره اي غير امية بن خالد ممن يروي هذا الحديث يرسله اي يرويه مرسلا والمرسل ما سقط من سنده الصحابي فهو يرويه عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر ابن عباس وظاهر كلام المص ان السند بتمامه مذكور غير الصحابي فان اراد انه لم يعزه لغير ابن جبير واسقط رجاله كلهم فهو معضل والمحدثون يعبرون عنه بانه ارسل ويرسل بصيغة الفعل ويفرقون بينه وبين المرسل بالاسم وتفصيله في كتاب ابن الصلاح وغيره وانا يعرف هذا الحديث وروايته عن الكلبي نسبة لكلب قبيلة معروفة وهو ابو النضر المفسر النسابة الاخباري الراوي المشهور وسيأتي كلام المص فيه والكلبي يرويه عن ابي صالح وهو باذان بنون او باذام بميم وهو يروي عن مولاته ام هانئ عن علي كرم الله وجهه وروى عنه السدي وغيره اخرج له اصحاب السنن الاربعة وقال ابو حاتم انه لا يحتج به عن ابن عباس وهو لم يسمع منه فالحديث منقطع تفرد بن الكلبي ايها الواقف على هذا الحديث ابو بكر البزار المذكور انه اي هذا الحديث لا يعرف روايته من طريق يجوز ذكره اي يحتج ويعتمد عليه سوى هذا الطريق الذي رواه شعبة منه بسند يعتمد عليه في الجملة وفيه اي حديث شعبة ايضا من الضعف ما بينه عليه البزار وغيره من انه لا يعرف من طريق غيره مع اختلاف كلماته واضطراب رواياته وانقطاع سنده او ارساله والاختلاف في مواطن قراءته وكيفيته اكان في الصلاة او في نادي قومه او في سنة او حدث به نفسه فسهى وذكره او قاله الشيطان على لسانه او اعلمهم به وانكار جبريل له عند عرضه عليه كما سيأتي ووقوع الشك فيه الذي اشار اليه بقوله الماء فيما احسب فاذكرناه فيما تقدم الذي لا يوثق به صفة الشك كقوله ولا حقيقته معا اي تحقق وتيقن مع ما فيه من تشكيكه في اصله كما اشار اليه البزار واما حديث الكلبي اي

روايته

روايته هذا الحديث وغيره فمما لا يجوز شرعا ولا يصح نقلا الرواية عنه ولا ذكره هذا بحسب الظاهر غير منتظم اذ الظاهر ان يقول اما حديثه فمما لا يجوز ذكره او الكلبي لا يجوز الرواية عنه فاما ان يكون هو ان ونشر تقديري واصله اما الكلبي وحديثه كقولهم راكب الناقة طليحان اي الناقة وراكبها او هو من قبيل قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن على قول الفرا واطلق ما فيه على من يعقل وكذا قوله لقوة ضعفه وكذبه اي كثرة كذبه وفي قوله لقوة ضعفه طباق بديع جدا كما اشار اليه البزار رحمه الله فانه وغيره من المحدثين قالوا انه كذاب وضاع لا يوثق به وان كان اماما في اللغة والتفسير وقد قال الجوزجاني وابن معين وغيرهما انه يضع الاحاديث وكذاب لا يحتج به وروى عن ابي صالح عن ابن عباس وابو صالح لم يرو عن ابن عباس وقال ابن حبان انه في الدين غير مبين وكذبه اظهر من ان يذكر ولم يسمع من ابي صالح ايضا هذا اي الامر هذا او هذا اهر ما قاله فهو خبر مبتدأ امتد راو مبتدأ لخبره ما بعده او منصوب بتقدير خذ هذا فاعلمه ونحوه واما كون ها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله وان جاز فيا باه رسمه متصلا بدون الف توهينه اي بيان وجه ضعفه من جهة طريق النقل ومنه الواهنة وهي ضرب بان يعرف بتالم منه فيرقى وقد قال الحافظ ابن حجر قول ابي بكر بن العربي ان طرق هذا الحديث كلها باطلة وقول عياض في الشفا انه لم يخرجه احد من اهل الصحة وليس له سند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وان من نقله من المفسرين وغيرهم لم يسنده احد منهم ولا رفعه لصاحبه لا وجه له فان له طرقا متعددة كثيرة متتابعة المخارج وكل ذلك يدل على ان له اصلا وقد ذكرنا له ثلاث اسانيد منها ما هو على شرط الصحيح وهي وان كانت مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل كمالك ومن لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض فتبين بهذا ان مبالغة المص في رد نقله غير مرضية والذي صح وثبت منه اي من هذا الحديث في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح البخاري على ما يأتي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وهو بمكة قبل الهجرة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس قال الكرماني هي اول سورة نزلت فيها سجدة وانما سجد المشركون لالهتهم معارضة للمسلمين او وقع ذلك منهم بلا قصد او خافوا من مخالفتهم في ذلك المجلس وقال ابن حجر فيه نظر لمخالفته لما قاله ابن مسعود من انهم اخذوا حصا وضعوه على جباههم ولان خوف المشركين لا يظهر له وصل الظاهر العكس ثم قال الكرماني ايضا ما قيل من ان سبب ذلك القاء الشيطان في اثنا قراءته صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم لا يتجه عقلا ولا نقلا واما سجود الجن المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فكانه استند فيه الى سماع منه صلى الله عليه وسلم لانه لم يحضر القصة لصغر سنه

ومثله لا يطلع عليه وكشف ذلك له بعيد والصحيح ان الشيطان القى
ما القاه في اسماع المشركين فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله مجاراة لهم
وارتضاها فسجد وامعه وهو لا ينافي عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يخفى ان هذا الحديث اخرجه الشيخان فني البخاري مسندا انه صلى الله عليه وسلم
قرا سورة النجم بمكة فسجد وسجد من معه غير شيخ اخذ حفنة او تراب وضعه
على جبهته فقتل كافرا وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس والشيخ الذي وضع
الحصا على جبهته امية بن خلف وفي سيرة بن اسحاق انه الوليد بن المغيرة وفيه
نظر لانه مات حتف انفه وقيل انه سعيد بن العاص وقال ابو حيان
النحوي انه ابو لهب ولم يسنده وفي مصنف بن ابي شيبة الا رجلين من
قريش وقيل انه المطلب بن المطلب بن ابي وداعة ولم يكن اسلم وما قاله
الطبري من ان اهل مكة لما اظهر النبي صلى الله عليه وسلم دينه اسلموا وكانوا
يسجدون وبعضهم لا يسجد من الزحام فلما سمع ذلك رؤسا قريش كالوليد وابي
جهل وغيرهما قالوا لهم اتتركون دين اباكم فارتدوا غريب هذا توهينه
مرجحة النقل فاما توهينه مرجحة المعنى فقد قامت الحجة اي الدليل الواضح
على ضعفه واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم وتنزاهه
عما لا يليق بحنابه عن مثل هذه الرذيلة اي الخصلة القبيحة الدنية من الرذالة
وهي الدناءة والتقول على الله بما لم يقله ولا شيء اعظم من الافتراء سيما على الله
عز وجل ونحوه ثم بين ما فيه من القبايح فقال اما من تمنيه بكسر الهمزة وتشديد
الميم ما يقل كما مر ان يتزل بالتخفيف والتشديد في الزاي المعجمة مثل هذا المذكور
من مدح الغرانيق بقوله تلك الغرانيق الخ وهو كفر لان الرضا بالكفر كفر ان يتسور اي
يتسلط عليه الشيطان واصل التسور التسلق والصعود من حائط السور
فكني به عن الترفع واريد به هنا التسلط كما علم ويشبه على القران اي يلبسه
ويخلط فيه ما ليس منه حتى يجعل ما ليس منه وهو الكلمات المذكورة ويعتقد النبي
صلى الله عليه وسلم ان القران ما اي شيء ليس منه ويستمر على اعتقاده حتى ينبهه اي يوقظه
من غفلته عما شبه عليه جبريل عليه الصلاة والسلام بقوله ليس هذا من الوحي
الذي اتيت به انك وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلاة والسلام لنزاهته عن
مثله وحفظ الله له او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل بكسر القاف
وفتح البا الموحدة اي من عند نفسه عمدا اي من غير القا الشيطان عليه وهو لا ينطق
عن الهوى او ذلك اي ما يقوله من عنده كفر لانه افترا عليه وتبديل لكلام الله بالزيادة
فيه او سهوا حفظه الله منه وهو معصوم عن هذا كله بالاجماع كما تقدم وقد قررنا فيما تقدم
بالبرهان والدليل القاطع الاجماع من امة الاجابة عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان
الكفر اي طريانه ووقوعه منه على قلبه باعتقاده او لسانه بالنطق به لا عمدا او سهوا

فضلا

فضلا عن استقراره فان الجريان عبارة عن صدوره منه من غير ثبات كانه ماء
جار فهو استعارة لما ذكر او ان يشبه اي يختلط ويلتبس عليه ما القاه الملك من
وحي الله اليه بما القاه الشيطان على لسانه محاكيا نطقه به او يكون للشيطان عليه سبيل
اي طريق يصل اليه منه مما حماه الله عنه او ان يتقول على الله اي يفتري عليه عمدا
ما لم يوحه اليه ويقول انه اوحي الي لا عمدا او سهوا تاكيد لما افاده ما قبله من نفي
التقول على الله ما لم ينزل عليه مفعول مطلق لقوله يتقول لانه لا ينصب المفردات
الا اذا اريد لفظها وليس بمعنى الظن لعدم ذكر مفعوليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية تقول تكلف من نفسه قولا لم يقله كتشجع اذا اظهر الشجاعة
وهو حيان فكني به عن الافترا والكذب والاقاويل جمع اقوال فهو جمع الجمع
او جمع اقوولة اقعولة وهو يستعمل للتحقير كالاضاحيك الاول هو الذي صرح به
سيبويه رحمه الله فمن اختار الثاني فقد رجح المرجوح وتناولها لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين اي لاسكناه واهلكناه كانفعل بمن افترى علينا والوتين
عرق في العنق اذا انقطع مات صاحبه وهو الوريد وقطعه عبارة عن الذبح
وفيه دليل على ان الكذب على الله كفر وانه لا يقول على الله ما لم يقله وقال تعالى لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية اي لو
قربت من الميل الى الكفرة وضعف صفة لمقدر اي لاوصلنا لك عذابا مضاعفا
في مماتك يعني به عذاب القبر وفي حياتك بعد البعث في الاخرة والاية دليل
على عدم تمنيه السابق وانه معصوم من مقاربة شيء من ذلك والاية نزلت في
ثقيف لما قالوا له صلى الله عليه وسلم لا نبايعك حتى تحصنا بخصال نفخر بها
على العرب لا نحشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وتضع عنا الربا وتمتعنا
باللات سنة وتحرم وادينا بمكة وتقول للعرب ان الله امرني بهذا فانزل
الله عليه هذه الاية ووجه ثان في توهين ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم
ذكر قوله تلك الغرانيق العلا الخ في اثنا قراة هذه السورة وهو اي الوجه الثاني
اي عدها من المحال عقلا او مما لا يستقيم لان اصل معناه لغة ما لا يستقيم
مما اعوج ومن لم يعرف اللغة يعترض على المتنبي قوله كانك مستقيم في محال
كامرد والمراد بالقصة صدور ما ذكر منه بتسليط الشيطان عليه نظرا اي من جهة
النظر والفكر الصادر عن عقل مستقيم في عصمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام
فيما طريقه البلاغ واستحالتها عرفا اي من جهة ما عرف من احواله واحوال
غيره من الانبيا اي امر استعار فا ومن فسر العرف بتاليف كلامه وتناسب الفاظه
فقد ارتكب شططا وكانه نظر لقوله عقبه وذلك ان هذا الكلام الذي تلاه
مع ما القي فيه من قوله تلك الغرانيق الخ لو كان كما روي لكان ما روي بعيد الالتيام
بهمزة بعد المثناة الفوقية وقد تبدل ياء تحتية والمراد به ان مناسبته لما وقع
فيه من كلام الله الذي هو في اعلا طبقات البلاغة في غاية البعد وهو مع كونه

وقع في كلام رب العزة متناقض الاقسام متنافر النظم لما فيه من التضاد من حيث انه
يصير ممتزج الدم لا لهم بجعلها عليه مزجوة الشفا بالدم لها الذي دل عليه
سياقه في قوله ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
وانها ليس لها عند الله شان ولا منزلة وهذا ابناقض علو منزلتها ورجا
شفاعتها ويصير الكلام القرآني بذكرها في اثنايه متخاذل التاليف اي متنافر
النظم غير متلايم فكان بعضه يخذل بعضا ويكسر عليه هدما ونقضا والنظم
معناه في الاصل ادخال الدرر ونحوها في سلك متناسب الوضع والمقدار فاستعير
لتاليف الكلمات متناسبة المعاني متناسقة الدلالات ثم صار حقيقة فيه
وغلب استعماله في التراكيب القرآنية حتى انصرف اليه عند الاطلاق ولما يكبر
اللام وتخفيف الميم وقيل انه بفتح اللام وما موصولة نال النبي صلى الله عليه وسلم والحضرة
معطوف على النبي من المسلمين بيان لمن الموصولة والحضرة مصدر بمعنى الحضور
مثلث الحا ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس فيقال الحضرة العالية وهو
اصطلاح اصحاب الترسل ويصح ارادة كل منهما هنا والاول اولى من صناديد
المشركين جمع صنديد وهو كصندد دبرنة زبرج السيد الشجاع والحليم والجواد
والشريف والمراد خواص رؤسايهم وكبرايهم ممن يخفى عليه ذلك لكونهم
بلغا اصحاب سليقة مستقيمة والسنة فصيحة بليغة وهذا المذكور
امر لا يخفى على ادنى متامل يتامل الفاظ القران التي هي في اعلا طبقات البلاغة
وما ادرج فيه مما بينه ويبايون بعيد فكيف بمن رجح حلمه بضم الحا المهملة
وسكون اللام بمعنى لبه وعقله ورجحانه زيادته وقوته وكيف مستعار
لاستبعاد خفا مثله على مثله كقوله كيف تكفرون بالله كما تقرر في كتب
العربية يقال حلم يحلم حلما وحلما واتسع اي عظم وكثر في باب البيان اي
في نوع المنطق الفصيح العرب عما في الضمير وفي معرفة فصيح الكلام علمه
لقوة فهمه وذكايه واستقامة سليقته مع فطرة وقادة وبصيرة نقادة
ووجه ثالث لبيان توهينه وضعفه انه الضمير ضمير شان قد علم مبناء
المجهول من عادة الناقمين الذين لم يظهر والكفر وبعاند المشركين اي المشركين
المعاندين فهو من اضافة الصفة للموصوف وضعفة القلوب بفتحات جمع
ضعيف اي الذين قلوبهم ضعيفة عن ادراك الحق لانهم بله لا اذعان لهم
والمراد بهم الكفار غير المعاندين ممن اشرك اتباعا لغيره او المراد بهم الجهلة
من المسلمين فهو عطف تفسير عليه نفوذهم نايب فاعل علا لاول وهلة اي عند
اول شيء يقع في اذانهم واذهانهم يقال لقيته لاول وهلة بوزن ضربة
ويجوز فتح هايه اي اول شيء كما في القاموس اي قبل التفكر والتامل فيما
قرع سمعه حتى يهتدي لانه ليس متسقا منتظما مع ما وقع في اثنايه من
نظم القران وتخليط العدو من الكفرة والمنافقين على النبي صلى الله عليه وسلم بادخالهم

في

في كلامه ما لم يقله لافتتنه يفتتن بها المسلمون لادخالهم الشبهة عليهم
في دينهم وتعييرهم بعين مهملة وتحتيتين اي الحاق ما هو عار عليهم باتباع المسلمين
الهوى ومدح الهة غير الله والشماتة بهم بضم الشين المعجمة وتشديد الميم جمع
شامت كجياد وكفار من الشماتة وهي فرح العدو بما يصيب عدوه من نوايب
الدهر وفي نسخة والشماتة بهم الفينة بعد الفينة بفتح الفا وسكون المثناة التحتية
ونون تليها هاء تانيث اي حينا بعد حين مما امتحنهم الله به من المصايب
تعظيما لاجرهم بما امتحنهم الله به من ذلك قال في القاموس الفينة الساعة
والحين وقد تحذف اللام فيقال لقيته فينة يعني انه استعمل علما وغير
علم كشعوب للمنية وارتداد من في قلبه مرض اي من ضعف ايمانه او من نافق
وسمع ما ذكر فيرجع عن الاسلام الى الكفر ممن اظهر الاسلام بلسانه ولم
يذق حلاوته فيرتد لادنى شبهة ترد عليه لضعف ايمانه وايقانه ولم
يجترا اي لم ينقل احد من المحدثين او احد ممن عاداه صلى الله عليه وسلم
في هذه القصة اي قصة تلك الغرانيق شيا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل رواية
ودراية لركاكتها وتناقضها كما تقدم ولو كان اي وقع وصح ذلك الذي ذكره
بعضهم لوجدت قريش اي كفارهم بها اي بسبب هذه القصة على المسلمين الصولة
اي الاستطالة والقهر وتسلقوا بذلك على ترويج امرهم وما هم عليه ولافاتت
اليهود عليهم الحجة اي على المسلمين بانه مدح الهتهم واغتر بانها وسيلة الى
الله كما قبلوا اي كفار قريش مكابرة وعنادا في قصة الاسرا حين قصها عليهم كما
تقدم حتى كانت في ذلك لبعض الضعفا اي من ضعف ايمانه لقرب عهده ردة
ورجوع عن الاسلام لانكار واستبعاده لها وكذلك اي مثل ما ذكر او مثل قصة
الاسرا ما ورد في قصة القضية بقاف وضاد معجمة وياء مشددة وهي مصدر
بمعنى القضا والتقاضي او اسم للواقعة التي وقع فيها القضا بينهم بما
وقع في صلح الحديبية لما راى صلى الله عليه وسلم انه دخل هو واصحابه مكة
فسار اليها ثم رجع الى المدينة في الواقعة التي قصها الله تعالى في قوله
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس كما تقدم وهذه القضية
مذكورة في الصحيحين وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صدوهم
عن دخول مكة وصالحهم صلى الله عليه وسلم على ان يرجع ويأتي من العام
القابل وكتب لهم بذلك كتابا شروطا فيها على المسلمين شطط حتى قال
عمر يا رسول الله الست رسول الله حقا قال بلى قال الست على الحق وهم
على الباطل قال بلى قال فلم نعط الدنية في ديننا وانما قاله ليقف
على الحكمة في ذلك لا لشك فيه كما توهم بعضهم والكلام عليه مفصل في السير
وشروح البخاري ولافتتنه اعظم من هذه البلية التي وقعت بسبب ما ذكر
لو وجدت اي لو وقعت وصحت لما يترتب على ذلك من صولة الكفرة وشماتتهم

وغيره مما مر انفا ولا تشغب بشين وغين معجمتين ومثناة تحتية وبا موحدة
من الشغب وهو تهييج الشر والفتنة للمعادي جميعه اشد من هذه الحادثة
المعلومة مما مر لو امكنه وقوعا فان قلت لم قال في الفتنة لو وجدت وفي
الحادثة لو امكنت وبمجرد الامكان لا يقتضي شرا وفتنة قلت الاول
ظاهر لترتب الفتنة على وجود ما ذكر واما الثاني فعبر بالامكان مبالغة
لان نفيه ابلغ من نفي الوجود لعلمه وقوعه محالا لما علم من الكلام في عصمته
من عدم تسلط الشيطان عليه فما روي عن معاند من الكفرة فيها كلمة تليق
ان يلقى اليها السمع ولا عن مسلم بسببها بنت شفة بنت الشفه هي الكلمة شبه
اخراجها من الشفه باخراج الولد من بطن امه ففيه استعارة مصرحة او
مكنية قول ما ذكر من انها لم تر ولم يتكلم بها احد على بطلها بضم البا
الموحدة وسكون الطا المهملة ولام مصدرا بمعنى البطلان كما في القاموس
واجتثاث اصلها بجيم ومثناة فوقية ومثلثتين بينهما الف مصدر بمعنى
قلعها من اصلها كما تقلع الشجرة بنزع عروقها لا استثناء ادخال بعض شياطين الجن
اشارة الى ما قدمناه هذا الحديث يعني ما قيل في اثنا تلاوة هذه السورة او
الحديث الذي يروي في ذلك على بعض مغفلي المحدثين الذين لا خبرة لهم بالرواية
ليلبس اي يوقع في لبس واشتباه على ضعفا المسلمين الذين لم يقفوا على ما يناسب
مقام النبوة وقدرها وقد قال القرافي في شرح الاربعين للامام الرازي ان
الجواب السديد فيه على تسليم صحته مع ان الله قد عصمه ان الله امره بترتيل
القران وكان يفعل ذلك فتمكن من ترصده من الشياطين في حال سكوته بين
الايات من دس ما اختلقه من هذه الكلمات محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم
وقد سجد من دنا من الكفار معه فظنوها من كلامه صلى الله عليه وسلم واشاعوها
فلم يتدرج ذلك عند المسلمين لحفظهم السورة على ما نزلت قبل ذلك ومعرفتهم
من حاله صلى الله عليه وسلم ما علم من ذم الاوثان واهانتها فحزن صلى الله عليه
وسلم من هذه الاشاعة والفاء السببية وهو معنى قوله تعالى وما ارسلنا الى قوله
الغى الشيطان في امنيته وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه
ويزيله وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما قرا السورة الى قوله افرايتم اللات
الى اخره خاف الكفار ان ياتي بشي من ذم الهتهم فشغبوا عليه على عادتهم
في قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه الخ وسبب هذا ان الشيطان حلم
عليه فاشاعوا ذلك ونسبوه له فحزن لذلك انتهى وسياتي تلخيص الجوابين
في كلام المص وقد قدمنا لك ان هذه القصة لها اصل ثابت في الجملة لكنها ليس
فيها ما ينقص مقامه صلى الله عليه وسلم فابطالها بالكلية كما قاله المص لا ينبغي
كما قاله ابن حجر وقد تقدم ما يغني عن اعادته هنا فتذكره ووجه رابع لتضعيف
ذلك ما ذكر الرواة لهذه القصة المذكورة التي عقد لها هذا الفصل ان فيها اي

بسببها

بسببها نزلت وان كادوا اي قربوا مما لم يقع ليفتنونك اي يوقعونك في الفتنة
ويصدونك عن الذي اوحينا اليك الايتين اي اذكر الايتين المتقدم بيانهما وهما
الايتان المذكورتان وفي نسخة وهاتان الايتان يرد ان الخبر الوارد لمنافاتهما
له الا انه قيل ان الايتين لم يتلا في هذه القصة وانما الذي نزل فيها قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الغى الشيطان في امنيته
وهاتان الايتان نزلتا في تغفيف كما تقدم ثم بين وجه منافاتهما له بقوله
لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري على الله بخلطه في القران ما لم يوح
اليه وانه اي الشان او الله لولا ان ثبته الله على الحق ببيان جبريل له لكاد يركن اي
قارب الميل اليهم بمدح الهتهم واتباع اهوائهم ولكنه لم يفعل شيا من ذلك
فضمن هذا اي ما تضمنه المذكور في الايتين ومفهومه الذي دل عليه وفهم منه
ان الله عصمه من ان يفتري عليه ما لم يقله لا ان يفعل ما اراد وه منه بان يبدل الوعد
وعيدا او عكسه كما قيل ويفيد حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف يركن اليهم
لكونا كثيرا وهذا تفسير لمعنى الايتين بنا على ما ادعاه من سبب النزول
وقد علمت انه لم يثبت نقله وقوله حتى لم يركن بيان لحاصل المعنى لان نفي
القرب من الركون يدل على نفيه بالطريق الاولى فلا يرد عليه ان المنصوص عليه
نفي القرب من الركون القليل لا نفس الركون كما زعمه المص لان الجواب لقد كدت
يعني انا ادركناك بعصمتنا عن الميل لهم ولما اراد وه بعد ما كادوا يخدعونك
بمكرهم وشدة تحيلهم وهم اي رواة الحديث مع ذكر الايتين يروون في اخبارهم الواهية
اي الشديدة الضعف انه صلى الله عليه وسلم زاد على الركون الذي هو مجرد
الميل بل القرب من الميل الذي هو ابلغ في نزاهته وعصمته والافترا اي الكذب
على الله بجعل ما ليس من الوحي منه مدح الهتهم يعني تلك الغرانيق العلى الخ
وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك حماه الله وانه قال عليه الصلاة والسلام
حين قال له جبريل ما جيتك بهذا حين عرض عليه السورة كما تقدم فقال في
جوابه له افتريت على الله وقلت ما لم يقل عطف تفسير وهذا الذي رووه في اخبارهم
الواهية عنه صلى الله عليه وسلم ضد مفهوم الاية التي ذكروا ان هذه
القصة سبب نزولها لان عدم ركونه اليهم قليلا ينافي تصريحه بمدح الهتهم
وهي اي الاية بصريح مفهومها تضعف الحديث اي تدل على شدة ضعفه لو صح
نقله وروايته فكيف والحال انه لا صحة له عند المص كما تقدم بيانه وما فيه فاذا
ورد في الحديث ما ينافي القران ولم يمكن تاويله ولا الجمع بينه وبينه حكم بضعفه
وقد علمت ان الحديث رواه مسلم وانهم اجابوا عنه كما بيناه وهذا المذكور
في هذه الاية مما دل عليه مفهومها مثل ما دل عليه قوله تعالى في الاية الاخرى وهي قوله
عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته بعصمته لك وصرفه عنك ما هموا به
من خداعك والمكر بك لهمت طائفة منهم ان يضلوك ويصرفوك عن الحق وطريق

العدل مع علمهم بانك ثابت على ذلك ولا يمكن زلة قدمك عنه بوجه من الوجوه
وقيل انها نزلت في بني ظفر وما يضلون الا انفسهم اي لا يتعدى ما اراده بك الاعداء
ولا يحيق المكر السيء الا باهله وما يضرونك من شيء وما يضرون الا انفسهم وتفصيل
معنى الاية مذكور في كتب التفاسير وانما المقصود بذكرها التنظير بها لما ذكر
قبلها ولنزول هذه الاية سبب ذكره الترمذي والمص استشهد بها استشهادا
معنويا لما هو بصدده وليس لنا حاجة بتفصيل ما ذكر وقد روي بالبنا للمجهول
والراوي له بن ابي حاتم وغيره من المحدثين عن ابن عباس انه قال كلما وقع في القران
من لفظ كاد وما تصرف منه من مضارع وغيره يدل على ان ما بعده لا يكون
وفي نسخة فهو ما لا يكون اي لا يقع ويوجد وانما يدل على انه قاربه ولم يقع
قال تعالى يكاد سنا برقه السنا بالقصر الضوء والنور وبالمد العلو والشرف
يذهب بالابصار اي يذهب بصر الناظر اليه ولا تذهب بالتا الفوقية والبنا
للفاعل وفاعله ضمير الابصار المستتر وجوز بناؤه للمجهول مع التحتية
ونايب فاعله ضمير السنا وفي نسخة ولم يذهبها وهما بمعنى والمقصود انها اشرفت
على الذهاب ولم تذهب وقال تعالى في امر الساعة ان الساعة اتية اكاد اخفيها
ان كان المراد باخفايها انه لا يقول انها اتية فهو كما قال ابن عباس وان كان
المراد انه لا يعين زمان وقوعها فكاد بمعناها المشهور وكلامه هنا مبني
على الاول واليه اشار بقوله ولم يفعل واشار المفسرون الى هذين المعنيين وخفا
الشيء ستره وعدم اظهاره ويقال خبيته واخبيته اذا ازلت خفاه ولا تنافي
بين المعنيين لان الله اخفاها على الناس واطلع عليها بعض خلص انبيايه وقال
التشريق الطائفي وقد قدمنا الكلام عليه ولقد طالبته قريش قومه اي سالته صلى الله عليه
وسلم وطلبت منه وسبب تسميتهم بذلك مشهور وقد قدمناه وطالبته ايضا
ثقيف قبيلة مشهورة بالطايف ان يمر صلى الله عليه وسلم بالهتهم اي انصابهم
واصنامهم التي كانوا يعبدونها ان يتبل بوجهه الشريف ويتوجه اليها وفي نسخة
عليها ووعدوه الايمان به ان فعل ما سالوه من الاقبال عليها معظما لها فما
فعل ذلك ولا كاد يفعل مع حرصه على ايمان العرب وطاعتهم فلم يكترث
صلى الله عليه وسلم ولم يلتفت لمقالتهم مع انهم من اشد الناس شكيمة وعصبية
وهذا امر متعلق بقوله لقد كدت تركن اليهم دال على ما قاله اولا وقال ابن الانباري
هو الامام في العربية وساير العلوم الادبية ابو بكر محمد بن قاسم بن محمد بن بشار
النحوي الحافظ المفسر المحدث نادرة الدهر وفريد العصر ولد سنة احدى
وتسعين ومايتين وتوفي ليلة عند النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثماية
وله تصانيف جليلة مفيدة مشهورة ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم اي اقترب
من شيء مما كان عليه الكفرة واهل الجاهلية ولا ركن اي ما مال الى شيء من اموالهم
وما كانوا عليه فضلا عن التلبس بها وما ذكره في كاد هو المشهور والتحقيق فيها

ماقاله

ماقاله الجرجاني في دلايل الاعجاز من ان نفيها يدل على نفي ما في حيزها على
ابلغ وجه لا نفي القرب من الشيء الدال على انتفايه لانه بطريق برهاني وقد
يكون لوقوع الشيء بعسرة نحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد ذكر بالبنا
للمجهول وفي نسخة ذكرت بتا التانيث في معنى الاية يعني قوله تعالى وان كادوا
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيا قليلا تفاسير اخر تركها لكونها غير مرضية عنده ما ذكرناه ما اسم موصول
مبتدا ابينه بقوله من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم
وخبره قوله رد سفسافها اي التفاسير الحقيرة الردية فيها واصل معنى السفساف
ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل وكل غبار رديء كالهبا سفساف ثم عبر به
عن كل حقير جدا فلذا قوبل في الحديث بمعالي الامور تارة وبمكارم الاخلاق
اخرى كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الامور ويبغض سفسافها
وفي حديث اخر ان الله يرضى لكم مكارم الاخلاق ويكره سفسافها فلم يبق في الاية
يعني قوله وان كادوا ليفتنونك الخ اي لم يبق فيها تفسير يرتضى الا ان الله
امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية اي من عليه وانعم عليه والمن
تعداد نعم سابقة وهو محمود من الله دون غيره ويكون بمعنى النعمة بنفسها
بعصمته اي حفظه عن ان يصدر منه امر لا يرضاه فضلا عما ذكر من مدح او ثنا منه
وتثبيته على ما هو عليه من ذم الهتهم وما هم عليه مما كاده به الكفار من خداعهم وطلبهم
منه صلى الله عليه وسلم موافقته لهم في بعض امورهم التي لا تليق به وراموا من
فتنته اي ايقاعه في بلية ومحنة واصل معناها الاختبار ثم عبر بها عما ذكر
واراد بما من ذلك الذي ذكرناه تنزيهه اي تبريئه وصيانته صلى الله عليه وسلم
واصل معنى النزاهة البعد اي بعده عما لا يليق بمقام النبوة وعصمته صلى
الله عليه وسلم وهو اي ما اراده مفهوم الاية لا ما ذكروه من سفساف التفاسير
واما الما اي محل الاخذ والطريق في بيان ما ذكرونا ويله وهو الوجه الثاني في الكلام
على مشكل هذا الحديث الذي فيه انه ذكر قوله تلك الغرانيق العلى الخ في اثنا قراة
سورة النجم كما تقدم فهو اي تاويله والجواب عنه مبني على تسليم رواية هذا
الحديث وصحة نقله من طريق يعتد بها وقد اعاذنا الله بعين مهملة وذال معجمة
اي حمانا وحفظنا من صحته اي وقوع اعتقاد ما في صحة وقوعه منا فضلا
عنه واصل معنا العوذ الالتجا والتعلق فاريد به ما يتسبب عنه لان من
التجا الى الله حماه وكفاه وحفظه مما لا يرضاه ولكن على تقدير صحته ذلك من
حال فقد اجاب عن ذلك المذكور من مدحه صلى الله عليه وسلم الهتهم ائمة المسلمين
بالهمزة والتاجع امام وعبر به دون العلما ونحوه اشارة الى ان مقتضى
الاسلام تنزيهه عن مثله باجوبة منها الغث بغين معجمة ومثلثة اي الضعيف
الركيك والسمين اي القوي المقبول واصل معنى الغث المهزول لمقابلته بالسمين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاستعير لما ذكر كما تقدم فمنها اي الاجوبة المذكورة ما روي قتادة مشهور
تقدمت ترجمته ومقاتل بن حيان الخراساني العابد المفسر الثقة روى عنه
اصحاب السنن وغيرهم وتوفي قبل خمسين ومائة ولهم مقاتل اخر وهو مقاتل
ابن سليمان وهو محدث مفسر الا انه اتهم بالكذب والظاهر انه الاول
انه صلى الله عليه وسلم اصابته اي عرضت له سنة وهي فتور مع اوايل النوم
قبل الاستغراق فيه المانع عن الحس والادراك وهي قريبة من النعاس
كما تقدم بيانه وليسا بمعنى وان قيل به في وقوله

وسنان يقصده النعاس فرفعت ۞ في عينه سنة وليس بنايم

لا دليل فيه عند قراءته هذه السورة يعني سورة النجم فجرى هذا الكلام اي
قوله تلك الغرانيق على لسانه ونطق به من غير قصد بل لحكم النوم وغلبته حتى يتكلم
بما لا يقصده وهذا المذكور لا يصح صدوره منه اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم ان يقع منه مثله في حالة من احواله لا في يقظة ولا في منام لانه صلى الله عليه وسلم
وان نامت عيناه لا ينام قلبه ولا يخلقه الله اي لا يوجد جريانه على لسانه
كما قاله بعضهم لحفظه له في سائر احواله ولا يستولي الشيطان اي يتسلط عليه لحفظ
الله له في نومه ولا يلطه بفتحات ثلاثة ضد النوم وتسكين قافه خطأ الا في ضرورة
الشعر كقول التهامي

فالعيش نوم والمنية يقظة ۞ والمرء بينهما خيال سار

لعصمته في هذا الباب الذي طريقه البلاغ عما اوحي اليه من جميع العمد بقصد القول
عليه ما لم يقله والسهو في شيء منه وفي قول الكلبي في الجواب عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
حدث نفسه اي فكر فيما ذكر وخطر بباله من غير نطق به فقال ذلك الشيطان على لسانه
اي نطق به محاكيا لصوته ونطقه به في اثناء قراءته وهو لا يدري فتوهموا انه
صلى الله عليه وسلم قاله وانه اوحي به اليه كما تقدم وكذا ما وقع في رواية ابن
شهاب الزهري وقد تقدمت ترجمته عن ابي بكر بن عبد الرحمن وفي نسخة ابو عبد
الرحمن وكلاهما صحيح وهو ابو بكر بن عبد الرحمن بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي
التابعي الامام احد الفقهاء السبعة على قول وهو من سادات قريش ويسمى الراهب
لزهده قيل اسمه ابو بكر وكنيته ابو عبد الرحمن وقال النووي محمد اسمه وكنيته
ابو عبد الرحمن والصحيح ان اسمه كنيته وتوفي سنة اربع وتسعين وقيل غير
ذلك قال اي ابن شهاب او ابو بكر وسها صلى الله عليه وسلم في نطقه بذلك
فلما اخبر بذلك اي عرف سهوه فيما نطق به قال انما ذلك الذي جرى
على لسانه او سمع من الشيطان وكل هذا المذكور من الاقوال آنفا لا يصح رواية ودراية
ان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا لحفظ الله له عن مثله
ولا يصح ايضا ان يتقوله بالتشديد اي يفتريه على لسانه اي ينطق به محاكيا لقوله
ونطقه فيلبس الوحي بغيره لمنع الله له عن تسلطه عليه بمثله فقوله على لسانه صريح

فيما

فيما اراده فما قيل ان فيه نظرا لانه لا مانع من ان يقول الشيطان
عليه مما لم يقله من غير ان يصدر عنه فكثيرا ما كذب عليه وهذا لا ينافي
عصمته صلى الله عليه وسلم غفلة عما عناه المص فلا وجه له وقيل في
الجواب عما ذكر لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله في اثناء تلاوته وقراءته لسورة
النجم فذكره في خلال اياته ولعل الترجي من عادة المصنف استعماله كناية
عن ضعف من معه واثناء جمع ثني بمعنى مثني اي ملفوف بعضه على
بعض فشبه ما هو فيه ببرد مطوي في داخله شيء اشتمل عليه على تقدير
التقرير اي حملهم على الاقرار والتوبيخ للكفار اي توبيخهم بعد اقرارهم
بعبادة الاصنام فوصفها بالعلو ورجاء شفاعتها على هذا تهكم واستهزاء
وقيل المراد حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما يليق بمن يضر
وينفع توبيخا وتبكيتا تنبيها على خطايهم ايذانا بانها لا تصلح ان تكون
الهة والتوبيخ على امر باطل وقع منهم فما قيل انه جرى ان يسمى انكارا بالتمني
تعنت لا داعي له ثم انه قال ليس في الكلام ما يفيد ذلك فلا بد من تقدير
اداة استفهام معه كقوله

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ۞ ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

او ذلك معلوم من المقام لان من ذكر امرا علم ان غيره يكرهه ويصرح بذمه واشتهر
منه ذلك فاذا مدحه بما مدحه به اعداؤه علم انه تهكم واستهزاء وادخال العنان
الخصم حتى يقع في هوة الضلال ولك ان تقول انه عند هذا القائل مفهوم من قوله
افرايتم وان ما ذكر مقدر مفعول ثان لرايت وهو محط الاستفهام وهو وان
كان غير مستقيم لكن هذا انما يريد توهينه فتدبر كقول ابراهيم الخليل صلى
الله عليه وسلم هذا ربي للكواكب التي كان يعبدها قومه فوصفها بالربوبية
انما هو توبيخ لهم لانه بريء من مثله كما لا يخفى على احد التاويلات التي ذكرها
المفسرون فهو على هذا مقدر معه اداة استفهام كالاية التي قبله وفيه
اقوال اخر مذكورة في التفاسير لا حاجة للتطويل بذكرها وقوله اي الخليل عليه
الصلاة والسلام في حق الاصنام بل فعله كبيرهم هذا والضمير للاصنام
وكانوا يجتمعون في عيد لهم ثم يرجعون للسجود لها فتخلف عنهم ودخل فكسرها
الا صنما هو اكبرها فلما راوه قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
فقال بل فعله كبيرهم هذا كما قصه الله عنه في هذه الاية وحاصله انه
من معاريض الكلام الذي قصد به اقامة الحجة عليهم وان ما عبدوه لا يصلح
للعبادة بعد الكلام اي الوقعة الخفيفة بين ايات سورة النجم والحاصل انه لما
فرغ صلى الله عليه وسلم من ذم الاصنام بما اوحي اليه سكت وذكر كلاما وتخيلهم به
كما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام والتوبيخ لهم بذم الهتهم وبعد بيان الفصل
بين الكلامين اي كلام الله في ذم الاصنام وكلامه الذي وتخيلهم به قرينة تدل على المراد

وانه اي ما ذكره توبيخا وتعزيرا ليس من كلام الله المتلو لفصله بينه وبينه
بالسكت وهو اي ما قيل انه قاله في اثنا قراءته لما ذكر من التوبيخ والتعزير احد
ما اي الاقوال ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني او ابن العربي وهما لكبار تقدم
ذكرهما وبيانهما ولا يعترض على هذا القول الذي قاله القاضي بما روي بالبنا
للمجهول فيهما انه صلى الله عليه وسلم اوهذا الكلام كان في الصلاة وهو كلام
ليس بقران ولا ذكر فيبطلها فقد كان في صدر الاسلام وقبل الهجرة الكلام في
الصلاة قيل مبني على الضم اي قبل النهي عنه غير ممنوع في الشرع وغير مبطل للصلاة
وكان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين
والذي يظهر ويترجح في تاويله اي تاويل هذا الحديث وهذا ما اختاره القرافي كما
نقلناه اولا عنه اي عند القاضي ابي بكر وعند غيره من المحققين اي اهل الكلام
والتفسير والحديث على فرض تسليمه اي تسليم وقوعه منه صلى الله عليه وسلم
وانه نطق بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا
لقوله تعالى ورتل القران ترتيلا والترتيل القراءة بتؤدة من غير استعجال
وهو في الاصل مستعار من قولهم ثغر مرتل اي مفلج كالاقحوان واوراقه ومن
لطايف بعض المتاخرين

افدي الذي جبينه وشعره ... طرة صبح تحت اذيال الدجا
ما لي به مع قرب داري مسكني ... فهل رايت ثغره المفلجا

وبفصل الايي جمع اية بالمد فيهما تفصيلا بفصل بعضها بعضا في قراءته وفي نسخة
في تلاوته مع سكت خفيف بينهما كما رواه الثقات عنه كما قالت عايشة
رضي الله عنها وقد سئلت عن قراءته لو اراد سامع ان يعد حروفه عدها
لتانيه فيها وتجويد حروفها وبيان حركاتها ومدها فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات بالنون او التا المثناة الفوقية وترصده ترقبه وانتظاره
اي يترقب وقفه وسكتته بين الايات في ترتيله القراءة ودسه بمهملتين مصدر
معطوف على ترصد اي ادخاله فيما بين سكتاته خفية يقال دسه دسا اذا
ادخله قال الراغب الدس ادخال الشي في الشي بضرب من الاكراه واصل الدس
الاخفا ومنه العرق دساس فيها اي في القراءة ما اختلقه اي كذبه وافتراه
وما موصولة بمفعول دسه من تلك الكلمات بيان لما محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم في القاموس النغم محركة وتسكن الكلام الخفي والواحدة بها وتغم
في الغنا كضرب ونصر وسمع انتهى فالنغمة هنا بمعنى الكلام الخفي وتكون
بمعنى الغنا وليس بمرادهنا وهو المعروف عرفا كقوله الشرب بغير نغم
وبغير دسم سم والظاهر انه اريد به هنا الصوت مطلقا بحيث يسمعه اي
بمكان قريب منه صلى الله عليه وسلم فيسمعه من دنا اي قرب اليه من الكفار الحاضرين
عنده يسمعون تلاوته صلى الله عليه وسلم لسورة النجم فظنوها اي ظنوا تلك الكلمات

التي

التي قالها الشيطان ودسها في تلاوته محاكيا لصوته وهو لا يرى من قوله
صلى الله عليه وسلم اي مما تلاه من القران وجعلها قوله لنطقه بها اوهنا على
اعتقادهم الفاسد واشاعوها اي اظهروها وقالوا انه مدح الهتنا ووافق
طريقتنا ولم يقدح ذلك اي ما دسه الشيطان واشاعوا انه صلى الله عليه وسلم
قاله عند المسلمين فلم يغير اعتقادهم ولم يلتبس عليهم القران بغيره مما
ادخل فيه لحفظ المسلمين السورة اي سورة النجم فالمصدر مضاف لمفعوله
قبل ذلك اي قبل اختلاق الشيطان ودسه فيها ما دسه على ما انزل الله متعلق
بحفظ فعلموا ان ما اشاعوه ليس من الوحي في شي مع عدم مناسبته له
لفظا ومعنى تحققهم اي المسلمين من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها على ما عرف منه صلى الله عليه وسلم او من حاله لانه يذكر ويونث وهذا بيان
للقرينة القايمة على انه ليس من قوله ولا مما اوحي اليه فاندفع ما قيل من
انه ليس سبيل حتى يتمكن ان يدخل في كلامه وما تلاه ما ليس منه وقد بينا
لك انه اختاره القرافي لصحة الرواية عنده وقد حكى اي روى موسى ابن
عقبة كذا في جل النسخ وفي بعضها محمد بن عقبة في مغازيه اي في كتابه الذي
الفه في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم فالاضافة لما بينها من الملابسة
وربحوا النسخة الاولى وصححوها في الحواشي وضربوا على النسخة الثانية
وقال الحافظ الحلبي انه مما لا شك فيه وهو موسى بن عقبة بن ابي عياش مولى
ال الزبير وقيل مولى ام خالد روى عنه خلق كثير وهو ثبت ثقة توفي
سنة احدى او اثنتين واربعين ومايه واخرج له الستة ومغازيه من
اصح المغازي كما قاله الامام مالك ومحمد بن عقبة اخو موسى ولعقبة
اولاد كلهم فقها محدثون لكل واحد منهم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتراجمهم مشهورة نحوه وفي نسخة نحو هذا اي نحو ما نقله عن المحققين
مما هو بمعناه وفيه تلميح اليه لنقله عن المحققين وكثرة من تابعه عليه وان
قيل انه لم يرض وقال اي موسى بن عقبة ان المسلمين لم يسمعوها اي مقالة الشيطان
التي دسها واما القى الشيطان ذلك القول الذي شاع في اسماع المشركين ليل
انهم هم الذين اشاعوه ولم يشع عن غيرهم حتى خفي على كثير منهم وانكروه ولا
مانع من ذلك فما قيل من انها دعوى بلا دليل اذ لا قدرة للشيطان لعنه
الله على القايه للمشركين فقط وهم مختلطون معهم في محل واحد غير مسلم
وفي ملايهم وهو كما قاله الراغب جماعة مجتمعون على رايي فيملاون العيون
رواء والقلوب جلالة وبهاء ومنه قيل فلان ملا العيون وقلوبهم بان
يفقهوه ويقبلوه ويكون ما روي اي رواية ما نقل من حزن النبي صلى الله عليه
وسلم بيان لما اسم كان وقوله لهذه الاشاعة ومن اجل الشبهة الحاصلة
من تلك ومن سبب هذه الفتنة الحادثة من شيوع ما هو بري منه وهذا جواب عن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سؤال مقدر تقديره اذا كان المسلمون لم يسمعوا هذه المقالة فلم حزن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس الجواب عن هذه الشبهة ان الشيطان القاه لهذه
المقالة ولا انه سمعها منهم فعلقت بذهنه ثم سها صلى الله عليه وسلم فقالها
كما توهم اذ لا مناسبة لهكذا هنا وقد قال الله تعالى في هذه القصة وهذا
من تتمة الكلام عليها وليس متعلقا بما قبله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الفرق
بين الرسول والنبي مشهور والكلام عليهما اشهر من ان يذكر والثاني اعم لانه
كل من اوحي اليه والرسول اوحي اليه وامر بالتبليغ وقيل غير ذلك وقوله
الاية اي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم
الله اياته والله عليم حكيم ثم اشار الى تفسير هذه الاية فقال فمعنى تمنى تلى لان
اصل معناه تفعل من المنا بمعنى القدر ومنه المريك نطفة من مني تمنى
اي تقدر ومنه المنية ويراد به تقدير شيء في النفس وتصويره ولكون النفس
تتصور امورا لا حقيقة لها سمي به الكذب كقوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني
اي كذبا كما قاله مجاهد وقال غيره تلاوة بلا معرفة المعنى فاجراه مجرى التمني
لما لا وجود له لان التمني كذلك في الاكثر ثم استعمل مطلق التلاوة واليه اشار بقوله
فمعنى تمنى تلى كما قال الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة ... تمنى داود الزبور على رسل

وقال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقد عرفت وجهه والمراد بالكتاب
التوراة والاستثناء منقطع لان التلاوة ليست من العلم وقيل انه مصدر بمعنى
الكتابة لقوله ومنهم اميون وهي في حق اليهود وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان
اي يذهبه لان النسخ لغة كما قاله الراغب ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس
الظل وما يلقيه الشيطان على هذا ما يدسه كما تقدم ويزيل اللبس الحاصل
به وبسببه ويحكم الله اياته اي يتقنها حتى لا تشتبه بغيرها وقيل معنى هذه
الاية اي قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اذا قرأ فينبهه كذلك السهو الصادر عنه بمقتضى البشرية بادبه بتنبيه
ويرجع عنه اي عما تركه سهوا وهذا المذكور هنا هو قول الكلبي في الاية اي اية سورة
النجم كما نقله عنه او امن اذا حدث نفسه بان خطر بباله قولهم تلك الغرانيق العلا
وقال الكلبي ايضا معنى اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن
الذي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما ذكر مما هو بمعناه وهذا المذكور
كاينا في القراءة انما يصح وقوعه منه فيما لبس طريقه الواقع عليها والاتي فيها
تغيير المعاني فلا يقع ما يغير معاني الوحي ويخالفها وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها
وزيادة ما ليس من القرآن فيه بل الجائز عليه السهو الناشي عن اسقاط اية منه او اسقاط كلمة
منه ولكنه صلى الله عليه وسلم اذا سهى لا يقرر بالبنا للمفعول او الفاعل على ذلك
السهو بل ينبه عليه ويذكره للخبر اي يبادر به في وقت سهوه لا يقاظه لسهوه من

غير

غير امهال له فتعريف حين للحضور واللام بمعنى في وقيل بمعنى وقت كقوله
فطلقوهن لعدتهن وهذا مبني على ما ستذكره منفصلا في حكم ما يجوز عليه من السهو وما
لا يجوز وما يظهر في تاويله اي تاويل ما ذكر في سورة النجم وما دس فيها ايضا كما ظهر في
بعض التاويلات السابقة المتبادرة الى الافهام ان مجاهدا رحمه الله تعالى روى
هذه القصة اي قصة سورة النجم السابقة والغرانقة العلا بالعطف على اللات والعزى
ومنات الثالثة الاخرى وحينئذ فلا اشكال يرد على ما تقدم فان سلمنا وقوع
هذه القصة وصحة روايتها قلنا على هذا التقدير لا يبعد ان هذا المذكور في
هذه الرواية وهو قوله والغرانقة العلا كان قرآنا نزل عليه صلى الله عليه
وسلم ثم نسخت تلاوته والمراد على هذه الرواية على تقدير انها قراءة منسوخة
بالغرانقة العلا والمراد بان شفاعتهن لترتجى اشارة الى انه على هذه القراءة بفتح همزة
ان من قوله وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية التي فيها الواو
العاطفة وهي جمع غرنوق كزنبور وقنديل وقرطاس وقرت بالاصنام
ايضا وهي في الاصل طير من طيور الماء والشاب الجميل فاستعيرت لما ذكر
واستعارة الطير للملك اظهر وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة انها
بالفتح بدل من هذا وذلك يعني ان الباعث على تفسيرها بما ذكر ان الكفار
اي عبدة الاصنام من قريش وغيرهم كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات
الله سبحانه اي تنزيها له عز وجل عما قالوه بجهلهم كما حكى الله عنهم ذلك في القرآن
في ايات كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وقوله
اصطفى البنات على البنين وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
الاية فجعلوها احتجابها مخدرات وهو في الملائكة مشهور واما في الاصنام
فبنا على ما نقله الحلبي في تفسير قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
اي مشركو العرب زعمت في اللات والعزى ومنات انها بنات الله تعرضهم
له لما كانوا يسمعون تكلمها وانما كان يكلمهم شيطان الجن من اجوافها ورد
الله عليهم ما قالوه في هذه السورة يعني سورة النجم بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى اي
اختار لكم الذكور دون الاناث لانهم كانوا يقتلونها وهي المودة واعتقدوا
ان له بنات لم يرتضوها لانفسهم وهي الملائكة والاصنام كما مر ولذا قال
تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة فانكر الله كل هذا الذي ادعوه من قولهم
اشارة الى ان الاستفهام فيه انكاري تكذيبا لهم فيما قالوا ايحسبها لهم ما كادت
تحرله الجبال هذا فالاستفهام منصب على الجميع وبهذا يرتفع الاشكال على
هذه القراءة وبحا الشفاعة في قوله وان شفاعتهن لترتجى صحيح على هذه القراءة
ولا حاجة لهذا فانه منكر لا يصيب الاستفهام الانكاري عليه كما قررناه لك
بنا على فتح همزة ان فيه ولذا قيل هذا التاويل وان كان صحيحا في نفسه
مباين للمقام ناي عن سياق الكلام فتدبر فلما تاوله اي تاول هذا الكلام

بصرفه عن ظاهره المشركون حسب اغراضهم الفاسدة على ان المراد بهذا الذكر اي
المذكور وهو قوله تلك الغرانيق العلا الخ الصنم اي اصنامهم التي عبدوها
وليس الشيطان عليهم ذلك بوسوسته لهم وتزيينه لافكارهم وزينه في قلوبهم بتحسينه
وتزويره والقاه اليها اي القى ذلك المعنى الذي فهموه لما سمعوه منه صلى الله عليه
وسلم حقيقة على هذا الوجه الذي استظهره نسخ الله من كلامه ما تلى كما تقدم
وقوله ما القاه الشيطان المراد به اللفظ او لوجه بما القاه الشيطان في قلوبهم
حتى يلتبس هذا بما قاله اولا واحكم اياته الباقية بعد ما نسخه منها ورفع تلاوة
تلك الغرانيق اي الجملتين يعني قوله تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى
وقوله تلك بالافراد لحملهم كشيء واحد فلا وجه لما قيل صوابه تينك اللتين وجد
الشيطان بهما سبيلا للالتباس اي طريقا للتلبيس عليهم بهما اذ اتيا
في هذه السورة ووقع في بعض النسخ التي وجد الشيطان بها بالافراد فيهما
والصواب ما ذكر كما نسخ بالبناء للمعلوم او المجهول كثيرا بجر رفعه ونصبه
وكذا قوله ورفع تلاوته مع بقاء حكمه او بدونه وكان في انزال الله لذلك الذي
نسخه بعد ذلك حكمة هي كما يعلم مما بعده تبيين من ضل ممن اهتدى وفي نسخه
برفع تلاوته حكمة من خير او شر ثم بين تلك الحكمة بنص القرآن في قوله تعالى
ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن طاعته
بارتكاب المعاصي وفي قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي بمنزلة الاختبار
لاظهاره للناس ما خفي عليهم فكانه اختبار للذين في قلوبهم مرض اي شك او
نفاق فاستعار لذلك اسم المرض والقاسية قلوبهم من المشركين الذين لم يدخل
الايمان في قلوبهم لشدة قسوتها فشبه قلوبهم بالحجارة الصلبة التي لا تغير
عما هي عليه ولا تلين لقبول الحق وان الظالمين اي الكافرين وان الشرك لظلم عظيم
واقام الظاهر مقام الضمير تسجيلا عليهم بظلمهم وكفرهم لفي شقاق اي عداوة
ومباينة للمؤمنين فهم في شق وهم في شق بعيد عن الحق وقبوله وليعلم الذين
اوتوا العلم اي الذين اتاهم الله العلم من المؤمنين انه ما انزله الله ثم نسخه وازاله
لحكمة وليس رجوع الضمير لتمكين الشيطان من الالقاء ثم ازالته بمناسب هنا
الحق من ربك لعدم اشتباهه عليهم وتمكن الشيطان بتلبيسه عليهم فيؤمنوا به اي
يصدقوا ويذعنوا لما انزل وان نسخ فتخبت له قلوبهم اي تنقاد وتخضع
مطمئنة من غير شك وتزلزل واصل معنى الخبت ما اطمأن من الارض وهو
السهل ضد الحزن فاستعير لما ذكر من الانقياد بخضوع وخشوع الاية اي وان
الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم ثم ذكر وجها اخر في هذه القصة
اشار الى ضعفه بقوله وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة اي شرع
في قراءة سورة النجم وبلغ اي وصل في حال قراءته ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى وصفها بالثالثة والاخرى للتاكيد كطائر يطير بجناحيه او الاخرى للتاخر

في الرتبة والاحسن ما قيل ان اللات والعزى كثيرا ما يذكرونهما معا
اذا حلفوا فيقولون واللات والعزى فوصف مناة بالثالثة ليعلم ان مناة
ثانية وليست واحدة والكد ذلك بالاخرى اشارة لتاخر رتبتها ومغايرة ما قبلها
فهي تانيث اخر افعل تفضيل فتامل خاف الكفار لما سمعوا ذكرها منه صلى
الله عليه وسلم ان يأتي بشيء من ذمها وتنقيصها كما كان هو عادته اذا ذكرها
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين اي تلك الغرانيق الى ان خلط في تلاوته ذكرها
بمدحها الصادر منهم ويشغبوا عليه بشين وغين مشددة معجمتين من الشغب
بالفتح ويجوز تسكينه وهو تهييج الشر مع الصياح به وفي نسخة ويشنعوا
بنون وعين مهملة من الشناعة على عادتهم اذا حضروا قراءته صلى الله عليه وسلم
انهم يرفعون اصواتهم عنده حتى يلهوه قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرأه والغوا
فيه اي اظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطا وتشويشا عليه بما يشغل الخواطر
عنه لعلكم تغلبون باصواتكم لغوكم على قراءته من قولهم هذا غالب على هذا اذا
كان زائدا عليه فكانوا يصوتون بذلك من يحضره منهم كما قال ابو جهل
لعنه الله اذا قرأ محمد فصيحوا حتى لا يدري ما يقول وقيل كان ذلك بالصياح
والتصفيق وانهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم عن معارضته ونسب هذا
الفعل اي الالقاء للشيطان في قوله ما يلقي الشيطان بطريق المجاز المرسل والنسبة
للسبب ما للمسبب لحمله لهم عليه اي لان الشيطان هو الذي تسبب فيه
حتى فعلوه وهو الباعث عليه والحمل حقيقته جعل شيء فوق شيء ثم تجوز
به عما ذكر وصار حقيقة عرفية فيه واشاعوا ذلك المذكور اذاعوه في الكفرة
والاشاعة والاذاعة بمعجمتين بمعنى وهو جعله مشهورا منتشرا
وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله بفتح همزة ان لعطفه على المفعول فهو قاله
على هذا الوجه وعلى غيره هو افتراء عليه وبهتان منهم كما يعلم مما تقدم
فحزن لذلك صلى الله عليه وسلم وهو جواب عن سؤال تقديره اذا لم يصدر
عنه ذلك او صدر بمعنى اخر فلم حزن صلى الله عليه وسلم وقوله من كذبهم
وافترائهم عليه بيان لذلك لتعصبهم لاصنامهم اذ اضلتهم فسلاه الله تعالى بالتسلية
اذهاب الحزن بوجه ما اي ازال غمه بما ذكر بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الاية
يعني من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الخ اي انما وقع
لك في هذه القصة سبق مثله لمن قبلك من الرسل فاصبر كما صبروا ولا تحزن
وقد تقدم في تفسير هذه الاية ما يغني عن اعادته ويبين الله تعالى في كتابه
للناس الحق من ذلك اي من الوحي الذي انزل على لسانه من الباطل الذي القاه الشيطان
فيما تلاه ومن الثانية متعلقة بقوله يبين والاولى ظرف مستقر فلا يرد عليه
ان الفعل لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد وحفظ الله عز وجل القرآن من
التبديل والتغيير بزيادة او نقص واحكم الله اياته اي اتقنها فلا ياتي الباطل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من بين يديها ولا من خلفها ودفع ما ليس به العدو من الكفرة والشياطين
كما ضمنه بفتح الميم المشددة وتخفيفها مكسورة فتقديره على الاول اندضمن
القران اي جعل في ضمنه ما فهم من قوله تعالى الخ وعلى الثاني انه تعهد بحفظه
اذ قال انا نحن نزلنا الذكر اي القران لانه من اسمايه وانا له لحافظون من التبديل وان
يزاد فيه او ينقص فلم يكل ذلك الى غيره حيث اسنده الى نفسه بضمير العظمة
بخلاف غيره من كتب الانبيا اذ فوض حفظها لاحبارهم كما قال بما استحفظوا
من كتاب الله ولذا وقع التحريف والتغيير حكمة بالغة واتي في ذلك بتاكيدات
وقدم معمول حافظون للحصر ومن ذلك اي من جملة اسيلة الظاعنين على الرسل ان اولا وكرر
ما وقع فيما روي من قصة يونس نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يونس بن متى
وقد اختلف في متى هل هو اسم امه او اسم ابيه فقيل انه اسم امه وانه لم
ينسب احد الى امه غير يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام ورد بما في صحيح
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي
لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه لابيه فانه يقتضي ان متى اسم
ابيه خلافا لمن قال انه اسم امه وهو مروي عن وهب بن منبه وذكره الطبري
وابن الاثير في الكامل واول قول ابن عباس انه كان في روايته يونس ابن
فلان فمراده ان الراوي كنى عن اسم ابيه بفلان ولم يصرح به وهو السبب
في نسبته لامه وقد قيل ان الصحيح الاول وان ما ذكر من التاويل بعيد
وكان من اهل قرية بالموصل تسمى نينوى كان يتعبد في جبل عندها ثم
بعثه الله بالتوحيد لقوم يعبدون الاصنام وكان فيه حدة فلم يصبر
على الناس فتركهم ولحق بالجبل وكذا قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وكان
كداود في حسن الصوت اذا قرا وقفت عنده الوحوش تسمع قراته وتقدمت
ترجمته بابسط من هذا اذ وعد قومه بالعذاب تخبر الهم به عن ربه بمجي العذاب لهم
فلما تابوا ورجعوا عما كانوا عليه وكانت توبتهم في يوم عاشوراء او يوم جمعة
كشف بالبنا للمجهول اي كشف الله عنهم ما وعدوا به فقال يونس عليه الصلاة
والسلام لما راى تخلف الوعيد لا ارجع اليهم اي الى قومه حال كونه كذابا بعد قدهم
مغاضبا مفاعلة من الغضب وهو ثوران دم القلب لارادة الانتقام والمفاعلة
ظاهرة ان اريد انه مغاضب لقومه وان اريد انه غضب لاجل ربه فهو
مثل يخادعون الله وكان اقام في قومه ثلاثين سنة يدعوهم للايمان
فلم يؤمن منهم الا رجل فدعا عليهم فقيل له ما اسرع ما فعلت ارجع اليهم
وادعهم اربعين ليلة فان لم يجيبوا حل بهم العذاب فدعا سبعا وثلاثين
وقام فيهم خطيبا وقال ان لم ترجعوا الى ثلاثة ايام حل بكم العذاب وعلامته
تغير الوانكم فلما راوا التغير وعلم يونس بالعذاب خرج من بينهم وطلبوه
فلم يجدوه والهمهم الله التوبة فخرجوا للصحرا باهليهم واولادهم ودوابهم

وضجوا

وضجوا الى الله تعالى وقالوا امنا بيونس فقبل الله توبتهم وكشف عنهم العذاب
بعد ما عاينوه في سحابة على رؤسهم كما قال تعالى الا قوم يونس الاية والى
ذلك اشار بقوله فاعلم اكرمك الله بما علمك من براه ساحة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام مما توهمه الطاعنون فيهم بمثل هذا السوال بانه كيف اخبر وهو
نبي معصوم بما لم يقع واعترف به انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في كتاب
ولا في سنة صحيحة في هذا الباب المتعلق بقصص الانبيا وقصة يونس عليه وعليهم
الصلاة والسلام اذ يونس قال لهم مخبرا عن ربه ان الله مهلككم حتى يتاتي ان يقال انه
صدر منه الكذب وانما الذي ورد فيه من الاخبار الصحيحة انه دعا عليهم بالهلاك اي بان
الله يهلكهم لعدم اطاعتهم له والدعا ليس بخبر اي كلام خبري بل انشا وطلب
من الله يعلم صدقه من كذبه اي يحتمل الصدق والكذب والضمير ان للحجة لا ليونس
كما قيل قيل ولو كان خبرا ايضا لم يكن كذبا كما توهم السايلون لانه على تقدير شرط
هو ان لم تؤمنوا كما يعلم من قوله الا قوم يونس لما امنوا الاية ولا ينافيه قوله لا ارجع
اليهم كذابا ابدا العدم محنه عند المص كما تقدم ويا تي او وصفه بالكذب للتضمن
كلامه خبرا يحتمل الصدق والكذب وهو ان من لم يجب دعوة الرسل يحل به العذاب
لكنه اي الشان او يونس عليه الصلاة والسلام قال لهم اي لقومه لما وعظهم
ان العذاب يصبحكم اي ياتيكم في وقت الصباح وقت كذا وكذا اي عند تمام المدة التي بينها
لهم كما تقدم فكان ذلك اي وقع وتحقق مجيئه لهم في الوقت المعين فانهم لما راوا
سحابة دنت منهم تحوميل فيها عذاب ودخان اسود فاخلصوا التوبة وامنوا
ولبسوا المسوح وتضرعوا الى الله فقبل توبتهم ثم رفع عنهم العذاب الذي تيقنوه
حتى كانه نزل بهم وتدارك لهم اي انعم عليهم بالخلاص مما خافوه والتدارك بمعنى
الاعانة والنعمة كما قاله الراغب اي تداركهم الله برحمته لما تابوا ومتعهم
بالحياة الى حين كما قال تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين والاستثنا منقطع من قوله فلولا كانت قرية امنت
فنفعها ايمانها الخ اذ المعنى لولا كانت قرية من القرى التي اهلكناها امنت
الا قوم يونس ويحتمل الاتصال لانه في معنى ما يخص قرية اي اهلها الذين
عاينوا العذاب الا هؤلا كما تقرر في التفاسير وفي كلامه خلل لا يخفى فان
محصله جوابان احدهما المنع وانه ليس بخبر وارد والثاني انه خبر عن وقوع
العذاب وقد وقع لانهم عاينوه لكن الله رفعه عنهم والاستدراك ليس
في محله لبنائه على ما قبله ومقصوده هذا لكنه تسمح في العبارة وايضا العذاب
لم يحل بهم ولكنه لما عاينته كما تقدم جعل كانه وقع ولذا عبر بالرفع دون الدفع
وهو من خصايص قوم يونس لانه ايمان ياس وهو لا يقبل وروي في الاخبار انهم
اي بعد ان امهلهم اربعين ليلة فلما مضت سبعة وثلاثون كامر راوا
بكرة العذاب في سحابة دنت منهم كما تقدم ومخايله بالخا المعجمة اي علاماته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جمع مخيلة وهي المظنة من خاله بمعنى ظنه وهي في الاصل موضع التخيل ثم
استعير للامارات كقولهم الولد مبخلة ومجبنة قاله ابن مسعود رضي الله عنه
رواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن ابي حاتم موقوفا وقال سعيد بن جبير
غشاهم العذاب كما يغشى الثوب يعني ان السحابة قربت منهم فكانت عليهم كثوب
يغطى به قبر وفي التعبير بالقبر اشارة الى انهم كالاموات ولذا اعيد في
الاية بالكشف وفي نسخة كما يغشي النوء القمر والنوء بواو ساكنة وهمزة
او بواو مشددة بمعنى النجم الطالع او الساقط واراد به هنا السحاب
لانه لا يخلو من سحاب ومطر معه وانواء العرب مشهورة والقمر معروف
ثم اورد شيئا مما يتعلق بالاسئلة والمطاعن فقال فان قلت ايها السايل عما
يوهم ما لا يليق بمقام النبوة فاسمعني ما روي رواه ابن جرير عن عكرمة مولى ابن
عباس رضي الله عنهما من ان عبد الله بن ابي سرح بفتح السين وسكون الراء وبالحاء
المهملات وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح بن الحارث العامري القرشي العمري
كاتب النبي صلى الله عليه وسلم اسلم قبل الفتح وهاجر ثم ارتد واسلم بعد ذلك
وحسن اسلامه كما تقدم وولي في خلافة عثمان فلما قتل اعتزل الناس والتزم
العبادة ودعا الله ان يتوفاه بعد الصلاة فمات بعد تسليمه من صلاة الصبح
كما ذكره السهيلي واشار الى ما ذكر بقوله وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ينزل عليه من الوحي ثم ارتد مشركا اي عاد لما كان عليه من الشرك وصار الى قريش اي
رجع اليهم بمكة ولحق بهم ووافقهم على شركهم وقال لهم بعد عوده لهم اني كنت وانا
اكتب الوحي اصرف محمدا من التصريف وهو التغيير والتبديل كما قال وتصريف الرياح
اي ابدل ما يمليه علي وهو يسمعه فيوافقني على ما اختاره حيث اريد اي في كل
شيء اريده كان يملي علي عزيز حكيم في خواتم الايات فاقول له صلى الله عليه وسلم
او عليم حكيم اي اكتب هذا بدل ذاك فيقول لي نعم اي اكتب ما قلت بدل ما امليته
كل صواب اي ما امليته وما قلته انت من عندك وسياتي ما فيه وفي حديث اخر اي في
رواية اخرى لهذا الحديث رواها السدي فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم وهو
بين يديه اكتب كذا كناية عما يامره بكتابته فيقول اي ابن ابي سرح له صلى الله
عليه وسلم اكتب كذا فيقول صلى الله عليه وسلم اكتب كيف شئت يحتمل الخبر والاستفهام
والظاهر الاول فيقول النبي صلى الله عليه وسلم اكتب عليما حكيما فيقول اي ابن
ابي سرح اكتب بدل هذا سميعا بصيرا فيقول صلى الله عليه وسلم له اي لابن ابي سرح
اكتب كيف شئت واردت كتابته وسياتي ما فيه وتاويله على تقدير صحته وفي الصحيح
اي الحديث الذي رواه البخاري وتقدم ان الصحيح اذا اطلق يراد به كتاب
وحديثه هذا مروي عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا قال البرهان لا اعرفه
باسمه وفي مسلم انه رجل من بني النجار كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ما يوحي
اليه بعدما اسلم ثم ارتد عن الاسلام الى الكفر وكان يقول بعدما ارتد ما يدري محمد الا

ما كتبته

ما كتبته له يعني انه كان يكتب من نفسه ويزعم ان ما يقروه النبي صلى الله عليه
وسلم كلامه ولم يزل لعنه الله على ردته حتى مات فدفنوه فلفظته الارض
فقالوا هذا من فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فحفروا واعمقوا ودفنوه
فلفظته ثانيا فقالوا مثل ذلك ثم وقع ذلك مرة ثالثة فعلموا انه فعل الله
فتركوه كما فضحه الله واعلم ايها المريد للوقوف على الحق وظهوره ثبتنا الله
واياك على الحق في هذه الفتنة وغيرها اي جعلنا ممن علم الحق وعرفه ولم يتغير عما
هو عليه وفي هذا الدعاء مناسبة لما قبله فان فيه ذكر من ارتد بعد
اسلامه ممن لم يثبت على الحق بعدما عاينه ولا جعل للشيطان فيه اي جعل لتلبيسه
اي خلطه الحق بالباطل الينا اي لوصوله الينا سبيلا وطريقا يصل منه لنا
اي يبعده الله عن ساحتنا ولا يسلطه علينا ان مثل هذه الحكاية اي حكاية ابن
ابي سرح والكاتب النصراني اولا اي قبل النظر في معناها والبحث عن صحتها
واحوال رواتها لا توقع في قلب ومن ريبا اي شكا وترددا في حقيقة ما اوحي
الى النبي صلى الله عليه وسلم وان الشيطان لا يتسلط عليه اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر
بعد ايمانه يعني ابن ابي سرح والكاتب النصراني كما مر ونحن معاشر علماء
الدين او علماء الحديث لا نقبل خبر المسلم المتهم الذي جرح وطعن فيه المحدثون
مما بينوه في باب الجرح والتعديل مع اسلامه وعلمه لا يقبل خبره لعدم عدالته
فكيف بكافر قد افترى هو ومثله من الكفرة الفجرة اي اتصف بانه كاذب مفتر على
الله بادعاء شريك وولد ونحوه ورسله بنسبتهم لما لا يليق بمقامهم ما هو
اعظم من هذا المذكور عنهما وكيف هنا للاستفهام الانكاري التعجبي نحو كيف تكفرون
بالله والمصنفون يستعملونه للترقي من امر لاعظم منه كما هنا والى سليم العقل
اي انه يتعجب ممن سلم عقله من الافات والحماقة وشوايب الشك والالتباس
يشتغل بمثل هذه الحكاية يعني حكاية الكاتبين سره السر هو الامر الخفي واريد به
هنا فكره او قلبه ويشتغل بزنة يعلم اي يجعله مشغولا وهذه جملة مستانفة
لبيان وجه التعجب وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مبغض بوزن مصلح
من البغض ضد المحبة وروي بتشديد العين المعجمة وروي بنون وقاف
وصاد مهملة من النقص ضد الزيادة مفتر على الله ورسوله لانه قال انه
صلى الله عليه وسلم يفتري قوله وان الله لم يوح اليه وكل منهما كذب على كل منهما
ولم يرد عن احد من المسلمين انه روى ما ذكر عن ابن ابي سرح والكاتب
النصراني ولم يصح احد منهم ما قالاه ولم يثبت قولهما له صلى الله عليه وسلم
ما ذكر ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قالاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما
او ما قاله لكل واحد منهما له وهذا يؤيد الثاني وانما يفتري الكذب من لا
يؤمن بايات الله وفي نسخة الذين لا يؤمنون بايات الله واوليك هم الكاذبون
حقيقة لعدم كذبهم بالنسبة للكذب على الله ورسوله كما لعدم فاحشة عنده اثر ذر

فكم من كذب يغتفر وحاصله ان مثله مما يشهد العقل بكذبه مما لا ينبغي
ذكره فانه مما يسود وجوه القراطيس بلا فايدة وانما ذكره لازالة الشبهة
عن العقول القاصرة وتبيين حاله فلا وجه للانكار على المص وايراده له
بعد ما بين مراده وما وقع من ذكرها اي ذكر هذه القصة واقرد لاستوائهما في
حتى صارتا امرا واحدا من حيث الاثر المروي عنه وما وقع من ظاهر كتابته لها بنقلها
فليس فيه اي في الحديث ونقله لغيره ما يدل على انه شاهدها اي ابصرها وحضرها
والشاهد عندهم ما يدل على صحة الحديث من روايته من طرق اخر تقوية
كالمتابعة والفرق بينه وبين المتابعة مذكور في مصطلح الحديث
ولعله اي انس رضي الله عنه كل ما سمع من غير جزم به ولا قوة بصحته وفي
قوله لعله اشارة الى انه متردد فيه ايضا وقد علل البزار حديثه اي حديث
انس رضي الله عنه ذلك المذكور فاشار الى ان فيه علة قادحة في صحته وقال
في بيان ذلك انه رواه ثابت عنه اي عن انس ولم يتابع عليه اي لم يرو من طريق
اخر يعضده غير طريق ثابت عنه ورواه حميد بالتصغير عن انس قال اي البزار
واظن حميدا انما سمعه من ثابت لا من طريق اخر فلا يكون متابعة وحميد هذا
هو حميد بن عبد الرحمن وقيل غير ذلك وهو يروي عن انس وغيره
وكان له طول في يديه توفي وهو قايم يصلي سنة اثنين واربعين
ومائة ووثقوه وقيل انه يدلس واخرج له الستة ولا يخفى ان حديثه
الذي رواه المص اخرجه البخاري فقال انه كان رجل نصراني اسلم
وقرا البقرة وال عمران وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فعجبوا به الحديث وهو حديث
صحيح فرد المص له غير صحيح والذي ينبغي له ان يقول ان قاله كذب وافترى
ولا يقدح في اصل القصة وصحتها فانها مروية في الصحيحين كما تقدم قال
القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله تعالى ولهذا اي لما ذكر مما سمعته
انفا من انه لا شاهد له ولا متابعة لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا
حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع وهو ما رواه البخاري ومسلم كما تقدم واخرجه
البخاري في علامات النبوة عن ابي معمر عن عبد الوارث بن سعيد عن
عبد العزيز بن رفيع عن انس وعبد العزيز هذا توفي سنة ثلاث ومائة
وقوله الذي اخرجه اهل الصحة صفة حديث واهل الصحة الذين يروون
الاحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم وذكرناه وليس فيه اي في الحديث
المذكور في هذه الرواية عن انس قول شيء من ذلك الذي ذكره السايل من
المطاعن من قبل نفسه بكسر القاف وفتح الموحدة اي لم يرو فيه انه صلى الله عليه
وسلم قاله من قبل نفسه لم يوح به اليه الا عن حكايته عن المرتد النصراني
وهو مفتر على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قاله ابن ابي سرح

فسياتي

فسياتي بيانه ولو كانت القصة صحيحة من جهة الرواية لما كان فيها اي في
هذه الحكاية التي افتراها النصراني عدو الله المرتد قدح اي عيب ونقص
في مقام النبوة من قدح كمنع اذا طعن فيه ولا توهين اي نسبته الى الوهن بفتح الها
وهو الغلط وبسكونها ذهاب الوهم لشيء كما في الصحاح وفي بعض النسخ توهين
بالنون من الوهن وهو الضعف اي نسبته لما يوهن جانبه بما لا يرضى له
النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه من ربه وليس مثله مما يعتريه
ولا جواز للنسيان والغلط فيما طريقه البلاغ من الوحي كما توهمه السايل والتحريف
تفعيل من الانحراف وهو الميل عن الحق والمراد به التبديل والتغيير فيما بلغه عن
الله ولا طعن في نظم القران بان يقال انه اثبت فيه ما ليس منه من كلام الكاتب
الكاذب ولا طعن في انه من عند الله وانه فيه ما ليس منه بتبديل الالفاظ بغيرها
اذ ليس فيه اي فيما قاله الكاتب لو صح ما قاله الكافر من ان الكاتب المذكور قال
له صلى الله عليه وسلم عليم حكيم مثلا او لنسا اي ما ذكره ونحوه وهو يملي ويكتب
ما يلقيه له لفهم خاتمة الكلام من ابتدايه على طريقة الارصاد البديعي
وهو ان يورد نظما او نثرا يفهم اخره من اوله قبل تمامه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم كذلك هو اي لفظ القران مثل ما قلت وما يتبادر لفهمك لذكائك
الدال عليه اوله فسبقه لسانه او قلمه اي سبق النبي صلى الله عليه وسلم لسان الكاتب
او قلمه لما سيملية عليه وتوارد معه الكلمة واحدة مثل عليم او حكيم او كلمتين
كغفور رحيم لانتقاله من سياق الكلام لذلك مما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
بالوحي الذي املاه عليه قبل اظهار الرسول لها اي لخاتمة الكلام من كلمة او
كلمتين او الضمير للكلمة ويعلم منه الكلمتان وما قدمناه اولى اذ كان ما تقدم
مما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا لما يدل عليها اي على الخاتمة او الكلمة وتقتضي
وقوعها في اخره وخاتمته نبوة قدرة الكاتب على الكلام بيان لسبب سبقه وانه لكونه من
صميم العرب الناشيين في حجر البلاغة المرتضعين لثديها وسعرفته به اي بليغ
الكلام نظما ونثرا وصياغته وصبه في قالبه وجودة حسه المدرك له وفطنته
اي سرعة انتقاله له قبل تمامه كما يتفق ذلك الانتقال للعارف باساليب
الكلام اذا سمع البيت من الشعر اذا انشد ان يسبق فهمه لقوة ادراكه الى قافيته اي
اخر كلمة منه قبل الوصول اليها او اذا سمع مبتدا الكلام واوله الحسن اي الفصيح
المنسجم وقيده به لانه يرتبط بعضه ببعض وتتجاذب كلماته فتتعانق وتتلازم
بخلاف المتنافر كلماته فلا يتاتى به من خواتمه ولا يتفق اي يقع اتفاقا ذلك اي سبق
الفهم من اول الكلام الى خاتمة الكلام اي لا يقع ذلك في الكلام بتمامه بان يسبق
فهمه الى خطبة او قصيدة بتمامها فان التوارد في مثله بعيد جدا كما
وقع للصدر بن الوكيل مع ابن اسرايل لما ادعى قصيدة له وتحاكما فيها عند
ابن الفارض فحكم بها للصدر فقال قايل انه سبق وقع الحافر على الحافر فقال

وقع الحافر على الحافر من الاول الى الاخر في القصة المشهورة وقيل مراده
بجملة الكلام انه ليس كل كلام تدل فاتحته على خاتمته والظاهر الاول
لقوله كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة بتمامها من الايات والسور ثم شرع في
الجواب عن قصة ابن ابي سرح بعد ما اجاب عن قصة النصراني وقدمها
لصحتها وظهور جوابها فقال وكذلك اي مثل هذه القصة قوله صلى الله عليه
وسلم فيما تقدم في قصة ابن ابي سرح لما قال بعد ردنه كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم ان صح انه كان يقول
ذلك كل صواب مما املينه وقلته انت فقد يكون هذا الذي وقع له مع ابن
ابي سرح فيما كان فيه من مقاطع الاي جمع اية وفي نسخة الايات وضمن فيه لما
اوحي اليه من القران والمقاطع جمع مقطع وهو اخر الكلام وفواصله وجهان
وقرآن علمهما بالوحي فاملي عليه احداهما وذكر الكاتب الاخرى فلذا قال له
صلى الله عليه وسلم كل صواب لانهما انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى
صلى الله عليه وسلم احداهما على ذلك الكاتب وتوصل الكاتب المذكور لما
ذكره بفطنته وبحسن تاليف البلاغة بمقتضى الكلام اي بما يقتضيه مقامه ويدل
عليه سياقه الى القراءة الاخرى التي ذكرها الكاتب ظانا انه انكرها فذكرها
النبي صلى الله عليه وسلم اي القراءة الاخرى ذكرها كانه توارد امن حيث
القرينة على نظم القران النازل على اساليب كلامهم فتوهم ان الرسول قرأ
كلامه وقوله قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها اي لتلك الكلمة
او الكلمتين فصوبها له اي قال له انها صواب لموافقته لما اوحي اليه وهي
مقدار الاعجاز فيه ثم احكم الله من ذلك الذي انزل على رسوله صلى الله
عليه وسلم فاملاه عليه ما احكم اي اثبته واتقنه ونسخ ما نسخ اي ما اراد
نسخه لفظا ومعنى او لفظا لا معنى وعكسه كما فصل في كتاب الناسخ
والمنسوخ وحاصله ان ما قاله ابن ابي سرح لا ضير فيه فانه سبق
النبي صلى الله عليه وسلم الكلمات وافق فيها لفظه لفظ القران فصوبه النبي
صلى الله عليه وسلم واقره عليها فلما ارتد واضله الله قال ما قال ثم اسلم
عام الفتح وحسن اسلامه حاله بعد ذلك ومحا الله عنه ما افتراه حال ردته
سواء كان ما قاله موافقا لما املاه عليه او مخالفا له على انه قراءة اخرى وقد
تخالف القراءات لفظا ومعنى وانما الممنوع فيها التناقض فقد وجد ذلك
اي تخالف القراءات في بعض مقاطع الاي وهي فواصلها واواخرها التي هي
في النثر كالقوافي في الشعر مثل قوله تعالى حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم
ان تعذبهم فانهم عبادك تفعل بهم ما تريد وان تغفر لهم ذنوبهم وعصيانهم
فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم اي الواقع جميع
افعاله على مقتضى الحكمة لا يسئل عما يفعل بحكمته البالغة وان لم يظهر لنا

وجهه

وجهه وهذه القراءة قراءة الجمهور اي اكثر القراء وهي القراءة المتواترة وقد
بينوهم في بادي النظر ان المناسب للمغفرة الغفور الرحيم بدل العزيز
الحكيم وقد قرأ جماعة من الصحابة في الشواذ فانك انت الغفور الرحيم بدل قوله
فانك انت العزيز الحكيم القراءة المتواترة وليست هذه القراءة الشاذة
في المصحف العثماني المسمى بالامام المجمع على القراءة بما فيه وترك ما عداه
وظن بعضهم ان القراءة الشاذة هي المناسبة هنا وليس لهذا وجه لمن
له معرفة بدقائق البلاغة فان المعنى انك ان غفرت ذنوبهم فليس ذلك عن
عجز لانك عزيز غالب على كل من سواك ولا فتور في فعلك لانك حكيم ولو قال انك انت
الغفور الرحيم او هم الدعاء بالمغفرة لمن مات مشركا وهو غير مستقيم اي ان تتقيم
على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم عبادك وان هديتهم لطاعتك وتغفر
لهم فانت العزيز الذي لا يمنع عما اراد والحكيم في افعاله فيفضل من يشاء
ويهدي من يشاء فلا وجه للطعن فيها بعدم المناسبة وقال ابن الانباري هذا
هو المناسب لان الغفور الرحيم ينفرد بالشرط الثاني والعزيز الحكيم يتعلق
بالشرطين اي ان تعذبهم او تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم في الامرين التعذيب
والمغفرة فهو اليق فتدبر وكذلك وقع في القراءات كلمات جاءت على وجهين متواترين
في غير المقاطع والاواخر كما جاء في المقاطع قرأ بهما الجمهور من القراء العشرة
المتفق على قراءتهم وثبتا اي القراءة بالوجهين في المصحف العثماني المعمول برسمه
مثل قوله تعالى وانظر الى العظام جمع عظم اي عظم الحمار او عظم الموتى التي عجب من
احيائها كيف ننشرها بالراء المهملة من النشر اي نحييها وبه قرأ ابو عمرو وغيره وننشزها
بالزاي المعجمة بقراءة نافع وغيره اي نحركها او نرفع بعضها على بعض من النشز بمعنى المرتفع
ومثل قوله تعالى يقضي الحق بصاد معجمة وتحتية في قراءة ابي عمرو وغيره اي يقضي
المقضي الحق في كل ما يقضيه ويقص بصاد مهملة مشددة في قراءة نافع وغيره
اي يتبع الحق فيما يحكم به ويقدره وكل هذا المذكور في هذا الفصل لا يوجب اي
لا يستلزم ولا يقتضي ريبا اي شبهة ولا يسبب بصيغة المضارع اي يكون
مسببا له صلى الله عليه وسلم غلطا ينسب اليه فيما طريقه البلاغ ولا وهما من
وهم بهما اذا ذهب وهمه اليه وفيه نظر وقد قيل ان هذا الذي وقع في قصة
الكاتبين يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم في مكاتبته
الى الناس يدعوهم الى الاسلام ملوكا وغيرهم غير القران فله فيه ان يصف الله عز وجل
هو او يأذن لكاتبه في ذلك وسميه قرآنا الكتاب الذي يكتبه لانه ليس قرآنا يجب
اتباع نظمه كيف شاء باي لفظ كان مما يليق به كما مر ولذا قال له اكتب كيف شئت
وكل صواب فصل هذا القول المذكور في هذا الفصل الذي قبل هذا من
الوحي عن ربه واقع فيما طريقه البلاغ اي تبليغ الناس ما امر بتبليغه عن ربه
بالوحي واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ مما امر ببيانه من الاخبار بيان لما الثانية وهي بفتح

الهمزة جمع خبر التي لا استناد لها اي لا استناد لها الى الاحكام الشرعية التي يتعبد بها
ولا مستند لها الى اخبار المعاد بفتح الميم اي احوال القيامة والآخرة التي لا تعلم
الا بالوحي ولا اتفاق اي تسند وتنسب الى وحي اي امر اوحي به اليه من ربه
كاخباره عن بعض المغيبات ونحوها مما يقول انه اوحي به اليه بل اضراب
انتقالي لبيان ما ليس طريقه البلاغ وليس من الاحكام واخبار المعاد والوحي
مما وقع ذكره في احوال الدنيا وفي نسخة امور الدنيا واحوال النفس صلى الله عليه وسلم
المتعلقة بامور نفسه فالذي يجب شرعا علينا اعتقاده والجزم به تنزيهه صلى
الله عليه وسلم وتبريته عن ان يخبر الذي اخبر به في شيء من ذلك المذكور
من احوال الدنيا واحوال نفسه وذاته ملتبسا بخلاف مخبره بضم الميم وفتح
الباء اسم مفعول اي غير مطابق لما اخبر عنه بوجه ما لا عمدا لانه يكون
كذبا لا يليق بمقامه ولا سهوا ولا غلطا لاعتقاد ما ليس واقعا وانه بفتح الهمزة
معطوف على تنزيه معصوم حفظه الله عن صدوره منه في جميع احواله في
حال رضاه اي كونه غير غضبان ولا مكره على اخباره وفي حال سخطه بفتحتين
او بضم فسكون اي كراهته وعدم رضاه وجده بكسر الجيم وهو ضد الهزل
والمزح الذي اشار اليه بقوله ومزحه اي مزاحه وهزله فانه صلى الله
عليه وسلم كان يمزح احيانا ولا يقول الا حقا في حال صحته اي صحة مزاجه
وسلامته من الامراض ومرضه اي عروض بعض الامراض البشرية عليه ودليل ذلك
المذكور من عصمته في اخباره وجميع احواله اتفاق السلف اي من تقدم عصره
من هذه الامة واجماعهم عليه اي على انه لا يصدر عنه خبر بخلاف مخبره اصلا
وذلك انا نعلم يقينا من دين الصحابة رضي الله عنهم والدين اما بمعنى الديانة
او بمعنى العادة فقوله وعادتهم عطف تفسير اي دابهم الذي استمروا عليه
او الدين بمعنى الطاعة والانقياد له مبادرتهم اي اسراعهم من غير توقف
وتردد وفي نسخة مبادرين فهو حال مما قبله اي مسارعين الى تصديقه
صلى الله عليه وسلم بقبول ما يقوله في جميع احواله السابقة من جده وما بعده
والثقة اي الوثوق والاعتماد لتصديقهم بجميع اخباره في اي باب اي نوع من الانواع
كانت اخباره واي شيء وفي نسخة وعن اي شيء وقعت وصدرت منه وباي سبب
في اي حال من احواله وانه اي الامر والشان لم يكن لهم توقف تفعل من الوقوف
اريد به الشك والريبة ولا تردد هو ايضا حقيقة عرفية في الشك وعدم
الوقوف في شيء منها اي من اخباره بل بمجرد السماع يجزمون بتحقق خبره
كانهم عاينوه فيتلقونه بالقبول وانشراح الصدر واستبانة عن حاله اي
حال الخبر او عن احواله صلى الله عليه وسلم في اخباره والاستبانات بسين
مهملة ومثناة فوقية ومثلثة وموحدة ومثناة تحتية وهو طلب الثبوت
بسؤال ونحوه عند ذلك اي في زمان اخباره فلا يخطر بالهم ولا يقولون هل قيلها

سهو

سهو ام لا اي هل صدر اخباره سهوا منه ام عمدا وغيره وهذا بيان لاستثباتهم
وهذا دليل على انه لم يقع منه ذلك واما عدم جوازه عليه وان كنا نعتقده ايضا
فليس بمراد فلا وجه لما قيل من انه انما يدل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز
فللقايل به ان يطلب الدليل على امتناعه ولما احتج اي تمسك واستدل ابن ابي
الحقيق بصيغة المصغر على هذا الشخص اليهودي وبنو الحقيق طايفة من يهود
خيبر له بها حصن منهم كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق زوج صفية بنت حيي
ابن اخطب ام المؤمنين رضي الله عنها وله قصة في السير وليس هو هذا لانه
قتل في زمنه صلى الله عليه وسلم واما هذا فلم يذكروا اسمه وهذا الحديث
رواه البخاري في حديث اجلا يهود خيبر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
متعلق باحتج ويحتمل ان يريد بابن ابي الحقيق جماعتهم كابن آدم للناس
لقوله حين اجلاهم من خيبر اي اخرجهم وطردهم منها في زمان خلافته رضي الله
عنه وهي بلاد بقرب المدينة لليهود علم ممنوع من الصرف والجار متعلق باجلاهم
باقرار اي جعلهم قارين فيها ساكنين من غير اخراج لهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي لبني الحقيق متعلق باقرار فجعل فعله صلى الله عليه وسلم حجة على عمر رضي
الله عنه واحتج عمر رضي الله عنه اي اقام الحجة عليه ردا لما احتج به بقوله صلى
الله عليه وسلم لذلك اليهودي من بني الحقيق كيف بك اذا اخرجت من بلادك اي في اي
حال تكون اذا وقع بك ما يصيبك واجليت من بلادك ونفيت منها فهذا يدل
على عدم دوام اقراره لهم كما ظن فهو متضمن لخبر صادق منه فقال له اي لعمر رضي
الله عنه اليهودي المذكور ردا لما احتج به كانت مقالته صلى الله عليه وسلم كيف
بك الخ هزلة تصغير هزلة وهي المرة من الهزل ضد الجد كما في النهاية فمن اي اقام
هي كنينة صلى الله عليه وسلم كابي ابراهيم اي انما قال هذا على طريق الهزل والمزح
فلا دليل فيه فقال عمر رضي الله عنه مجيبا له كذبت يا عدو الله اي لم يقل صلى الله
عليه وسلم ذلك هزلا ولو كان مزحا ايضا فهو لا يمزح الا بحق وذلك العدو يعتقد
خلاف ذلك عنادا منه وجهلا بمقام النبوة وتحقيرا لعنه الله والصحابة لا يقولون
بشيء من ذلك وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر مفصلا في خطبة لعمر
رضي الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرهم بها على ان يكون ثمارها
بينه وبينهم ثم اقرهم ابو بكر رضي الله عنه على ما اقرهم عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اقرهم عمر رضي الله عنه في اول خلافته على ذلك ثم لما ظهر له غدرهم
بابن عمر اجلاهم منها واعطاهم قيمة مالهم من الثمار والاموال واخرجهم لتيماء
واريحا بجانب الشام لحديث لا يجتمع بجزيرة العرب دينان كما فصل في السير
والبخاري وشروحه وكانت محاجة اليهود له عند ذلك كما تقرر وانما اي مثل
ما ذكر في الدلالة على عصمته صلى الله عليه وسلم في جميع اخباره فان اخباره المروية
عنه صلى الله عليه وسلم واثاره جمع اثر بمعنى خبر يؤثر وينقل عنه وسيره جمع

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سيره وهي الصفة الحميدة وشمايله جمع شمال بكسر الشين وهي صفاته الذاتية
الحسنة مغتني بها نقلا وخطا اسم مفعول من العناية بمعنى الاشتغال
والاهتمام ومستقصي اي مستوفاة متممة من اولها الى اخرها واقصاها اتنا صلها
اي مفصلة مبينة كلها ولم يرد عنه في شيء منها اي من الاخبار والاثار والسير
استدراكه اي تداركه صلى الله عليه وسلم بالرجوع عما فرط منه للصواب فيه
لغلط في قوله فيما ذكر من الاخبار وغيرها او اعتراضه واقراره بوهم اي غلط
في شيء اخبر به احد من الصحابة ولو كان اي وقع منه شيء من ذلك لنقل الينا
كما نقل فيما رواه مسلم عن طلحة وانس وغيرهما في قصة رجوعه صلى الله عليه وسلم
اي تحوله عن رايه لغيره مما اشار به على الانصار في تلقيح النخل التلقيح
والتابير جعل شيء من طلع الذكر في الانثى لتحصيل ثمرها وبلحها وهو بمنزلة النطفة
للحمل جرت العادة بحكمة الهية انها لا تثمر بدونه وكان صلى الله عليه وسلم مر بهم وهم
يفعلون ذلك فسالهم عنه فاخبروه فقال لهم دعوه فتركوه امتثالا له صلى الله عليه وسلم
فلم يثمر نخلهم في ذلك العام فلما اخبروه بذلك قال لهم انتم اعرف بدنياكم فعدم معرفته
صلى الله عليه وسلم بامر من هذه الامور لا ينافي عصمته وانه لا يخبر بما يخالف
الواقع لان جل همه صلى الله عليه وسلم امور الاخرة والشرايع وقوانينها وغيره انما
جعل قصده العلم بظاهر من الحياة الدنيا وهذه القصة رواها مسلم كما علمت بسند
صحيح وفيه ان ثمرها خرج شيصا وهو البسر الذي لا نوى له قال المص هو ردي
البسر الذي اذا يبس صار حشفا وكان ذلك الامر الذي اشار عليهم به النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله لو لم تفعلوا كان خيرا رأيا اشار به عليهم بناء على ذاته صلى الله
عليه وسلم في ترك الاسباب الظاهرة والنظر لمسببها كما هو داب الكمل ولو
كان اعتقادهم واعتمادهم على الله مثله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف ذلك ولذا
فوض لهم صلى الله عليه وسلم امر دنياهم نظرا لقلوبهم لا خبرا اخبر به بكون
وقوع خلافه كذبا حماه الله لمته ولا غلط فيه لانه اجتهاد تغير بحسب الظاهر
فلا نقص ولا يطعن به عليه وفيه انشدوا

ان الرسول لسان الحق للبشر ... بالامر والنهي والاعلام والخبر
هم اذكيا ولكن لا يعد فهم ... ذاك الذكا لما فيه من الضرر
الا تراه لتابير النخيل وما ... قد كان فيه على ما فيه من ضرر
هم سالمونا من الانكار ان زعموا ... حكما بحل وتحريم على البشر

وغير ذلك مما صدر منه من الامور التي ليست من هذا الباب مما ينزه عن الاخبار فيه
بما يخالف مخبره من امر الشرع والمعاد كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في غزوة تبوك لما سأله صلى الله
عليه وسلم بعض الصحابة ان يحملهم فقال والله ما عندي ما احملكم عليه فاتي
بعد ذلك بابل فاعطاها السايل وقال ما انا حملتكم ولكن حملكم ثم قال والله اني لا احلف

اي اقسم

اي اقسم على يمين المراد باليمين المستعمل بمعنى القسم هنا والمراد المقسم عليه
من فعل او ترك قال الزمخشري المحلوف عليه يمينا التلبسه به واصله
العقد بنية وعزم واكد اشارة الى انه ليس لغوا لا ينعقد واصل
اليمين اليد اليمين فسمي به لانهم كانوا يتماسكون بها اذا حلفوا
فارى غيرها اي اعلم غير اليمين المحلوف عليها واليمين مرنث بجميع معانيه
فكني بضميرها عن المحلوف عليه اعني تركه صلى الله عليه وسلم حملانهم
لانه سببها خيرا منها اي احسن من فعلها الا فعلت الذي حلفت عليه اي الامر
الذي اقسم على ان لا يفعله لكنك حملانهم هنا وكفرت عن يميني بكفارته شرعا
وليس هذا بغلط فيما طريقه البلاغ ولا خبر لانه انشا قسم قال ابو موسى رضي
الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لما حلف ان لا يحملنا ثم ارسل الينا وحملنا
فقلنا نسي ما اقسم عليه والله لئن فعلنا ما فيه حنث له صلى الله عليه وسلم
لا نفلح فلنذكره فرجعنا وذكرنا له ذلك فقال انطلقوا انما حملكم الله ثم
قال والله احلف على يمين الخ وبه استدل على ان الحنث بما هو خير يستحب وليس
فيه انه حنث في هذه اليمين وكفر لانه يحتمل انه لم يكن عنده ما يحملهم عليه
لما اقسم ويحتمل انه قال ان شاء الله ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الشيخان عن ام سلمة رضي الله عنها انكم معاشر الامة
تختصمون اي تاتون لفصل الخصومة الي اي عندي اقرا الحديث الخ وتمامه
ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض اي افصح فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن
اقتطعت له من اخيه شيئا اي ليس حقه فلا ياخذه فانما اقتطع له
قطعة من النار فليحملها او يذرها وفيه تنبيه على بشريته صلى الله عليه
وسلم وانه لا يعلم الغيب وانما يحكم بالظاهر وقد كان له صلى الله عليه وسلم الحكم
بالباطن لاطلاع الله له عليه كما ذكره السيوطي ولكن هذا اغلب احواله
صلى الله عليه وسلم تعليما لامته حتى يقتدوا به وقوله صلى الله عليه وسلم
للزبير رضي الله عنه في حديث روي في الكتب الستة من امره صلى الله عليه
وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا يستوعب الماء ثم يرسله لجارته من الانصار
فقال له الانصاري أن كان ابن عمتك فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير
ثم احبس الماء حتى يبلغ الماء الجدر اسق بهمزة وصل امر من سقى وقيل بهمزة قطع من اسقى والجدر
بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وقيل بجيم تليها ياء مهملة وروي بضم الجيم
جمع جدار ومعنى الاول ما رفع كالجدار لحبس الماء السقي او هو لغة في الجدار
وقيل اصل الجدار وعلى الاعجام تمام الشرب من جذر الحساب ويجوز كسر جيمه
ومعناه الاصل وقيل هو اصل الحايط وخاص لما ياتي في ذلك انه كان رجل
انصاري خاصم الزبير بن عمته صلى الله عليه وسلم في سراح الحرة في الماء الذي
يسقي به النخل وقال له ارسل الماء فابى فترافعا له صلى الله عليه وسلم فقال اسق يا زبير

ولفظ الرواية عند الشيخين عن ابي موسى
الاشعري قال ارسلني اصحابي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسأله الحملان
لغزوة تبوك فقال والله لا احملكم
وما عندي ما احملكم عليه ثم لبث عنا
صلى الله عليه وسلم ما شاء الله فاوتي
بابل فامر لنا بثلاث ذود فاعطاها
اياها فقال تغفلنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرجع اليه
فقال ما انا حملتكم ولكن الله
حملكم اني

ثم ارسل لجارك فقال أن كان ابن عمتك فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم
فقال اسق يا زبير واحبس الماء حتى يبلغ الجدر وفيه نزل فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم وان الرجل الخاصم قيل هو حاطب بن بلتعة ولا يصح لانه
ليس انصاريا وقيل ثابت بن قيس وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد وقيل
انه بدري ونقل ابن الملقن انه منافق من الانصار وسيأتي نقله عن الزجاج
كما سنبين كل ما في هذا الحديث وما معه قريب اخر الكتاب من مشكل ما في هذا الباب
والباب الذي بعده واتي بقوله ان شاء الله للتبرك استثنا لا لقوله تعالى ولا تقولن
لشي الاية مع اشباهها اي اشباه واماثل ما في الباب وانث باعتبار المعنى اي
اشباه هذه المشكلات وايضا مثل ما ذكر من الجواب فان الكذب منبئ عن واحد من شيء من
الاخبار بخلاف ما هو عليه في الواقع والاولى ترك هذا لان الكذب لا يكون الا كذلك وقد
اطنب المص وطول بما لا فايدة فيه وكان يمكن اختصار هذا في كلمات قليلة على
اي وجه كان سوا كان هزلا او جدا كالحكوية الذين ينقلون الحكايات الباطلة
مع علمهم بها للتلهي بها كما هو معروف الان استريب بخبره اي اوقع الناس في
ريبة وشك فيما يخبر به حتى لو صدق لم يصدق واتهم في حديثه الذي يحدث به
وايضا قوله في القوس موقعا اي لم يقبل ويلتفت اليه ولهذا اي لكون الكذب يوقع في
ذلك ما ترك المحدثون ما زايدة وفي نسخة حذفها وهي اولى والعلما من عطف
العام على الخاص اي علما الحديث والفقها وغيرهم من اهل العلم الحديث مفعول
ترك يعرف بالوهم بفتح الها بمعنى الغلط وهو بسكونها بمعنى الوقوع في القوة
الواهمة وفيه تفصيل في كتب اللغة والغفلة اي الذهول وعدم معرفة الامور
وسوء الحفظ وكثرة الغلط عطف تفسير على سوء الحفظ اي كون حفظه سيئا غير قوي
مع ثقته اي كونه ممن يوثق به لديانته وعدم تعمده الكذب فيما يحدث به
ومع ذلك يتركون رواية الحديث عنه لانه قد يقع فيه حالا اصلا لغفلته وقلة
حفظه واذا كان هذا المخالفته الواقع غير مقبول فما بالك بالكذب ممن عرف
به ولا يرد على المص انه اذا احدث من اصل صحيح عنده تقبل روايته منه لا عن
ظهر قلبه وحفظه وانه لا يشترط في هذه الاعصار ذلك ايضا لسلسلة الحديث
لانه اذا احدث عن اصل كان الاعتماد عليه لا على حفظه وما ذكره هو الذي عليه
علما الحديث المعتمد عليهم وايضا اي مثل ما ذكر في عدم الاعتماد على من يكذب
فان تعود الكذب قصدا والتي في جواب شرط مقدر نحو ان احطت بما ذكر خبرا
وعلمته في امور الدنيا فضلا عن الحديث والامور الشرعية معصية وذنب يذم
به عاجلا ويعاقب عليه آجلا ان لم يغفره الله والا كثار منه كبيرة باجماع
من ايمة الدين وهي كما قالوا مختلف في تعريفها وهل هي محصورة ام لا كما تقرر
في كتب الاصول وستاتي الاشارة الى شي من ذلك مسقط للمروة اي يذهب عدالته
والمروة بهمزة او واو مشددة مصدر من المرء كالرجولية والانسانية وكل هذا المذكور

من الكذب

من الكذب وقبايحه مما ينزه ويبعد عن مقامه ويبرا عنه منصب النبوة المراد
بمنصبها مقامها وهو في اللغة بمعنى الحسب كما في قول ابي تمام ومنصب نماه
والدسما به واما استعماله بمعنى الولاية السلطانية فمولد كقول ابن الوردي
رحمه الله تعالى

نصب المنصب أوهى جلدي ... وعناني من مداراة السفل

كما تقدم والمرة الواحدة منه اي من الكذب وفي نسخة منها اي من هذه المعصية
فيما يستشنع اي يستقبح من الشناعة بموحدة وشين معجمة ويشاع اي يشيعه الناس
لشناعته وقوله فيما متعلق بمقدر اي معدودا فيما الخ وفي نسخة يستشنع بنون
من الشناعة وفيها ايضا ويشيع بدل ويشاع مما يخل من الخلل بعرضه ودينه
بصاحبه المتصف به ويزرك اي يعيب وينقص ويحقر بقايله اي يجعله متصفا
بالخلل والنقص من ازريت عليه ازرا اذا عبته وفي نسخة صاحبها وقايلها
كما تقدم وقوله والمرة مبتدا اخره قوله لا حقة بذلك اي بما لا يليق بمنصب النبوة
او خبره مما وهي حال واما الكذب فيما لا يقع هذا الوقع اي لا يعد مما يستشنع
فان عددناها اي جعلناها من الصغاير دون الكباير التي يترتب عليها حد او وعيد
على الخلاف فيها فهل تجري على حكمها اي يوافق حكمها حكمها ويتحد في الخلاف
فيها اي وقع الخلاف فيما قبلها هل يجوز صدوره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قبل البعثة ام لا فذلك الخلاف هل وقع من ايمة الدين في هذه
ام لا مختلف فيه اي وقع فيه خلاف من ايمة الاصول فمنهم من قال اختلف
فيه ايضا ومنهم من قال لا خلاف في عدم وقوعه منهم لانه مما ينفر القلوب عنهم
والكذب حرام منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة وقد يقترن به ما يصيرها كفرا
وقد يقترن بالصغيرة ما يصيرها ككونها تودي الى القتل او القتال كما
قاله الجويني وليس هذا محل تفصيله والصواب من هذه الاقوال تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم ومنام النبوة عن قليله اي الكذب وكثيره لاجلاله بعظيم
قدرها وشرفها لكنهوه لعصمة الله له عنه وعمده لعلو طبعه عنه اذ عمدة
النبوة بضم العين ما تعتمد عليه والمراد به المقصود منها بالذات البلاغ
والاعلام لمن ارسل اليهم ما اوحاه الله اليه والتبيين لهم ما شرعه الله
وتصديق من ارسل له في ما جابه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والشرايع
التي جابها عن ربه وتجويز شي من هذا بانواعه على انبيا الله قادح في ذلك العمدة
المقصودة من بعثته وبلاغه واعلامه ووجوب تصديقه لان من يجوز عليه
الكذب في شي ما لا يعتمد عليه فيما بلغه عن الله واتي بالاشارة للقرب
في الكذب تحقيرا له وباشارة البعيد فيما بعده تعظيما له وهو ظاهر
وتجويزه ايضا مشكك فيه اي فيما جابه لا لتباس صدقه الواجب اتباعه
بكذبه لو وقع منه ولو سهوا اما نقص للمعجزة لا جابها تصديقه ولذا قرنت

بها الدعوة فليقطع امر للغايب اي يعتقد قطعا بانه اي الامر والشان او الكذب
باقامة الظاهر في قوله لا يجوز بسكون الواو وتشديدها على الانبيا كلهم خلف
بضم الخا وفتحها اي كذب في القول الصادر عنهم وفي نسخة في قول بوجه من الوجوه
وفي نسخة في وجه اي في اي شي كان سوا كان من قبيل البلاغ ام لا بقصد ولا
بغيره كالسهو ولا يتسامح اي لا يتساهل ولا يتهاون مع شايع متبعا لمن
تساهل في حقهم وتجويز ذلك الخلف في اقوالهم تجوزه عليهم حال السهو فيما ليس
طريقه البلاغ عن الله لعصمة الله لهم عن وصمته ومنهم بعض الشراح القايل
بانه لا دليل على عدم وقوعه منهم نادرا نعم جواب سوال تقديره هل هذا
شامل لما قبل النبوة فاجاب بانا نقطع بانه لا يجوز بعد النبوة وبانه
لا يجوز عليهم الكذب مطلقا قبل اظهار النبوة والاتسام اي الاتصاف من السمة
به اي الكذب في امورهم الخاصة بانفسهم واحوال دنياهم اي الاحوال المتعلقة
بالدنيا لهم او لامهم لان ذلك اي الخلف في القول كان يزري اي يعيب
وينقص كما مر ويريب اي يوقع في ريب وتهمة بهم فيوقع الشك والتحقير في
القلوب وهو مما ينزه عنه مقام النبوة وينفر القلوب اي قلوب الناس عن
تصديقهم فيما يبلغونه لهم بعد مبني على الضم اي بعد ارسالهم وتبليغهم او
بعد العلم باتصافهم بالكذب ثم ايد ذلك بقوله وانظر امر لكل من له نظر
ومعرفة الحوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم اي من عاصره في مدة
حياته من قريش وغيرها من العرب انثه باعتبار القبيلة وغيرهم من الامم كالروم
والعجم والحبش وسوالهم تفتيشا عن حاله في اموره وسيرته بعد دعوتهم
وقبلها لما شاع صيته في الافاق في صدق لسانه اي صدق كلامه فان اللسان
يطلق على الجارحة والكلام وقوله في صدق البيان لحاله اي حال الكاين
في صدقه وما عرفوا به من ذلك بتشديد الراو البنا للمفعول ويجوز
تخفيفها والبنا للفاعل واعترفوا به مما عرف هو ايضا كالاول واتفق النقل على عصمة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منه اي من جميع ما ذكر عمدا وسهوا قبل وبعد مبنيان
على الضم اي قبل البعثة وبعدها والمراد نقل علما الملة او نقل الناس بعضهم
عن بعض عصرا بعد عصر ثم لم يزالوا ينقلون خلفا عن سلف انه لم يقع منه ذلك
وعدم وقوعه يدل على عدم جوازه عليه فالتوقف فيه لا يجوز وتحقيقه كما
قال العلامة العلاي في تاليف افرده لشرح هذا الحديث ومن خطه نقلت
وعبارته اتفق جميع اهل الملل والشرايع على وجوب عصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت عليه المعجزة القاطعة على صدقهم
فيه وذلك فيما طريقه التبليغ عن الله من دعوى الرسالة وما ينزل
عليهم من الكتب الالهية اذ لو جاز ذلك ادى الى ابطال دلالة المعجزة
وهو محال واما السهو والنسيان فقال الامدي اختلف الناس فيه

فذهب

فذهب ابو اسحاق الاسفرايني وكثير من الايمة الى امتناعه وذهب القاضي
ابو بكر الى جوازه وادعى الفخر الرازي في بعض كتبه الاجماع على امتناعه ونقل
الخلاف فيه في بعضها وحاصل الخلاف يرجع الى ان ذلك داخل تحت دلالة
المعجزة على التصديق فمن جعله غير داخل فيها جوزه لعدم التناقض لدلالة وفي
كلام امام الحرمين ان ذلك فيما يتعلق ببيان الشرايع سوا كان قولا او فعلا
نازلا منزلة قوله في اقتضا البيان ومثل كلامه الى جواز السهو فيه واحتج
بقصة ذي اليدين وقال شيخنا الزملكاني ان الذي يظهر ان ما طريقه البلاغ
يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق فهذا لا نزاع في انه لا يجوز فيه
التحريف ولا الكذب ولا السهو وما لا يكون كذلك وهو ما لا طريقه التبليغ وبيان
الشرايع فهل يجوز فيه النسيان وهذا محل الخلاف ويحمل اطلاق الفخر الاجماع
فيه على الاول وذكره الخلاف على الثاني وكذا كلام الامدي محمول على هذا التفصيل
وقال الباقلاني في كتاب الانتصار المعجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يفكر فيه وهو عامد له وذهول النفس وطريان النسيان وبوادر اللسان
لا يدخل تحت الصدق الذي هو مدلول المعجزة ومن زعم ان في تجويز ذلك القدح
في الثقة بتبليغ الانبيا عليهم الصلاة والسلام فليس بشي فانه انما يكون ذلك
لو جوز تقريرهم عليه وهو ممتنع واما القاضي عياض فانه نقل الاجماع على
عدم جواز السهو والنسيان في الاقوال البلاغية وخص الخلاف بالافعال
وهو يرجع الى اندراجه تحت المعجزة كما ذكرنا انتهى ثم اشار الى ما يؤيد هذا
مما قدمه بقوله وقد ذكرنا الخ واورد سوالا وجوابا عما يرد على كلامه فقال
فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو اي الحديث الذي
روي فيه سهوه في صلاته والفا الاولى في جواب شرط مقدر اي اذا علمت
تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن الخلف عمدا او سهوا في اقواله فقد تعرض
لك شبهة وسوال عما خالفه من هذا الحديث فنقول الخ والثانية في جواب
الشرط المذكور ومقول القول بعضه مقدر اي ان قلت انك قررت عصمته
عن السهو فما معنى قوله الخ واعلم ان الراغب قال النسيان ترك الانسان
ضبط ما استودع اما عن غفلة واما لضعف قلب واما عن قصد حتى يذهب
عن القلب وكل نسيان ذمه الله فهو ما كان عن تعمد نحو فذوقوا بما نسيتم لقاء
يومكم هذا او خلافه مرفوع عنه كما في حديث رفع عن امتي الخ وما نسب الى الله
عز وجل قوله انا نسيناكم بمعنى الترك كما قاله الزجاج وغيره لانه من لوازمه
واصله عدم الحفظ والله منزه عنه واما السهو فقد حكى المص فيما ياتي الفرق
بينه وبين النسيان معنى وقال ان السهو في الصلاة جايز على الانبيا بخلاف
النسيان لانه غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شغلا بها لا غفلة عنها ويأتي شرحه عند ذكره له وقال الحافظ العلائي انه
ضعيف معنى ولغة اما الاول فلما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر انسى كما تنسون اي كما سيأتي بما فيه واما الثاني فقد قال الازهري
السهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه وسهى في صلاته غفل وكذا
في الصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطأ عن غفلة وقسمه لقسمين وفي
النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو
قريب مما قاله الراغب وسيأتي تتمته قريبا وهذا الحديث رواه الشيخان ومالك
والترمذي وغيرهم ولم يروه المص من طريق الصحيحين بل من طريق غيرهما لما
يأتي فقال الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق بن جعفر الذي تقدمت
ترجمته قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم قال ثنا ابو عبد الله بن الفخار
ابن عمر بن يوسف المالكي القرطبي عالم الاندلس وزاهدها وكان رحمه الله
مجاب الدعوة توفي سنة سبع عشرة واربعمائة قال ثنا ابو عيسى يحيى ابن
يحيى الليثي كما تقدم قال ثنا عبد الله قال ثنا يحيى تقدم ايضا عن مالك امام
دار الهجرة المشهور عن داود بن الحصين بحاء مضمومة وصاد مفتوحة مهملتين
وياء تصغير ونون وهو مولى عمرو بن عثمان مدني ثقة يحتج بحديثه وان كان
يرى رأي الخوارج لانه ليس بداعية وروى هو عن عكرمة ونافع وغيرهما وروى
عنه مالك وغيره توفي سنة خمس وثلاثين ومائة عن ابي سفيان بن وهب ابن احمد
اسمه وهب وقيل قزمان وهو ثقة يروي عن ابي هريرة وغيره واخرج له
الستة انه قال سمعت ابا هريرة تقدم بيانه وانه اختلف في اسمه واسم ابيه على
ثلاثين قولا اشهرها انه عبد الرحمن بن صخر الدوسي نسبة لدوس قبيلة
سميت باسم جدها دوس بن ثابت وكني بابي هريرة لانه اتى بهرة وحشية
لقومه وقيل انه صلى الله عليه وسلم هو الذي كناه بذلك وقد قدمنا انه
ممنوع من الصرف كما صرح به سيبويه والنحاة المغرب فيه كلام بينا خطأه
في كتاب السواك يقول اي يحدث قائلا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة العصر في جماعة هذه رواية الامام مالك في موطأه واختارها المصنف
على رواية مسلم وغيره لعلو سنده من طريقه ولترجيح اهل المغرب له فسلم في ركعتين
اي بعد ما فرغ منهما ومن التشهد وهذه رواية الموطأ وقيل من ثلاث ولها طرق
مشهورة اشهرها رواية ابي هريرة وقال ابن عبد البر ليس في اخبار الاحاد
اكثر طرقا من حديث ذي اليدين وفي طريقه اختلاف من تلك الطرق وفي
سلامه هل هو من ركعتين او ثلاث وهل الصلاة العصر او غيرها ومن وقعت
معه القصة هل هو ذو اليدين او ذو الشمالين وتفصيله انه رواية
مالك عن السختياني عن ابن سيرين عن ابي هريرة واخرجه البخاري وابو
داود والترمذي والنسائي ورواه الزهري من طرق خالف فيها في تسمية

ذي

ذي اليدين ذا الشمالين وسيأتي ما فيه وفي انه لم يسجد للسهو وفي مسلم
انه سجد سجدتين بعد السلام وفي البخاري عن ابي سلمة انه صلى الظهر
او العصر وسلم على راس ركعتين وفي رواية على ثلاث وفي رواية انها كانت
صلاة المغرب وقد رواه مفصلة الحافظ العلائي باسانيدها ومتابعاتها
وليس هذا مما يلزم ايراده هنا فقام ذو اليدين من صلاته وسمي
ذا اليدين لطول يديه وكان يصلي خلفه صلى الله عليه وسلم وفي رواية
ذو الشمالين قيل وهما اسم رجل واحد وقال العلائي انه غيره على
الصحيح وثبت من طرق ان ابا هريرة رضي الله عنه كان حاضرا في هذه
القصة كما صرح به في رواية المص بقوله سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الخ وفي رواية لمسلم صلى بنا صلاة الظهر وفي اخرى
الظهر او العصر وفي رواية احدى صلاتي العشي من طرق صحيحة كلها
تدل على ان ابا هريرة رضي الله عنه كان حاضرا بها قال العلائي ولا خلاف في ان اسلام
ابي هريرة كان سنة سبع ايام خيبر ولا خلاف بين اهل السير ان ذا الشمالين
استشهد ببدر سنة اثنتين قال ابن اسحاق هو عمرو بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو
ابن عتبان بن سليم بن مالك بن افصى من خزاعة حليف بني زهرة وقال مسدد ابن
مسرهد الذي قتل ببدر ذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بني زهرة وذو اليدين
رجل من العرب بالبادية كان يجي فيصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وابدقول
مسدد ابن عبد البر وقال انه الذي عليه اصحاب السير والفقهاء ولذا روي
عن ابي هريرة انه قال فقام رجل من بني سليم وقيل ان ذا اليدين عمر الى خلافة
معاوية وتوفي بذي خشب وقول الزهري انه ذو الشمالين بن عبد عمرو
غلط فيه وروايته فيها اضطراب وقيل انه لم ينفرد بتسميته ذو الشمالين
ورد المص في الاكمال قول من غلط الزهري واختلفوا ايضا في تسمية ذي
اليدين فقيل الخرباق واختاره المص والنووي وابن الاثير وقال ابو حاتم
وابن حبان ان الخرباق غير ذي اليدين وقال ابن عبد البر والقرطبي يحتمل انه غيره
وقد جمع بين الروايتين بتعدد الواقعة فاحداها قبل بدر والمتكلم فيها
ذو الشمالين ولم يشهدها ابو هريرة بل ارسل روايتها والثانية حضرها
والمتكلم فيها ذو اليدين كما حكاه المص في الاكمال واختاره لما فيه من الجمع بين الروايات
ونفي الغلط عن مثل الزهري قال العلائي وفيه نظر لان فيها ما لا يمكن الجمع فيه
ولا شك ان ذا اليدين غير ذي الشمالين وقال بعضهم ان القصص ثلاث
والكلام فيه طويل لا يسعه هذا المقام فاعرفه فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة
روي كما قال الحافظ العلائي بضم القاف وكسر الصاد بالبناء للمفعول وهي
المشهورة وروي بفتح القاف وضم الصاد وهذا الفعل مع لازما بضم
عينه وفتحها وهو متعدي كقصرها بالتشديد وافرها على السواء كما حكاه

الازهري ولا يقال ان قصر اذا كان مخففا لا يتعدي الا بحرف الجر كقوله تعالى
ان تقصروا من الصلاة لانا نقول تعديه بنفسه ثابت حكاه الجوهري
وغيره ومن زايدة عند الاخفش وعند سيبويه تقديره شيا من الصلاة ومعناه
يرجع الى الاختصار والكف ومنه قصر طرفه على كذا ام نسيت تقدم ان
النسيان ترك ما لابد منه اما لغفلة او لضعف قلب حتى يزول تذكره وانه
يذم منه ما كان عمدا ويعذر فيما لم يكن سببه منه كقوله رفع عن امتي الخطا والنسيان
وانه اذا نسب الى الله فمعناه الترك كما قاله الزجاج وابن سيده وام متصلة
ولابد ان يتقدمها استفهام لفظا او تقديرا مع تساوي ما دخلا عليه سوا
كانا اسمين ام لا ويكون بمعنى اي الامرين وتكون للسوال عن احد الامرين
ليعين كما هنا والكلام عليها مفصل في كتب العربية فقال صلى الله عليه وسلم
جوابا لذي اليدين كل ذلك لم يكن لما سلم صلى الله عليه وسلم واقتصر على
ركعتين او ثلاث دار الامر عند ذي اليدين بين امرين النسخ او السهو
فسال عن تعيين احدهما فحق الجواب تعيين احدهما لكنه اجاب بنفي كل
منهما معينا ونفس الامر لا ينفك عن وجود احدهما وما ذكره صلى الله عليه وسلم
بحسب ظنه لانه لا يتبع الخلف في اخباره وذو اليدين تحقق عدم النسخ فتعين
وقوع السهو كما سياتي والسوال المقترن بام لطلب التعيين بعد الاستثبات
يجاب بالتعيين لجوابه صلى الله عليه وسلم على حسب ظنه كما علم ونظيره قول
ذي الرمة • تقول عجوز مدرجي مترحا • علي بابها من عند اهلي وغاديا •
• اذو زوجة في المصر ام ذو خصومة • اراك لها بالبصرة العام ثاويا •
• فقلت لها لا ان اهلي جيرة • لاكثبة الدهنا جميعا ومالياء •
فالجواب باحدهما انما هو اذا كان فيهما احدهما والا يجاب بنفيهما وقد يراد
بذكر ثالث فيهما وان لم يسال عنه وهذا مما لا شبهة فيه فان قلت كيف جوابه
صلى الله عليه وسلم بنفيهما واحدهما محقق فيلزم الخلف في اقواله وخبره وهو لا يجوز
عليه قلت قد اجيب عنه كما في شرح مسلم بوجوه احدها انه نفي الجميع
اي لم يكن لا هذا ولا هذا معا وهو لا ينافي وجود احدهما وقد رد هذا بان
تصريحه بقوله لم انس ولا نسيت فانه مذكور في الحديث في بعض الروايات وكونه
مصروفا الى السلام كما قيل لا وجه له اي كما ياتي في كلام المص الثاني انه مبني
على الفرق بين السهو والنسيان اي سهوت ولم انس وهو بعيد لانه
وان كان بينهما فرق يستعمل كل منهما بمعنى الاخر الثالث انه نفي اضافة
النسيان اليه وكره اضافته له كما ورد لا يقل احدكم نسيت فانه انما
نسي اي خلق الله فيه النسيان وليس فعلا له وهذا انما قال المص
انه اختير عنه وهو ضعيف فانه فعله بلا شبهة وان كان بخلق الله
الرابع انه اخبار عما في ظنه واعتقاده وكانه قال كل ذلك لم يكن في

ظني

ظني ولو قال ذلك لم يكن فيه خلف وكذب والمنوي والمقدر كالمذكور كما
لو حلف على شي يعتقده وهو غير واقع يكون يمينه لاغية كما ذهب اليه
بعض الفقها فانه ليس مما كسبت القلوب وليس هذا مبنيا على ان الصدق
والكذب باعتبار مطابقة الواقع وعدمها مما يخالف مذهب الجمهور فان
ظنه ذلك واقع والنفي منصب على القيد فكل ذلك لم يكن لنفي القصر
والعلم بالنسيان وهو صحيح واقع وكل ذلك روي كما قاله التلمساني بالرفع
والنصب وعليه بني انه لشمول النفي او لنفي الشمول كما فصله اهل
المعاني في قوله • قد اصبحت ام الخيار تدعي • على ذنبا كله لم اصنع •
وهذا البحث مع طوله شهرته تغني عن ذكره فان اردته فارجع الى
المطول وحواشيه وفي رواية اخرى لهذا الحديث ما قصرت اي الصلاة بالبنا
للمفعول وما نسيت الحديث بقصته وفي رواية لم انس ولم تقصر فاخبره اي اخبر
صلى الله عليه وسلم ذا اليدين السايل له بنفي الحالتين يعني النسيان والقصر في
الروايات كلها وانها اي كل حالة منهما لم تكن واقعة منه فافرد الضمير المونث
لتاويله باسم الاشارة وفي نسخة وانهما لم يكونا والحال انه قد كان احد ذلك
المذكور وفي اسم الاشارة تنبيه على ما قلناه كما قال له صلى الله عليه وسلم
ذو اليدين ثم كان بعض ذلك يا رسول الله وهذا بيان لمحل الشبهة لوقوع
الخلف في قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن كما بيناه انفا وفي قوله
بعض ذلك اشارة الى نقيض القضية الاولى التي هي سالبة كلية بالموجبة
الجزيية وليس هذا محله كالكلام على تقدم كل على النفي وتاخرها عنه
كقول المتنبي • ما كل ما يتمنى المرء يدركه •
وقد اطال الكلام فيه في الشرح الجديد وقد تركنا الاطالة خوف الملالة
فاعلم وفقنا الله واياك جملة دعائية معترضة ان للعلما من المحدثين والفقها
في ذلك السهو الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في هذه القضية اجوبة بعضها
بصدد الانصاف الصدد معناه القرب هنا اي قريب من الانصاف يقال داره
صدد داري اي في مقابلتها وقربها فهو ظرف متصرف والبا بمعنى في
والانصاف العدل والاستقامة في الامور ومنها اي بعض الاجوبة
ما هو بنية التعسف والاعتساف روي بنون وتحتية مشددة وهي تكون بمعنى
القصد وعقد القلب وبمعنى الجهة التي يذهب فيها وبمعنى البعد كالتوي
كما في القاموس وغيره من كتب اللغة وهما شايعان في الاستعمال وروي
بمثناة فوقية من تاه يتيه اذا ضل عن الطريق ويكون بمعنى الارض
الواسعة التي تضل سالكها كتيه بني اسرايل والتعسف والاعتساف
السير على غير الطريق والجور والظلم هذا حقيقته لغة فعلى الاول انه اريد

www.alukah.net

به انه قصد الجور والتقدير على من خالف من العلماء والتعسف بمعنى انه
في حاله ومقاله غير مستقيم والاعتساف بمعنى حمل غيره على ذلك فهو ضال
مضل فلا تكرار فيه لاجل التجانس كما قيل والاحسن ان يقال انه استعارة
تمثيلية بتشبيه مسلكه فيما قاله بمن دخل مسافة ضل فيها لكونها حرتا
بعيدة لم يهتد لطريقه وكذا على الثاني التيه بمعنى القفر الواسع
او الضلال وتفسيره بالتكبر بعيد بمراحل عن مقصده فتامل وها انا اقول
شروع في بسط ما يرتضيه عدولها عن طريق من تعسف وها للتنبيه وما
بعده مبتدا او خبر والفصيح ان تدخلها على اسم الاشارة او على ضمير خبره
اسم اشارة نحو هذا او ها انا ذا وها انا ايضا مسموع كما في شرح التسهيل انا على
القول بتجويز الوهم تقدم انه بفتح الهاء وجوز ناسكونها مع تفسيره بما مر والغلط
اي الخطا عمدا لعدم علمه بالصواب ويقال في الحساب غلطت بمثناة وقيل
انها لغة والفرق بينه وبين النسيان والسهو ظاهر فيما ليس طريقه معناه
معروف مستعار هنا لنوعه وجنسه من القول لا من قبيل الافعال فانها
ليست محل الخلاف هنا ومن بيانية مقدمة من تاخير البلاغ خبر ليس اي
اي لا يتعلق بدحكم او وحي او خبر عن امر المعاد وهو اي هذا القول
الذي بيناه اي رددناه ولم نرضه مستعار من النقد الزايف المغشوش
الذي ابطل السلطان التعامل به من القولين المذكورين سابقا وهذا
اعتراض بين اما وجوابها تذكيرا بما تقدم فلا اعتراض على ما تقرر في
عصمة الانبيا بهذا الحديث المذكور في قصة ذي اليدين وشبهه مما روي
فيه عنه صلى الله عليه وسلم فيه سهو ونسيان ونحوه لا يمتنع فيما ليس
طريقه البلاغ واما على مذهب من منع السهو والنسيان في افعاله دون اقواله
كغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام جملة اي جميعا وقد استعمله
بهذا المعنى كثيرا وهذا القول ذهب اليه كثير من مشايخ الصوفية
وبعض المتكلمين وخصه بعضهم بنبينا صلى الله عليه وسلم ويرى اي
يعتقده رايا انه صلى الله عليه وسلم في مثل هذا عامدا وقاصدا
لكل ما يفعله لصورة النسيان فياتي به على وجه العمد ذاكرا له موهما لغيره
انه ناس ليسن اي ليعلم الناس سنته في السهو كالسجود له ونحوه
من الاحكام وكان حقه ان يذكره لهم لتعلمهم لكن البيان بالفعل اظهر
وفي شرح مسلم شذت طايفة من الباطنية وارباب القلوب فقالوا
لا يجوز النسيان عليه وانما نسي قصدا اي اتى بما هو في صورة النسيان
ليبين حكمه وقال المحقق الاسفرايني هذا مني غير سديد وجمع الضد
مع الضد مستحيل والاول هو الصحيح فان السهو في الافعال غير مناقض
للنبوة ولا قادح فيها بخلاف الاقوال في البلاغ انتهى فهو على هذا القول

صادق

صادق في خبره اي قوله لم انس ولم تقصر ونحوه لانه لم ينس ولا قصرت الصلاة
ولكنه على هذا القول بقصده لصورة النسيان ذاكرا له تعمد هذا الفعل اي
سلامه مقتصرا على ركعتين في هذه الصورة اي صورة الناسي ليسنه اي
يجعله سنة لنا اعتبارا اي عرض له ووقع منه مثله اي مثل هذا الفعل
ناسيا من امته ليقتدوا بافعاله وهو قول مرغوب عنه اي متروك لبعده
وضعفه عنده وفي الحواشي التلمسانية عن ابن سيدي الحسن قال سمعت
ابي رحمه الله يقول عن شيوخه ان السهو في الصلاة يكون عن معصية
سبقت منه ولذا صين عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وقد بين وجه
كونه مرغوبا عنه كما اشار اليه بقوله تذكره في موضعه من هذا الكتاب
وقد قال العلامة العلاي ان هذا القول خطا لانه صلى الله عليه وسلم
اخبر عن نفسه بوقوع النسيان منه في حديث بن مسعود المتفق عليه انما
انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وايضا لو كان هذا عمدا لبطل الصلاة
ولا يعلم العمد في صورة النسيان الا اذا ايتمه بالقول ولا ينقل عنه ذلك
واما على القول بحالة السهو عليه في الاقوال الصادرة عنه والمراد بالحالة
المنع كما يدل عليه مقابلته بالتجويز في قوله وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه
القول من الاعمال كسهوه في الصلاة ففيه اجوبة منها اي من الاجوبة
عن قول القايل على هذا القول انك قلت لا يقع منه صلى الله عليه وسلم
سهو في الاقوال وقد وقع منه ذلك في قوله كل ذلك لم يكن مع انه كان
بعضه كما تقدم فاجاب عنه بقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بقوله كل
ذلك لم يكن عن اعتقاده وضميره اي ما اضمره في نفسه وقدره في كلامه
من هذا القيد اما انكاره صلى الله عليه وسلم القصر اي ان الصلاة الرباعية
تسمى كونها رباعية في الحضر فصارت ركعتين ولذا سلم منها فحق وصدق
لا شك فيه ولا شبهة ظاهرا وباطنا اي انكاره صلى الله عليه وسلم ذلك
وقع ظاهرا للقصر بحيه وباطنا لاعتقاده له اذ لم يرح البتة خلافه وما ينطق عن
الهوى واما النسيان اي انكاره صدوره منه في فعله مع وقوعه منه ولا تخبر
بخلاف الواقع عمدا فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده ظنا منه لذلك والاعتقاد
يطلق على اليقين والظن الراجح عنده فقوله لم انس المراد به انه لم ينس في ظنه
فكان صلى الله عليه وسلم قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به ولم يقل اعتقادي
وظني لكنه لارادته وتقديره في كلامه واضماره في نفسه كان كالملفوظ به
المذكور من حالا لان المقدر كالمصرح به فيكون كلامه هذا حقا وهو صدق مطابق
للواقع لانه في نفس الامر لم يظن انه نسي ولم يخطر ذلك ببالة ايضا اي كما ان القصر
كذلك او كما ان المنطوق به صدق فلا يتوهم ان كونه صدقا مبني على ان الخبر
الصادق ما طابق الاعتقاد والجمهور على خلافه فان قلت فما بال ذي اليدين

ردّ هذا بقوله بل كان بعض ذلك وهو لم يكن في ظنه واعتقاده قلت لم يرد
ذو اليدين تكذيبه صلى الله عليه وسلم وانما اراد تنبيهه على ان ظنه غير
مطابق للواقع لانه امر شرعي لا تسامح فيه فلما قال له ذلك شك صلى الله
عليه وسلم في امره وسال من عنده من الصحابة فصدقوا ذا اليدين على ما
قاله وكانهم لم يسبقوا ذا اليدين بذلك مهابة له صلى الله عليه وسلم ولذا شك
في امره لانهم سكتوا عن امره لا يخفى عليهم وفيهم مثل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
والظاهر ان القول الاول مبني على عدم وقوعه في الاقوال البلاغية وفي
الافعال ايضا وخص الثاني بالذكر لانه محل الخلاف وقد وقع لبعضهم هنا
خبط اغضينا عنه لركاكته **ووجه ثان** في الجواب عما ذكر على هذا القول وهو
ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على احدى الروايات كما تقدم **وانس راجع**
الى السلام من الصلاة والاقتصار على ركعتين او ثلاث منها **اي ابى سلمن فعدا**
لنفس السلام فليس سبق لسان متى **وسهوت عن العدد** اي عدد الركعات
فتوهمت اني اتممتها **اي لم اسه في نفس السلام** لظني اني اكملتها اربعا والمقصود
من هذا دفع الخلف عما قاله **وهذا** التاويل **محتمل** بصيغة المفعول اي يجوز
حمل الحديث عليه لما ذكرناه **لكنه فيه بعد** لانه خلاف الظاهر وقول ذي اليدين
له بلى نسيت كما تقدم في بعض الروايات مبعد له لا مناف ولا حاجة لان
يقال ان ذا اليدين لم يفهم مراده وكذا قوله صلى الله عليه وسلم للصحابة احق
ما يقوله ذو اليدين وقد قيل انه يابا ه قرينة الحال والمقال وهو الذي
عناه المص **ووجه ثالث وهو ابعدها** اي الاجوبة **ما ذهب اليه بعضهم وان اشتمل**
اللفظ اي لفظ الحديث ويبينه بقوله **من قوله كما ذكر لم يكن اي لم يجتمع النفي والنسيان**
معه في الانتفاء بان ينتفيا معا **بل كان احدهما** وهو النسيان لان النفي قد يكون
لنفي المجموع وقد يكون لنفي واحد لا على التعيين **ومفهوم اللفظ خلافه** اي مخالف
لهذا الجواب ويؤيده ما في بعض الروايات كما اشار اليه بقوله **مع الرواية الاخرى**
الصحيحة في هذا الحديث **وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت** فان اعادة النفي تقتضي
ان كل واحد منهما منفي لا احدهما فقط يعني ان محصل هذا الجواب انه كل محمول
على الكل المجموعي نحو كل الرجال يحمل هذه الصخرة العظيمة وهذا وان كان صحيحا
لكنه خلاف المتبادر لا سيما في النفي وسياق الحديث ياباه وكذا قول ذي اليدين
بلى كان بعض ذلك فان الموجبة الجزئية انما تنافي السالبة كما فصلوه في كتب المعاني
والاصول وكذا ينافيه ما في الرواية التي ذكرها **هذا** المذكور من الاجوبة **هو ما اثبت**
فيه اي في هذا الحديث الذي تقدم بيانه رايته مذكورا **لا بعضنا** من المحدثين والفقهاء
وكل من هذه الوجوه التي ذكرها **محتمل للفظ** يعني لفظ الحديث **على بعد** بعضها في الواقع
وسياق الحديث **ونفس الاخر** بفتح الخاء اي تكلفه وبعده عن الطريق المستقيم **قال**
القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله **اقول** في الجواب عنه وايضا

ابن اقرس

مرضي

لي

لي

لي انه اقرب الى الصواب من هذه الوجوه المذكورة **كلها** ان قوله صلى الله عليه وسلم **لم**
انسى في الحديث **انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه** بقوله لم انس بصيغة المتكلم
وانكره على غيره يعني كل احد من امته بقوله **ايضا لاحدكم** معاشر الملة والمسلمين
اي ليس يستقيم لكل احد من المسلمين ان يقول نسيت اية كذا او كذا كناية عن
بعض الايات التي ايتة **ولكنه نسي** مبني للمجهول مشدد السين اي انساه
الله لانه فعل الله لا فعله فلا ينبغي اضافته له مع ما فيه من الاشعار بتهاونه
بالقران بمباشرة اسبابه المقتضية لذلك وقيل معنى نسي انه نسخت تلاوته
لحكمة فيكون مخصوصا بزمانه صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك لئلا يتوهم
الضياع لحكم القران ويبس من افعال الذم اصلها بئس بمعنى اصابه البوس
ثم نقلت بغير لفظها ومعناها وفي ما الواقعة بعدها اقوال فقيل انها
تامة وقيل موصولة وقيل نكرة في محل نصب تمييز كما فصله النحاة ونسي مشدد
كما مر وروي بالتخفيف في مسلم وقال المص كان الوقشي لا يجيز فيه الا التخفيف
والتثقيل هو الذي وقع في جميع روايات البخاري وكذا هو مروي وعليه ابو
عبيدة وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كره نسبة النسيان الى النفس لان
الله هو الفاعل الحقيقي ولان النسيان معناه الترك فكره ان يقول الانسان
تركت القران لاشعاره بالتهاون به وعلى رواية التخفيف معناه انه ترك
وحرم الخير انتهى فاراد ارشادهم الى نسبة الافعال لخالقها واقرارهم بالعبودية
والاستسلام وهو ادب اولى لا يمنع نسبتها لمكتسبها كما قال موسى وابو شيخ
عليهما الصلاة والسلام نسبت الحوت وقد ينسب للشيطان لانه بوسوسته
نحو ما انسانيه الا الشيطان ونسيان القران غير محمود لانه غفلة عنه وتفريط
فيه لا ينبغي فيحل ويحتمل ان يكون فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى لا يقل احد عني اني نسيت اية كذا فانه تعالى نسخها لحكمة كما مر
وهذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما وبما ذكرنا سقط ما قيل ان هذا الجواب
الذي ارتضاه يرده قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت لانه لو كان اذا نسيت
علم الله له لانه هنا اللائق واضافته له لنكتة لم يتفطن لها وقيل انه مخصوص
بالقران لانه هو الذي علم له فيكون هو الذي انساه ايضا فتامل **وتقول في**
بعض روايات الحديث كما في موطا مالك **لست انسى** بصيغة المتكلم المعلوم
المخفف **ولكن اسنى** بالمجهول المشدد اي ينسيني الله لحكمة كالتشريع وتعليم
الامة **فلما قال له الناس** اي ذو اليدين **اقصرت الصلاة ام نسيت** يا رسول الله
انكر قصرها لما كان اي تحقق في الواقع حقيقة **وانكر ايضا نسيانه** صلى الله عليه
وسلم لبعضها والمنكر من نسيانه **هو** ما كان **من فعل نفسه** وفي نسخة قيل
اي انه فعل ذلك بكسبه وتعاطي اسبابه من غير ايجاد الله له فيه وخلقه
لما لم يكن في جبلته كغيره **فان وجد شيء من ذلك** النسيان **فقد نسي** بالمجهول وتشديد

لا اصوابا الترك كره النسيان عن ان يقول تركت باختياري وانكر عليه غيره جبلة الناس الوقوف انكره عليه الصدوق الخ في رواية الشيخ عن ابي هريرة يقول بئسما لاحدكم الخ

نسي السين والفتح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

السين اي اوجده الله فيه من غير تعاط لاسبابه حتى سال صلى الله عليه وسلم غيره
من الصحابة الحاضرين عنده عنه بقوله اخق ما يقول ذو اليدين فقالوا نعم وهذا
غاية بانه لم يعلم نسيانه لانه لم يقصر في ذكر الله وطاعته فلذا استبعد صدور
مثله عنه فان قلت اذا انساه الله فلا بد ان ينسى لانه مطاوعه الذي لا ينفك
عنه ولازمه الذي لا يفارقه قلت اللازم وقوع نسيان اوجده الله فيه لحكمة
لا ما صدر بتعاطي اسبابه وتقصيره كغيره فتحقق انه نسي بزنة علم
اي انساه الله فنسي لحكمة واجرى الله عليه ذلك النسيان ليسن اي ليعلم
امته احكام السهو كالسجود ونحوه فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا التوجيه
الذي استظهره لم انس ولم تقصر وقوله في رواية اخرى فلذلك لم يكن
حق مطابق للواقع محقق وصدق لا ظن فيه كما توهم ومعناه انتصر الصلاة
حقيقة في نفس الامر ولم انس حقيقة اي نسيانا صدر مني صدورا
حقيقيا وانا الفاعل له صورة وانما الفاعل له حقيقة هو الله وانا الة له
نسبته الى الكسبة القطع للسكين كما هو مذهب الاشعري في افعال العباد
المضافة لهم وهذا الاينافي كونه حقيقة لغوية كمات زيد ولكن نسي بالبنا
للمجهول والتشديد ووجه اخر في الجواب عما في هذا الحديث استثرت بسين مهملة
ومثناة فوقية ومثلثة وراء مهملة واصله استثورت ومنه فاثرن به نقعا وهو
من ثار الغبار يثور اذا انتشر وعلا فشبهه لخفائه بشيء مدفون نبش التراب
عنه حتى ظهر له اي استخرجته بنبهي وولدته من كلام بعض المشايخ وانه يجوز
به وينصوا عليه وهو مبني على الفرق بين السهو والنسيان وذلك الوجه
المستخرج انه اي بعض المشايخ قال ان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى
لان السهو ما يقع بادني غفلة وينتبه له بادني تنبيه والنسيان ما يزول
عن الحافظة بالكلية حتى يحتاج لتذكير كثير ولذا نفى عن نفسه النسيان اذ قال
لم انس لان النسيان غفلة وافة اي كالمرض الذي يعرض له ولذا عده الاطبا من
الامراض الدماغية المحتاجة للعلاج والسهو انما هو شغل بال اي يحصل
عند ما يعرض من شغل البال باموره والنظر لغيره بحيث ينتبه له سريعا قال
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته كما وقع له مرارا لمراقبته لربه وتوجهه له ولا يغفل
بضم الفا عنها اي عن صلاته لتنزهه عن ان يستولي على قلبه الشريف شاغل
عن عبادته وانما كان يشغل عن حركات الصلاة في السجود والركوع بما في الصلاة من قرة
عينه بمشاهدة تجليات ربه وتدبر اياته شغلا بها لا غفلة عنها بغيرها
فلذا كان صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى فهذا المذكور ان تحقق وتقوى
حقيقته على هذا الوجه والمعنى الذي قرره لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت
الصلاة ولا نسيت في الحديث خلف في قواصد رمنه حتى سال عنه وقد تقدم ان هذا
مخالف لما روي من قوله صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون وان الفرق

بينهما

بينهما لغة فيه شيء يعلم مما تقدم ووجه اخر وفي نسخة وعندي ان في
الجواب وجها اخر وهو ان قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك وهو
احد وجهي النسيان احد معنييه الواردين في كلام الله وغيره كما اذا اسند الى الله
تعالى وهو مجاز مشهور ملحق بالحقيقة اراد وفي نسخة اراد والله اعلم
على هذا التقدير انى لم اسلم من ركعتين تاركا لي الصلاة عن قصد ولكني نسيت اي
سهوت عن اتمامها فالنفي في كلامه الترك عمدا او هو لا ينافي السهو والنسيان
ولم يكن ترك الاتمام من تلقاء نفسي اي من عند نفسه وقصدها له والدليل على
صحة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر الصحيح اني لا انسى اي اترك
قصدا او انسى من غير قصد بل بارادة الله وايجاده في ذلك لحكمة اشار اليها
بقوله لاسن تقدم تفسيره وهذا مبني على احد التفسيرين في هذا الحديث
وفيه توافيه وجه اخر هو اقرب من هذا والمراد به السهو بما تعاطيت اسبابه
من الاشتغال او بدونه لحكمة ربانية وبقي في هذا الحديث امور اخر مما يتعلق
بانه صلى الله عليه وسلم وقع منه افعال وكلام في اثنا صلاته قبل اتمامها ومثله
يبطل الصلاة والكلام فيه طويل الذيل افرده الحافظ العلاي بتاليف نفيس
ولما لم يتعرض المص لذكر الحديث بتمامه ضربنا عنه صفحا فان اردته فخذه
من معدنه ولصعوبة الكلام في هذا المقام ختمه في بعض النسخ بقوله
والله الموفق للصواب اي المقدر على ادراكه والقيام به وهو الحكم المطابق للواقع
فيرزقني موافقة ما هو الواقع من ذلك والتوفيق خلق القدرة على الطاعة
المقارنة لها وتقدم الكلام عليه في الخطبة واما قصة كلمات ابراهيم الخليل عليه
وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام الواردة على ما قدمه من ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا يصدر عنهم خلف في اقوالهم وينافيه ما في هذه
القصة عن جل الانبيا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم الواردة وفي نسخة المذكورة
في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات الخ واليه اشار المص بقوله
وفي نسخة المذكورة انها كذبات بفتح الهمزة بدل من قصة او معمول للمذكورة
وكذباته بفتح الكاف والذال المعجمة جمع كذبة بسكونها لان عين فعلة اسما
تحرك في الجميع كتمرة وتمرات وركعة وركعات الا اذا كانت صفة او مضاعفة
او معتلة العين كضخمات وجوزات كما في المغرب وقيل انه يقال بكسرها في
المفرد والجمع فهي جمع كذبة اسم جامد الثلاث المنصوصة اي المذكورة صريحا
في الارادة منها اي من تلك الكذبات الثلاث اثنتان في قوله تعالى في سورة الصافات
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم كما سياتي بيانه وقوله تعالى في سورة الانبيا
قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم
ان كانوا ينطقون وقوله في قصة ابراهيم وهذه هي الثالثة الواردة في الحديث

نعمات شاذ لما اذا كانت عينه فعلة صفة وجمعات لمضعفها وبيضات وجوزات لمعتلها فيتحرك العين على السكون المخففة في النطق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوله سارة هي بتشديد الراء المهملة وقد تخفف

الملك بكسر اللام اي سلطان زمانه لما سال ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وفي اسم هذا الملك اختلاف فقيل سنان وقيل عمرو وقيل صادوق وعمرو
ابن امرئ القيس ملك مصر **عن زوجته** سارة رضي الله عنها حين اخذها لما
وصف له جمالها وسأله عنها فقال **انها اختي** قال صلى الله عليه وسلم تقية
خشية ان يقتله لو قال انها زوجتي فنجاه الله منه كما سياتي تفصيله
ولما كان هذا واردا على ما قرره من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
عن الكذب عمدا وسهوا اورده على سبيل السؤال ثم ذكر الجواب عنه بما سياتي
مفصلا واورد على الحصر الوارد في الحديث بقوله ما كذب ابراهيم الا ثلاث
كذبات انت بمثنة رابع هو قوله في الكواكب هذا ربي وقد تعرض لهذا
الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولم يجئ بما يشفي الغليل والذي يدفعه
ان تقديره اهذا ربي على طريق الاستفهام التوبيخي لا اثباتهم بالجحد
كما قرره المفسرون وحاصل قصة سارة ان جبارا من الجبابرة قيل له
ان هنا رجلا معه امراة احسن النساء فارسل اليه وسأله عنها فقال هي
اختي ثم قال صلى الله عليه وسلم لها انه ليس على وجه الارض مومن غيري
وغيرك الآن يعني انها اخوة الاسلام لا النسب كما قال تعالى انما المومنون
اخوة كما ياتي بيانه ذلك فلما اتى بها اليه تناول يده فشلت يده فقال لها
ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فاطلق ثم فعل مثل ذلك ثانية وثالثة
فقال لهم ما اتيتموني الا بشيطان وقوله اتي سقيم لانه عليه الصلاة
والسلام كان لاياتي معهم في اعيادهم لاصنامهم فنظر النجم طالعا فقال هذا
يطلع لسقمي كما ياتي وكانوا اهل فلاحة وزعامة ينظرون في النجوم واحكامها
وكان ذلك مما اوحاه الله لهم فلما حبست الشمس ليوشع ابطله الله تعالى
وقال الضحاك انه بقي لزمن عيسى عليه الصلاة والسلام قد عفى الله برفعه
فرفع وحرم النظر فيه شرعا وفيه بحث وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
حاج عبدة الاصنام فلما عجز عنهم كسرها وجعل فاسه في عنق صنم اكبرها
لم يكسره ليلزمهم الحجة كما قصه في كتابه الحكيم وبينه المفسرون وقد علمت
ان قوله اختي المراد به اخوة الاسلام وانه انما قاله ليمتنع الملك من اخذها
او لئلا يقتله لانهم كانوا لا ياخذون منكوحة الغير او كانوا يقتلونه او قال
ذلك ليعلمه غيرته عليها او اراد انها ليست جارية في ملك يمينه فيطلب
منه بيعها له وقد علم ان الله طهر محرم الانبياء عن الفواحش فنزههم
عما يأباه مقامهم وقوله كلمات ابراهيم دون كذبات فيه ادب لطيف
وصرح به بعده اتباعا للحديث وبيانا لنشر السؤال **ما على اكرمك الله**
دعا له بالاكرام لاكرامه الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمعرفة علو مقاماتهم
عما فيه شين لهم **ان هذه** اشارة لكلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام **كلها**

خارجة

خارجة عن الكذب لان الله تعالى عصمهم عنه قبل النبوة وبعدها **الا في القصد**
والا في غيره من السهو والنسيان كما مر وهي اي الكلمات المذكورة **داخلة في باب المعاريض**
جمع معراض ويقال معرض بكسر الميم وجمعه معارض وهو من التعريض وهو
خلاف التصريح والتلويح نوع من الكناية كالتورية بان يتكلم بما يوهم خلاف
مراده كقوله اختي المحتمل لمعنيين كما تقدم فان قلت قوله اختي ادعى لاخذ
الملك لها بان يقول له زوجتها فلا وجه للعدول عن الظاهر قلت
نقل البرهان عن ابن الجوزي رحمه الله انه عليه الصلاة والسلام علم انهم على
دين المجوس ومن دينهم ان الاخت اذا تزوجها اخوها كان احق بها من
غيره فالتجأ لما يعتقده في دينه فاذا هو جبار لا يراعي دينه وقد
ارتضى هذا الجواب غيره واعترض بان المجوسية دين زرادشت
وهو بعد ابراهيم واجيب بانه دين قديم وانما زرادشت
اظهره وزاد فيه خرافات فتامل **التي فيها مندوحة** اي في المعاريض سعة
يتخلص بها من الكذب من قدح بمعنى توسع ومندوحة بفتح الميم وضمها
لحن وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال له عن هذا الامر مندوحة وتندح
والمتندح المكان الواسع وهو التندح ايضا من اندحت الغنم في مراحها
وقال ابو عبيدة المندوحة الفسحة والسعة ومنه انداح بطنه اذا اتسع
وانداح لغة فيه وهو غلط من ابي عبيدة لان نونه اصلية وانداح انفعال
نونه زايدة واشتقاقه من الدوح وهو السعة انتهى اقول تبعه
فيه الجوهري وخطاه فيه صاحب القاموس **عن الكذب** اي في سعة القول ما يغني
عن تعمد الكذب فهو صدق لا كذب فيه وقد علمت انه ضمنه بمعنى التخلص
ولذا عداه بعن وفي الحديث ان في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب رواه
البخاري في الادب المفرد مسندا موقوفا على عمران بن حصين رضي الله عنه
واخرجه الطبراني والبيهقي من طريق اخر عن قتادة مرفوعا وحسنه العراقي
فلا عبرة بقول الصاغاني انه موضوع واي بيان هذا الحديث اشار المصنف رحمه
الله تعالى بقوله **اما قوله** اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه
اني سقيم فقال الحسن ابن ابي الحسن البصري الذي تقدمت ترجمته
وغيره من العلماء في الجواب عنه **معناه اني سأسقم** في المستقبل **اي ان كل يحلون معرض**
اسم مفعول مشدد الراء **الذلك** اي السقم والمرض **فاعتذر لقومه من الخروج معهم**
الى محل عيدهم اي ذكر لهم عذرا في عدم خروجه معهم لمحل اجتماعهم في اعيادهم
عند اصنامهم لما اراد واخروجه معهم اليها وفعيل بمعنى فاعل حقيقة
في الحال ويجوز ان يراد به الاتصاف في المستقبل مجازا والقرينة انما
تشترط لفهم المخاطب لا للخروج عن الكذب اذا نواه فانه مصدق فيه شرعا
كما قيل وفيه بحث لان الفرق بين الكذب والمجاز انما هو بالقرينة وعدمها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فما قاله يعود عليه بالضرر والذي ينبغي ان يقال إن سقيم ومريض ملحون بالاسما
الجوامد كمن وكافر فلا يختص بزمان فهو حقيقة فيما ذكر وهو ظاهر كلام
الكشاف فانه قال من عنقه الموت سقيم وفي المثل كفى بالسلامة داء وقال
لبيد ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليتصحني فاذا السلامة داء
ومات رجل فجاة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في
عنقه ومنه اخذ المتنبي قوله
قد استشفيت من داء بداء وأقتل ما أعلك ما شفاكا
فلا يرد عليه ما قيل انه مجاز والاصل الحقيقة والذي غره قوله معناه ساسقم
هذا اي الجواب او الامر هذا كما تقدم وفي نسخة بهذا فهو متعلق باعتذر وقيل
اي وقد قيل فالجملة حالية بتقدير قد بل سقيم بما قدر عليه من الموت يعني
انه اراد بسقيم انه حزين مشغول الفكر بعلمه من انه لا بد من الموت والغم مرض
من الامراض القلبية ومن كان كذلك لا يليق به ان يفرح بالاعياد ولا يكون في
محال اللهو واللعب ولذا ورد كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان متواصل
الاحزان وفي الحديث لو تعلم البهايم من الموت ما تعلمون من الموت ما اكلتم منها
سمينا فوزي عليه الصلاة والسلام عما اراد بهذا وقيل معناه اني سقيم القلب اي قلبي
سالم بما شاهدته وفي نسخة أشاهده من كفركم وعنادكم في الباطل وعدم قبول
الحق وقيل بل كانت الحمى تاخذه اي تعرض له وتستولي عليه حتى كانها اخذته واسرته
عند طلوع نجم معلوم له اولها ولذا قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فلما
راه اي راي ذلك النجم طالعا اعتذر لهم بعدم حضور اعيادهم معهم خوفا من
السقم الذي يعرض له اذا اطلع ذلك النجم وهذا الجواب ذكره النووي ايضا
وقال ابن حجر انه بعيد لانه يكون حقيقة وليس من المعاريض والتورية
في شي ورد بان المعاريض ان يذكر ما يدل على معنى قريب ومعنى بعيد فيراد
البعيد ويوهم مخاطبه انه اراد القريب وهذا كذلك لان ظاهره انه سقيم
بالفعل حالا والمراد انه في زمان مرض وسقم لم يكن والفرق بين هذا
وبين الجواب الاول ظاهر لمن تدبر وكل هذا على ما ذكر من التاويل الذي صرفه
عن ظاهره ليس فيه كذب كما يتوهم من ظاهره بل هو خبر صحيح صدق اي صادق
مطابق الواقع وانما سماه كذبا في الحديث باعتبار ما يتبادر لذهن السامع من
ظاهره لا حقيقة فلا اعتراض عليه به وقيل في الجواب بل عرض اي قاله بطريق
التعريض والتورية وراوه مشدده من التعريض لسقم حجته اي ضعف دليله
الذي اقامه عليهم متعلق بحجته بمعنى احتجاجه عليهم في عبادة غير الله
وضعف ما اراد بيانه لهم من توحيد الله ونفي الشريك بدليل عقلي اراد اقامته
عليهم من جهة النجوم لما راى كوكبا فقال هذا ربي كما قصه الله عنه الذي كانوا يشتغلون
بها اي بعبادتها وتعظيمها واسناد الامور اليها وانه اي ابراهيم عليه الصلاة

والسلام

والسلام اشتا نظره في ذلك اي في خلال نظره وتقدم انه جمع شتى بمعنى
متشتي والنظر بمعنى الفكر والتامل فيما يناظر به وقيل استقامة حجته اي
اقامة دليل يلزم لهم في حال سقم ومرض حال خبر انه فجعل سقم حجته لعدم فايدتها
بمنزلة مرض نفسه وابدانه يعني انهم كانوا ينسبون التاثيرات للنجوم
ويعظمونها ويشتغلون بها لعلمهم بالنجوم وارصادها فاراد ابطال اعتقادهم
فيها وان حجتهم واهية فلم يقل ذلك لهم ابتداء بل نسبه لنفسه تعريضا بهم كما
قال اياك اعني فاسمعي يا جارة وهذا احسن في الزام الخصم وتقريعه
على وجه لا يغضبه ويهيج حميته الجاهلية مع انه اي الخليل صلى الله عليه
وسلم لم يشك هو اي لم يقع منه شك في ربه ولا ضعف ايمانه حتى يحتاج الى الادلة
الضعيفة ولكنه ضعف حاله في استدلاله عليهم لابطال عبادتهم للنجوم والاوثان
بتبكيتهم لهم وتحيرا وشغل نظره اي ما ناظرهم به حتى لم تتم حجته التي اقامها عليهم
ثم بين صحة انضاف الدليل بما ذكر لغة فقال يقال حجة سقيمة فتوصف
بذلك مجازا او نظر اي فكر ودليل معلول اي ضعيف مدخول وقيل ان هذه
العبارة ملحونة وان وقعت في عبارة المحدثين والصواب معل والمعلول
انما هو من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى كقوله كانه منهل بالراح معلول
ورد بانهم استغنوا بمفعول عن مفعل كما قالوا احمد الله فهو محمود وقد صرح
به سيبويه وذكره في المحكم فقول ابن الصلاح والنووي انه لحن مردود وان
تبعهما بعض الشراح هنا اخزاهم الله والقى في نفسه ومن عليه باستدلاله
الباهر سببيه ومحجة حجته عليهم اي احتجاجه بالكواكب والقمر والشمس متعلق
باستدلاله بما نطقت به مفعول الهم وقد مر بيانه وايضاحه في هذا الكتاب
والحاصل انه لا يلزم من ضعف الدليل ضعف الايمان بل قد يشغل صدر
ذي العقل السليم بيقين لا شبهة فيه عنده وهو لا يقدر على اقامة دليل
عليه واما قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام في الاصنام التي كسرها وترك اكبرها
وقد علق الفاس في عنقه تمام وقال ما فعلته بل فعله كبيرهم هذا الا بيه
والحال انه اي ان كبير الاصنام لم يفعل ولا قدرة له على الفعل فهو مخالف
للواقع من جهتين مع انه معصوم في اقواله فانه علق خبره الذي ذكره بشرط
نطقه في قوله فاسالوهم ان كانوا ينطقون فهو فانه قال انه كان ينطق فهو فعله وانما قاله
مع علمه بعدم نطقه لغرضه على طريق التبكيت لقومه عبدة الاصنام فوبخهم بانكم
كيف تعبدون جمادا لا ينطق ولا يقدر على شي فلو قدروا دفعوا عن انفسهم
ففيه تجهيل لهم واستهزاء بهم لتعظيمهم ما لا يضر ولا ينفع وذكر الكواكب هنا لا وجه
له وهذا صدق اي خبر صادق ايضا كما صدق ما قدمه ولا خلف فيه بضم الخاء وفتحها لان
صدق الشرطية بمقدمها وموخرها على سبيل الفرض وهو فرض محال بالاضافة
صحيح لا فرض محال بالتوصيف وليس هذا اميتيا على ان جملة الجواب جملة خبرية

مقيدة بالشرط والجملة المقيدة بقيد صدقها وكذبها بتحقق القيد وعدمه
كما هو مسلك اهل العربية واهل الميزان على خلافه لان الشرطية مجموعها
قضية في قوة الجملة والخبر عند مجموع الشرط وجوابه كما قيل فان هذا بنا
عليها قاله السيد في حواشي المطول وغيره فان الحق ما قاله السعد وانه
لا خلاف بين النحاة والمنطقيين في هذه المسئلة فان مالهما واحد كما حققه
المدقق فتح الله في حواشي التهذيب وليس هذا محله الا انه يقتضي ان
قوله فعله كبيرهم جواب الشرط او دال عليه فهو في معناه وقوله فاسألوهم
جملة معترضة بمصدرة بالفا كما في قوله

وأعلم فعلم المرء ينفعه ... أن سوف يأتي كل ما قدرا

وقد يقال انه بيان لما يفيده الكلام من غير نظر لما ذكر وهو الظاهر
يعني ان قصده بنسبة الفعل الصادر منه لكبيرهم الاستهزاء او التهكم بهم
لتبليغ ما قصده من الزامهم الحجة برجوعهم الى انفسهم ونظرهم لما هم عليه
من الباطل الذي لا يقبله عقل سقيم فضلا عن عقل سليم وفي الآية وجوه
هذا اولاها واحسنها ولذا اقتصر عليه المص فان اردت الوقوف عليها فانظر
في الكشاف وشروحه واما قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام للجبار الذي اراد
اخذ زوجته حين سأله عنها فقال هذه اختي لارادة ان يخلصها منه وليس
هذا بكذب تعديض بالبنا للمجهول في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه لا كذب فيه وقال فانك اختي في الاسلام والدين الحق الذي كانا
عليه فهو على هذا صدق اي كلام صادق حق والاخوة تطلق على المشاركة في
الصفات مجازا مرسلا او استعارة من المشاركة في النسب والله تعالى يقول
في القرآن انما المؤمنون اخوة وهذا يدل على صحة اطلاقه وحسنه اي اخوة
في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله وهو قد شاع حتى
قيل انه حقيقة عرفية وقد تقدم تتمة لهذا فان قلت انه على هذا ليس فيه
شيء من الكذب فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها اي اطلق عليها انها
كذبا وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وهذا ينافي ما قررته ويثبته
وفي مسلم اثنتين في ذات الله وواحدة في شأن سارة الحديث قال القرطبي
ذات الله وجوده المنزه المقدس عما لا يليق به وفيه دليل على جواز اطلاق
الذات على وجوده المقدس فلا يلتفت لمن انكره من المتقدمين فتأمله ثم قال
وروي انها اربع والرابعة قوله للكوكب هذا ربي وانما لم يعدها لانه كان في
حال الطفولية وعدم التكليف انتهى وتقدم الكلام فيه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث الشفاعة للناس يوم القيامة ويذكر كذباته هو مقول القول يشير
الى ما في حديث الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم يأتون ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ويقولون له انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك

الا

الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله ولا بعده مثله واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرهن اذهبوا
الى غيري الحديث فقد صرح الخليل نفسه بان هذا وقع كذبا منه فيدل على
خلاف ما قلته سابقا وجواب الشرط قوله فمعناه اي معنى قوله صلى
الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان خفيا والمراد به ما اخفاه واضمره في نفسه او المراد به
ما خفي مما هو خلاف الظاهر الا هذه الكلمات المذكورة وهي الثلاث
المتقدمة ثم اشار الى الجواب عما وقع في حديث الشفاعة بقوله واما ان مفهوم
ظاهرها اي ظاهر الكلمات المذكورة قبل النظر لما قصد منها خلاف باطنها
المقصود منها فانه صدق كما بيناه سابقا اشفق اي خاف ابراهيم
صلاة الله وسلامه عليه من مواخذته بها وفي نسخ بمواخذته بها
او المعاقبة عليها او رد شفاعته بسببها لانه كان عليه ان يصدع بالحق
صريحا من غير توريه وتعريض يقال اشفق وشفق اذا خاف والحاصل
انه لم يصدر عنه كذب وانما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة قبل التامل
فيها من سامعها وانما خاف ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك لجلالة قدره
لا لانها معصية صدرت منه وكان ذلك في اول امره وشدة خوفه في
حالة يجوز فيها الكذب فضلا عن التعريض الذي هو من حسنات الابرار
وكذلك اي مثل ما صدر عن الخليل ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وهو
الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن مالك وفي نسخة واما الحديث فهو انه
كان صلى الله عليه وسلم عادته اذا اراد غزوة اي سفرا لغزاة معينة ورب بغيرها
عنها والتورية ان يقول ما يظهر منه خلاف مراده ويحتمله احتمالا بعيدا
فكانه جعل ما قصده وراء ما أبداه فكان يسأل عن طريق وناحية ويذهب
لغيرها فليس فيه اي فيما فعله وقاله خلف في القول اي ليس في قوله ذلك كذب
في قوله انما هو ستر واخفا لمقصده اي لما قصده وتوجه اليه ليلا يأخذ عدوه
حذره اي ليلا يتأهب لدفع ما يحذره بان يستعد له ويحضر له ما يهمه واخذ
الحذر عبارة عما ذكر كما بين في قوله تعالى خذوا حذركم وفيه من البلاغة ما لا يخفى
وكتم وجه ذهابه اي جهة مقصده وهو عطف على قوله ورى وبين التورية
والكتم بقوله بذكر السؤال عن موضع اخر غير الذي قصده والبحث عن اخباره اي
اخبار الموضع الاخر بالسؤال عن طريقه وحاله والتعريض بذكره له دون عزم ليستر
قصده به لقوله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضا الحوائج او حوائجكم
بالكتمان لا انه يقول لاصحابه تجهزوا الى غزوة كذا تصريحا بالواقع او بخلافه
وهو غير مراد له او يقول وجهتنا الى موضع كذا اي توجهنا وقصدنا له خلاف
مقصده بيان لكذا فهذا القول كله لم يكن اي لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وانما

وقع منه التورية دون تصريح به والاول اي سؤاله من غير مقصده ليس
فيه خبر بتوجهه له ولا امر لغيره بالتجهز له يدخله الخلف اي يعرض له
كذب لعدم مطابقته للواقع وانما هو تعريض وايهام لغير مقصده لا ضير فيه
والتجهز التاهب باحضار جهازه ولوازمه وقيل معناه اختاروا وهذا هو
الاغلب من احواله وقد يقتضي الحال خلافه كما ورد في الصحيحين لم يكن صلى الله
عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك في حر شديد الى
مكان بعيد وعدو كثير فجلا للمسلمين امرها ليتاهبوا لها فاخبرهم بوجهه
الذي يريد كما في حديث طويل فيه خبر الثلاثة الذين تخلفوا فهو باعتبار الاكثر
في اول امره قبل قوة شوكة المسلمين وكذا اخبرهم انه سابر لمكة في غزوة الفتح فلا
يرد الاعتراض على حديث كان لا يريد غزوة الا ورى بغيرها كما قال وقوله
تجهزوا وان كان انشاء لا يتاتى فيه الخلف كما توهم لانه يتاتى فيه ذلك باعتبار
ما تضمنه من الخبر لان قوله تجهزوا الارض كذا معناه المراد منه اني سأغزوا
اهلها وهو ظاهر ثم اورد سؤالا على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن
الكذب سهوا وعمدا فقال فان قلت ايها السايل عما يتوهم عن شبهة ترد
علما قرره فما معنى قول موسى الكليم صلى الله عليه وسلم وقد سئل اي سأله
جماعة من امته اي الناس اعلم على وجه الارض في هذا العصر وهذا الحديث
مروي في الصحيح عن ابي سفيان رضي الله عنه فقال موسى عليه الصلاة
والسلام لمن سأله انا اعلم ممن على وجه الارض جميعا لعلمه بانه ليس عليها
من الرسل من هو مثله وفي البخاري بلفظ هل في الارض اعلم منك وفي
رواية ابن اسحاق فقال موسى يا اعلم في الارض خبرا مني قيل وبين الروايتين
فرق لان في رواية ابي سفيان الجزم بانه اعلم وتلك تنفي الاعلمية عن
غيره فتنفي احتمال المساواة يعني بحسب الظاهر والا فقد علمت انه يفيد
نفي المساواة كما مر فتدبر واما ما رواه نوف البكالي عن كعب الاحبار
ان موسى المذكور في هذه القصة ليس هو الكليم الذي هو من اولي العزم
بل موسى بن منشا بن افرايثم بن يوسف فقد قيل ان ابن عباس رضي الله عنهما
رده وقال لما سمعه كذب عدو الله ويأتي فيه كلام عن الكشاف وغيره وانما
قال ذلك لان كعبا تلقى عن اهل الكتاب وهم اعداؤه لكفرهم او هو استعارة
لانه كذب كقولهم قاتله الله فعتب الله عليه ولامه بسبب ذلك اي قوله انا
اعلم اذ لم يرد العلم بذلك اعني اعلم الناس حينئذ اليه اي الى الله تعالى بان يقول
الله اعلم بذلك ونحوه الحديث اي اذكر الحديث الذي رواه الشيخان بتمامه
وفيه اي في هذا الحديث فقال اي الله عز وجل لموسى بلى اي فيه من هو اعلم
عبدنا خضر وفي رواية عبدنا بمجمع البحرين اعلم منك يا موسى ومجمع اسم مكان
والبحران كما قاله السهيلي بحر الاردن وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر

عرضي

الزقاق

الزقاق وقيل بحر الروم وفارس وعن ابن عباس اجتمع بحرا علم في مجمع
بحرين حقيقيين والعلما علم الظاهر من الشرعيات وعلم الباطن اللدني
ووصفه بالعبودية تشريفا له كما في قوله سبحان الذي اسرى بعبده
وقوله لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي
وللمص وبما زادني شرفا وتيها وكدت باخمصي اطي الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وجعلك خير خلقك لي نبيا
وهذا اي قول موسى انا اعلم خبر صدر من موسى عليه الصلاة والسلام فدانا الله اي
اخبرنا كما ورد في هذا الحديث الصحيح انه ليس كذلك كما سمعته كذلك فيكون
خلفا منه وهو معصوم عن مثله فيرد على ما قرره وسياتي الجواب عنه والعتب
بمثناة فوقية كالمعاتبة وهو اللوم على ارتكاب ما لا يليق وضمنه معنى العيب
بالتحتية ولذا عداه بنفسه دون على ورد العلم الى الله تقدم معناه وتفسير
ابن بطال بترك الجواب لا ينبغي وكذا قول انا والله اعلم كان اولى وهذا هو
هو الالين الاولى بمقام ادب النبوة اذ مراده فيما اظن واعلم ولا لاية فيه
وقصته في حمل الحوت في مكتل مفصلة في التفاسير وقد علمت بيان مجمع
اسم مكان ثم شرع في الجواب بقوله فاعلم انه وقع في هذا الحديث الصحيح المروي
عن ابن عباس ما يدفع السؤال وهو هل تعلم احدا اعلم منك في السؤال عما يعلمه
لا عما في الواقع ومن القواعد المقررة ان السؤال معاد في الجواب فاذا يجوز
ان يكون اذن بنون مرسومة بالف كان جوابه صدر منه على حسب علمه
فكانه قال لا اعلم انا احدا اعلم مني فهو اي كلام موسى وجوابه خبر حق
وصدق مطابق للواقع باعتبار تقييده بانه على حسب علمه واعتقاده لا خلف فيه
لمخالفته للواقع ولا شبهة اي لا يشتبه على احد صدقه فيما قاله وفي الحديث
روايات مختلفة يرجع بعضها الى بعض كما سنسمعه قريبا ومر بعضها وهذا
تاكيد لما قبله وعلى الطريق الاخر التي فيها اطلاق اعلمية من غير تقييد
بعلمه واعتقاده المفيد لنفي الاعلمية والمساواة كما تقدم على العموم
فانه روي من طرق مختلفة بالفاظ مختلفة وقد اشرنا اليه قبل هذا
فيحمله على غلبة ظنه ومعتقده مصدر ميمي بمعنى اعتقاده اي يجعله مقيدا
بهذا تقديرا لانه صرح به في رواية اخرى والروايات تفسر بعضها
بعضا كالقران والمقدر في حكم المذكور عندهم كما اشار اليه بقوله كما لو صرح به بالنا
للمفعول او الفاعل اي صرح به موسى عليه الصلاة والسلام كان قال انا اعلم
في ظني او معتقدي ونحوه لا في نفس الامر ويحمله بلفظ المضارع وفي نسخة
يحمله باسم مبتدا وعلى هذا لا يرد عليه شيء ثم بين وجه قول موسى على هذا بقوله
لانه اي حال موسى صلى الله عليه وسلم كغيره من الرسل اصحاب الشرايع في عصرهم
في النبوة والاصطفا اي اختيار الله له دون غيره من خلقه يقتضي ذلك اي انما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اختاره لانه اعلم اهل عصره اذ لو لم يكن كذلك لم يختره لتبليغ رسالته وسياسة
خلقه ورجوعهم اليه في كل امورهم وهو صلى الله عليه وسلم كليمه وامين وحيه
ومثله لا يكون دون غيره او مساويا له في العلم ويحتمل ان معناه ان نبوته واصطفاءه
يقتضيان اي يستلزمان ان لا يقول مقالة غير مطابقة للواقع فيحمل كلامه على
ما يطابقه وان لم يكن فيه ما يدل عليه وهو ظاهر قوله فيكون اخباره بذلك اي
بقوله انا اعلم ايضا اي كما في الرواية المصرح فيها بذلك القيد عن اعتقاده وحسبانه
بضم الحاء المهملة وكسرها بمعنى ظنه صدقا خبر يكون وقوله لا خلف فيه مفسر له
او مؤكد اي لا شبهة فيه عند سامعه وقد يريد موسى صلى الله عليه وسلم بقوله انا اعلم
انه اعلم بما تقتضيه اي تستلزمه وظائف النبوة جمع وظيفة بالظاء المشالة وهي
الاحوال التي اقتضاها ذلك المقام من شروطها وما لا بد منها لكل نبي ورسول
من علوم التوحيد بيان لعلومه من معرفة الله وصفاته وانه منفرد في ذاته وصفاته
واستحقاقه للعبادة واسرار الشريعة التي امره الله بتبليغها وسياسة الامة
اي امته والسياسة ضبط الخلق واجراء احكام الشرع عليهم بالسلطنة
ويكون الخضر عليه الصلاة والسلام وفيه لغات فتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين
وسكونها مع الفتح والكسر وسيأتي بيانه اعلم منه اي من موسى عليه الصلاة
والسلام باموره اي غير الشريعة والسياسة والحكومات الظاهرة فيما بين
الناس بمعنى انه صادق فيها لا انه عام مخصوص بما هو المتبادر من علوم اكثر الانبياء
وهو العلم بالامور الشرعية والحكم بين الناس كما هو شان الرسل وعلم الخضر بامور
باطنية كشفية فلا تنافي بينهما واعلم انه تقدم ان الخضر انما سمي خضرا لانه
كان اذا جلس على ارض نبا بها هشيم اخضر وقيل لانه كان اذا صلى اخضر
ما حوله وان اسمه بليا وقيل غير ذلك ويكنى ابا العباس واختلف فيه كما
ياتي هل هو ولي او نبي او ملك وهل هو حي الى الان ام لا وقد افرد احواله بتاليف
الحافظ الخيضري سماه الروض النضر في احوال الخضر وقال الثعلبي انه
معمر محجوب عن الابصار وهذا اوجه ما قيل انه ملك وان كان قولا ضعيفا
وروي في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم به حديث ضعيف وتقدم الكلام
على تعزيته لاهل البيت مما لا يعلمه احد الا بإعلام الله من علوم غيبه تعالى
كالقصة المذكورة في حقهما الذي قصه الله في سورة الكهف فكان موسى عليه الصلاة والسلام
اعلم من اهل عصره مطلقا بالشريعة والتوحيد والسياسة على الجملة اي بجميع
العلوم المذكورة بما تقدم بيانه وهذا اي الخضر عليه الصلاة والسلام اعلم منه
على الخصوص اي بعلم لدني يختص به من الامور الغيبية الكشفية التي لم يكلف
غيره بعلمها وبه اي على انه اعلم بعلم اختص به قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما اي من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله او من اراد ممن ارتضاه للعلم به
وعقب الله ذلك عليه عقب مصدر مبتدا وقوله ذلك مفعوله وهو جواب سؤال

تقديره

تقديره اذا كان اعلم من وجه وهو صادق في قوله هذا فلم عاتبه الله عليه وله
على عبد له اعلم منه فيما قاله العلما اي بينوه ووضحوه بما يدفع اشكاله انكار هذا القول
عليه اي قوله انا اعلم لانه اي موسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله وهو خبر المبتدا السر
يرد العلم اليه اي الى الله تعالى تادبا معه كما قالت الملائكة لله تعالى لما قال لهم انبئوني
باسماء هؤلاء قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا او عتبه وانكاره لانه لم يعرض قوله انا اعلم
اي لم يرضه الله منه ولم يستحسنه شرعا لتركه الاولى وان كان صادقا في مقالته
هذا او ذلك اي عدم رضاه بمقوله هذا والله اعلم بوجه هذا ولقد اجاد في
هذا الرد تحقق هذه العلة الى علم الله ليلا يقتدي به فيه اي في ادعاء الاعلمية
جزما من غير رد الى الله من لم يبلغ كماله اي من لم يصل الى مرتبته في الكمال في العلم في
غير الانبياء في تزكية نفسه اي مدحها بجعلها زكية مبراة زائدة على غيرها فان
مدح المرء نفسه غير محمود وان حسن احيانا لمقتض له كما قال تعالى فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى والتزكية التطهير من الاخلاق الردية التي من جملتها
العجب او علو درجته بالنصب عطف على كماله ويجوز جره من امته متعلق بقوله
يقتدي حال من ضمير يبلغ فيهلك اي من يقتدي به من امته في قوله انا اعلم
لما تضمنه اي قوله انا اعلم من مدح الانسان نفسه وهو امر مذموم ويورثه اي يكسبه
ويجعله ما يتصف به شبه ذلك بالميراث ذلك القول اي قوله انا اعلم من الكبر
والعجب بضم فسكون قال الراغب يقال لمن تزوقه نفسه فلان معجب بنفسه
اي يستحسن افعاله واموره والتعاظم اي الاخذ في تزكية نفسه والدعوى
الباطلة اي ليلا يروقه اقتداؤه به في قوله انا اعلم ما ذكر من الرذائل
وان نزه بالبناء للمفعول اي براهم الله وعصمهم عن هذه الرذائل اي الصفات
الذميمة من الكبر والعجب والتعاظم والدعوى الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لشرفهم وعلو مقامهم فغيرهم اي غير الانبياء بدرجة سبيلها اي غير الانبياء يتصف
بها ولا ينزه عنها لاستعداده لها وقبول طبعه لها والسبيل الطريق والدرجة
اسم مكان بمعنى المدخل والمسلك من درج اذا مشى يقال هو قاعد على طريق
كذا اذا كان مستعدا له فهو استعارة وقيل المدرجة الثنية التي يمشي فيها
وتسيل منها السيول اي في موضع الرذائل المشبهة بالسيل المهلكة من
اتصف بها كالسيل الغرق لما يريه وفيه تكلف لا يخفى ودركها بسكون
الراء ويجوز فتحها بمعنى ادراك الليل مقابل النهار فشبه ما يعرض له
من الصفات الذميمة بظلمة الليل الذي تغشاه والمراد ما لا بد منه من
اثار تلك الصفات كما قال النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع

الا من عصمه الله اي حفظه عن الاتصاف بها فالتحفظ اي الاحتراز منها اي من هذه
الصفات اولى لنفسه والبق فلذا عاتبه على تركه الاولى وليقتدي به في التحفظ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والسلامة منها ولهذا اي لكون التحفظ اولى لمن يقتدي به قال عليه الصلاة ما
والسلام تحفظا من العجب انا سيد ولد آدم اشرفهم واعلاهم رتبة وتحفظ
عن العجب في مقاله بقوله ولا فخر اي لم اقل هذا افتخارا وعجبا وانما هو تحدث بما انعم
الله به علي وانا لا افخر بهذا فان الله انعم علي بما هو اجل منه وفي رواية
الصحيحين انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر والسيد يطلق عليه وعلى غيره
وعلى الله كما تقدم وهو من يفوق غيره كرما وحلما ويطلق على المالك والشريف
والكريم والحليم وهذا الحديث المروي في قصة موسى والخضر الذي تقدم اقدي بحجة
القائلين بنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام وهو احد الاقوال فيه لقوله فيه اي في هذا الحديث
انه اعلم من موسى كما تقدم ولا يكون الولي اعلم من النبي ولا مساويا له في علمه واما الانبياء
فيتفاضلون في العلم اي يكون بعضهم افضل من بعض ولا محذور فيه واستدل على
نبوته ايضا بقوله اي الخضر عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه في قصته
وما فعلته اي المذكور من الامور الثلاثة عن امري اي بما امرته نفسي فليس برأيي
واجتهادي قد دل ما ذكر انه بوحي من الله تعالى والوحي لا يكون لغير الانبياء وفيه
انه يكون بالهام والالهام وان لم يفد العلم اليقيني للغير عند اهل السنة
حتى لا يجوز الاستدلال به لكنه قد يقوي في نفسه ويعمل به الملهم دون غيره
كما حقق في علم الاصول وفصلوه في محله ومن قال انه ليس بنبي بل ولي من
اولياء الله قال مجيبا عما ذكر من الدليل الثاني يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر اوحي
اليه به في زمانه وهذا الجواب يضعفه اي يحكم بضعفه لانه اي الامر والشان ما علمنا
انه كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام نبي غيره الا اخاه هارون ولم ينقل
ملاقاة هارون للخضر عليهما الصلاة والسلام الا انه قيل ان يوشع كان نبيا
نبي قبل موت موسى عليهما الصلاة والسلام وسيأتي عن الشيخ ما يؤيده فتدبر
وما نقل عن احد من اهل الاخبار المعتمد على نقلهم في ذلك اي وجود نبي غير موسى واخيه عليهما
الصلاة والسلام ما يعول عليه لصحة نقله واذ وفي نسخة واذا جعلنا قول الله
لموسى ان لي عبدا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص لتخصيصه بما ليس
من الشرائع والعقائد وفي قضايا معينة كما تقدم بيانه لا يحتج الى اثبات نبوة
خضر لان علمه كان بامور معينة غير الشرائع والعقائد وهذا يقتضي انه
يجوز الوحي بها لغير الانبياء وانه اذا اطلق عليه نبي بالمعنى اللغوي لا ينافيه كما
في قصة خالد بن سنان كما اشار اليه بعض العارفين ولهذا اي لكونه علما مخصوصا
لا ينافي غيره قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله
من الشرائع والاحكام وما في حكمها والخضر اعلم من موسى فيما رفع اليه بالبناء للمفعول
برا مهملة او بدال مهملة وفاء وعين مهملة اي فيما جعله الله منوطا به منتهيا اليه
علمه مما غيب علمه عن غيره وقيل انما ألجأ موسى عليه الصلاة والسلام اي اضطره
الله والزمه ان يذهب الى الخضر للتأديب اي ليؤدبه الله حتى لا ينسب لنفسه

الأعلمية

الأعلمية وان كان صادقا في مقاله ومناسبا لمقامه لا للتعليم لما لم يعلمه مما يلزمه
علمه فانه اكمل اهل زمانه ولذا قيل ان هذه القصة تقتضي ان الخضر نبي رسول
لئلا يكون العالي اعلم من الاعلى وفي الكشاف ان القصة لا تقتضي ان موسى هذا
هو منشا كما قاله اهل الكتاب لانه لا غضاضة في اخذ النبي العلم من نبي مثله اذ يمتنع
اخذه ممن هو دونه وفي فتح الباري ان في كلامه نظر لان المتكلمين اشترطوا في
النبي ان يكون اعلم اهل زمانه على العموم ولو لزم هذا لزم ان لا يجمع الله بين نبيين
في عصر واحد وقد كان مع موسى هارون وشعيب ثم يوشع والحق ان اللازم كونه اعلم
ممن ارسل اليه وانه اعلم بالعلم المخصوص به ولذا قال له الخضر عليه الصلاة والسلام
اني على علم علمنيه الله لا تعلمه انت ولم يكن موسى مرسلا الى الخضر فلا ضير في كونه اعلم
منه بعلم لدني خصه الله به وقال الامام القرطبي ولتنبه هنا على مغلطتين
الاولى ان بعضهم قال ان الخضر اعلم من موسى تمسكا بهذه القصة وهذا انما يصح
من قصر نظره على هذه القصة ولم ينظر ما خص الله به موسى من توراته التي فيها
علم كل شيء وكلامه ودخول انبياء بني اسرائيل تحت نبوته ودعوته كما قال الله تعالى
له اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي والخضر وان كان نبيا ليس برسول
بالاتفاق والرسول افضل من النبي الذي ليس برسول فان قلنا انه ولي
فلا اشكال الثانية ان بعض الزنادقة قال قولا يهدم الشريعة وهو ان
قصة الخضر تدل على احكام الشرع تختص بالعامة وان خواص الاولياء انما يراد
منهم ما يقع في قلوبهم وخواطرهم لصفا قلوبهم عن الاكدار والاغيار فتتجلى
لهم علوم الهية يتفوهون بها على اسرار الكائنات وعلى الحزبيات فيستغنون عن
احكام الشريعة كما في حديث استفت قلبك وهذا كله زندقة وكفر وانكار
لما علم من الدين بالضرورة من ان الاحكام انما تؤخذ عن الله بواسطة رسله
وسفرائه بينه وبين خلقه فمن ادعى خلافه كفر فيقتل ولا يستتاب وكل
هذا كفر صريح والامتحان لموسى اذ اراه الخضر ان قتل الغلام كقتله للقبطي
واقامته الجدار كاقامة التابوت في اليم واقامته الجدار بغير اجرة
كسقيه لبنات شعيب قبل استيجاره له وهذا لا يقتضي الانكار على بعض الاولياء
في الامور الكشفية ولا يساء الظن بهم فيما يصدر عنهم من بعض المقالات
وها هنا بحث وهو ان النبي معناه لغة المخبر او المخبر مطلقا وهو
في العرف العام المخبر عن الله بوحي مطلقا وفي عرف الشرع المخبر عن الله بشريعة
خاصة به او امر بتبليغها غيره فعلى هذا لا يكون الخضر نبيا لانه انما اوحي اليه
ببعض الامور الغيبية اذ اعلمت هذا فخالد بن سنان اذ كان بين
نبينا صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث
لا ينافي الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بيني وبين عيسى كما
قاله ابن حجر وقال ان الاول لا يناقوم حديث البخاري فهو مردود رواية

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لان خالدا انما اوحي اليه بكشف امور البرزخ تاييدا لخبر غيره من الانبيا وتمهيدا
لما ياتي بعده بما سياتي به نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يوح اليه بشرع ولا
بامر يجب العلم بتفصيله فليس نبيا بحسب عرف الشرع فتسميته نبيا انما
هو باعتبار المعنى العرفي او اللغوي فلا منافاة بينه وبين الحديث مع انه لم
يكشف ما ارسل به كما في الحديث الاتي انه اضاعه قومه وهو تحقيق حقيق
بالقبول واليه اشار في الفصوص **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح للانبيا
عليهم الصلاة والسلام جمع جارحة وهي الاعضا التي يكتسب بها الانسان
ويعمل ما يريد يقال جرح واجترح بمعنى عمل واكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ما يتعلق بعصمتهم في افعالهم **من الاعمال** بيان لما اي الاعمال الصادرة
بواسطتها **ولا يخرج من جملتها القول باللسان** لانه من الاعضا **فيما عدا الخبر** اي الاخبار
بما سبيله البلاغ وغيره **الذي وقع الكلام** قبل هذا كما تقدم **ولا يخرج من جملتها ايضا**
الاعتقاد بالقلب لانه من عمله وله افعال تصدر عنه وهذا بحسب العرف واللغة
واما كون العلم من مقولة الكيف او الانفعال لا من الفعل والعمل فما يحققه الحكما
ولا ينظر له علما الشريعة **فيما عدا التوحيد** والايمان وما يتعلق بالوحي كما تقدم
وما قدمناه من معارفه المختصة به صلى الله عليه وسلم من اطلاعه على احوال الملكوت
مما لا ينكشف لغيره كما تقدم **فاجمع المسلمون** جواب اما **على عصمة الانبيا** جميعا فيها
من الفواحش اي المعاصي والكبائر القبيحة والفاحش كل امر اشتد قبحه من الاقوال
والافعال وقد تختص الفاحشة بالزنا وقال ابن عرفة هي كل ما نهى الله عنه **والكبائر**
هي معروفة **الموبقات** اي المهلكات يقال اوبقه اذا اهلكه واهلاكها بايقاعها
في العذاب في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب الاليم وحاصله عصمتهم
في اقوالهم وافعالهم واعتقاداتهم قبل النبوة وبعدها من الكبائر المتوعد
عليها **ومستندهم** اي دليلهم الذي اعتمدوا عليه **في ذلك** اي في عصمتهم عن الكبائر
الاجماع الذي ذكرناه عن المسلمين فالدليل شرعي وهو الاجماع **وهو مذهب القاضي**
ابي بكر الباقلاني الاصولي المالكي **ومنعها** اي الكبائر **غيره** من الائمة **بدليل العقل**
فضمير منعها للكبائر الصادرة عنهم وقيل انه راجع لعصمتهم اي منع عصمتهم
من الكبائر لعدم استحالتها عقلا وهو وهم لانه يأباه قوله **مع الاجماع** لان
الاجماع لم يقم على عدم عصمتهم من الكبائر مع ان كلامه نفسه
بعده ينافيه **وهو قول الكافة** اي جميع العلما وقد تقدم ان بعضهم قال ان
كافة يلزم التنكير والنصب على الحالية وقد بينا في شرح الدرة انه غير صحيح
واختاره ابو اسحاق الاسفرايني الشافعي لعلو مقامهم عن صدور مثله منهم فمذهب
الجمهور ان عصمتهم عن الكبائر بدليل سمعي وذهب طائفة الى انه بدليل
سمعي وعقلي والمشهور عن الاشاعرة ان العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة
عقلا لدلالة المعجزة عليه واما طريقه التبليغ ودعوى الرسالة فالمعجزة دالة

على عصمتهم فيه وذهب المعتزلة الى وجوب عصمتهم عن الكبائر عقلا بنا على قاعدتهم
في الحسن والقبح العقليين ووجوب رعاية الاصلح والدليل العقلي من وجوه فصلت
في كتب الاصول منها انا امرنا باتباعهم فلو صدر عنهم ذلك وجب اتباعهم فيما فعلوه
فيلزم اجتماع الحرمة والوجوب وايضا لو صدر عنهم ذلك كانوا معذبين اشد
العذاب لان عليهم وزرهم ووزر من اقتدى بهم وكانت شهادتهم غير مقبولة
وقد جعلهم الله شهدا على غيرهم الى غير ذلك مما فصلوه **وكذلك** اي كما انهم معصومون
مما مر **لا خلاف في انهم معصومون عن كتم الرسالة** اي معصومون عن اخفا ما اتاهم
عن ارسلوا اليه لانهم مامورون بالتبليغ وفي النسخ كتمان الرسالة لقوله
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ومخالفة الامر معصية كبيرة ومعصومون
عن **التقصير في التبليغ** بترك شيء منه **لان كل ذلك** المذكور من الكتمان والتقصير فيه
يقتضي العصمة منه مفعول يقتضي وقوله **المعجزة** فاعل اي تدل المعجزة على
لزومه **مع قيام الاجماع على ذلك** اي على ان الله عصمهم عنه **من الكافة** اي جميع
الناس واعلم ان الحريري قال في الدرة ان كافة يلزمها التنكير والنصب
على الحالية الا انه غير مسلم فانه سمع كافة شاذ وفي توقف مثله على السماع
نظر وقد ذكرناه مفصلا في شرح الدرة لنا **والجمهور** اي اكثر الناس ومعظمهم
متفقون على انهم لا يكتمون شيا من الوحي الذي امروا بتبليغه وهذا ورد
في حديث رواه مسلم عن عايشة رضي الله عنها انها قالت من حدثك ان محمدا
كتم شيا من الوحي فقد كذب والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته ولو كان كاتما شيا من الوحي لكتم قوله واذ
تقول للذي انعم الله عليه الاية **وقال بعضهم** اي منهم من قال **بانهم معصومون من ذلك**
الكتمان والتقصير **من قبل الله** اي خلق الله في جبلتهم العصمة فهم **منصوصون**
اي متمسكون **باختيارهم** في تركه **وكسبهم** لا انهم مضطرون لعدم قدرتهم على
خلافه **الاحسا النجار** بفتح النون والجيم المشددة والف وراء مهملة وهو
حسن بن محمد النجار الذي تنسب له الطايفة النجارية وهم فرق من المبتدعة
الضالة **وافقوا اهل السنة** في بعض اصولهم **ووافقوا القدرية** في نفي الرؤية
ووافقوا المعتزلة في بعض المسايل ولهم مقالات كفروا بها والمشهور منهم
ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة **فانه** اي النجار **قال الاقدار**
لهم على المعاصي اصلا كالعنين الذي لا يرتي فانه قال ان الله يوجد الافعال كلها
من غير اختيار وكسب بل بايجاب الطبع **واما الصغاير فجوزها** على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام **جماعة من السلف** المتقدمين **وغيرهم** من المتاخرين **على الانبيا**
وهو مذهب ابي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري
البغدادي صاحب التصانيف الجليلة المشهورة ولد سنة اربع وعشرين
ومايتين وتوفي سنة عشر وثلاثمائة عن ست وثمانين **وغيره من الفقها**

والمتكلمين وسنورد اي بذكر بعد هذا ما احتجوا به من ادلتهم وما يتعلق بها وذهب
طايفة منهم الى الوقف اي التوقف وعدم الجزم وقالوا العدم جزمهم بجوازها وامتناع
عليهم ان العقل اذا خلي ونفسه لا يحيل وقوعها منهم اي لا يعده محالا ولا يات في
الشرع ما ظاهر اي نص صريح وذليل قطعي احد الوجهين من الجواز وعدمه في صدور
الصغاير منهم وذهب طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين في اصول
الدين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا اي قال الذاهبون
لعصمتهم من جميع المعاصي صغايرها وكباير ها ان ذلك لاختلاف الناس في
الصغاير اي في تعريفها بما يميز احدهما عن الاخر وتعيينها هو كالتمييز وزنا
ومعنى من الكباير هل هي معدودة او هي ما توعد عليه بحد ونحوه او هي امر نسبي
يتميز بما فوقه وتحته واشكال ذلك عليهم حتى عسر تمييز احدهما عن الاخر
وقول ابن عباس وغيره من السلف ان كل ما عصي به فهو كبيرة نظر لجلال الله وعظمته
فان من يخالف امر السلطان كمن يخالف امر احد من رعيته وانه اي الذنب
انما سمي منها الصغير اي اطلق عليه صغيرة باضافة اي نسبة وقياس وفي
نسخة بالاضافة اي ما هو اكبر منه لا بالنظر له في نفسه ولا نظر الى عصاه
ومخالفته لباري عز وجل فاي امر كان صغيرا او كبيرا يجب كونه كبيرة في نفسه
وهذا انظر من لم يشاهد شيا الا شاهد الله معه او قبله ولذا تفاوت
الذنوب بتفاوت اصحابها فتدبر وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب المالكي
البغدادي الاديب العلامة وهو من شعرا التيمية وقصيدته اليمية
التي منها

ولو ان العاصي انوه ضانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

وله تصانيف في مذهبه جليلة كالتلقين والمعونة وارتحل الى مصر فتوفي
بها ودفن بالقرافة قريبا من الامام الشافعي في سنة اثنين واربعمائة رابع عشر
صفر لا يمكن ان يقال في معاصي الله انها صغيرة الا على انها تصغر باجتناب الكباير ولا يكون
لها حكم اي لا يعتد بها ويواخذ فاعلها بعقابه عليها كما هو حكم الكبيرة الذي
حكم الله به بخلاف الكباير اذا لم يتب فاعلها منها بالبنا للفاعل او المفعول
والتوبة معناها معروف فلا يحبط شي اي يمحوها ويذهب حكمها ما يحبط
غيرها من اعمال العبد الصالحة والمشية في العفو عنها موكول الى فضل الله وسعة رحمته
كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وصححه القاضي
ابو بكر بن الطيب الباقلاني وجماعة ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها لان الحديث
والنص دل عليه دلالة ظاهرة كقوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارة لما
بينهن ما اجتنبت الكباير اي ما دام اجتنابه لها وقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به الخ والحديث مبين للاية فلا يرد عليهم ان الوعيد شامل لها فلا تغفر
بمجرد اجتناب الكباير وهو الحق فان الحق خلافه لقوله تعالى ان تجتنبوا كباير

ما تنهون

ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا
الكتاب رحمه الله قال بعض ايمتنا يعني المالكية ولا يجب على القولين في العصمة
عن الصغاير وعدمها ان يختلف في انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها وكان
الظاهر ان يقول لا يجوز لان احد المقيل بوجوب الاختلاف في عبارته تشعر اذ
يلحقها ذلك المذكور من الكثرة والتكرار بالكباير لما فيه من عدم المبالات بالمعاصي
وفي الاحيا الصغيرة تصير بالاصرار كبيرة كما ان المباح يصير بذلك صغيرة قال السبكي
اما الاول فظاهر واما الثاني فلا نعرفه وفيه نظر سبباني وقد ان المختار
المنتهى به ان من الكثير من فعل الصغاير سوا كانت من نوع واحد او من انواع لا يكون
فاسقا ولا مرتكبا الكبيرة ان غلبت طاعاته على معاصيه الا ان يراد بالاكثار الاكثرية
بحيث يغلب على الطاعات وفيه ان ما ذكره في حق الانبيا فلا نسلم مساواتهم
لغيرهم وهم المقتدى بهم فتدبر ولا ينبغي ان يختلف في صغيرة ادت الى ازالة
الحشمة اي الحيا من الناس لانها مما يسترذل وتنقبض النفوس منه وقد ورد بهذا
المعنى في الحديث ناد جهارا ولا تحتشم وفي قول عنترة

فاذا رويت مغانم لو اشتهي ... فيصيبني لي عنها كثير يحتشم

وقد يرد بهذا قوله في ادب الكاتب ان الناس يضعون الحشمة موضع الاستحيا
وليس كذلك انما هي الغضب ومنه انه يحتشمني وليس كما قال وقد قال حسان
رضي الله تعالى عنه

ارسلت نفسي على سجيتها ... وقلت ما شيت غير محتشم

ومنه قولهم للمهيب محتشم وقد صرح به السهيلي والبطليوسي واسقطت
المروة هي كمال الرجولية وفسرها المص رحمه الله بقوله واوجبت الازرا اي التنقص
والخساسة اي الدناة وكونه مزدرا خسيسا في اعين الناس يقال ازدراه اذا تهاون
به وعابه لحقارته عنده كسرقة لقمة وشي تافه فهذا ايضا كغيره مما يعصم
منه الا يسير الجائعة لو قدرهم وشرف انفسهم وهمهم العلية لان ارتكاب مثل هذا يحط
منصب اي مقام المتصف به الموصوف به اي يجعله ساقطا ويزري بصاحبه اي يحقره
وينقصه وينفر القلوب عنه فينافي مقام الدعوة واتباع الخلق له والانبيا
منزهون اي مبرون عن ذلك كله لا يليق بعلي مقامهم لو يلحق بهذا المذكور
من الصغاير التي عصمهم الله منها كل ما كان من قبيل المباح فاذا ضبر مثله
يحتمل ان يعود الى ما ينزهون عنه فيكون من سد الذرايع الذي ذهب
اليه مالك فان عنده ان ما ادى الى منهي عنه منهي عنه وان كان مباحا
في نفسه ويحتمل ان يعود الى الازرا والخساسة كالاكل في السوق لمن ليس من
اهله من غير ضرورة والصنايع الرذيلة كالحجامة وليس منها رعاية الغنم
الذي فعله الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانه ليس بمعيب في الزمن
القديم وكلبس ما لا يليق به من الملبوس بما قلت

عوضي

نصيحة لطيفة قالت بها الاكياس كلما اشتهيت والبس ما تشتهيه الناس
وكاد امام الشافعي لعب الشطرنج لخروجه بما ادى اليه من اسم المباح الى المحظور اي المنع
منه يعني الحرمة وهذا صريح في الاشارة الى سد الذريعة وهذه المسئلة
مما نقل على الاطلاق عن الامام مالك لكنها مشكلة وقد قال القرافي كما تقدم
انها ليست على اطلاقها ولعل المالكية فيها كلام طويل يحضر في الآن تفصيله
وفي الشرح الجديد ان مراده ان يودي الى ان يزري بهم فيحرم عليهم بمرتكب الازراء
بالانبياء كفر فتعلمه يودي الى ان يزري بهم فيحرم عليهم لاحتمال ان يراهم من
يجهل مقامهم فيزدري بهم فيقع في الشقاء الابدي فتامله وفي الكبيرة والصغيرة
وتم بينهما كلام في الاصلين لا حاجة للاطالة بذكره وقد ذهب الى عصمتهم اي الانبياء
من مواقعة المكروه اي الوقوع فيه بان يفعله قصدا اما سهوا فلا باس به والمكروه
يكون كراهة تحريم وهو نوع من الحرام لكن الفقهاء يطلقون عليه مكروها اذا
لم يكن فيه نص اجتنابا من التعظيم بالحكم به وكراهة تنزيه كترك بعض المندوبات
والمراد هذا الان الاول داخل فيما تقدم مما جزموا بامتناعه عليهم والاول
شامل لخلاف الاولى وهو مما نهي عنه في الجملة لانه صلى الله عليه وسلم مامور باتباعه
فلو فعل مكروها اتبع فيه الا ان يكون لبيان الجواز والتشريع فانه يكون في حقه
افضل كغسله اعضاء الوضوء مرة او مرتين فتركه التثليث لبيان الجواز وقد استدل
بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى التاسي اي فعل مثلها اقتداء بهم فلو صدر ذلك منهم
او جاز فعله الناس وظنوه مشروعا فلذا امتنعوه منهم وان كان صغيرة لان ذنب
العظيم عظيم وان قل واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا اي سواء كانت ضرورة
او جبلية كالقيام والقعود والاكل والشرب فانا نتاسى بهم فيه وان كان مباحا
لان الاصل في افعالهم انها حسنة شرعية فينبغي اتباعهم في كل ما صدر منهم لا الاصل
ارجح من الظاهر وقد اختلف الشافعية في اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما علمنا
انه ليس تشريعا هل يستحب ام لا كنومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه وجمهور
الفقهاء على ذلك اي استحباب اتباع اثارهم مطلقا ان لم نعلم انه خصوصية لهم
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابه كما راه مذهبه من غير التزام فيما قرينة تدل
على انه فعله للتشريع والاقتداء به فيه بل يقتدى بفعله مطلقا من غير التزام قرينة
المشروعية عند بعضهم واذا اختلفوا بعد القول باتباعه في حكم ذلك فذهب
الغزالي الى انه يستحب اتباعه في الامور الجبلية كغيرها وذهب اليه كثير من الفقهاء
والمحدثين وقال غيرهم انه مباح احسن من غيره وفي قول ضعيف انه واجب
وحكي جوازه منذاذ ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد الله وقيل ابو بكر تلميذ الابهري
من ائمة المالكية والاصول وله تصانيف في مذهبه وعلى الخلاف الان اقواله مرجوحة
عندهم كقوله ان العبيد لا يدخلون في الخطاب وان خبر الواحد يوجب العلم
وجوزه منذاذ بضم الذال المعجمة وتخفيف الواو المخففة وسكون الياء المثناة التحتية وذال

عرضي

سمجة

معجمة ساكنة او مكسورة وميم مفتوحة او مكسورة وروي بباء موحدة بدلها
ثم نون ساكنة فذالين معجمتين بينهما الف وقيل الاولى مهملة توفي في حدود
الاربعمائة وهو من اهل البصرة كما في التمهيد لابن عبد البر وابو الفرج عمرو بن محمد
ابن عمرو الليثي المالكي صاحب كتاب الحاوي في فقه مالك توفي سنة ثلاثين او احدى
وثلاثين وثلاثمائة عن الامام مالك التزام ذلك اي اتباع افعاله واثاره
وجوبا اي قال انه يجب اتباعه صلى الله عليه وسلم في كل ما يفعله اذا كان امرا
جبليا كالاكل والشرب ولم يعلم انه من خصوصياته اذا لم يعلم حاله من وجوب
او ندب او اباحة لان افعاله منحصرة فيها لانه لا يصدر عنه محرم ومكروه كما
تقدم وهو قول الابهري بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وراء مهملة وياء نسبة
نسبة لبلدة عظيمة بين قزوين وزنجان ولها اخرب باصفهان وهو معرب ابهر
بمعنى ما ارجى والابهري من علماء المالكية اثنان ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح
والاخر ابو سعيد عبد الرحمن بن زيد بن عبد السلام وليس بن عبد السلام
هذا هو الشافعي وهذا ايضا مشهور عندهم فمحمد الابهري من علماء المالكية
من اهل طليطلة ويلقب بالي تمام وهو المراد هنا وابن القصار الامام في فقه
مالك واكثر اصحابنا من المالكية وقول اكثر اهل العراق من فقهاء المذاهب وابن سريج بضم
السين وفتح الراء المهملتين وشناة تحتية ساكنة وجيم وهو ابو العباس احمد
ابن عمر بن سريج البغدادي الشافعي حامل لواء المذهب صاحب التصانيف الجليلة
كانوا يفضلونه على جميع اصحاب الشافعي ويلقب بالباز الاشهب تولى قضاء
شيراز وتوفي في جمادى الاولى سنة ست وثلاثمائة والاصطخري بكسر الهمزة
وفتحها وصاد مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وخاء معجمة ساكنة وراء مهملة
يليها يا النسبة نسبة لاصطخر بلدة عظيمة وهو ابو سعيد الحسن ابن
احمد بن يزيد بن عيسى الامام المشهور عند الشافعية وكذا تصانيفه
توفي سنة اربع وثمانين وثلاثمائة على احد الاقوال وترجمته مفصلة
في الطبقات والميزان وغيرهما وابن خيران من الشافعية راجع الثلاثة
وهو علم لمثنى خير وهو ابو الحسين بن صالح بن خيران البغدادي الامام
الزاهد الجليل قدوة صاحب التصانيف المفيدة في فقه الشافعي
طلبه الوزير بن الفرات لتولية القضاء فلم يجبه فسمر بابه عليه ايلا فلم
يجب فافرج عنه ثم قال انما فعلت ذلك به ليعلم ان ما في بلدنا مثله
توفي رحمه الله سنة عشرين وثلثمائة لعشر بقين من ذي الحجة واكثر
الشافعية على ان ذلك اي الاتباع له صلى الله عليه وسلم فيما لم يعلم حاله ندب اي
مستحب لا واجب ولا مباح كما مر وهو المشهور وبالغ ابو شامة رحمه الله
تعالى في نصرته وذهب طائفة من العلماء الى الاباحة اي انه مباح وطائفة الى الوقف
وقيد بعضهم الاتباع اي اتباعه صلى الله عليه وسلم في افعاله وجوبا او ندبا

فيما كان من الامور الدينية ليخرج الامور الجبلية كالاكل والنوم وعليه مقصد القربة
مصدر ميمي بمعنى القصد اي التقرب الى الله بالعبادة وهذا اختار الامدي
وابن الحاجب وابي شامة ومن قال بان الاصل فيما لم يعلم من افعاله صلى الله
عليه وسلم الاباحة لم يقيد بما قيد به من قال بالندب او الوجوب بقيد الدينية
وقصد القربة لان التقييد به ينافي الاباحة اذ كل ما قصد به القربة من
الديانة طاعة فهو لا يخلو من الوجوب او الندب فيدل هذا حكم فعله في
نفسه وبالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما بالنسبة لامته فحكمهم
مرتب على حكمه الا فيما استثني فتدبر قال المستند له على عصمتهم من الصغاير
بما مر فلو جوزنا عليهم فعل الصغاير لم يكن الاقتداء بهم في افعالهم مطلقا كما
امرنا به اذ ليس كل فعل من افعاله كغيره منهم متميز مقصده به اي ما قصده من
القربة بان يكون واجبا او مندوبا او من الاباحة مما لا يترتب عليه ثواب ولا
عقاب او مدح او ذم او من الحظر بالمثالثة اي المنع شرعا لكونه محرما او
مكروها او خلاف الاولى والمعصية الظاهر عطفه بالواو وعطفه تفسير
وعلى هذه النسخة ينبغي ان يفسر الحظر بخلاف الاولى والمكروه وهذا الحرام
ولا يصح على تقدير جواز الصغاير عليهم ان يؤمر المرء بامتثال امر من الامور
لفعله النبي صلى الله عليه وسلم وصدر عنه فعلكم معصية وقد امرنا باتباعه لقوله
تعالى فاتبعوني يحببكم الله ونحوه فيلزم ان نتبعه في معصية صدرت
منه وهو باطل وما ورد عليه ان الملازمة غير مسلمة لجواز ان تصدر منه معصية
صغيرة ولا يتبع فيها لانه قال لنا انها محرمة علينا الا انه ينبغي ما لم يصرح بتحريمه
ملتبسا علينا او يقال هذا انما يتم لو قلنا القول مقدم على الفعل وليس
بمسلم كما اشار اليه بقوله لا سيما تقدم الكلام عليها وعلى قول انها للاستثناء مع
افادتها اولوية ما بعدها في الحكم وهي بمعنى مثل وما موصولة او زايدة كما
بينه النحاة وقد قدمناه على قول من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
وجهل المتاخر منهما لدلالته على الجواز من المسئلة مع كونه اقوى في البيان من
حيث انه يبين به وقوله من الاصوليين اي على اصول الفقه وهو بيان لمن بان يفعل
فعلا قال انه حرام ولم يعلم المتاخر منهما حتى يكون ناسخا له وقد اختلف
فيه فمنهم من قدم الفعل لانه لا احتمال فيه وقيل يعمل بالقول لقوته بالصيغة
وانه حجة في نفسه وهو قول الجمهور وقيل لا يرجح احدهما على الاخر الا بدليل
وعلى الاول يقتدى بافعالهم مطلقا والمعارضة بمعنى المخالفة ومنافاة احدهما
للاخر وعلى هذا تكون الحجة اقوى ونريد هذا الدليل الذي استدل به على عصمتهم
من الصغاير وعدم جوازها عليهم ونزيد بنون المضارعة حجة اي نؤيد
هذا الدليل بما يزيل الشبهة في حجيته وقوة برهانه بان نقول من جوز على الانبيا
وقوع الصغاير ومن نفاها اي قال بعدم جوازها عن نبينا صلى الله عليه وسلم

يجمعون

يجمعون ومتفقون في حقه كغيره من الانبيا على انه اي النبي صلى الله عليه وسلم
لا يقر بكسر القاف والبنا للفاعل وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يقر غيره
اذا راه على امر منكر من قول او فعل لان تقريراته صلى الله عليه وسلم بمنزلة
قوله له ما فعلته جايز كما قيل ان السفيه اذا لم يشتم ما مور وانه صلى الله عليه
وسلم منهي لراي شيا منهيا عنه يفعل او يقال فسكت صلى الله عليه وسلم عنه دل
على جوازه والسكوت رضى وتقريب لوجوب الثنا عليه فكيف يتعجب والكار شديد
يكون هذا حاله في حق غيره من راه او سمعه ثم يجوز وقوعه منه في نفسه بان يرضى
لنفسه مع شرفها وعصمتها ما لا يرضاه لغيره من اتباعه ولذا عد واتقريراته
من الحديث كقوله وفعله ومثل ما راه وسمعه ما علمه في عصره ولم ينكره فانه يدل
على جوازه اي اباحته كما قرره الاصوليون الا انهم شرطوا فيه شروطا منها
ان لا يكون بتين منعه قبل ذلك كما لو راى ذميا من اهل الجزية في كنيسة على ما يفعله
اهل ملته وان يقدر على ازالة ذلك المنكر وفيه نظر لانه مامور بالامر وان خاف مكروها
وقتالا وان يعلم ان انكاره يفيد كما قاله بعض المعتزلة وهذا كما كان يقر بعض
المنافقين على نفاقهم احيانا وعلى هذا الماخذ الدال على انهم لا يقرون غيرهم
على المعاصي فضلا عن انفسهم تجب عصمتهم عن مواقعة المكروه قيل وقد
تقدم قريبا لانه مما نهى الرسول عنه غيره فكيف يتنزل للاتصاف به كما قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم اردفه بدليل على عدم فعله المكروه بقوله واذ الحظر بظاهشا الة بمعنى المنع تحريما
ومكروها واذ للزمان الماضي اريد بها التعليل هنا وهو معطوف على قوله وعلى
هذا الماخذ وفي نسخة الحض بحا مهملة وضاد معجمة وقال البرهان انه تحريف
وفيه نظر او الندب اي الطلب غير الايجابي وضمنه معنى الحث على الاقتداء بفعله كما
امر الله باتباعه في ايات كثيرة معلومة ينافي الزجر اي زجر غيره اذا راه ارتكب
ما لا يرضاه والنهي للغير عن فعل الامر المكروه وفي كلامه هذا احترازه ونوضيحه
بما يشفي الغليل انه تجب عصمته صلى الله عليه وسلم عن المكروه لما مر من انه
لا يرضاه لغيره فكيف يتصف به هو من غير مقتض وهذا معنى قوله وعلى
هذا الماخذ الخ بين وجهه بوجه اخر اشار اليه بقوله واذ الحظر والحض كما في
بعض النسخ وهي صحيحة ايضا كما علمت اي اذا رايناه صلى الله عليه وسلم فعل
فعلا لم ندر حكمه فقيل تمتنع مخالفته وقيل يندب اتباعه والى الاول اشار
بالحظر والى الثاني بالندب وعلى كل منهما لا يفعل مكروها فاعله مزجور فتدبر
وايضا اي مما يدل على عصمته صلى الله عليه وسلم عن مواقعة المكروه فقد علم من دين
الصحابة اي من عادتهم لان الدين يكون بمعنى العادة ولو خلي على ظاهره صح وقوله
قطعا اي علما لا شك فيه الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت اي في اي جهة
من جهات الافعال المختلفة وفي كل فن اي في اي نوع كانت من امور معاشه ومعاده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتكلمه وغير ذلك كالاقتدا باقواله في اوامره ونواهيه فلا يفرقون بين قوله
وفعله في الاتباع فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه وهو لا يصح ثم ذكر امورا
تدل على ان فعله كقوله فقال فقد نبذوا بمعجمة اي رموا وطرحوا والضمير للصحابة
الذين كانوا تختموا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابن عمر خواتيمهم جمع
خاتم على لغة فان بعضهم الكسر كما ورد الاعمال بخواتيمها جمع خاتمة بمعنى
اخرها وهو مطرد عند الكوفيين وعند غيرهم سماعي او جمع خاتام وهو لغة فيه
هذا عند الثانية وهذا اشارة الى حديث هو انه صلى الله عليه وسلم كتب الى
الملوك يدعوهم الى الاسلام فقيل انهم لا يقرون كتابا غير مختوم فاتخذ له خاتما
من ذهب للختم نقشه محمد رسول الله ثم اوحي اليه بتحريم خواتم الذهب للرجال
دون النسا فطرحه وهو على المنبر واتخذ اخر من فضة حين نبذ خاتمه فهذا
منهم اقتدا بفعله صلى الله عليه وسلم كما ذكره وقيل ان خاتمه الذهب اهداه
له النجاشي ومنه علم تحريم التختم بالذهب وحله بالفضة خلافا لابن حزم
في حلهما وما روي من ان الخاتم الذي نبذه كان من فضة طعن في روايته كما
فصل في شروح الصحيحين وفي شرح مسلم للقرطبي انه صلى الله عليه وسلم نهى
ان ينقش احد خاتمه كنقش خاتمه وان ينقش احد على خاتمه اسم محمد وان تتختم
النسا بالفضة ورده النووي ومن اقتدا بهم بافعاله صلى الله عليه وسلم
انهم خلعوا اي الصحابة نعالهم في الصلاة حين خلع صلى الله عليه وسلم نعله وهو
يصلي رواه احمد وابو داود والحاكم عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه ووضعهما عن يساره فلما راوه
القوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما حملكم على هذا قالوا راينا كك فعلته فقال
ان جبريل اخبرني ان بها قذرا ومنه علم ان الصلاة بالنعل اذا علم طهارتها
لا تكره واما حديث خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم وخفافهم فلا يدل
على استحبابه الا اذا قصد اليهود فتامل ومما يدل على استحباب الاقتدا
بافعاله صلى الله عليه وسلم احتجاجهم اي استدلال الصحابة الوارد في حديث
رواه الشيخان عن ابن عمر استدلوا به على انه يجوز استقبال القبلة واستدبارها
بالبول والغايط واشار اليه بقوله برؤية ابن عمر اياه اي النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا لقضا حاجته اي للبراز وهو يكني عنه بقضا الحاجة تادبا استقبالا
بيت المقدس وهو قبلة الانبيا قال رقيت يوما على بيت حفصة فرايته صلى الله عليه
وسلم الخ واستدل بفعله هذا على جوازه ويلزمه لمن كان بالمدينة استدبار
الكعبة ايضا وهو مناف لحديث ابي ايوب عنه صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم
الخلا فلا تستقبلوا القبلة ببول ولا غايط ولكن شرقوا او غربوا قيل انه
منسوخ وجمع بينهما بانه يكره في الخلا بلا ساتر دون العمران ولا يكره في
البيوت المعدة لذلك واختلفوا في علته فقيل تعظيمها اي القبلة وقيل

لان

لان الصحرا لا تخلو من مصل فيراه والصحيح الاول واحتج عنبر واحد منهم اي ناس
كثيرون من الصحابة في غير شي اي في اشيا كثيرة مما بابه اي نوعه العبادة اي
ما يتعبد به دار العادة اي ما اعتادوا فعله بقوله ابن عمر رضي الله عنهما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعله ومثله كثير كما قيل لابن عمر رايناك تلبس النعال السبتية
وتصبغ بالصفرة فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقوله قال
صلى الله عليه وسلم هل لا اخبر بها اني اقبل وانا صايم اشارة الى حديث في
الموطا عن عطا بن يسار ان رجلا قبل امراته وهو صايم في رمضان فخاف
وارسل امراته تسال امهات المومنين فسالت ام سلمة فقالت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعله فاتته فاخبرته فقال لسنا كرسول الله
فاتتها واخبرتها بما قاله زوجها فوجدت عندها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما لهذه المراة فاخبرته ام سلمة فقال لها رسول الله الا اخبرتيها
اني افعل ذلك فقالت ام سلمة قد اخبرتها فذهبت الى زوجها فاخبرته
فزاده ذلك شرا الخ فقال اني لاتقاكم لله واعلمكم بحدوده وقالت عايشة
لما سيلت عن تقبيل الصايم زوجته لحاجة لجوازه وعدم افساده الصوم
كنت افعله اي تقبيل الصايم انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الرجل الصحابي الذي اخبر بمثل هذا عنه اي اخبرته زوجته بما افتته
به بعض امهات المومنين كما تقدم في حديث الموطا فقال الصحابي المخبر بذلك
يحل الله لرسوله ما يشا فيجوز ان يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم فلا يقاس
امر غيره عليه وانما غضب لعلمه بانه اجيب عن هذا او لو كان هذا من خواصه لم يرضه
وقال والله اني لاخشاكم لله اي اعظم منكم خوفا لله واعلمكم بحدوده اي بما حده الله
ومنعه من امور الدين المحرمة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته كما قال تعالى
تلك حدود الله فلا تعتدوها وقبلة الصايم لا تبطل صومه وفيها خلاف
فقيل مكروهة وقيل مباحة وقيل يفرق بين الشاب الذي لا يملك شهوته
والشيخ الذي يملكها كما فصله الفقها وهذا كله يدل على اقتدايهم بافعاله فكيف
بفعل مكروها كما تقدم والاثار المروية في هذا اي في اقتدا الصحابة رضي الله
عنهم بافعاله اعظم اي اكثر من ان تحيط بها اي اكثر من ان تعد وتحصى لكنه مع
كثرتها وشهرتها بحيث من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداوهم بها اي بافعاله
صلى الله عليه وسلم والجواز واعلم ان مخالفته لما هو مشروع واجبا او مستحبا في شي
منها اي في بعض منها بواقعة امر مكروه ونحوه لما اتفق اي انتظم واطرد هذا
اي اتباعهم افعاله كلها لجواز كون بعضها منهيا عنه لا يقتدى به ولما بفتح
اللام والميم المخففة اي لو قلنا بجواز مخالفة امر الله في شي من افعاله ما اعتاد
الصحابة اتباعه فيها ونقل عنهم اي نقل عن الصحابة مخالفة افعاله احيانا
وظهر بحثهم عن ذلك اي فتشوا افعاله ليقتدوا ببعضها ويتركوا بعضا منها احيانا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما بالتخفيف انكر صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله يحل الله لرسوله ما يشا
كما تقدم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب لقوله وقال انا اخشاكم لله
واعلمكم بحدوده واعتذاره بما ذكرناه فهذا كله يدل على انه لا يفعل مكروها
واما صدور المباحات من الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمباح ما يجوز فعله
وتركه من غير ترجيح لجانب لتوسعهم فيه ماخوذ من باحت الدار اي عرصتها
وهو حكم شرعي على الاصح فجايز وقوعها منهم اي من الانبيا اذ ليس فيها قدم اي
نقص وذم حتى تمتنع عليهم بل هي ماذون فيها لهم اذ لا ضير فيها وايديهم كايدي
غيرهم سلطنة عليها اي هم كغيرهم من المكلفين لهم فعلها والاتصاف بها من
غير حرج عليهم في فعلها والتصرف فيها فاليد مجاز عن الكسب والتصرف
لانها الة الفعل غالبا لقوله بيده الملك اي له وتقبضه التصرف فيها
الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وبما شرحت له بالبنا للمفعول اي
بسبب ان الله شرح صدورهم من انوار المعرفة وفي نسخة انواع واصطفوا به
اي من اختيار الله وتقريبه من تعلق الهمم بالله اي بهمهم وعزمهم الصادق
تعلقه بالله وبامور الدار الاخرة اي بما هو وسيلة لها لا ياخذون اي لا يتناولون
من المباحات الا الضروريات اي ما يضطرون اليه من ضرورة البشرية كما يه قوام
البدن من الاكل والشرب مما يتقوون به على سلوك طريقهم من تبليغ
امانة ربهم وما ينعم في المعاش والمعاد وصلاح دينهم مما يعين على العبادة
ويصلح امورها كلباس المصلي الساتر له وضرورة دنياهم مما لا بد منه وما
اخذ على حد السيل من كل امر ضروري وما موصولة مبتدا خبره المتخفي طاعة منصوب
بنزع الخافض وصار قربة اي امرا يتقرب به الى الله اي الامور المباحة كالماكل
والمشرب والملبس اذا اخذ منه مقدار الكفاية وما لا بد منه للتقوي على السلوك
للاخرة صار عبادة يثاب عليها وهو ظاهر فالمباح بالنظر لذاته ومن حيث هو لا ثواب
فيه ولا عقاب اما بالنظر لما يقارنه فانه يصير عبادة والاعمال بالنيات وقد
يحصل بالمباح ترك محرم فيصير واجبا وما نقل عن بعض المعتزلة من ان
كل مباح واجب لانه ترك محرم رده الامام وهو ظاهر البطلان كما بينا منه
اي من المباح الذي يصير قربة اول الكتاب طرفا اي مقدارا قليلا في
خصال نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم فان مما ذكر من انهم ياتون من
المباح بمقدار الضرورة وانه بالنسبة لقصدهم يصير عبادة يثاب عليها
نظير فضل الله على نبينا وعلى سايرالانبيا عليهم الصلاة والسلام وانعامه عليهم بما وهبهم
من الصفات الحميدة كالقناعة في امور الدنيا وعدم التنزه والتنزل لتعاطيها
من غير حاجة ثم توفيقهم لان يتوددوا بها التقوي على عبادة الله في جميع
امورهم عبادة وطاعة فقوله على نبينا الخ متعلق بفضل ثم بين وجه ذلك
بقوله بان جعل افعالهم كلها قربات وطاعات اذا قصد بها التقوي على العبادة

كما

كما بيناه بعيدة بسبب ما ذكره عن وجه المخالفة وجه بمعنى الجهة والجانب
اي بعدت بما ذكر عن مخالفة الطاعة او مخالفة امر الله بواقعة مكروهة
ورتع المعصية بالرا المهملة اي علامتها واثرها او بالواو بمعنى السمة والعلامة
ايضا والكل ظاهر وما تقدم الى هنا مطلق من غير تقييد او مقيد بما بعد النبوة
لقوله فصل وقد اختلف في عصمتهم عن المعاصي قبل النبوة
ومجي الوحي لهم عليهم الصلاة والسلام فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله
اي به للتبرك تنزيههم من كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب الريب هو في
الاصل الشك والشبهة وهو غير مناسب هنا فكانه اريد به ما يحط مقدارهم
لان شان النبوة الشرف والعلو فاذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم
وحصلت له شبهة فيهم فكيف انكار وتعجب اي لا ينافي ما ذكر والسيلة اي وقوع
الذنوب منهم قبل النبوة تصورها كالمتنع فان المعاصي والنواهي انما تكن تعد
تقرر الشرع يعني ان الانبيا قبل النبوة معصومون اذا قلنا انهم غير مكلفين
بشرع من قبلهم وقلنا ان العقل لا حكم له في تحسين امر ولا تقبيحه كما هو
الحق عند الاشاعرة واهل السنة خلافا للمعتزلة القايلين بانه يجب الايمان
بالله قبل الشرع ولبعض الماتريدية القايلين بان الايمان بالله وتوحيده
واجب عقلا دون غيره ليلا يلزم الدور كما تقرر في اصول الدين وما قاله
المص جار على المذهبين لان مراده بالمعاصي غير الكفر ولما كان الله لا يرسل
الى خلقه الا من هو اعقل اهل زمانه واقواهم فطرة واحسنهم خلقا وخلقا كانوا
معصومين قبل النبوة وبعدها ولم يقع ذلك منهم اصلا وان اختلف في
جوازه عقلا فعلى منعه لا يبقى شي وعند من جوزه قبل البعثة كالباقلاني
وان لم يقع كذلك فالكل متفقون على ان الله لم يبعث فاسقا ولا معروفا
بالظلم والفجور وعدم الانصاف ولم يبعث الا تقيا زكيا محبوبا للقلوب مهيبا
في عيونهم له وقع عند كل احد وهذا بالنسبة للمعاصي التي حدثت
بعد نبوتهم وتشريعهم معلوم ضرورة وانما الكلام فيما تقرر قبل ذلك وقد
اختلف الناس في حال نبينا قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا قيل صوابه
اولا لان ام لا تعادل هل وفيه نظر فقال جماعة لم يكن متبعا لشي من الشرايع
وهو قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول القايل بانه لم يتبع شرع من قبله غير موجودة
فلم تصدر منه بل لم تجز عليه ولا معنى في حقه اي لم يكلف بها واواخذ
بها حينئذ اذا قلنا انه لم يتبعها ولم يكلف بها اذ احكام الشريعة انما تتعلق بالاوامر
تقدم الكلام عليها مرارا وانها جمع امر او امور او امرة والنواهي من حيث
الوجوب والحرمة والكراهية والندب ونحو ذلك وتقرر الشريعة اي
تحققها وظهورها ولم تكن بعد وجوده وقبل بعثته شريعة مقررة
في زمن الفترة حتى يتبعها ثم اختلف حجج القايلين بهذه المقالة الذين

ارتضوها مذهبا لهم عليها متعلق بحج باعتبار ما فيه من معنى الاستدلال فذهب
سيف السنة اي عالمها الذي يقيم الادلة لنصرة طريقتهم استعار له السيف لانه
يقطع الجدال كما يقطع السيف الابطال والسنة ما ثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم ومقتدى فرق الامة تعريفها للعهد اي امة محمد صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
الائمة القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم الباقلاني صاحب التاليف
الجليلة وحامل لوا اهل السنة الثقة الذي يضرب المثل بسعة علمه وشدة
ذكائه وانتهى له النظر في الاصلين على اصل الاشعري وارسل الى ملك الروم
وناظر احبارهم في غربية له وتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث واربعماية وكانت
له جنازة لم ير مثلها وانما مدحه وان كان حقيقا بذلك اشارة الى ترجيح هذا
المذهب وانه لا ينبغي العدول عنه وهو ايضا على مذهبه لانه مالكي لا شافعي
كما قد يتوهم من اشعريته الى ان طريق العلم بذلك اي اتباعه صلى الله
عليه وسلم لشرع نبي قبل نبوته النقل لانه لا يعلم بالعقل ومواد الخبر من طريق
السمع اي يعلم من خبر يرد ونقل يصل من طريق السمع وحجته ان لو كان ذلك لنقل الينا
تعبده به ولما امكن كتمه وستره في العادة التي جرت بين الناس في مثله ان من
تعبد بشرع يظهره وينقله من اطلع عليه نقلا مستفيضا لا يخفى اذ كان نقله
وعدم كتمانه من مهم امره اي تعبده بشرع عزم مهم عظيم عند اهل ذلك الدين
واولي اي احق بالاهتبال بها وتاء شاة فوقية وموحدة مبني للمجهول من
الاهتبال وهو شدة الاعتنا فهو عندهم من سيرته وصفاته المأثورة واقتحم
بها اهل تلك الشريعة بان مثل هذا النبي العلي العظيم كان من اهل ملتهم وفيه
شرف لهم ولاحتجوا به عليه اي استدل اهل تلك الشريعة بكونه عليه
الصلاة والسلام كان على شريعتهم اذ كان قبل نبوته تابعا لشرعهم ودينهم
فيقولون اذ دعاهم لاتباعه انما كنت على ديننا فلم تنهانا عنه الان وتامرنا
بترك ما كنت توافقنا فيه ولم يوثر اي ينقل شيء من ذلك اي احتجاجهم عليه
ولا نقل احد انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بشرع احد ممن كان قبله
جملة اي بالكلية اصلا وكثيرا ما يستعمل بمعنى كافة وعامة وكما اختلفوا
في انه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة هل كان على شريعة من قبله ام لا اختلفوا
بعد البعثة هل كان يتبع شرع من قبله فيما لم يوح اليه فيه شيء ولم ينسخ
وقد قيل ان هذا معلوم بالطريق الاولى كما فصل في كتب الاصول وذهبت
طائفة الى امتناع ذلك اي تعبده بشرع من قبله عقلا اي بدليل عقلي لا دخل
للنقل فيه قالوا اي المدعوت للامتناع العقلي لانه يبعد ان يكون متبعا
مقتديا به فيما شرعه الله له وامر بدعوة الناس له من كان قبل صيرورته
متبوعا مبعوثا لغيره من عرف تابعا لشرع غيره متعبدا به قبل بعثته على
هذا القول وهذا القول بامتناعه عقلا مبني على التحسين والتقبيح وفي نسخة ونتوا

هذا

هذا الى اي على القول بان حسن الشيء وقبحه يعرف ويثبت به وهو قول
المعتزلة فالتحسين والتقبيح العقليان عبارة عن تعلق المدح والذم
عاجلا والثواب والعقاب اجلا وهو محل النزاع في هذه المسئلة المشهورة
في الاصلين واهل السنة يقولون لا يعرف حسن امر او قبحه الا من جهة الشرع
ولا دخل للعقل فيه وهي طريقة اي مذهب غير سديدة اي غير صحيحة واستدل ذلك
اي الاستدلال عليه الى النقل عن الاثار وعن اهل الشرع كما تقدم للقاضي ابي بكر
الباقلاني قريبا اولى واظهر وهو القول الصحيح المعول عليه وقالت طائفة
اخرى اي بالتوقيف من غير تعيين لطرف في امره عليه الصلاة والسلام فقالوا
لا نعلم حاله قبل البعث هل كان على شريعة من الشرايع السالفة ام لا وترك قطع
الحكم عليه بشيء من ذلك الحال المتعلق بعبادته وما كان عليه قبل بعثته اذ لم يجد احد
الوجهين منها الفرار اي بعده محالا لتساويهما عنده في الامكان ولا استبان وظهر
واتضح في احدهما احد الوجهين طريق النقل بان ينقل ما يعينه عمن يوثق به وهو
مذهب ابي المعالي عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين شيخ الامام الغزالي
وعليه عمدة مذهب الشافعي وهو اظهر من ان يخفى وقالت فرقة كالمعتزلة انه صلى الله
عليه وسلم كان عاملا في امره وعبادته بشرع من قبله من الانبيا ثم اختلفوا بعد القول
بانه على شريعة منها هل يتعين ذلك الشرع بتعيين صاحبه واحكامه ام لا فيقال
كان على شرع لم يعلمه فوقف بعضهم عن تعيينه والجزم بالحاء مهملة وجيم بمعنى تاخر ونكص فهمه
ولم يجسر عليه لعدم دليل قام عنده على تعيينه وجسر بعضهم اي تجرا واقدم على
التعيين وجزم اي جزم واقدم بلا تردد فيه ثم اختلفت هذه الفرقة المعينة فمن لا يتبع
شريعته من الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين تقدموه فقيل هو نوح
لانه اول الرسل اصحاب الدعوة العامة في الجملة كما في البخاري وقيل ابراهيم لانه
افضل الرسل غير ما الاتفاق وابو الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل
موسى لان كتابه اجل الكتب قبل القران وقيل عيسى لانه اقرب الرسل زمانا اليه
عليه الصلاة والسلام فهذه جملة المذاهب المنقولة وهذه المسئلة والاظهر الاقوى
دليلا ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني وهو القول الاول لما تقدم
وابعدها مذاهب المعينين كما تقدم لانه لم ينقل ومثله لا يخفى اذ لو كان شيء من ذلك اي
اتباعه لشرع معين لنقل كما قدمناه لكنه لم ينقل فدل على عدمه ولم يخف عنه
اي لم يستتر عن احد من جميع الناس ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلام
اخر الانبيا فهو اقربهم اليه ولا نبي بينهما فهو اولى الرسل به كما ذهب اليه بعضهم
فلزمت شريعته من جا بعده لانه المتبادر بحسب بادي الراي قبل التامل فيه
فاذا تامل عرف ان شريعته لا تلزم من جا بعده لانه انما يلزم ذلك لو عمت دعوته
غير بني اسرايل من العرب اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى صلى الله عليه وسلم بل الصحيح
انه لم يكن نبي من الانبيا دعوة عامة لجميع بني ادم الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانها

عمت جميع بني ادم بل جميع المخلوقات من الجن والانس كما تقدم ومن قبله اخذ عليهم
الميثاق ان من ادركه يومن به وقوله بل الصحيح اشارة الى انه قيل بعموم من
قبله كادم ونوح عليهما الصلاة والسلام لقوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
اذ لو لم يرسل لهم ما استحقوا الهلاك بمخالفته وهذا ان سلم فهو عموم نسبي لا حقيقي
كالنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا كالا حجة لما قبله في قوله تعالى ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا اي مستقيما والملة الشريعة والدين وكانت العرب تقول لمن اتبع ملة ابراهيم
انه حنيفي وانما لم يكن فيه حجة لان هذا الامر بعدما اوحي اليه صلى الله عليه وسلم
والكلام فيما قبل البعثة وانما امر باتباعه في التوحيد واقامة الحجة برقي على من
خالفه لا في شريعته المتعلقة بالعبادة وهذا لا يدل على مدعاه ولا على تفضيل
ابراهيم لان الافضل قد يتبع الفاضل فيما عرف من هديه وخلقه ولا حجة
للاخرين القائلين بانه صلى الله عليه وسلم كان على شريعة نوح في قوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية فلا حجة فيها لانه فسره بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه فهذا امر مخصوص باقامة امر دينهم باتفاق كلمتهم لها بتفاصيل شرع
عملي ثم اشار لوجه اخر بقوله فحمل بصيغة المصدر وفي بعض النسخ تحمل بميم
وفي اخرى فيحمل مضارع هذه الاية التي احتجوا بها انما هو على اتباعهم في التوحيد
اي الايمان بالله وحده وما يتعلق بالعقايد الحقة مما يشترك فيه جميع
الانبيا وليس الكلام في هذا انما الكلام فيما تعبد به صلى الله عليه وسلم من
الاعمال الصالحة فليس المراد بالاتباع التقليدي فيما ذكر وهو محل الخلاف
الذي نحن فيه كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالمراد بهداهم
ما اتفقوا عليه من التوحيد دون فروع الشرايع فانه لا يضاف الكل وقد
قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم
وقد سمى الله فيهم اي ذكر الله في جملة الانبيا المذكورين في هذه الاية في سورة
الانعام المشار اليهم بقوله اولئك الذين الخ من لم يبعث اي نبيا لم يرسل بشريعة
مخصوصة وامر بدعوة الناس لها ولم يكن له شريعة جديدة كقصة كيوسف ابن
يعقوب على قول نبي لكنه ليس برسول بشريعة امر بتبليغها ودعوة الخلق اليها فاتفق
العلما على ان يوسف نبي والجمهور ايضا على انه رسول لقوله ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات وانه يوسف بن يعقوب بن ابراهيم الكريم بن الكريم بن الكريم
قال ابن جريج بعثه الله رسولا الى القبط وقيل انه لم يكن رسولا له شرع انما كان
على شريعة ابيه يعقوب او على ملة ابراهيم ويوسف المذكور في الاية هو غير
يوسف بن يعقوب بن ابراهيم وهو نبي اخر ارسل لبني اسرايل فاقام فيهم اثنتي
عشرة سنة يدعوهم وفرعون يوسف قيل انه فرعون موسى اطال الله عمره حتى ملك
في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وقد سمى الله جماعة منهم اي من الانبيا
في هذه الاية بسرد اسمايهم على التوالي ثم امره صلى الله عليه وسلم باتباعهم بقوله

فبهداهم

فبهداهم اقتده وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها حتى يومر باتباعهم جميعا في فروع
الشرايع العملية التعبدية فلا يصح الاستدلال بها على ذلك فدل اختلاف
احكام تلك الشرايع المامور بالاقتدا بها على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله التلبية التي لم يقع فيها اختلاف ونحوه من اصول الدين بعد هذا القول
بان المراد ما اتفقوا عليه من العقايد فصل يلزم من قال بمنع الاتباع اي اتباع
نبينا صلى الله عليه وسلم لشرع من قبله هذا القول اي ان يقول
بهذا القول اي منع اتباع شريعة من الشرايع السالفة في سائر الانبيا غير نبينا
صلى الله عليه وسلم فيقول بمنع اتباعهم لشرع غيرهم كما امتنع ذلك في حق
نبينا صلى الله عليه وسلم او يخالفون بينهم اي بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين
غيره من الانبيا فيقول ان نبينا لشرف قدره لا يتبع في عبادته شريعة غيره
وغيره يتبع من قبله اما من منع الاتباع عقلا اي قال انه امر اقتضاه الدليل
العقلي فيطرد اصله اي دليله او امره الذي قرره وذلك يطرد في كل رسول لان
الاحالة التي اقتضاها العقل من حيث هو لا يختلف في رسول دون غيره بلا ريبة
بكسر الميم وضمها بمعنى شك وشبهة لان الامر العقلي لا يختلف باعتبار الاديان
والاعصار ومريبه برا مهمله وفي نسخة مزية بزاي معجمة اي تفاضل بينهم
والمال واحد واما من مال الى الاستدلال والقول بالنقل اي قال انها
لم ينقل لنا انه صلى الله عليه وسلم تعبد بشرع من قبله ولو نقل صح لانه امر سماعي
لا عقلي صرف كما ذهب اليه الباقلاني رحمه الله فايتما بمثناة فوقية بعد التحتية
ولو قرئ بالنون صح ايضا تصور له وتقرر بالبنا للفاعل وللمفعول اي حيث
انه لا مقتضى للعقل ولا دخل له فيه فاي شي نقل من منع او جواز اتبعه ولم
يخالفه ولا داعي للخلاف فيه ومن قال بالتوقف من غير جزم بتعيين احد الطرفين فعلى
اصله اي على مذهبه في عدم التعيين في غيرها لتساويهما فيما ذكر اذ لا فارق
ومن قال بوجوب الاتباع لغيره لانه امر ديني لا دخل للراي فيه لمن قبله من الرسل
عليهم الصلاة والسلام يلتزمه اي القول بالوجوب على غيره لازم له ايضا بمساق
حجته اي بسبب ما اقتضاه مساق حجته ودليله واجرايه في كل شي لاضطراده
وصدقه عليه قيل وهذا في غير النبي الذي بعث تحت دعوة كهارون مع موسى
عليهما الصلاة والسلام فتدبر وقد وقع لبعضهم هنا كلام تركه خير منه والله اعلم
فصل هذا اي ما تقدم من العصمة قبل حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد
اي تعمد والمراد مخالفة الشرع وهو اي العمل الذي خولف به عن قصد يسمى عرفا
وشرعا معصية لانه عصي الله به ويدخل تحت التكليف اي ما خولف فيه الشارع قصدا
هو من جنس ما كلف الله به عباده بحكم والحكم هو خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين
من الاحكام الخمسة وفي عبارته تسمح لان المندرج تحت التكليف ليس هو المعصية
بل تركها واما ما يكون من الاعمال المخالفة لامر الشارع بغير قصد وتعمد كالسهو وهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

السهو لغة وغيبة ما علم عن القوة الحافظة بحيث يتنبه بادنى تنبيه
لبقائه في المدركة والنسيان وهو ذهول عما لم يتبق صورته في القوة المدركة
والحافظة ويحتاج في حصوله لسبب جديد وهذا هو الفرق بين السهو
والنسيان على ما قيل وقد تقدم طرف منه في الوظايف الشرعية الوظايف جمع
وظيفة وهي ما وظف وعين من الاعمال الموقتة كالصلاة والصوم والحج ونحوه
من العبادات بخلاف السهو والنسيان مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به
وفسر عدم تعلق الخطاب به بقوله وترك المواخذة عليه المواخذة بالهمزة
وبالواو مفاعلة من الاخذ والمراد به العقاب او العتاب وغير المكلف انواع
وهو المجنون والمغمى عليه والنايم والساهي والناسي ومن لم يبلغه الخطاب
من الجهلة والمخطي وقد تقدم الكلام على السهو والنسيان والغفلة قريبة
من السهو وقد يراد السهو والنسيان بمعنى ومنه السكران وان اجرى
عليه حكم العمد تغليظا عليه كما قاله النووي وكذا المكره والجاري في الحديث
رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فما هو الا نبيا في ترك المواخذة
به وكونه ليس بمعصية اي هم وامهم مستووون في عدم المواخذة به لانهم لم يكلفوا
به لا قبل الشرع ولا بعده ثم ذلك الذي لم يواخذ به من السهو والنسيان
على نوعين احدهما ما طريقه البلاغ اي نوع منهما وقع فيما امر بتبليغه لمن ارسل اليه
وتقرير الشرع اي ما يقرره الشارع ليعمل به وتعلق الاخطا به امرا او نهيا وتعليم الامة
بالفعل اي ما علمه الرسل عليهم الصلاة والسلام لامهم من الافعال الشرعية واخذهم
اي تكليفهم ومواخذتهم بانباعهم فيه اي بسبب الاتباع وعدمه وما هو خارج
عن هذا اي ما خرج عن طريقة البلاغ لعدم صدقه عليه وانه داخل تحت كلمة مما
يختص بنفسه دون امته مما يجب او يمتنع ونحوه مما يختص بالرسل انفسهم اما النوع
الاول وهو ما طريقه البلاغ ونحوه فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب
اي باب العصمة وحكمها وقد ذكرنا قبل هذا الاتفاق على امتناع ذلك اي امتناع
المخالفة في القول في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته بحفظه من جوازه عليه
فضلا عن وقوعه منه قصدا او سهوا ونسيانا وتركه لعلمه بالطريق الاولى فكذلك
اي كما قالوا في الاقوال البلاغية قالوا في الافعال في هذا الباب المذكور
لا يجوز طرو بتشديد الواو او بالهمزة بعد واو ساكنة كما مر كحدوث لفظا ومعنى
ووزنا وفي نسخة طرد بدال مهملة بزنة ضرب اي اضطراد المخالفة فيها لا عمدا
ولا سهوا لانها اي الافعال بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو وضبط كالذي
قبله هذه العوارض عليها اي على افعاله صلى الله عليه وسلم يوجب التشكيك اي يستلزم
وقوع الشك في بقية افعاله هل فعلها بوحي من الله او مخالفة للوحي او سهوا
ويوجب ايضا نسبة المطاعن الطعن القدح بما يورث نقصا في افعاله صلى الله
عليه وسلم ولما ورد عليه ان وقوع السهو منه في افعاله صلى الله عليه وسلم مما ثبت

في

في احاديث صحيحة لا يمكن انكارها فكيف يسوي بينهما في الانتفا اشار الى الجواب
عنه بقوله واعتذروا عن احاديث السهو الثابتة في صلاته صلى الله عليه وسلم
بتوجيهات نذكرها بعد هذا كما سياتي عن قريب والى هذا المذهب في امتناع
المخالفة ووقوعها عمدا او سهوا مال الامام ابو اسحق الاسفرايني اي رجحه على
خلافه وذهب الى اعتقاده وذهب الاكثر من النحاة والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال
البلاغية التي امروا بتبليغها لامتهم والاحكام الشرعية علمية وعملية سهوا وعن غير
قصد منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم نسيانا او غلطا فهو من عطف العام على
الخاص وسهوا تمييز او حال جايز عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم لانه امر
معفو عنه غير مواخذ به كما تقرر في احاديث السهو في الصلاة الثابت في الصحيحين
وغيرهما كما مر انفا وفرقوا بالتشديد والتخفيف اي ذكروا فرقا بين جواز
وقوع ذلك في الافعال وبين الاقوال البلاغية اذ منعوا المخالفة فيها عمدا او سهوا
لقيام المعجزة اي لدلالة معجزة كل نبي من الانبيا التي تحدى بها على الصدق اي صدقه
في القول اي فيما يقوله ويبلغه عن ربه ومخالفة ذلك اي مخالفة الصدق في القول
سهوا ومن غير قصد تناقضها اي يناقض معجزته وينافيها فلا تجتمع المعجزة
وعدم صدقه فيما يبلغه عن ربه لامته لان اجرا الله المعجزة على يده في
قوة قوله انه صادق فيما يبلغكم عني ودلالتها على ذلك دلالة التزامية
في قوة المطابقة كما تقرر في علم الكلام فالفرق مثل الصبح ظاهر واما السهو
في الافعال فغير ناقض لها اي للمعجزة ولا قادح في النبوة اي لا يضرها بوجه من الوجوه
لعدم منافاته لها بل غلطات الفعل اي وقوع الغلط في الافعال وغفلات
القلب عما يفعله حتى يصدر عنه ما لم يرده من سمات البشر اي من صفاتهم
اللازمة لهم حتى لا يخلو عنها انسان كما قيل

وانما سمي انسانا لنسيانه • واول ناس اول الناس

كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن مسعود انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني جملة انسى مستانفة او خبر بعد خبر لانا او صفة لبشر
وضمير المتكلم يربطه واما كونه يقبح كما في قوله انا الذي سمتني امي حيدرة
عند المازني فلانه ليس محل الالتفات لا لانه لا يكون رابطا فلو صح هذا
لم يجز كونه خبرا ايضا وظاهر الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه
النسيان والسهو مطلقا وقد منعه بعضهم وجوزه اخرون بشرط ان
لا يقر عليه وينبه عليه كما ياتي وحاصل ما اشار اليه اولا واخرا اثبت
ما افاده ظاهر الحديث واختلف هل يجوز تاخير تنبيهه ام لا وصححوا
جواز السهو عليه فيما هو فعل من الامور البلاغية واجابوا عما ورد من مثله
وصحح الاول وهو الجواز لانه لا ينافي النبوة بل فيه فضيلة البيان وتقرير
الاحكام واختلفوا فيما طريقه البلاغ من افعاله فجوزه الجمهور واما في

عرضي

الاقوال البلاغية فجمع على منعه كما اجمعوا على منع تعمده واما السهو في
الاقوال المتعلقة بامور الدنيا مما ليس طريقه البلاغ ولا من الاحكام
واخبار المعاد وما لا يضاف لوحي فجوزه بعضهم اذ لا مفسدة فيه وصحح
المص منعه على الانبيا في كل خبر عمدا وسهوا لا في صحة ولا في مرض ولا رضى ولا
غضب ولم يزل الناس يندا ولون اخباره صلى الله عليه وسلم عصرا بعد عصر
من غير استدراك احد لغلط فيها او وهم في شي منها ولو كان لنقل كما نقل في
الصلاة ونومه عنها واستدراك رايه في تلقيح النخل وسهوه في امور الدنيا
غير ممتنع وهذا الحديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة وانه قاله
صلى الله عليه وسلم وقد صلى الظهر خمسا ثم سجد سجدتين واقبل بوجهه على الصحابة
وقال لو حدث شي في الصلاة انبأتكم به ولكني انما انا بشر الخ نعم العرب كثيرا
ما تزيد نعم في كلامها اذا ألغي لمصيغ له وكانه جواب سوال مقدر كقول محمد
نعم وارى الهلال كما تراه بل في حالة السهو والنسيان اي في حالة البلاغية في حقه
صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم لتستفيد منه امته وتقرير شرع اي تحقيقه
وتثبيته كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه في الموطا الا انسى او انسى بالهمزة
المضمومة والتشديد مبني للمجهول للعلم بفاعله اي ينسيني الله ويوجد النسيان
في لاسن اي لاحدث لكم امرا شرعيا كتعليم سجود السهو ونحوه بل قد روي
هذا الحديث بوجه اخر وهو لست انسى ولكن انسى لاسن الاول بفعل
المتكلم المعلوم المخفف والثاني بمجهول مشدد ويأتي انه لا تنافي بين
نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم في الرواية الاولى ونفيه عنه
في الحديث الاخر لان نسبته اليه باعتبار حقيقة اللغة ونفيه عنه
باعتبار انه ليس موجدا له حقيقة والموجد الحقيقي هو الله كما يقال
مات زيد واماته الله وفرق بين الفاعل الحقيقي بحسب عرف اللغة
والفاعل الحقيقي في نفس الامر كما قرره الاصوليون وتحقيقه في شرح العضد
للابهري فحيث اثبت له النسيان اراد قيام صفة النسيان به ونفيه
باعتبار انه ليس بايجاده ومن مقتضى طبعه والموجد له هو الله وقوله
في حديث اخر لا يقولن احدكم نسيت اية كذا بل هو انسي فكره نسبة النسيان
لغير الموجد الحقيقي المقدر لكل شي اولان اصل النسيان الترك فكره ان
يقال ترك القران لاشعاره بالتهاون اختيارا وقوله نعم الخ استدراك
عما قد يسال عنه بان نسيانه صلى الله عليه وسلم ليس كنسيان غيره لما
يترتب عليه من الفوايد الجليلة وتسويته بهم في الحديث باعتبار ظاهر
الحال واليه اشار بقوله وهذه الحال اي ما يعرض له صلى الله عليه وسلم من
النسيان ليس زيادة له مخصوصة به صلى الله عليه وسلم في التشريع للناس
لما يحصل من تعلم ما يفعله الساهي في العبادة من امته او تمام عليه في النعمة

بتتميم

بتتميم نعمة الرسالة والبلاغ ببيان حال الساهين فيها بلغه لهم العبادة
فهي تجبره عن سمات النقص لان النسيان نقص في الجملة ولذا عده الاطباء
من الامراض الدماغية وهي في حقه باعتبار ما فيها من عبادة الارشاد للعباد
ولذا قال بعض مشايخنا من الحنفية ان هذه السجدة سجدة سهو للامة سجدة
شكر له صلى الله عليه وسلم ومدح في حقه وان لم يمدح بها سواه لكونه اميا وترى
يتيما كما قال الابو صيري رحمه الله تعالى

كفاك بالعلم في الامي معجزة ... وبالنزاهة والتاديب في اليتم

وبعيدة عن اعتراض الطعن اي فلا يعترض ولا يطعن فيه بما يعرض له من
النسيان وعلله بقوله فان القايلين بتجويز ذلك اي السهو والنسيان
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الافعال البلاغية يشترطون في جوازه
عليهم ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه اذا عرض لهم ويعرفون
بالتشديد والبنا للمجهول فيه وفي ينبهون حكمه كان الظاهر يعرفونه
لانه اخصر واظهر فكانه اخمد اشارة الى انه كما يعرف بصدوره عنه يعرف
بحكمه كالسجود فالمعرف هو الله بالفور اي ملتبسا بالفور وهو عدم التمهل
والبطو على قول بعضهم وهو الصحيح عند ايمة الاصول وقبل انقراضهم اي يمهلون
مدة الحياة فانما يلزم التنبيه قبل الموت وهو معنى الانقراض على قول الاخرين
الذين لا يشترطون الفورية واما ما ليس طريقه البلاغ لامته ولا بيان الاحكام الشرعية
من افعاله صلى الله عليه وسلم وهو بيان لما وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه
كتسبيحه وتحميده لربه وتفكره في معرفته مما لم يفعله ليتبع فيه مبني للمجهول
ومشدد التا فالاكثر من طبقاتها على الامة الطبقة على كل عصر فهم طبقة بعد
طبقة على جواز السهو والغلط عليه فيها اذ لا يلحقه صلى الله عليه وسلم به شي
اصلا ولحوق الفترات اي عروضها جمع فترة وهي كما قال الراغب سكون بعد
حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة انتهى والغفلات بقلبه بان يغفل عما
هو فيه كما هو مقتضى البشرية وذلك اي لحوق ما ذكر من الفترة والغفلة لا ضير
فيها بما كلفه من مناساة الخلق بنظره صلى الله عليه وسلم في احوالهم وتدبير
امورهم وسياساة الامة بتدبير امورهم والنظر في عواقبهم وملاحظة الاهل من العناية
او العنا بهم ومعناه الاشتغال بهم وملاحظة الاعدا بغزوهم والحذر منهم والتجسس
على اخبارهم ثم استدرك فقال لكن ليس نسيانه صلى الله عليه وسلم وسهوه على
سبيل التكرار بكثرة وقوعه منه والاتصال باستمرار ذلك لان مثله غير محمود عند
الطباع السليمة بل وقوعه منه على سبيل الندور وقلة الوقوع والنادر لا حكم
له وقل ما يخلو منه احد كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله تقدم طرف من الكلام على هذا الحديث وان الغين بمعجمة غيم
رقيق وان المراد به ما يعرض له من الخواطر التي تشغله عما يهمه من امر الاخرة

وهو عبادة ايضا لانه تفكر في امور امته وتدبير احوالهم وانما استغفر الله
منه لانه شغله عن الاهم عنده فتهوبا للنسبة لتعظيم مقامه كانه ذنب لانه
اشتغال بالعالي عن الاعلى فهو حالة كمال لا نقص وليس في هذا السهو الصادر
منه صلى الله عليه شي يحط اي ينزل قدره العلي من رتبته وعظمة مقامه وينافض
معجزته الدالة على صدقه وذهب طائفة من العلما اي جعلوا هذا مذهبا ومعتقدا
لهم وليس هذا من الذهاب ضد الرجوع وان كان اصل معناه المنقول منه
الى منع صدور السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم
جملة اي كلها لا يستثني منها شي اصلا وهو مذهب جماعة من المتصوفة اي اهل
التصوف واصحاب علم القلوب هو عطف تفسير له وهم الذين صفوا قلوبهم بالمجاهدة
لا يتكلفوا طريقة التصوف لان هذه الصيغة قد يراد بها المبالغة كالتوجه
في صفات الله تعالى والمقامات اي المراتب التي يعرفها مشايخهم ويقطعونها
في سيرهم الى الله وتقدم الكلام عليهم مبسوطا ولهم اي للعلما في هذه الاحاديث
المروية في السهو والنسيان مذاهب اي اقوال يعتقدونها نذكرها بعد ان
شا الله تعالى فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو الواقع
منه عليه الصلاة والسلام في افعاله وقد قدمنا في الفصول السابقة فنا هذا
الفصل ما يجوز عليه فيه السهو وما يمتنع واحلناه اي جعلناه محالا فيما طريقه البلاغ
في الاخبار وما هو من قبيل الاقوال جملة من غير استثنا الشي منها في الاقوال الدينية
اي التي ذكر فيها الاحكام الشرعية قطعا من غير تردد واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي بينا متصلا قبل هذا من انه غير مناقض للمعجزة وعدم قدحه في
النبوة مع ندرته وما يترتب عليه من افادة علم وتقرير حكم واشرنا الى ما ورد
في ذلك ونحن نبسط القول فيه في هذا الفصل والصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله
عليه وسلم في الصلاة ثلاثة احاديث فمنها وهو اولها حديث ذي اليدين في السلام قطعا لصلاته
من اثنتين اي ركعتين من الظهر او العصر وما قاله ذو اليدين هو المقدم كما تقدم
وقال المص في الاكمال احاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة الخ وقد قدمنا
الكلام على حديث ذي اليدين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين بحينة
بباء موحدة مضمومة وحا مهملة وبعدها مثناة تحتية ونون بصيغة التصغير
وهو عبد الله بن بحينة وبحينة امه وهي بحينة زوجة مالك والد عبد
الله الازدي وعبد الله هذا حليف بني المطلب اسلم هو وابوه ولهما
صحبة وانكر الحافظ الذهبي صحبة مالك والد عبد الله وان يكون له رواية
واسلام وانما ذلك لعبد الله وفي تجريد الذهبي مالك بن بحينة ابو عبد الله
روى عنه حديث وصوابه عبد الله الازدي وامه بحينة قرشية وبحينة ام
عبد الله زوج مالك لا ام مالك وفي اطراف المزي من مسند مالك بن بحينة
حديث ابصلي الصبح اربعا وحديث السهو في الصلاة في مسند مالك بن بحينة

وفي

وفي الكاشف مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وروى عنه ابن حبان
وقال النسائي هذا خطا صوابه عبد الله بن مالك الثالث حديث ابن مسعود
الذي رواه الشيخان عنه مسندا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا
فقيل له ازيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد بعد ما
سلم وليس قوله بعد ما سلم في رواية البخاري واخرج مسلم من حديث الاعمش
ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه
قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم زاد او نقص الشك مني
فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شي قالوا صليت كذا وكذا
فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم واقبل علينا بوجهه
فقال انه لو حدث في الصلاة شي انبأتكم به ولكن انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم فليتحر الصواب وليتم ثم يسجد سجدتين
وفي الحديث دليل على تداخل سجود السهو واما كونه بعد السلام او قبله فقد
وقع فيه اختلاف بين الفقها كما اختلفت الرواية فيه وقيل سجود النقص
قبل السلام وسجود الزيادة بعد السلام وهو معنى ما قيل القاف بالقاف والدال
بالدال وهذه الاحاديث التي ذكرها المص مبنية على السهو في الفعل اي ان ما طرا
فيها وقع في فعله لا في قوله الذي قررناه فيما مر قريبا وحكمة الله فيه اي اوجده
الله فيه لحكمة ولو شا صانه عنه وهي انه انما اوجده ليسن اي ليبين للامة
حكم شرعا به اي بسبب فعله فالسنة هنا بمعنى الطريقة ثم اشار الى جواب
سوال تقديره ان هذه الحكمة تحصل ببيانه بالقول بان يقول من سهى في
صلاته فليفعل كذا من غير وقوع سهو في فعله فقال اذ البلاغ بالفعل اجلى بالفعل
تفصيل اي اظهر منه بالقول واظهر به لمشاهدة فعله وكيفيته في زمن قليل وكم
قرره بكلامه احتاج لتفصيل ولا وجه لما قيل ان فيه خللا في صلاته بزيادة او نقص
بخلاف وجوده بالقول اذ اعصمه الله عنه فالحكمة انما هي لبيان ان هذا السهو
انما هو من صفات البشر فاذا وقع من مثله وغيره اقتبل له كما قال لا يضل ربي ولا ينسى
وكقوله سبحانه من لا ينسى ولا يغفل وهذا مما استاثر به الله وارفع الاحتمال
لانه لو قال من سهى فليسجد سجدتين في اخر صلاته احتمل ان يكون اراد من سهى
في امر من امورهم سوا كان سهوا في نفس الصلاة او في غيرها وشرطه اي شرط جواز
السهو على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في افعالهم البلاغية ان لا يقر بالبنا للمفعول
على هذا السهو اي لا يجعله الله قارا عليه من غير اعلامه بما صدر منه من زيادة او نقص
بل يشعر به مجهول اي يعلمه الله به بواسطة المنبه له ليرتفع الالتباس اي الالتباس
الحاصل لمن يراه هل هو سهو او نسخ لما كان وتظهر فايدة الحكمة فيه ببيان الحزم
من سهى كما قدمنا قريبا فان السهو والنسيان في الفعل في اي بالنسبة اليه صلى الله عليه
وسلم اذا صدر وتحقق منه غير مضاد اي ليس ضد امنافيا للمعجزة المثبتة لنبوته

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واما السهو في القول البلاغي فينافيها لانها من قوة قول الله انه صادق في كل
ما يخبركم به عن ربه فينافيها اخباره بما يخالف الواقع ودلالة المعجزة على صدقه
في مقاله دون افعاله وفي اثبات ذلك كلام في علم الكلام وشبهة لمنكري النبوات
اجيب عنها بما لا يسعه هذا المقام ولا قادح في التصديق اي تصديق من آمن
به صلى الله عليه وسلم من امته والاول بالنظر للنبي صلى الله عليه وسلم
نفسه وهذا بالنظر لمن بلغه النبوة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الذي تقدم بيانه انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني اي نبهوني
على سهوي او نسياني وقد تقدم بيانه مفصلا فتذكره وقد قال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها رحم الله فلانا هو كناية
عن علم لم يرد التصريح به وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابي وقيل عبد
الله بن يزيد الانصاري قالت عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
صوت قاري يقرأ فقال من هذا فقالوا عبد الله بن يزيد فقال رحمه
الله لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن اي تركت تلاوتهن سهوا
مني وروي انسيتهن وهذا تفسير للرواية الاولى ولذا ذكرها المص ولم يعين
اخذي الايات التي نسيها ولا عددها ولا سورتها لان كذا وكذا فيه خلاف
للفقها في باب الاقرار فيما لو قال له علي كذا وكذا درهما مسطورا فقيل يلزمه
احد وعشرون وقيل درهمان وليس هذا محله وقال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي رواه في الموطا كما تقدم اني لانسى بزنة الفي مخففة معلوم
او انسى بالتشديد وبنا المجهول اي ينسيني الله لاسن وتقدم بيانه قيل
هذا اللفظ المذكور هنا مسطورا بأو الفاصلة شك من الراوي لانه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغير الشك من معاني او غير مراد هنا وقد روي
الحديث اني لانسى بلا النافية بعد لام التاكيد ولكن انسى بصيغة المجهول المشدد
لاسن قيل نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم فيما كان بسبب منه ونسبته
الى الله فيما لا دخل له فيه وهذا الينافي كون النسيان غفلة لا فعل من
افعاله كما توهم وذهب ابن نافع بنون وفا بعد الالف وعين مهملة وهو
عبد الله بن الصايغ المالكي وليس هو قانع بقاف ونون وهو تحريف من
الناسخ ظنه بعضهم رواية وهو مع اشهب يقال لهما القرينان كما يقال
لطرف وابن الماجشون الاخوان كما قاله ابن مرزوق وعيسى بن دينار
الفقيه الزاهد العابد الطليطلي الذي تفقه به اهل الاندلس واخذ
الفقه عن ابن القاسم وتوفي بطليطلة سنة اثنى عشرة ومائتين الى انه ليس بنسيان
من الراوي وان معناه التفسير اي انسى انا او ينسيني الله ليس معناه انه بحسب
الظاهر منسوب له وفي الحقيقة فعل الله بل المراد انه قد يكون بسبب تعاطاه
او بدونه لحكمة ارادها الله كما تقدم يحتمل لفظ الحديث ما قالاه اي ابن نافع

ابن القبرس

وقال القاضي ابو الوليد الباجي

وابن

وابن دينار واحتمالا اخر وهو ان يريد اني انسى في اليقظة بفتحتين وتسكينه
لحن في غير الضرورة كما مر ضد النوم وهذا معنى النسيان المنسوب اليه
بصيغة المضارع المخفف المبني للمعلوم او انسى بصيغة المجهول المشدد
في النوم الذي هو حالة تمنع الحس والفعل الاختياري فاطلق على عدم الادراك
في النوم نسيانا لاشتراكهما في عدم الادراك ولا يخفى بعده وركاكته واما
كونه صلى الله عليه وسلم اذا نام لا ينام قلبه وان نومه ويقظته سواء فلا يأباه
كما توهمه بعضهم او المراد بقوله انسى بالمعلوم ما هو على سبيل عادة البشر المجبول
عليها طبايعهم من الذهول عن الشيء اذا غفل عنه والسهو عما هو بصدده
لعروض ما يشغل باله عنه او انسى بالمجهول المشدد معناه ذهوله عنه مع
اقباله عليه بمشاهدته او تلبسه به وتعرضه له باعراضه عن غيره لكن ينسيه الله
ما هو فيه بتخليه له الشاغل عما سواه ثم وضحه وفصله بقوله فاضاف احد
النسيانين بقوله انسى المعلوم الى نفسه لان تقديره انسى انا اذ كان له التسبب فيه
بما شرع ما هو كالسبب المفضي اليه ونفى الاخر عن نفسه اذ لم يسنده له
اذ هو فيه اي في حال التلبس به كالمضطر الملجا الفعل شيء ولما كانت التنسية
نسيانا جعلهما نسيانين وقيل انه تغليب ولا حاجة له مع وجود المعنى
الحقيقي وذهبت طايفة من اصحاب المعاني الذين تقيد وا ببيان معاني
الحديث وشرحه كالبغوي والخطابي فقوله والكلام على الحديث عطف تفسير
لما قبله الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى بنا على
الفرق بين السهو والنسيان فان منهم من قال انهما بمعنى ومنهم من فرق
بينهما كما قاله الحافظ العلائي كما مر وقال السهو جايز في الصلاة على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بخلاف النسيان لان النسيان غفلة وافة والسهو انما
هو شغل بال فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها فكان
صلى الله عليه وسلم يشغله عن الصلاة ما في الصلاة ويأتي بيانه قال المقدم
وهو ضعيف من جهة المعنى واللغة فالاول ما ثبت في الصحيحين من
قوله انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون والثاني تسوية ائمة اللغة بينهما
اذ فسروهما بالغفلة وذهاب القلب عنهما كما في التهذيب والصحاح والمحكم
وقال الراغب السهو خطا عن غفلة وهو على ضربين ما لا يكون الانسان
فيه منسوبا لتقصير اذ لم يتعاطى ما يوديه والثاني ما يتعاطى ما يوديه كما لو
سكر وفعل منكرا بلا قصد وهذا هو المذموم وفي النهاية السهو في الشيء ترك
من غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن يرجع لما قاله الراغب
وبه يظهر الفرق بين السهو في الصلاة الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم غير مرة
والسهو عنه الذي ذم بقوله الذين هم عن صلاتهم ساهون انتهى وقد تبعه

دلجي

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعض الشراح وأنا أقول اما الفرق بينهما فلا شبهة فيه فان السهو
غفلة يسيرة عما هو في القوة الحافظة يتنبه له بادني تنبيه والنسيان زواله
عنها بالكلية ولذا عده الاطباء من الامراض دونه الا انهم يستعملونهما بمعنى
تسامحا منهم واهل اللغة لا يدققون النظر في التعاريف اللفظية والرسمية
لا انسى كما تقدم وهو اي عدم علم وادراك وغفلة اي ان يذهب عن فكره وادراكه
بالكلية وآفة اي مرض يصيب القوى المدركة بنقص فيها وفي صاحبها قال
الفارق بينهما وانه يسهو ولا ينسى وفي نسخة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم
منزه عنها لانها نقص يخلقه الله والانبياء منزهون عنه والسهو شغل بامر يمنعه
عن ملاحظة ما هو فاعله وهو غير مذموم بل قد يمدح كاشتغال المصلي بتجليات
ربانية فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا ينساها ويذهل عنها لاشتغاله
بغيرها من امور الدنيا وانما يشغله عن حركات الصلاة لا عنها ما في الصلاة مما
فيه قرة عينه شغلا بها اي بسبب ما فيها من تجليات نورانيه لا غفلة عنها بالكلية
ولذا اتمم حركات اولا واحتج من منع النسيان عليه صلى الله عليه وسلم بقوله صلى
الله عليه وسلم في الرواية الاخرى لهذا الحديث اني لا انسى ولكني انسى لنفيه النسيان
عنه وقد سهي ومن سوى بينهما يقول انما نفى النسيان ايما اي ان الفاعل
الحقيقي هو الله او المراد لا انسى كما تنسون كما تقدمت الاشارة وقد هبت طائفة
هم مشايخ الصوفية اصحاب المقامات العلية كما صرح به في اخر الفصل الذي
قبل هذا الى منع هذا عليه اي السهو والنسيان عنه اي عن النبي صلى الله عليه
وسلم لتنزهه عنه وقالوا ايضا صلى الله عليه وسلم كان صدوره منه عمدا وقصدا
لا غفلة وسهوا ونسيانا وانما قصده ليسن كما تقدم وهذا القول بانه عن
قصد دون غفلة قول مرغوب عنه لا فيه لانه متناقض التناقض لانه لو فعل في صلاته
ما فعل عمدا ابطلت وفسدت صلاته فكيف يسن بما لا يجوز وقيل
لمناقضة السهو العمد واستحالته لكونه عمدا لا يجلا منه بطايل اي ليس
فيه فايدة وكبير امر حتى يرتكب امره المتحالفة المتناقضة له ويجلا بفتح
المثناة التحتية وسكون الجيم المهملة ولام مفتوحة والف وقول ابن هانى
انه بضم اوله وبالجيم المهملة ثانيه وهم منه لانه في كتب اللغة كالاساس
وافعال السرقسطي وغيره انه يقال ما حليت وما حلوت منه بطايل اي ظفرت
فعلة ثلاثي ورد ماضيه كعلم وضرب وكذا هو في شروح التسهيل في الخطبة
والطايل بمعنى الفايدة يقال هذا الطايل تحته اي فايدة يعتد بها
وهذا الفعل اعني حلا قيل انه مختص بالنفي وهو المشهور وصرح ابن السيد
بخلافه ثم بين تناقضه بقوله لانه كيف يكون صلى الله عليه وسلم متعمدا ساهيا في حال
واحدة لان بينهما من التضاد ما يمنع اجتماعهما ولا حجة لهم في قولهم انه صلى الله عليه

وسلم

دلجي

وسلم أمرا اي امره الله متعمدا صورة النسيان وليس بناس ليسن لهم ما يترتب عليه لقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم قريبا اني لا انسى او انسى فقد
احد الوصفين بمعنى النسيان والسهو الذي نفاهما هو الغافلون بما ذكر وقيل
المراد بالوصفين النسيان من قبل نفسه او من قبل ربه ونفي منافيهما اضافة
للضمير التعمد والقصد مفعول نفي ونفيه من اثبات ضده الذي لا يجتمع معه
وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ويجوز ان يكون النفي
يفهم من الحصر بانما فيكون ما ذكره المص من ابطال هذا القول في غاية الظهور
وانه لا يتخيله الا معذور وكيف يتعمد ما صورته تخل بعبادته مع امكان البيان
بالقول انتهى اقول هو كما قال لكن ما تقدم عن السادة الصوفية يمكن
توجيهه وقد مال الى هذا اي القول بانه صلى الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان
عظيم اي كبير كان العظيم يكون بمعنى الزيادة في القدر والكم كالكثير والمراد الاول
من اهلنا اي الاشعرية لا الفقهاء المالكية كما قيل لان هذا العظيم الذي ذكره
وهو ابو المظفر الاسفرايني شافعي كذا في الشرح الجديد بنا على ان ابا المظفر هو ابو اسحاق
ابراهيم وان المص كناه بذلك بغير كنيته المشهورة والذي يظهر ان الاول هو
الصواب وهذه مجازفة من قايلها ولم يرتضه غيره منهم اي لم يقل بهذا القول
احد غير ابي المظفر لانه كيف يؤمر بتعمد ما يبطل الصلاة من غير ضرورة ولا ارتضيه
لانه بعيد عن الصواب بمراحل ولا حجة لهاتين الطايفتين القايلين بانه صلى الله
عليه وسلم لا ينسا وبان سهوه عمد وقصد في قوله في الحديث اني لا انسى بالنفي
في احدى الروايتين كما تقدم تفصيله ولكن انسى بالتشديد كما بيناه اذ ليس
فيه اي في الحديث على هذه الرواية نفي حكم النسيان بالجملة اي جميعه بانه
لا يصدر منه صلى الله عليه وسلم نسيان اصلا وكانه اراد حكمه معناه
بقرينة قوله وانما فيه نفي لفظه باطلاق اسناده له وما قيل المراد النسيان
الذي هو حكم بمعنى مدلول لفظه والاضافة بيانية تعسف وكراهة لفظه
هو بمعنى اسمه ولفظه المستعمل فيه وليس المراد به احد اقسام العلم وهذا
على مصطلح الاصوليين كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث مشهور بئس ما لاحدكم
وبيس من افعال الذم كما مر فاعله ضمير مستتر مفسره ما وقوله او يقول نسيت اية كذا
هو المخصوص بالذم ونسيت مخفف مسند لضمير المتكلم ولكنه نسي مجهول
مشدد ورواه مسلم نسي مخففا مع ضم النون وكذا روي من طرق فقد
روي بتشديد السين وتخفيفها مع البنا للمفعول فيهما فعلى التثقيل
انه تعالى خلق فيه النسيان وعلى التخفيف معناه انا نسي القرآن نسيه الله
اي تركه لا يلتفت اليه كقوله وكذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى
فاشار الى انه لا ينبغي ان ينسب فعلا لنفسه وينسبه لخالقه تادبا وان

دلجي

ابن اقبرس

عرضي

دلجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جاز لانه كسبه فالذم لهذا فهو عام في كل فعل او هو لما فيه من عدم الاعتنا
بالقران لان نسيانه لتركه تعهد تلاوته فهو مخصوص بالقران واختاره
القرطبي وقيل النسيان المذموم هنا بمعنى الترك وقيل فاعل نسيت النبي
صلى الله عليه وسلم اي لا يقل احدكم اني نسيت اية فان الله هو الذي
انساني ما نسخه وليس بصنعي وقال الخطابي انه مخصوص بعصر
النبوة فانهم انما ينسيهم الله ما قدر نسخه او نفي مصدر معطوف على نفي
لفظه اي انما فيه نفي الغفلة وقلة الاهتمام بجره معطوف على الغفلة بامر
الصلاة فاريد به نفي لازمه عن قلبه متعلق بنفي فلا انبي بمعنى لا يغفل قلبي
عن عبادة ربي وتوجهي اليه تكن شغلا بها اي بالصلاة وما فيها من التجليات عنها
اي عن بعض اعمالها وعدد ركعاتها ونسي بعضها من اركانها الظاهرة بعضها
مما يشاهده فيها وتدبر ما يتلوه فيها وما قيل ان هذه مرتبة لا تليق بارباب
التمكين الذين لا تفوتهم امورهم الباطنة عن ادب الظاهر كان عليه ان
يتادب بتركه ومثله من زخرف الاصطلاحات لا يجري في مقامات النبوة كما
ترك صلى الله عليه وسلم الصلاة الثابت في حديث الصحيحين يوم الخندق حتى خرج
وقتها اي وقت الصلاة المعين لها في كتب الفقه وهذا نظير لما هو فيه لاشتراك
له كما عينه بقوله الاتي فشغل بطاعة عن طاعة وهذه شهر غزوة الخندق
وغزوة الاحزاب لانه صنع فيها خندق براي سلمان الفارسي وتجمع فيها طوائف
كثيرة كما هو مشهور في السير والخندق معرب كنده بمعنى حفر وكانت سنة اربع
وقيل سنة خمس على ما بينوه واختلفوا في سبب الاختلاف فيه على اقوال
منها انهم لما رجعوا من الهجرة وجعلوا راس السنة المحرم جعله بعضهم محرم
سنة الهجرة وبعضهم المحرم الذي بعده فتفاوت ذلك بسنة وشغلا بالقتال
من العدو عنها اي عن الصلاة التي دخل وقتها حتى خرج لانه يخشى من هجوم
العدو عليهم وهم في الصلاة غير مستعدين للحرب ولم تكن صلاة الخوف شرعت
لهم حينئذ فشغل بطاعة وهي حفظ المدينة وارواح المومنين من بغتة
العدو عن طاعة وهي ادا الصلاة في الوقت وتلك اهم باعتبار حقوق العباد
اذ لو فاتت لم يمكن تداركها بخلاف هذه وهذا تنظير لشغل عبادة
عن عبادة وان لم تكن منهيا للسهو والمنهي عنه اشتغاله عن العبادة
حتى ينساها فلا يرد عليه انه يلزمه وقوع سهوه في افعال العباد وهذه
واقعة حال قدم فيها الاهم ولم يكن ناسيا وانما بدا بدرء المفسدة الذي
هو اهم من جلب المصلحة وكان هذا عذرا في تاخير الصلاة قبل مشروعية
صلاة الخوف على انه قيل انه سهوا ايضا فعلى هذا لا يتحتم عليه شي وقيل
القايل له ابن مسعود كما رواه الترمذي والنسائي ان الذي ترك بالبنا للفاعل
او المفعول اي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اربع صلوات

عرضي

تلسابي
والبرهان

خبر

خبر ان الظهر والعصر والمغرب والعشا بدل منه وما قيل انه يجوز نصب
اربع لترك على مذهب سيبويه لا وجه له هنا والصحيح ما في الصحيحين
من انها صلاة العصر وفي الموطا انه فاتته صلاتين الظهر والعصر
وقال النووي يجمع بين الروايات بان الخندق كانت في ايام وتعدد تركه
للصلاة فيها وقيل ان تاخيرها كان نسيانا واستدل بما رواه احمد
انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب يوم الاحزاب فلما سلم قال هل علم رجل
مسلم اني صليت العصر قالوا لا فصلاها ثم صلى المغرب الا انه ضعف راويه
وهذا كان قبل نزول صلاة الخوف كما مر والحديث مروي عن علي رضي الله عنه
لما كان يوم الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم ملا الله بيوتهم وقبورهم
نارا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وبه استدل
علي ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وفيه اختلاف وقد افرد ذلك الحافظ
بتاليف نفيس او صلاة اقوال فيه الى نحو عشرة وبه اي بترك صلى الله عليه وسلم
هذه الصلوات احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف ازيد من في وقتها
الى وقت الامن من خوف العدو وهو مذهب الشافعي اي بعض علما الشام وفقهايها
المجتهدين والمحدثين منهم الذين يرون ان صلاة الخوف كانت مشروعة قبل
ذلك والصحيح ان حكم صلاة الخوف اي فرضيتها كان بعد هذا اي بعد غزوة الخندق
فهو ناسخ له اي لجواز تاخير الصلاة عند الخوف وهو مذهب ابي حنيفة والجمهور
وصلاة الخوف على طرقها التي ذكرها الفقها مختلف فيها هل كانت مخصوصة بعصره
صلى الله عليه وسلم او نسخت في حياته فلا تجوز الان او حكمها باق الى الان وهل
تختص بالجماعة ام لا والكلام عليه وعلى ادلته مفصل في كتاب الاثار وشرحه
للعيني وليس مما يهمنا تفصيله هنا ثم استطرد لما يناسب ما هو فيه
من تاخير الصلاة عن وقتها لعذر شرعي واورد عليه سوالا فقال فان قلت
فاتوا في يوم صلى الله عليه وسلم من صلاة حتى خرج وقتها كما اشار اليه بقوله عن الصلاة
يوم الوادي كما رواه البخاري وغيره والصلاة هي صلاة الصبح والوادي بطريق
مكة وقيل ببطن تبوك وكان صلى الله عليه وسلم عرس فيه ووكل بلالا بان يقوم
عنده ليوقظه اذا طلع الفجر فاستند ظهره لراحلته فغلبه النوم ولم يوقظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى طلعت الشمس وكان اول من استيقظ ابو بكر ثم عمر
رضي الله عنهما فكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ البخاري
عن ابي قتادة قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض
القوم لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال
بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فاستيقظ
النبي صلى الله عليه وسلم وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال اين ما قلت قال
ما القيت علي نومة مثلها قط فقال ان الله قبض ارواحكم حين شا وردها حين شا

اداؤها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يا بلال قم فاذن الناس بالصلاة فتوضا فلما ارتفعت الشمس وابيضت
قام فصلى ومثله في مسلم وتقدم ايضا لفظ البخاري عن عمران بن حصين
واستشكل الحديث بانه كيف يتاتى هذا والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال في
حديث اخر ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فكيف نام عن هذه الصلاة حتى قضاها
وهذا الحديث في الصحيحين بطوله وفيه ان عايشة رضي الله عنها قالت
تنام يا رسول الله قبل ان توتر فقال تنام عيني ولا ينام قلبي وكذا ساير
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ورد ايضا والذي ذهب كثير من ايمة الشافعية
الى ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوه وسياتي الكلام فيه وقيل
انه من خصايصه ونقل عن النووي واجاب عن تعارضهما بقوله فاعلم
ان للعلما عن ذلك التعارض اجوبة منها ان المراد بالهذا اي تيقظ قلبه في نومه حكم قلبه
اي حاله وصفته عند نومه وغيبته عن الادراك في تلك الجملة في غالب الاوقات
اي اكثر اوقات نومه وغيبته بغين معجمة ضد الحضور قال البرهان وبينه
مع ظهوره لئلا يتصحف بعينيه تثنية عين باصرة ورد بانه معنى
صحيح لا تحريف فيه فانه حينيذ معطوف على قلبه اي هذا حكم قلبه وحكم
عينيه غالبا وهو متجه وقد ينقل اي يقل والندرة اخص من القلة لانها
القلة المفرطة جدا انه غير ذلك بان ينام عينه وقلبه كنوم ساير الناس
كما يندر من غيره اي يقل من غير النبي صلى الله عليه وسلم خلاف عادته يحتمل
ان يريد خلافه لما يعتاده من اموره مطلقا ويحتمل خلاف عادته في نومه
بيقظة قلبه كالانبيا لكنه لا حكم له لندرته وعدم انضباطه ونحو هذا
التاويل اي جعله متيد ابغالب امره وما اعتاده قوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث المذكور اولا في قصة الوادي لا حديث ان عيني تنامان كما توهم
كما تقدم في الحديث ان الله قبض ارواحنا قبض الارواح غيبوبتها عن الحس
لان الروح تفارق البدن كما في الموت ولذا كان النوم اخا الموت وقول بلال
فيه اي الحديث المذكور كما مر من انه صلى الله عليه وسلم امره ان يوقظه
فغلبه نومه ولم يوقظه فلما قال له اين ما قلت يا بلال قال ما القيت على
نومة مثلها قط اي لم يكن نوما ثقيلا مثل نومته هذه فهذا كله يدل على انه
استغرق في نومه على خلاف معتاده لان قبض الروح يدل على عدم يقظة
القلب وما وقع لبلال ايضا مخالف لمعتاده والشاهد فيما قبله او فيه
ايضا قتامله والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان لنومه حالتان
والاغلب الاول ثم بين وجه حالة المخالف لعادته بقوله ولكن مثل هذا
المخالف لمعتاده انما يكون منه اي يقع له بايجاد الله وخلقه لا بيده
الله ما يرضاه ويقدره من اثبات حكم شرعي يبينه لمن طرا عليه وهو قضا
الصلاة ووجوبه فورا او بدونه وتاسيس سنة اي طريق من طرق الشرع

يقتدي

يقتدي بها ويستمر سلوكها واظهار شرع وفي بعض النسخ شرح وهو تصحيف
كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر الوارد في النوم عن الصلاة لو شا
الله عز وجل لايقظنا من منامنا قبل خروج الوقت ولكن اراد انه بعدم ايقاظنا
ان يكون بتا التانيث والضمير للسنة المفهومة من السياق اي يكون سنة لمن
بعدكم من هذه الامة يقتدون بها فيقضون ما فاتهم من الصلاة وهذه حكمة
ان الله قوى النوم على النبي صلى الله عليه وسلم ونام قلبه على خلاف عادته لتظهر
هذه السنة البديعة الثاني من الاجوبة ان قلبه صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه
النوم اي لا يستولي عليه ولا يغطيه عن الادراك بحيث يغيب بالكلية عن احاسه
كالغرقى والاستغراق في كل شي بلوغ نهايته حتى يكون منه اي صاحب القلب
الضمير للنوم اي يقع منه لشدة نومه حدث لا يشعر به من خروج شي
من احد السبيلين بنقض وضوه لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا
اي محفوظا في نومه من ان يصدر عنه مثله وانه صلى الله عليه وسلم كان ينام
حتى ينفخ اذا النفخ بخا معجمة خروج النفس بشدة لها صوت يسمع وفي يسمع خطيطه
بالبنا للمجهول والخطيط بغين معجمة كالخطيط بخا معجمة ترديد النايم صوتا
متنوعا مع نفسه وهو معروف ثم يصلي ولا يتوضا اي ينوم من شدة نومه
الذي يسمع له فيه خطيط وغطيط ولا يجدد وضوه فهذا دليل على انه صلى
الله عليه وسلم محروس في نومه عن الحدث الناقض للوضوء اقامة للمظنة
فيه مقام المئنة ولولا ذلك لزمه الوضو منه كغيره من الناس فعدم
نوم قلبه عبارة عن عدم استغراقه في نومه حتى لا يشعر بالحدث فليس يقظته
حقيقة كما في الجواب الاول فلا ينافي انه لا يشعر بخروج الوقت لافراط نومه
وحديث ابن عباس المروي في الصحيحين المذكور فيه وضوه صلى الله عليه وسلم
عند قيامه من النوم ليلا مروي فيه نومه مع اهله اي احدى زوجاته وهي في هذا
الحديث ام المومنين ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس رضي الله عنهم واهل
اصل معناه الاقارب والاتباع ثم اطلق على الزوجة اطلاقا صار به حقيقة
عرفية فلا يمكن الاحتجاج به اي بحديث ابن عباس المذكور على وضوئه بمجرد النوم
اي بسبب النوم وحده لكونه مع اهله اذ لعل ذلك الوضو لنقض وضوه
الاول بملامسة الاهل اي مسها من غير حايل ام لحدث اخر مما هو عند الشافعي
من نواقض الوضو فكيف يظن ان حديث ابن عباس هذا ينقض ما تقدم من
ان وضوه لا ينقض بمجرد نومه ليقظة قلبه وفي اخر هذا الحديث نفسه الذي
رواه ابن عباس ثم نام حتى سمعت غطيطه تقدم بيانه وانه يقال الخطيط بمعناه
ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وهو صريح في عدم نقض النوم للوضو وحده
قيل ولا حاجة لهذا ايضا فان في هذا الحديث انه قام من نومه لقضا
حاجته فوضوه لانتقاضه بقضا الحاجة لا لمجرد النوم فالسوال ساقط من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وجوه عدة وقيل في الجواب ايضا ان معناه لا ينام قلبه من اجل انه يوحي
اليه في النوم فانه وسائر الانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام رؤياهم وحي بلا
شبهة فمعنى قوله لا ينام قلبي انه لا ينقطع عنه بنومه الوحي وامر النبوة
وهذا لا ينافي استغراقه في نومه وخروجه عن هذا العالم ثم اشار لجواب
اخر فقال وليس في قصة الوادي ونومه فيه عن صلاته لا نوم عينيه بانطباق
جفنيه عن رؤية الشمس وذلك انما يدرك بحاسة البصر وهي نايمة محجوبة عن
الحس الظاهر وليس هذا اي رؤية الشمس من فعل القلب لانه انما يدرك
المعقولات دون المحسوسات فلا منافاة بينهما كما مر ولا حاجة الى ان
يقال لعله صلى الله عليه وسلم كان تحت خيمة تمنعه الرؤية وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا في منامها كما تقدم ولو شا لردها الينا باتيقاظنا من
نومنا الذي كان قبل في حين غير هذا اي في وقت لم يوح اليه فيه شي
ولم ير رؤياه التي هي وحي وقوله في حين الخ متعلق بقال لا من مقول القول
كما توهم وقد تقدم ان الروح تقبض في المنام والممات لكنها ترد في الاول
كما قال تعالى فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى
قال علي كرم الله وجهه فما رأته نفس النايم وهي في السما هي الرويا الصادقة
دون غيرها وفي الحديث سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة
فقال لا النوم اخو الموت فان قيل فلو لا انه كان عادته استغراق النوم
باستيلايه على حواسه وقلبه كغيره لما قال بلال كما ذكرناه في الحديث الذي
في نومه بالوادي اكلا بهمزة وصل في اوله وهمزة ساكنة في اخره امر
من الكلاة وهي المراقبة والحفظ لنا اي النايمين منهم الصبح اي وقت
طلوعه لنوقظنا للصلاة فلا نفوتنا كما سمعته قبل هذا فهذا ينافي ما قاله
من انه لا يستغرق في نومه لحد لا يشعر بما يحدث منه فيه من نواقض الوضو
فقيل في الجواب عن هذا السوال انه كان من شانه اي عادته صلى الله عليه وسلم
التغليس بالصبح اي التبكير به فيصليه بغلس وهو ظلمة تخالط اول ضوء الفجر
في اخر الليل ويراعاة اول الفجر اي مراقبته بالنظر له في اوله قبل انتشار الضوء
بقرب الشمس من الافق المرئي لا تصبح ولا تتيسر من نامت عيناه سوا استغرق
ام لا ولو كان قلبه لا ينام اذ هو امر يدرك بالجوارح الظاهرة ولا دخل للقلب
والحواس الباطنة فيه فوكل صلى الله عليه وسلم بلالا رضي الله عنه اي امره
بان لا ينام وبتقييد بمراعاة اوله اي مراقبته والنظر اليه ليعلمه بذلك
اي بطلوع الفجر كما لو شغل عنه بالنوم في يقظته عن مراعاته اي
مراعاة الفجر وقد قيل ان هذا كله مبني على انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام
نوم غيبة اصلا وهذا مما لا ينبغي وهذا المقام اجوبة كثيرة عن تعارض
الحديثين في شروح الصحيحين تركناها خوف الاطالة المورثة للملالة

ولا يشعر خروج الوقت

عوض

فان

فان قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لا يقولن
احدكم نسيت اية كذا وتقدم هذا الحديث بتمامه والكلام في معناه
وقد قال صلى الله عليه وسلم وهي جملة حالية مبينة للسوال في تعارض
فهيه عن قول نسيت مع قوله اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال
في حديث اخر قد تقدم فيه رحم الله فلانا لقد اذكرني اية كنت انسيتها بضم
الهمزة مبني للمجهول من الافعال اي انسانيها الله وقد تقدم الكلام على
هذا الحديث مفصلا فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ
الواردة في النهي عن ذلك وغيره اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فليس على
ظاهره اذ هو كلام صادق لا مانع منه شرعا فهو محمول على ما نسخ حفظه
اي لفظه وتلاوته من القران وفي نسخة نقله بنون وقاف بدل حفظه
والمعنى واحد وعلى هذا المعنى قوله لا يقل احدكم نسيت تقديره اي نسيت
والمسند اليه ضميره صلى الله عليه وسلم اي اذا سمعتموني تركته في
القراة شيا لا تقولوا ان النبي نسي اية كذا اي ان الغفلة في هذا المتكلم اي
توجد فكان تامة منه صلى الله عليه وسلم ولم يقع ذلك اختيارا ولكن الله
اضطره اليها اي الله عز وجل الجاه للغفلة ليمحو ما يشا اي ينسخ ما اراد نسخه
فينسيه له ويثبت ما لم يرد نسخه فلا ينساه فعلى هذا هو مخصوص بالرسول
صلى الله عليه وسلم وبعض ايات نسخها الله باذهابها لا بكل ما نسيه ولهذا
قال وما تركه من سهو او غفلة من قبله بكسر القاف وفتح البا الموحدة ولام اي
من جانب نفسه صلى الله عليه وسلم بمقتضى الجبلة البشرية من غير الهام
الله له فذكرها صفة غفلة اي خطرت ببالة بعد نسيانها صح اي جاز
ان يقال فيه انسي بضم الهمزة مجهول مخفف فانما يمتنع نسبة النسيان له فيما
اذا كان من القسم الاول فليس النهي على اطلاقه حتى يعارض الحديث الاخر وهذا
النهي خاص بزمنه صلى الله عليه وسلم حيث كان يقع النسخ فلو قيل فيه ذلك
ربما يتوهم انه اهمل من القران شيا حتى ضاع وصلى بفتح اللام وضمها والاول
افصح وقيل في الجواب عما تعارض هنا ان هذا اي نهيه صلى الله عليه وسلم
عن ان نقول نسيت منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب اي تعليما
وارشادا لما هو مستحب فالنهي ليس نهي تحريم بل للكراهة ان يضيف النعم الى
خالقه عز وجل ولا يضيفه لنفسه فانه الفاعل الحقيقي وغيره اله وهذا على
مذهب اهل السنة والاخر اي الحديث الاخر الذي اضيف فيه النسيان للعبد
وقوله نسيت كذا ورد على طريق الجواز وخلاف الاولى من غير النبي صلى الله
عليه وسلم ومنه للتشريع فهو غير مكروه منه وجواز اضافته له لاكتساب
العبد فيه ضمنه معنى دخل اي لدخل العبد فيه باكتسابه فهو كالالة والموجد
الحقيقي هو الله عند الاشعري واهل السنة خلافا للمعتزلة ولهذا جزم ابن بطال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال انه بالنهي اراد ان يجري على السنة العباد نسبة الافعال لخالقها
لما فيه من الاقرار بالعبودية والاستسلام للقدرة وهو اولى من نسبتها
لمكتسبها مع انه جايز ايضا واسقاطه صلى الله عليه وسلم لما استنبط من هذه الاية
التي قال فيها انسيت اية كذا وكذا جايز عليه سهوا بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله
الى عباده اما في حال تبليغه الاول فلا يجوز سهوه فيه وبعده يجوز ثم يستذكرها
صلى الله عليه وسلم من امته او قبل نفسه لانه لا يقر على نسيانه الا ما نفى
الله نسخه ونحوه من القلوب فينسيه الله له ولا ينبه عليه فيعلم بذلك انه نسخ
لفظه وتلاوته سوا نسخ معناه ام لا وترك استذكاره بصيغة المصدر او
الفعل الماضي المجهول وما فيه من البعد قال وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه
وسلم ما هنا سبيله من القران مما يراد نسخه كرة اي حينا ما ويجوز ايضا ان ينسيه
منه اي الله ينسيه من القران قبل البلاغ لانه يجوز النسخ قبل البلاغ كفرض
الصلاة خمسين في ليلة المعراج وهذا منه ما لا يغير نظما اي نظم القران
ترتيب كلماته متناسقة على مقتضاها ولا يخلط حكما باخر كحل لحرمة مما
لا يدخل خللا في الخبر حتى لا يدري ما يراد به وهو بيان لقوله ما لا الخ ثم
يذكره اياه اي يذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما انساه مما لا يغير ولا يخلط
ويستحيل دوام نسيانه لمنافاته للغرض المقصود منه لحفظ الله تعالى كتابه لقوله
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون كما تقدم وتكليفه بلاغه مجرور معطوف
على حفظ الله اي كلف الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ كتابه
من ارسل اليهم ودوام نسيانه ينافيه اشد المنافاة **فصل في**
الرد على من اجاز عليهم الصغاير اي على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
والكلام بالجر عطف على الرد على ما احتجوا به في ذلك اي جواز الصغاير عليهم والصغيرة
ما عدا الكبيرة والكبيرة منهم من عينها بالحد ومنهم من عينها بالعد فقيل هي
ما ورد فيه وعيد بنحو غضب الله ولعنه ودخوله النار في كتاب او سنة
صحيحة وقيل ما فيه حد وعقوبة معينة والصغاير كالكباير في توقف
العفو عنها على مشيئة الله وكون اجتناب الكباير مكفرا لها لا ينافي التوقف
عليها وجوازها عليهم مطلقا او سهوا مشروط بان لا تكون مشعرة بخسة
ورذالة منفرة للطبايع **اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا** صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين **من الفقها والمحدثين ومن شايعهم** اي تابعهم ووافقهم على
اعتقاد ذلك **من المتكلمين** اي علما الكلام وهو العلم الباحث عن العقايد
الدينية وسمي علم الكلام اما لان مسيلة كلام الله من اجل مباحثه او لكثرة
دوران الكلام فيه بين السلف والمشايعة من الشيعة وهي فرقة من الناس
تتبع غيرها وشيعة الرجل اتباعه وانصاره ولو واحدا وخص في العرف
بالمفضلين لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه وهذه المسيلة من علم الكلام وذكرها

في

في كتب الفقه والحديث استطرادي وقيل انها من مسايل هذه الفنون
بحيثيات متغايرة فالفقيه يبحث عنها من حيث انها يجوز اعتقادها او
يحرم او يكره والمحدث من حيث انه هل صح رواية صدورها منهم ام لا
والمتكلم من حيث اقامة الدليل على عصمتهم وامتناعها وعدمه وليس في
قوله شايعهم ما يخالفه وانما عبر به لانه ليس من كتابه المسايل الكلامية
احتجوا على ذلك اي تجويزها عليهم **بظواهر كثيرة من القران والحديث** اي لفظ
ظواهر اشارة الى انها ليست بحجة في الباطن **ان التزموا ظواهرها** اي ان قالوا
بلزوم اعتقاد الظاهر منها **افضت بهم** اي اوصلتهم **الى تجويز الكباير** عليهم واصل
معنى الافضا الادخال في فضا واسع ثم شاع فيما ذكر **وخرق الاجماع** اي مخالفة
ما اجمع الناس عليه وهو من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه
وهو المجاوزة **وما لا يقول به مسلم** اي افضت به الى راي لم يقله احد من
المسلمين وهو تجويز الكباير عليهم عمدا فانه لم يقله الا الحرية واما سهوا
فجوزه بعضهم واختلفوا في امتناعه هل هو سمعي او عقلي كما تقدم **فكيف** استبعاد
لتجويز الكباير عليهم **وكلما احتجوا به** من الظواهر **مما اختلف المفسرون في معناه** هل يحمل
على ظاهره او يتاول **تقابلت الاحتمالات** اي تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة **في**
مقتضاه اي مقتضى ما احتجوا به من تجويز وقوع ما خرج به عن صلاحية الاحتجاج
وجات اقاويل اي نقل ورد وجوه قالوا بها على خلاف ما التزموه واحتجوا
به واقاويل جمع قول فهو جمع الجمع **فيها السلف بخلاف ما التزموا من ذلك** الذي استدلوا
به **فاذا المبلغ مذهبهم** في تجويزها عليهم **اجماعا** اي مجمعا عليه لكثرة من خالفهم فيه
وكان الخلاف فيما اظهر ايده لاحادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا ينعقد
به **وقامت الدلايل على خطا قولهم** في تجويزها عليهم **وصحة غيره** في عدم الجواز **وجب**
تركه جواب اذا **والمصير الى ما صح** من عدم التجويز **وها نحن ناخذ** اي نشرع لانها
من افعال المقاربة وها حرف تنبيه زايد على المبتدا اذا كان الخبر اسما اشارة
فان لم يكن كذلك جا نادرا كما هنا **في النظر فيها** اي في ادلتهم التي احتجوا
بظاهرها على تجويزها عليهم **ان شا الله تعالى فمن ذلك** الذي احتجوا به على
تجويزها عليهم **قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم**
من ذنبك وما تاخر وجه تمسك من جوز عليهم الصغاير بهذه الاية نسبة ذنب
اليه مغفور لم يسمه فالظاهر انه صغيرة واللام للتعليل والمعلل الفتح
اي فتح مكة في قوله انا فتحنا لك الخ اي يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على
عدوك لنجمع لك عز الدارين في العاجل والاجل وتحقيقه في التفاسير
قال ابن عبد السلام رحمه الله لم يخبر الله احدا من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام بالمغفرة ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي اذهبوا الى محمد فقد
غفر الله له ما تقدم وما تاخر وهذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قلت وفيه نكتة اذ سوى المتقدم بالمتاخر ايما الى انه مثله في عدم
الوقوع وانما هو خلاف الاولى مما عده بالنسبة اليه ذنبا وسياتي
تفصيله وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات اعاد الجار اشارة
لتغايرهما لان الاول ليس بذنب حقيقي كذا قيل ولم يقل ولذنب المومنين
اشارة لكثرة ذنوبهم حتى كان دابهم عنده الذنب ووجه الاستدلال
مامر ومما استدل لوابه ايضا ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك الوضع
الحط وهو بالعفو والوزر الحمل والثقل فاستعير للذنب استعارة مرشحة
وانقض بمعنى اثقل جعله نقيضا وهو ما اتعب الجمل حتى نقض لحمه وقال
الازهري هو من نقيض الرحل وهو موتوه لما وضع عليه والكلام عليه
كالذي قبله وقوله عفى الله عنك كناية عن لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو
ومعاتبة عليه والمعنى لاي شي اذنت لهم في العفو حين استاذنوك
واعتلوا باكاذيب وهلا توقعت ذلك خطايته في الاذن
وقد كان في غزوة تبوك سنة تسع وقد استاذنه من تخلف عنه فاذن
لهم لبعد المشقة وشدة الزمان ولذا امر صلى الله عليه وسلم بقصده
وايثوركا مر فاذن لقوم منافقين اعتذروا له باعذار سمجة وهو
على خلاف الاولى لا ذنب حقيقي بل قوله عفى الله عنك ملاطفة له ورعاية
لخاطره وقدمه على ما صدر منه حتى لا يبداه بما يوهمه مؤاخذة مما
ولذا احتطوا على الزمخشري فيما فسره به من قوله اخطات ويبس ما صنعت
لما فيه مع تفسيره بغير المراد منه من سوء الادب وخطابه بما لم يخاطبه
به رب العزة وجعله كناية عن الجناية والجاني هو وقد مر الكلام في
ذلك مبسوطا صدر الكتاب ومما استدل لوابه ايضا قوله لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وهذه نزلت في غزوة بدر وقد اسر صلى الله عليه
وسلم من قريش سبعين رجلا منهم العباس عمه صلى الله عليه وسلم وعقيل
فاستشار صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول
الله هولاء قومك لعل الله يهديهم بك خذ منهم فدية تتقوى بها وقال
عمر رضي الله عنه اضرب رقابهم واحمد نارهم فرضي صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر فنزل عليه قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية
فجلس صلى الله عليه وسلم يبكي هو وابو بكر وقال عرض علي عذابهم ادنى من
هذه الشجرة والكتاب السابق ياتي بيانه ومنه ما قيل هو احلال
الغنايم لهم دون الامم السابقة او انه لا يعذبهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم او ما وعدهم به من مغفرة ذنوبهم وانه لا يعاقب المخطي في اجتهاده
وقوله عبس وتولى الاية عبس اي قطب وجهه وتولى اعرض والاعمى هو ابن ام مكتوم

رضي الله عنه

رضي الله عنه موذنه واسمه عبد الله او عمرو على ما يابي واسم ابيه
زايدة على ما قاله بعضهم وهو ابن خال خديجة ام المومنين رضي الله
عنها وسبب نزولها انه اتاه وعنده صناديد قريش الوليد
ابن المغيرة وعتبة وامية بن خلف وابو جهل لعنهم الله وقال ارشدني
وهو صلى الله عليه وسلم يحادثهم استمالة لهم فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم
ولم يجبه لاشتغاله بهم رجاء استمالتهم للاسلام واستمالة من ورايهم
قيل وهو باطل من قايله وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وما تا كافرين
وابن ام مكتوم كان بالمدينة ولم يحضر معهم فالاولى ان لا يذكر هولاء ويقتصر
على ابن ام مكتوم وقوم من كفار الكفرة وتبعه بعض الشراح وارتضاه وقد
رده خاتمة المحدثين الشيخ محمد الشامي في سيرته وقال انه كلام صدر من غير
روية وتدبر فان ابن ام مكتوم ابن خال خديجة كما ذكر واسلامه قديم وهو من
المهاجرين الاولين هاجر قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بعده وصحح
الاول وسورة عبس مكية بلا خلاف وقد نقل ما ذكر عن جماعة من الصحابة
والتابعين فاي مانع منه والعجب من صاحب الزهر اذ لم يناقش القرطبي
ومن تبعه في هذا وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه ابن ام مكتوم
بسط له رداه ويقول له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ولذا كان استخلفه
على المدينة مرارا لقدم هجرته ولاظهار توقيره وما قيل من انه عبس
وتولى للكافر في غاية الضعف كما ياتي وهذا مما استدل لوابه على مدعاهم في حق
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما في حق غيره فما قص في القران من قصص غيره
من الانبيا كقوله تعالى في حق ادم صلى الله عليه وسلم وعصى ادم ربه فغوى فجعل مخالفته لامره
عنه من اكل الشجرة ضلالا وغواية فهي ذنب صدر عنه فنبيه دليل لهم ظاهر والقصة
مع حواها مشروحة في التفاسير وقوله تعالى في حق ادم مع حوى فلما اتاهما صالحا
جعلا له شركا فيما اتاهما الاية ضمير اتاهما لادم عليه الصلاة والسلام وحوى المتقدم في
قوله الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها اي اتاهما ولدا صالحا
سويا اشركا فيما اتاهما غير الله فسميا عبد العزى وعبد مناف وحكى
الزجاج رحمه الله ان ابليس لعنه الله جا لحوى فقال اتدرين ما في بطنك
قالت لا قال لعله بهيمة فان دعوت الله ان يجعله انسانا اتسميه عبد
الحارث وابليس اسمه الحارث وقيل كان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد
الحارث فسمته به فعاش وهذا من القا الشيطان وقيل ان الضمير لاكم
قصي من قريش وان القصة في حقه لا في حق ادم والكلام عليه في التفاسير
مشهور وقوله تعالى لا ربنا ظلمنا انفسنا اي من الدلايل التي استدل بها من جوز
الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما حكاه الله في الاية عن ادم
عليه الصلاة والسلام وحوى من اعترافهما بصدور الذنب منهما

قاله القرطبي

عرضي

فضل عن المطلوب

فتعالى الله عما يشركون وهذا ليس بشرك
حقيقي لانهما لم يعتقدا انهما شريكا
بل قصدا انه سبب صلاحه فسماه الله
شركا على التغليب

الاية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بصدور الذنب منهما واتصافهما بما كان سببا لخروجهما من الجنة وفيه
دليل على انه تجوز المعاقبة على الصغاير ان لم تغفر خلافا للمعتزلة ومما
استدلوا به ايضا قوله تعالى في قصة يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني
كنت من الظالمين لما ذهب مغاضبا قومه اذ لم يطيعوه فاعترف انه ارتكب ظلما
ومعصية وما قصه الله من قصته في قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا
وكان قد ضاق صدره في حمل اعباء النبوة والمغاضبة لقومه اذ لم يصبر ولم
ينتظر توبتهم فخرج من جبينه وأظلهم العذاب الذي اخبرهم به فتضرعوا
الى الله وتابوا فرفعه الله عنهم ويونس عليه الصلاة والسلام لم يعلم برفعه
عنهم وكان حقه ان لا يذهب الا باذن مجدد من الله عز وجل وهذا ما ذكره
من قصة ما ذكره من قصة داود عليه الصلاة والسلام وقوله وظن داود انما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الآية وذلك انه راى ما قصه الله من فضايل الانبيا
قبله فسال ربه ذلك فقال انهم ابتلوا فصبروا فقال ان ابتليت صبرت
فتمثل الشيطان له في صورة حمامة من ذهب عجيبة وكان صلى الله عليه
وسلم في محرابه مختليا بصلاته فاراد اخذها فطارت فذهب تخلفها وتبعها
حتى اشرف على دار فيها امراة تغتسل لم ير مثلها فافتتن بها وسال عنها فاذا
هي امراة اوريا وكان ارسله مع عسكر له فارسل يقول لرييسهم ويعلمه
ان يقدمه في الحرب وكان سيفا من سيوف الله فاستشهد وتزوج
داود عليه الصلاة والسلام امراته فارسل الله له ملكين في صورة خصمين
كما قصه الله في كتابه وعاتبه عليها وهذا اما عده هو لاذنبا نظرا للظاهر
الحال فتاب منه ولم يزل يبكي على ما صدر منه حتى نبت العشب من دموعه
ومن ادلتهم قوله تعالى في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ولقد همت به وهم
بها وما قصر بالنسبة للمعلوم والمجهول من قصصهم اي يوسف مع امراة العزيز وهما انبيا
على اختلاف سياتي بيانه وقصته معروفة والشاهد في قوله هم بها بناء
على ما اشتهر من انه جلس معها مجلس العاجز واراد ما يريده اهل الاهوا
وفيه مبالغات واموريذكرها عنه القصاص وهو صلى الله عليه وسلم بريء منها
وانما يتوهم مانعوهم ان لم يحمل هم بها جواب لولا بحسب المعنى والا فلا يتوهم
شيء من ذلك فان دليل الجواب جواب معنى فيقتضي انه لم يصدر منه هم
فضلا عما هو اعظم منه مع ان هم النفس له مراتب منها ما هو مقتضى
الجبلة البشرية ومثله مغفور ومن ادلتهم ايضا قوله تعالى حكاية
عن موسى صلى الله عليه وسلم فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
ضمير وكزه للقبطي الذي وجده موسى عليه الصلاة والسلام يخاصم رجلا
من بني اسرايل وكان دخل مصر نصف النهار فوجد قبطيا من جند فرعون
يسخر بعض بني اسرايل لحمل حطب ونحوه وكان موسى عليه الصلاة والسلام

جسيما

جسيما ذا قوة شديدة فدفعه عنه وضربه فقتله فقال رب اني ظلمت
نفسي فهذا اعتراف بصدور ذنب منه وهو المراد هنا ومعنى وكزه
ضربه بجمع كفه وقيل ضربه في صدره وقيل دفعه وقوله من عمل الشيطان
اي هو شر من جنس اعمالهم ثم ذكر بعض ما استدلوا به من الحديث فقال وقول
النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه المأثور عنه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
وهو من دعا طويل رواه الشيخان كان يقوله صلى الله عليه وسلم اذا قام
يتهجد وطلبه المغفرة من الذنوب المذكورة يدل على صدورها منه في
الجملة وهو مدعاهم ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم المأثورة وقد
افردت بالتاليف كالحصن الحصين وغيره ومما استدلوا به ايضا ذكر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام في الموقف يوم القيامة ذنوبهم في حديث طلب الناس
منهم الشفاعة واستغاثتهم بهم من هوله وطوله وحديث الشفاعة مشهور
طويل رواه مسلم عن ابي هريرة فلا نطول به ومحل الشاهد فيه ان الناس
اذا اشتد عليهم هول الموقف وكربه قالوا نذهب للرسل فيشفعوا
لنا في الخلاص فيذهبون اليهم فردا فردا وكل يقول لست لها لي ذنب عظيم
اخاف منه ودلالته على ما ادعوه غنية عن البيان ومما استدلوا به
ايضا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم مع شرحه انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
وروي مائة مرة فالسبعين لمست على ظاهرها والمراد بها التكثير وهي
فيه كثير حتى قال بعضهم سبع لك الاجر اي كثيره فهذا يدل على انه
صلى الله عليه وسلم كان يصدر منه بعض الذنوب والا لم يكن لاستغفاره
وجه وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام والا تغفر لي وترحمني الآية
فطلبه المغفرة يقتضي سبق ذنب منه فهو حجة لمن جوز عليهم الصغاير وذلك
ان الله نهاه عن ان يشفع في احد من اهله غير من اذن له في دخول السفينة
معه فقال له الله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اي
قضي الله بذلك عليهم فشفع في ابنه كنعان وهو ممن قضي بهلاكه لظنه انه
داخل في اهله فلما قيل له انه ليس من اهلك ندم على عدم استفصاله
واستغفر لتركه الاولى لا لذنب ارتكبه واليه اشار بقوله وقد كان قال الله له
ولا تخاطبني اي لا تدع ولا تشفع في الذين ظلموا اي كفروا ان الشرك لظلم عظيم
انهم مغرقون اي لانهم قضي عليهم وحكم بهلاكهم لكفرهم الذي قطع رحمهم وقرابتهم
ومن ادلته ايضا انه تعالى قال حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني في القيامة يوم الجزا فهذا يقتضي صدور
ذنب منه وهو ما تقدم من قوله فعله كبيرهم وما بعده ما تقدم هو والجواب
عنه وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام اني تبت اليك قاله بعد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما طلب الروية من الله عيانا فلما تجلى له ربه وخر صعقا ثم افاق قال سبحانك
تبت اليك وليس هذا بذنب ولكنه سأله بعد ما قال له لن تراني ولو ترك ذلك
كان اولى والكلام على الروية وجوازها مفصل في علم الكلام وكذا هذه الاية
ومما استدلوا به ايضا على جواز الصغاير عليهم قوله تعالى ولقد فتنا سليمان اي قوله
ثم اناب اي تاب فانه يقتضي صدور ذنب منه وكان الله فتنه او ابتلاه
بامر اختلفوا فيه فقيل انه احتجب عن الناس فعاتبه الله على ذلك وقيل
انه سبا بنت ملك في غاية الجمال تسمى جرادة فاحبها وكانت عنده صنم تعبده
خفية فاطلع عليه فاحرقه وقد ذكروا في قصته امورا لا تليق بمقام الانبيا
عليهم الصلاة والسلام الى ما اشبه هذه الظواهر اي ما ذكرته من الامور التي
يدل ظاهرها على ما قالوه له اشباه ونظاير كثيرة تركت ثم شرع في سرد
الجواب عما ذكره من ادلة المجوزين للصغاير عليهم فقال قال القاضي عياض
المصنف رحمه الله في الجواب عما قالوه وتمسكوا بظاهره قبل تحقيق النظر فيه
فاما احتجاجهم لتجويزهم الصغاير عليهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فهذا اختلف المفسرون فيه وفي تاويله قيل المراد بما تقدم ما كان قبل النبوة وبما تاخر
ما بعدها اي بعد النبوة وهو عبارة كني بها عن انه لم يصدر منه ذنب لانه
لا تكليف قبل النبوة اصلا والعقل لا يستقل بذلك وقوله ما بعدها ذكر
للتعميم كقولك اعط من تره ومن تره وقيل معنى ما تقدم ما وقع لك من ذنب
ومعنى ما تاخر ما لم يقع اعلم بما حاصله انه مغفور له غير مواخذ به لو وقع
منه لكنه لم يقع منه ذنب كغيره وانما يصدر عنه نادرا خلاف الاولى وقيل
معنى ما تقدم ما كان قبل النبوة مما لا يواخذ به لانه لا شريعة يلتزم احكامها
والمراد بالمتاخر عصمتك بعد مغفرته تجوز بها عن العصمة ووجه الشبه بينهما
عدم اعتبار الذنب فيهما فمن قال ليس هذا من مقتضيات اللفظ مع انه
معلوم قبل النبوة لم يفهم مراده حكاه اي هذا الوجه احمد بن نصر الخزاعي
الزاهد الشهيد قتله الواثق في محنة خلق القران سنة احد وثلاثين
ومايتين وقيل المراد بذلك المذكور من المغفرة امته اي يغفر الله
لامتك ما صدر ويصدر منها فالمراد بخطابه خطاب امته فاضافة
الذنب له صلى الله عليه وسلم لادنى ملابسة لانه يسوءه ما يسوءهم وهو
الشفيع لهم والمراد ان رحمة الله لهذه الامة اكثر فلا يرد عليه ان مغفرة
ما تاخر له بشروط كان لا يكون حق عبد ونحوه وقيل المراد بما تقدم ما وقع
منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وغفلة والمراد بما تاخر ما كان صادرا
عن تاويل اي بيان لمعنى يحتمله النص فيحمل عليه باجتهاد منه ثم تبين له
ان الصواب اراد الاولى غيره لان التاويل بيان ما يؤول اليه فيناسب ما تاخر
فلا يرد عليه شيء والمراد انه لم يتم الاستدلال بالاية حكاه الطبري محمد ابن

ابتلياه بالجاه الدنيوي

ابن فرس

جرير

جرير كما تقدم واختاره القشيري عبد الكريم شيخ الصوفية وغيره كما تقدم في
ترجمته وقيل المراد بما تقدم ما تقدم لابيك ادم عليه الصلاة والسلام
والمراد بما تاخر ذنوب امتك فاللام للتعليل اي غفر لاجلك ذنوب ابيك ادم
لما توسل بك الى الله ويغفر لامتك لانك رحمة لهم حكاه السمرقندي وقد قدمنا
ترجمته والسلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو الامام ابو عبد الرحمن
الصوفي كما تقدم عن عطا شيخ الطريقة كما تقدم وهذا مما لا يقال بالراي
وقد نقله مثل هؤلاء وان كان خلاف الظاهر بمثله اي بمثل هذا التاويل
والذي قبله يناول قوله تعالى خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات فيقال المراد استغفر لذنب ابيك ادم ولذنوب امتك او استغفر
عما صدر منك سهوا او غفلة او بتاويل منك وهذا القول لذنبك فقط لا لقوله
وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي تقدمت ترجمته مخاطبة النبي اي خطاب الله
للنبي صلى الله عليه وسلم ها هنا اي في قوله ليغفر لك الله وكثيرا ما يحمل عليه
ما لا يناسبه فيقال انه لامته وانما وجه له صلى الله عليه وسلم لنكتة لكونه
بالطريق الاولى الاحرى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول ما كنت
بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو بتقدير قل فلذا قال امر
شرفه بذلك الكفار اي فرحوا وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا
واحد وما له علينا مزية ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره
الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى ردا عليهم ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر الاية فقال الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل
الله بك فما يفعل بنا فانزل الله تعالى واخبر بها للمؤمنين اي بما يؤول اليه امرهم
في الاخرة في الاية الاخرى بعدها اي ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الاية
وانزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين ما يفعل به صلى
الله عليه وسلم وبهم وهذا قول قتادة والحسن وغيرهما وعزاه المص لابن
عباس بقوله قال ابن عباس رضي الله عنهما وعموم مغفرته وهو وانما قاله
صلى الله عليه وسلم اولا قبل ان يعلمه الله بعصمته وعموم مغفرته وهو في
عام الحديبية ثم تبين بحصل جوابه عن استدلالهم بقوله فقصد الاية اي بحصل
ما قصد بها انك غير مواخذ بفتح الهمزة والواو المبدلة منها وفتح الخاء المعجمة
اسم مفعول بذنب ان لو كان اي وجد فهي تامة وان بفتح وسكون زايدة ومثله
كثير فهو امر جار على طريق الفرض تطييبا له صلى الله عليه وسلم فلا يقوم بها
حجة لتجويز الذنوب عليهم وقريب منه ما قال بعضهم المراد بما ذكر من المغفرة
ها هنا اي في اية ليغفر لك الله ونحوه تبرئة من العيوب بموحدة بعد التا
الفوقية وراء مهملة قبل الهمزة ولو قرئ بنون وزاي معجمة وياء تحتية ساكنة
قبل هذا جاز والمعنى والرسم متقارب يعني لا دليل فيها لهم لانه قد قيل

ترك بعضها عند الكاتب بعض الناسخ ساكنا وعكس بعضهم الضمير الاول على الاسم ولم يفتقر الى الاسم

ان المراد منها تنزيه الله له وتبعيده من العيوب اي الذنوب او ما يؤدي
لها فالمغفرة كناية او مجاز عما ذكر واما الجواب عما تقدم من استدلالهم
بالاية المتقدمة وهي قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
كما بيناه اولا تقبيل معناه ما سلف وتقدم من ذنبك قبل النبوة اي مما هو
في صورة تفريط وان لم يكن ذنبا لانه لم يكن قبل النبوة شرع مخالفته معصية
وقد عصمه الله تعالى عما كان عليه الجاهلية من العقائد ونحوها من الديانات
وهو ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المفسر الزاهد المتقي
المتقن توفي سنة اثنين وثمانين ومائة والحسن البصري وقد تقدمت
ترجمته وهو ايضا معنى قول قتادة اي معنى ما نقله عنه المفسرون في
تفسير هذه الاية من انه صدر منه بعض امور قبل النبوة وان لم يكن ذنبا
حقيقة وقيل معناه اي معنى وضع وزره عنه انه حفظ قبل نبوته وعصم
اي حفظه الله عن الاتصاف به راسا وابتداء وهو وجه حسن يتحمله اللفظ
بلا تكلف ولولا ذلك اي رفعها عنه لانقلت ظهرك وفي نسخة ظهره والظاهر انه
حقيقة ويجوز ان يكون استعارة كما قدمناه وفيه على هذا تقدير اي لولا
انا حفظناك عنها انقلت ظهرك وهدت قواك حكى معناه السمرقندي في تفسيره
وقيل في تفسيرها مما لا يبقى فيها حجة لهولا المراد بذلك المذكور من وضع الوزر
الذي اثقل ظهره اي اتعبه واعياه من اعبا الرسالة جمع عبء كحمل لفظا ومعنى كما
تقدم حتى بلغها غاية لثقل المتحمل حتى يبلغه ويؤدي امانته فانه ما
عليه الا البلاغ حكاه ابو الحسن الماوردي الشافعي وتقدم بيانه والسلمي
وقيل معناه حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي لان ايام الجاهلية كانت
خالية من الدين والامن ايام هرج ومرج فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم
بالدين القويم سلم هو ومن تبعه وشرح الله صدورهم بالاسلام وصانهم
من الاثام فخفت ظهورهم وسددت امورهم وقيل معناه شغلناك اي قلبه
او خواطر قلبه وحيرتك اي تحيرك في ابتدا امرك وطلب شريعتك اي طلبك
من الله شريعة تعمل بها حتى شرعنا لك ذلك بما اوحاه فاطمان قلبه
وذهبت حيرته حكى معناه التنبيري في تفسيره وقيل معناه اي معنى وضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك خففنا عنك ما حملت اي كلفت حمل اثقاله
من دعوة الخلق وتبليغ امانة الرسالة التي لم يطق حملها الجبال بحفظنا
لما استحفظت يقال استحفظه اذا استرعاه واعطاه امانة اي بحفظنا
ما امرناك بحفظه عليك مما عسر عليك القيام به وجعلنا لك جلدا
وصبرا يسيرا اثقاله خفيفة عليك لما ورد حينئذ انه اذا اخففها عنه
لم يكن انقض ظهره اشار لدفعه بقوله ومعنى انقض ظهره على هذا اي كاد
اي قرب من انه ينقضه اي يعييه ويثقله ولم ينقضه بالفعل ويجوز على

هذا

هذا ابقاؤه على ظاهره وان النقاضة بالفعل لكنه خفف عنه اي خففنا
عنك ما كان انقض وهو راجع لما قاله المص لا وجه اخر كما قيل ثم بين وجه
دفع ما ذكره لما تمسكوا به تفصيلا فقال فيكون المعنى اي معنى وضعنا عنك
الخ على قول من جعل ذلك الوضع مصروفا لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله
عليه وسلم وهو غير يكون ما يؤرقه ما قبل نبوته ونزول الوحي فيها اي اعتنا وه
ببيان الله لحكمها حتى لا يكون عنده هم وغم ولكنها حرمت عليه بعد النبوة ولم
يكن مكلفا بها قبلها تعدها اوزارا بعد حرمت عليه وخشي المواخذة بها
قبل ذلك فاطلاق الوزر عليها باعتبار ما بعد النبوة والتشريع وثقلت عليه
واشفق اي خاف منها ومن المواخذة بها لشدة مراقبته لله وخشيته له
فمعنى وضعها على هذا بيان انه غير مواخذ بها وانها لم تكن وزرا عليه يخافه
او يكون معنى الوضع للوزر عصمة الله تعالى له وحفظ خلقته بطهارة فطرته
وكفايته بتطهير عنصره على التحرز من ذنوب لو كانت اي لو وجدت وصدرت عنه
لانقض ظهره فهو امر على سبيل الفرض والتقدير لا التحقيق والتقرير كما توهمه
ولا يبعده قوله انقض مع هذا كما قيل والوزر مجاز بمعنى الذنب وعلى ما قبله
بمعنى الثقل كما في قوله او يكون من ثقل امور الرسالة عليه وما في تبليغها من المشقة
بجعل المعقول كالمحسوس او معنى الوزر ما ثقل عليه وشق وشغل قلبه من
امور الجاهلية كما نقله آنفا عن مكي رحمه الله واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه
من وحيه واسترعاه عليه من امانته كما تقدم ثم اخذ في دفع شبهة اخرى
تمسك بها المجوزون للصغائر فقال واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
في التخلف عنه فالعفو كالمغفرة تقتضي ثبوت ذنب كما قالوه وليس
كذلك فان ما ذكر امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم من الله فيه
نهي فيعده اي يجعله ويعتقده معصية منه بمخالفة ما نهي عنه ولا عده وضبره
الله عليه معصية يستحق اللوم عليها بل لم يعده اهل العلم اي احد منهم معاتبة بفعل
خلاف الاولى مما ليس بمعصية وغلطوا من ذهب الى ذلك اي عدوا قول من قاله
من المفسرين غلطا وهو قول منقول عن قتادة وعتب الله على نبيه صلى
الله عليه وسلم في بعض ما لا يليق وان جاز كما في قصة ابن ام مكتوم وقوله
له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ليس بمراد هنا وان كان لا محذور فيه فلا
اعتراض على المص كما قيل قال النطوبه تقدم الكلام عليه وعلى ضبط اسمه
ومعناه وقد حاشاه الله تعالى اي برأه الله ونزهه واصل معناه
جعله الله في حشا اي جانب من ذلك اي من فعل ما يستحق عليه العتاب
فضلا عن ان يجازيه بمعصية ارتكبها بل كان مخيرا اي خيره الله في امرين
وهما ان شا اذن له في التخلف وان شا لم يأذن قط قالوا اي العلما من
السلف وقد كان له صلى الله عليه وسلم كما علم من تتبع احواله ان يفعل ما يشا

عرضي

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يري انه مناسبه لانه اذن له في الاجتهاد كما تقرر في الاصول فما لم ينزل عليه
فيه شيء من وحي يبين حكمه فكيف انكار لانه معاتب وان لم يخير في امور شتى
منها ما نحن فيه ولا يمكن انكاره وقد قال الله تعالى له في هذه القضية فاذن لمن شئت
منهم وهذا الامر وتعلقه بالمشيئة صريح في انه صلى الله عليه وسلم مخير فلما
اذن لهم كما امره الله اعلم الله بما لم يطلع عليه من سرهم اي مما خفي عليه من امرهم او مما
اسروه واستتر من ضمايرهم وهو انه لو لم ياذن لهم في القعود والتخلف
عنه لقعدوا لجزمهم بالقعود ولو امر وانخلافه واعلمه بما اوحاه اليه في هذه
الاية من انه لا حرج لا وزر ولا اثم عليه فيما فعل من الاذن لهم كما توهم من ظاهر
قوله عفا لانها اشتهرت بمعنى غفر الذنب واشار الى ذلك وليس عفا هاهنا
في هذه الاية بمعنى غفر اي ستر وترك المواخذة والمعاقبة كما هو معناه
المشهور بل لها معان اخر منها ما ورد في الحديث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي عن علي كرم الله وجهه ورضي
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال عفا الله عن صدقة الخيل والرقيق
فهاتوا صدقة الرقة الحديث الا ان الذي رواه هو لا قد عفوت عنكم زكاة
الخيل والرقيق والمص رواه بلفظ اخر وقف عليه ومثله لا يقع له العصا
فانه فم قول من قال لم اقف على هذه الرواية ولم تجب عليهم قط لان زكاة
الخيل والرقيق لم تجب على مسلم قط حتى يكون العفو معناه اسقاط الوجوب
كما انه ترك عقوبة لازمة هنا اي فما لمعنى انه لم يلزمكم ذلك اي زكاة الخيل
والرقيق ونحوه معزو للقشيري رحمه الله قال اي القشيري وانما يقول العفو
لا يكون الا عن ذنب كما هو متعارف مشهور من لا يعرف كلام العرب فيقف على معانيه
الواردة في كلامهم لعدم اللزوم الذي سمعته في الحديث الوارد في كلام
افصح العرب واصل معنى العفو الترك وعليه تدور معانيه فيستقيم
في كل مقام ما يناسبه فعفو الذنب ترك العقاب عليه وعدم الزام الزكاة
ترك لها قال ومعنى عفا الله عنك في هذه الاية لم يلزمك ذنبا فيما فعلته من
الاذن قال الداودي رحمه الله من ائمة الحديث وتقدمت ترجمته روي انها
ابي قوله عفي الله عنك كانت تكرمة من الله في خطاب نبيه عليه الصلاة
والسلام اي تعظيما وتكريما يبدأ بدء الكلام نحوه ما قال وهو استفتاح كلام
يوقعونه في اول خطابهم مثل اصلحك الله واعزك هي جملة دعائية يبدؤن
بها الكلام اكراما لمن يخاطبونه وهو عادة اهل الترسل في مكاتباتهم وهو
قريب مما قبله بل معناها واحد وهو ملاطفة في المحاورة تدعو الاستماع
حتى كانه باستماعه مستحق للدعا له والقران جاء على اساليب كلام العرب
فهي جملة دعائية قصد بها اكرام المخاطب وعلى السير قندي ان معناه عافاك الله
قيل اخره لضعفه لبعد احدهما عن الاخر لفظا ومعنى فكانه غلط في

المادة

عرضي

المادة وهو من سوء الفهم لان الراغب قال عفوت عنك قصد به ازالة
ذنب وصرفه عنه ومفعوله متروك لانه متعد في الاصل يقال عفاه واعتفاه
وقولهم في الدعا اسالك العفو والعافية اي ترك العقوبة والسلامة من البلا
وعفا النبت والشعر زاد انتهى فهذه الجملة اذا قصد بها الدعا اكراما
كان معناها قواك الله حتى لا تبالي بمن تخلف عنك من عفا النبت والشعر
اذا قوي وعافاك الله تعالى في الدعا قواك الله لان القوي لا يكون مريضا
وقال الجوهري عافاه الله وعفاه بمعنى وهو دفاع الله عن العبد ما يكره
فسقط ما قيل انه لا يساعده اللغة كيف يعترض على هذا ولا يعترض
على تفسيره باصلحك الله واعزك فتدبر واما قوله اي قول الله تعالى
الذي استدل به من جواز الصغاير عليهم في اساري بدر اي في حقهم واساري
جمع اسير وهو معروف وبدر اسم محل وقعت فيه تلك الغزوة المشهورة سميت
ببدر بن قريش وهو الذي احتفر بها بيرا ثم سمي به مكانها وكان صلى الله عليه
وسلم اسر من كبار قريش نحو سبعين رجلا كالعباس وعقيل كما فصل في السير
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الصحابة فاشار عمر رضي الله
عنه بقتلهم كما مر فانه قلما يظفر بمثلهم فتضعف شوكة المشركين وقال ابو
بكر رضي الله عنه تاخذ منهم فدية تتقوى بها ومن باطلاقهم لعل الله
يهديهم بعد ذلك فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم رايه وعمل به فانزل
الله فيهم ما كان لنبي ان يكون له اسرى الاية والاسير فعيل بمعنى مفعول من الاسر
واصله شد بشد به الاسير ولذا يقال اخذه باسره اذا اخذه جملة ومعنى
يثخن في الارض يكثر القتلى وقيل معناه يتمكن في الارض وما كان نفي الكون
وجاء بمعنى لا يليق ولا ينبغي كما ياتي وبه فسره المستدل بهذه الاية على ان اخذ
الفدية قبل قتل كثير من اعدايه ذنب عاتبه الله عليه وهذه القضية مشهورة
في السير والتفاسير فلا حاجة للتطويل بايرادها فليس فيه اي فيما ذكر في
الايتين الزام ذنب له صلى الله عليه وسلم ومعصية صدرت منه باختيار
الفدية التي لم تجز له كما فهمه المستدل به بل ما ذكر فيه بيان ما خص به اي جعله
الله من خصايصه تكريما له وفضل به من بين سايرا الانبيا ونبيهم فكانه عز
وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي غيرك اي لم يقع هذا الذي
خصصت به من اجل الفدية ممن اسرته لنبي من الانبيا السالفة غيرك فانه
احل لك وحرك الله فيه بين الفدا والقتل ونظيره من خصايصه التي
لم تكن لنبي قبله ما بينه بقوله كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح احلت لي الغنايم وروي المغانم ولم تحل لنبي قبلي والمستدل به يقول
معناه ما كان لنبي اصلا الا انت ولا غيرك اخذ الفدا قبل كثرة قتل اعدايه
فهو مخالفة لما شرعه الله والمص رحمه الله قال ليس معناه هذا حتى يتم الدليل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال الخطابي من كان قبله صلى الله عليه وسلم من الانبيا على ضربين
منهم من لم ياذن له في الجهاد فلم يكن له غنايم ومنهم من اذن له فيه ولم يحل
له الاكل من الغنايم فكانت تترك عليه من السما نار تحرقه وكان له التصرفات
فيها وفي الصدقات كيف شا الا انه قيل ليس في الاية ما يدل على ما قاله
المص بخلاف الحديث وهو مروي في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه ولك
ان تقول ان الفدا في معنى الغنايم لانه مال ماخوذ من الكفرة فذكره
للحديث اشارة الى انه مؤيد لهذا التاويل وفي المسايل الاربعين للرازي
العتاب وقع هنا على تركه الاولى لان الافضل في ذلك الوقت الاثخان وترك
الفدا قطعا للاطماع ولولا انه من باب الاولى ما فرضه صلى الله عليه
وسلم لاصحابه وقال القرافي في حاشيته عليه المسماة بالتقييد انه
وقع في الحديث ان عمر رضي الله عنه دخل عليه وهو وابو بكر يبكيان فقال
ما يبكيكما فقال صلى الله عليه وسلم عرض علي عذاب قومك ادنى من هذه
الشجرة والاولى لا عذاب في تركه ولتفويضه الصحابة لان الاجتهاد كما يقع
في الاولى يقع في الواجب بل لو استدل بهذا على انه على مراتب الوجوب لم يبعد
لانه لم يكتف فيه باجتهاد نفسه فالصواب انه فوض له الاجتهاد في امر
الاساري ففوضه لاصحابه فافتى عمر رضي الله عنه بالقتل وكان هو
المصلحة وهو من احدى موافقاته واجتهد الصحابة بما لم يود للمصلحة
فخلص عمر ولم يواخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده في اجتهاده
فله اجر ولذا قال فيما مر عذاب قومك دون عذاب اخر وجه من موجب
العتاب ببذل جهده والى هذا ذهب فحول العلم وجمع بين ظاهر
الاية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة انتهى وهو حسن
جدا واحسن مما اختاره المص فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض
الحياة الدنيا الاية سوال وارد على ما اختاره من انه امر اختص به بانه
لو كان كذلك ما عوتب عليه بما ذكر من انهم رجحوا اخذ الفدا وهو
مال غاد ورايح وعرض فانه لا ينبغي النظر اليه قيل في الجواب عنه المعنى
بكسر النون وتشديد اليا اي المقصود الخطا في تريدون لمن اراد ذلك اي عرض
الدنيا منهم اي من الصحابة الحاضرين الوقعة وتجرد اي خلص وتمحض
عرضه بمعجمتين اي قصده لعرض الدنيا بمهملتين وبينه وبين العرض
تجنيس وحده اي منفردا عن قصد ثواب الاخرة وهو موكد لما قبله والاستكثار
منها باخذ ما يتناله وليس المراد بهذا الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لشرف
نفسه عن النظر لها ولا عليه بكسر العين ولام ساكنة بعدها يا مخففة جمع عل
كغنية جمع غني وصبية وقيل انه اسم جمع اصحابه اي كبار الصحابة
كابي بكر وعمر وغيرهم ممن حضر الوقعة وقد علمت مما قرره القرافي انه صلى

الله

الله عليه وسلم ليس معاتبا ولا مخاطبا هنا اصلا وانه هو التحقيق ثم
ايد كون الخطاب ليس لهم بما روي في نزوله فقال بل اضراب انتقالي
قد روي عن الضحاك انها اي اية تريدون الخ نزلت في امر اخر غير الفدا فلا يرد
السوال راسا وذلك حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
اي بعض منهم بالسلب بسين مهملة ولام مفتوحتين ما يستلب اي يوخذ
من القتيل من لباسه وما معه وقد بينه الفقها واختلفوا فيمن يستحقه
ممن له حق في الغنيمة او القاتل مطلقا او ان شرطه الامام كما فصلوه
والسلب ايضا شجر تتخذ منه حبال ولذا سميت العامة الحبال سلبا
كما في بعض كتب اللغة رجع الغنايم عن القتال متعلق باشتغل حتى خشي عمر رضي
الله عنه اي خاف على المسلمين ان يعطف اي يرجع كارا عليهم اي على المشغولين
بما ذكر العدو الذين انهزموا والعدو يقع على الواحد وغيره وكثيرا ما يقع
في العساكر ضرر عظيم بمثل هذا وعمر رضي الله عنه ادري بذلك ثم قال تعالى
في هذه الاية والقصة لولا كتاب من الله سبق تقدم على هذه القضية وتقدم
بيان المراد بالكتاب هنا وسياتي ايضا واختلف المفسرون في هذه الاية
والمراد منها فقيل معناها كما نقله الطبري ما قاله محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب لولا انه سبق من الله فيما اوحاه لنبيه صلى الله
عليه وسلم اني لا اعذب احدا الا بعد النهي وتحريم اخذ الفدا لعذبكم على
ما فعلتم من اخذ الفدا لانه لو كان منهيا عنه لكم ما استحق مخالفه العذاب
فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره فهذا التفسير ينبغي ويمنع ان
يكون امر الاسرا اي فداءهم معصية لانه لم ينه عنه ولم يحرم فلا دليل في الاية
لما مر وعلى هذا التفسير تكون هذه الاية مخصصة لنحو اقتلوا المشركين
فلا وجه للاعتراض به على ما ذكره المص وقيل المعنى المراد من هذه الاية
لولا ايمان بالقران وهو المراد بالكتاب السابق في قوله لولا كتاب من الله سبق
وقدر الايمان في النظم لان ذات الكتاب لا تمنع العذاب الا بالايمان
بما تضمنه من هذه الاحكام فاستحققتم به الصفح اي العفو
وعدم المواخذه لعوقبتم على اخذكم الغنايم وما هو في حكمها من الفدية
وهذا حكاه ابن عطية في تفسيره وليس فيه تحصيل الحاصل كما توهم لما سياتي
ويزاد بزاي معجمة فعل مجهول من الزيادة هذا القول تفسيرا وبيانا ولا يضاح
بان يقال في تقريره المعنى لولا كنتم مومنين بالقران بحقيقته وحقيقة ما فيه
من الاحكام وما صدر به وقوله وكنتم ممن احلت لهم الغنايم على ما قبله لعوقبتم
كما عوقب من تقدمكم بفتح التا الفوقية والعين والدال المهملتين المشددة دالة
قبل الالف فعل ماض والكتاب على هذا بمعنى القران وسبقه لتقدمه في
الازل او لتقدم ما نزل او حكم الله الذي كتبه وقدره وحاصله انه لولا

عرضي

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان الله انزل القران وما فيه من الاحكام واحل لكم فيه الغنايم لمسكم العذاب
وحل بكم العقاب كما عوقب من قبلكم من الامم لما تجاوزوا الحدود وتعدوا
ما نهاهم الله عنه وهو اما تشريع وامتنان عليهم بما احله لهم ولم يضيق عليهم
كما ضيق على الامم السابقة او هو رد لمن اشتغل بالغنايم والطلب فقد روي
انه لما كان يوم بدر تعجل الناس الى الغنايم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الغنيمة لا تحل لاحد سود الوجوه غيركم وكان النبي واصحابه اذا غنموا
الغنيمة جمعوها فنزلت نار من السما فاكلتها فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله
سبق الايتين واخرجه الترمذي وقال صحيح حسن ووقع في الشرح الجديد
هنا مواخذة على ما في الكشاف هنا من ما فيها الاساس لها بالمقام ناشية
من عدم التدبر وقيل معناه لولا انه سبق في الازل في اللوح المحفوظ الذي كتب
فيه كل ما هو كاين الى يوم القيامة انها اي الغنايم حلال لكم الانتفاع بها والتصرف
فيها لعوقبتم على اخذها فهذا المذكور في التفاسير كله يبني ان ذنبوا المعصية فيما
فعله باسري بدر لانه فعل ما احل لنبيه على ما وجهه به تجسص الله ولم يعد
ما صدر منه معصية حتى يستدل بما ذكر فيها على تجويز الصغاير عليهم ومما
هو صريح في حكم ما اشار اليه بقوله قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم اي من غنايمكم
حلالا طيبا فكلوا بمعنى انتفعوا به وليس المراد خصوص الاكل وذكره لكثرته
وغلبته على غيره من الانتفاع واستدل بهذا على ان الامر الوارد بعد الحظر
للاباحة وعليه الاكثر والقايل بان الاصل فيه الوجوب يجيب عنه كما فصل في
الاصول وفي الكشاف وتبعه القاضي في قوله لولا كتاب من الله سبق الى قيل
لولا ما شا الله من ان سيحل لكم الفدية واعترض عليه بانه يقتضي انه
صلى الله عليه وسلم لم يعلم بحل الغنايم له حين ذهب لبدر والظاهر انه انما
اقدم على ذلك ورغب فيه بعد علمه بحله له ولم يخرج لبدر الا طالبا للغنيمة
ولولا ذلك لم ياخذ غير قريش وهو وهم منه فانه لا يلزم من علمه بحل الغنيمة
علمه بحل الفدية وان كانت في حكمها وقد اورده على قوله لولا انه سبق في
اللوح المحفوظ الخ وهو غير وارد لان المعنى لولم تحل لكم الغنيمة وهو يقتضي حل
الفدية فتامل وقيل بل كان صلى الله عليه وسلم قد خير في ذلك اي في
اخذ الفدية من الاسرى وفي قتلهم فلما اخذها قيل له كان الاولى خلافه
لكن بكا وهما السابق ورويته صلى الله عليه وسلم دنوا العذاب منهم
ياباه كما تقدم ويدل على انه مخير في ذلك انه قد روي عن علي رضي الله عنه
انه قال جا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاساري
بين ان شاوا القتل وان شاوا الفدية اي اخذ الفدية والمال منهم
على ان يقتل منهم في العام القبل والسنة التي تلي هذه السنة اي ان الله قدر عليهم
ان اخذوا الفدية بقتل من الصحابة مثلهم اي بعددهم فقالوا نختار الفدا

عرضي

عرضي

ويقتل

ويقتل منا مثلهم رغبة في الشهادة وهذا المذكور كله دليل على صحة ما قلنا
من انهم لم يفعلوا في وقعة بدر من اخذ الفدية الا ما اذن لهم فيه اي
جوزه لهم فلا ذنب ولا معصية لكن بعضهم اي بعض الصحابة الذي استشارهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك مال الى اضعف الوجهين من الفدية
دون القتل باجتهاد منه والاجتهاد يجوز من الصحابة بحضرته صلى الله
عليه وسلم كما صححه اهل الاصول مما كان الاصلح للاسلام والمسلمين غيره
وهو القتل وبينه بقوله من الاثخان والقتل الذي هو اعز الوجهين فاختاروا
الاول لما خيروا فعوتبوا على ذلك من اختيار غير الاصلح وبين لهم ضعف اختيارهم
الفدية وصوب اختيار غيرهم وهو ما اختاره الفاروق وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
لان كلا منهم قال ما اداه اليه اجتهاده ظانا ان الخير فيه والى نحو هذا اشار
الطبري رحمه الله وانما وبخوا وحوقوا وقوع العذاب بهم لان المحوق منهم من
مجرد نظره للكمال في العاجل مثل الصديق رضي الله عنه ممن فعله شفقة على
قومه ورجا ان الله يهديهم للاسلام ويعز بهم الدين في الاجل وقد حقق
الله رجاه فلا اعتراض على هذا بانه لو كان كذلك ما وقع توبيخ شديد
ومن طالع السير وما وقع في هذه الغزاة علم هذا وتحققه وقوله صلى الله
عليه وسلم في هذه القصة لو نزل من السما عذاب ما نجا منه الا عمر
... جواب عن سوال ورد على ما قرره من انهم غير عصاة ولا مذنبين
وهو انه اشارة الى هذا المذكور من تصويب رايه اي راي عمر رضي الله عنه
وراي من اخذ باخذه اي وافقه فيما قاله في اعزاز الدين وغيظ الكفرة بايقاع
القتل برؤسهم وارهاب قلوبهم في اول وقعة وقعت بينهم واظهار كلمته
بان تكون كلمة الله ورسوله هي العليا وتكون ظاهرة شايعة وابادة عدو اي اهلاكه
وافنايه لان الاسرى كانوا عظما ايمة الكفر فلو قتلوا لم يكن لهم عمود بعده
وان هذه القضية اي قضية اسرى بدر واخذ الفدية منهم واطلاقهم لو
استوجبت عذابا اي اقتضت وقوع العذاب بمن فعلها لما نجا لانها لا سر الله
نجا منه اي من العذاب الذي اقتضته عمر لانه رضي الله عنه لم يرض به
ولم يره رايا صحيحا ومثله اي ونجا مثله ممن كان على رايه وهو سعد بن معاذ
رضي الله عنه كما ورد في الحديث وعين عمر اي خصه بالذكر مع ان جماعة
منهم كانوا على رايه لانه اول من اشار بقتلهم جوابا لقول النبي صلى الله عليه وسلم
له كما في صحيح مسلم ما تري يا ابن الخطاب فقال ما ارى رأي ابي بكر ولكن
اري ان تمكنا فنضرب اعناقهم الحديث ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك اي في
مقابلة رايهم بالفدية لحله لهم اي لان الله احله لهم وخيرهم فيما سبق هذه
الواقعة وقال الداودي تقدمت ثم حرمته والخبر بهذا لم يثبت اي لم يثبت
المنع من اخذ الفدية لا الحديث الذي فيه ما راه عمر وغيره ولو ثبت هذا لجاز

ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم بما لا نص فيه بوحي نازل عليه ولا
دليل يدل على ما حكم به مستنبط من نص سبق باجتهاده ولا جعل الامر فيه من الله
مفوضا اليه فانه وقع التفويض اليه صلى الله عليه وسلم في امور اذن
له بالحكم فيها بها كما صرحوا به وقد نزهه الله عن ذلك بقوله وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى والاجتهاد والتفويض بوحي يوحى وقال القاضي بكر بن العلا
امام مذهب مالك كما تقدم اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
النازلة في اسرى بدر ان تاويله الذي قبله من ابي بكر رضي الله عنه
في اختياره عدم القتل وافق ما كتب له اي حكم به وجوزه بقوله لولا كتاب
من الله سبق في علمه وحكمه من احلال الغنائم لهم واحلاله لهم اخذ الفداء وكيف
لا تكون الفدية حلت لهم قبل هذا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه قبل هذا اي غزوة بدر فادوا اي اخذوا الفداء من المشركين في
سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي لما مرت عير لقريش بتجارة من الطائف
ومع العير عمرو بن عبد الله الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله
ونوفل بن عبد الله والسرية فعيلة من السري وهم ناس يرسلون للعدو
من خمسة الى ثلثمائة او اربع مائة ولم يعين ابو حنيفة عددا لاقلهم
وقال ابو يوسف سبعة فصاعدا وقال الماوردي يطلق على الواحد سرية
والظاهر انه مجاز فلا بد من عدد له منعة وعبد الله بن جحش هو ابن
رئاب بن يعمر الاسدي وامه اميمة بنت عبد المطلب عمة صلى الله عليه
وسلم اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو من المهاجرين
الاولين واستشهد باحد ودفن عند حمزة رضي الله عنه وسريته كانت
في رجب في السنة الثانية او في جمادى الاخرة ومعه ثمانية من المهاجرين
او اثني عشر هو اميرهم ومن ثم سمي امير المؤمنين ويعرف بالمجدع في الله لجدع
انفه واذنيه باحد وكان دعا الله بذلك وكانت السرية قبل بدر بشهر
او اكثر كما سياتي وبعث ليترصد عير قريش فساروا حتى نزلوا ببطن
نخلة بين مكة والطائف فرمى واقد عبد الله الصحابي عمرو بن الحضرمي
فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان وكانا
اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فقدموا المدينة بالعير والاسيرين
فاسلم الحكم وافتدا صاحبه عثمان بن عبد الله ورجع لمكة فمات بها كافرا
وقد فدى نفسه بالحكم بن كيسان وصاحبه عثمان بن عبد الله فالباء متعلقة
بقوله فادوا لا بقوله قتل لان المذكور هنا ان الحكم بن كيسان مولى هشام
ابن المغيرة المخزومي اسر في هذه السرية اسره المقداد بعد قتل ابن الحضرمي
فاراد عبد الله بن جحش ضرب عنقه فقال له المقداد دعه تقدم به على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم به اسلم وحسن اسلامه وقتل ببئر

معونة

معونة وسياتي تفصيله فما عتب الله عليهم اي على النبي والصحابة في
اخذ الفدية فلو كانت ممتنعة وبخهم الله على ذلك والمراد بالعتب التوبيخ
والانكار مجازا عن لازم معناه اذ معناه لا يليق به تعالى لانه يستعمل فيما
بين الاقران وانما عبر به ليشمل خلاف الاولى فذلك اي ما وقع من الفداء في
تلك السرية كان قبل بدر اي قبل وقعتها بازيد من عام كذا في النسخ وهو
سهو لان بدرا الاولى وقعت في ربيع الاول بعد ثلاثة عشر شهرا من الهجرة
فتكون هذه الوقعة في سنة اثنين من الهجرة ثم في رجب بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه السرية ثم في رمضان من هذه السنة وقعت غزوة
بدر الكبرى فبين هذه السرية وغزوة بدر نحو ثلاثة اشهر فكان المص
توهم ان هذه السنة سنة ثانية وليس كذلك وحاصل قصة هذه السرية
انه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين
المهاجرين وكتب له كتابا وامره ان لا يقرأه حتى يسير يومين وان لا يستكره
من اصحابه احدا ففتحه بعد يومين فاذا فيه اذا نظرت كتابي فامض حتى تنزل
بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم خبرهم فلما قرأه قال سمعا
وطاعة واعلمهم بما في كتابه صلى الله عليه وسلم فلم يخالفوه وسلك الى الحجاز
فلما كان بمعدن فوق النجدة اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما فتخلفا
في طلبه فمضى ابن جحش واصحابه حتى نزلوا بنخلة فمر بهم عير لقريش فيها عمرو بن عبد الله
ابن الحضرمي وعثمان بن عبد الله واخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام
ابن المغيرة فلما راهم القوم هابوهم ونزلوا قريبا منهم فاشرف عليهم عكاشة
ابن محصن وقد حلق راسه فقالوا اعمار لا باس عليكم منهم وذلك في اخر
يوم من رجب ثم تشاوروا فقالوا ان تركتموهم الليلة دخلوا الحرم فامتنعوا
به وان قتلتموهم قتلتموهم في الشهر الحرام ثم اجتمعوا على قتل من قدروا عليه
واخذ مغنمهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي ابن الحضرمي بسهم فقتله
واستاسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان واعجزهم نوفل بن عبد الله
واقبل ابن جحش واصحابه بالعير والاسيرين على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل ان ابن جحش قال لاصحابه ان لرسول الله مما غنمنا الخمس
وذلك قبل ان يفرضه الله فقسم ذلك بين الصحابة وقال ابن اسحاق انهم
لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ووقف
اسرا العير والاسيرين ولم ياخذ من ذلك شيئا فندم المسلمون على ما فعلوا
وقالت قريش استحل محمد واصحابه الشهر الحرام بسفك الدم واخذ المال والاسر
فقال المسلمون بمكة انما وقع ذلك في شعبان فلما اكثر القيل والقال انزل الله
تعالى يسالونك عن الشهر الحرام فقال فيه الاية ففرح المسلمون بذلك وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت قريش في فداء عثمان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن عبد الله والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفدي حتى يقدم
صاحباي يعني ابن ابي وقاص وعتبة بن غزوان لخشية ان يقتلهما قريش
بمن قتل منهم فلما قدما فداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه حتى
استشهد ببير معونة واما عثمان فلحق بمكة ومات كافرا كما مر وهذا المذكور
كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرا من الفدا وما وقع معه
كان على تاويل باجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة ونصيه بالنظر
الصحيح في انه فيه اعانة ورجا لان الله يهديهم في الاجل الى الاسلام وكان
كذلك وهو جار على ما قد تقدم قبل اي قبل بدر مثله من وقوع الفدية في سرية
ابن جحش ولم يعاتبوا عليه فلم ينكره الله تعالى عليه كما بيناه انفا لكن الله تعالى اراد
بقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى لعظم امر بدر وانها مما كثر شوكة
المشركين وارعب قلوبهم فلو زادوا ذلك بقتل من اسروه كان اتم وكثرة
اسراها الواقعة فيها بما اداه اجتهادهم اليه اظهار نعمته مفعول اراد اي
ظهورها على المسلمين وانهم لو تركوا الفدية اغناهم الله عنها وتاكيد منته عليهم
بتعريفهم بالكتبة وقدره في اللوح المحفوظ بقوله لولا كتاب من الله سبق على احد
الوجوه المتقدمة واللوح المحفوظ مبين في كتب الحديث والتفسير من
حل ذلك لهم اي كونه حلالا ماذونا فيه لهم لاعلى وجه عتاب اي لم يذكره للوبهم
بل لبيان شكره ونعمته وانكار عليهم في اختيار الفدية او تذنيب اي نسبتهم لذنب
ارتكبوه بما فعلوه هذا معنى كلامه اي كلام القاضي بكرين العلا وهو الذي
اختاره المص خلافا لمن قال ان الحق انه عتاب من الله وارتضاه بعض الشراح
هنا وقال ان ذلك تكلف لا ينبغي ارتكابه واما قوله تعالى وتولى اعرض
بوجهه الاية اي ما يشعر به ظاهرها من انه صدر عنه صلى الله عليه وسلم
ما استحق عليه العتاب واستدلال بعضهم بهذه الاية والقصة على تجويز
الصغاير عليهم كما تقدم اجمالا فليس فيها اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم ولا
تجويزه عليه كما توهم من استدل بها على ذلك بل اعلام له صلى الله عليه وسلم ان ذلك
المتصدي بصيغة اسم المفعول ونايب فاعله قوله له اي اقبل عليه وتوجه
له واصله مقابلة الشي بما يقابله الصدي وهو الصوت الراجع اليه من
جبل ونحوه كما قاله الراغب وفي التعبير به نكتة وهي ان كلام هو لا عبرة
به كما قال المتنبي انا الطاير المحكي وغيري هو الصدا
من لا يتزكى اي لا يسلم فيطهره الله من دنس الشرك فان الصواب والاولى والاليق
به صلى الله عليه وسلم الكشف لك حال الرجلين اي ابن ام مكتوم ومن
كان عنده من المشركين واقتصر على الاقل والا فالكفرة كانوا جماعة كما تسمعه
الافتا على الاعمى دون بصره والاعمى هو عبد الله بن شريح ويقال عمرو بن ام مكتوم
واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو ابن قيس بن زايد الاصم

والذي

والذي تصدى له جماعة من كبار المشركين بمكة اختلفوا فيهم فقال مجاهد كانوا
ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وزاد بعضهم ابا جهل والعباس
وامية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان صلى الله عليه وسلم يرجو اسلامهم واسلام
غيرهم وقد قدمنا عن القرطبي ان هذا باطل وجهل ممن قاله لان امية ابن خلف
واحدهما مات بمكة والاخر ببدر ولم ياتيا المدينة وتقدم انه شنع على
القرطبي فيما قاله فان سورة عبس مكية وابن ام مكتوم اسلم قديما بمكة
قبل الهجرة وكان مع النبي بمكة والمدينة وهاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم
مع مصعب بن عمير رضي الله عنه فكيف يجهل من نقل هذه القصة من
من كبار المفسرين ثم اشار الى ان ما فعله صلى الله عليه وسلم ليس ذنبا
بل فعلا حسنا لانه تبليغ للرسالة ولطف في الدعوة بالاقبال على من كان
من اهل العناد والكبر فاعلمه بحال الفريقين فقال وفعل النبي صلى الله عليه
وسلم لما فعل من التصدي وما معه الذي اشار اليه بقوله وتصديه
لذلك الكافر تقدم وجه افراده كان لجماعة له وتبليغا عنه فما فعله صلى الله عليه وسلم
كان لان ماله كان تبليغا له اي استمالة للكافر وتاليفا له رجا لاسلامه كما شرعه
الله له وفرضه عليه بامره بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه لا معصية كما زعمه
من تقدم ومخالفة له اي لما شرعه الله وما قصه الله عليه في هذه السورة
اعلام بحال الرجلين المذكورين وتوهين امر الكافر عنده اي تضعيف وبيان
لحاله لانه لا مقدار له يعتد به واشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك ان
لا يزكى لان معناه لا باس عليك من امره فلا تلتفت اليه والضمير في قوله وما
يدريك لعله يزكى لابن ام مكتوم وقيل ضمير لعله للكافر يعني انك اذا
طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتنفعه الذكرى اي قبول الحق وما
يدريك اي ما طمعت في ان يتزكى بالاسلام كابن والاول هو الاولى لان
ما في القران من يدريك فهو مما اعلمه الله به وما فيه من ادراك لم يعلمه به وايضا
فالكافر لم يسبق له ذكر صريحا وكما ضمنا وقوله وما عليك ان لا يزكى يريد
انه لا باس عليك بعدم اسلامه فحرصك على اسلامه الحامل لك على الاعراض
عن غيره تطييبا لخاطره الاولى تركه لان ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وقد
تقدم تتمة لهذا فتذكره وقيل المراد بقوله عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس قاله اي هذا القول ابو تمام الشاعر صاحب
كتاب الحماسة على ما ياتي وهو قول في غاية الضعف بعيد من السياق والذي
عليه المفسرون انه النبي صلى الله عليه وسلم وفي القا الكلام له بدون الخطاب
اكرام له صلى الله عليه وسلم عن ان يواجه بالعتب لا مبالغة في العتب
لان فيه اعراض كما قاله ابن عطية واما قصة ادم عليه الصلاة والسلام والاستدلال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بها على تجويز الصغائر على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى فاكلا منها اي
من الشجرة بعد قوله له ولزوجته حوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
المخالفين لامر الله ونهيه وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة شجرة الكرم او
التين او غيرهما كما بينه المفسرون وتصريحه تعالى بالحا المهملة وضمنه معنى
النداء فعداه بعلى في قوله عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى
اي ضل عما بينه له وقيل معناه جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بوجوه
جواب اما وهو جواب عما استدلوا به لانه ارتكب معصية وذنبا ولقد
عهدنا الى ادم اي اخذنا عليه وبينا له ما يلزمه فتركه من قبل اي قبل اكله
من الشجرة فنسي العهد المتقدم ولم نجد له عزما ثابتا على ما عهد اليه لان
العزم توطين النفس على فعل او ترك وقريب منه تفسيره بالصبر الاتي وعلى
هذا فالذي نسيه هو نهي الله له عن الاكل من الشجرة وفعله ناسيا لا يكون
ذنبا لعدم المواخذة به وفيه انه لو كان كذلك ما جازاه الله باخراجه من الجنة
ونزع لباسه وقيل انه ذكر تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن عصيان قومه
لان مثل ادم اذا عصى ربه فما بالك بغيره وقال ابن عطية انه ضعيف
لان جعل ادم مثلا للكفار لا ينبغي والذي اراه انه ابتدا قصص او انه
لما عهد له صلى الله عليه وسلم ان لا يعجل بالقران فنسي سلاه بانه سبق
مثله لادم فعفي عنه فلا لوم عليه ثم ذكر وجها اخر فقال قال ابن زيد هو عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم في ترجمته نسي عداوة ابليس له لحسده
على جعله خليفة قيل وكان النسيان يواخذ المكلف به ثم عفي الله عنه
كما ياتي وبهذا اعلم الجواب عما تقدم ونسي ما عهد الله اليه من ذلك اي من كون
ابليس عدوا له ولزوجه وولده بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية
وحذره منه كما قصه في قصته وبينه المفسرون قيل نسي ذلك المذكور
من عداوته لما اظهر لهما اي لادم وزوجه من المخادعة فدلاهما بغرور
وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي
واصله انسيان ووزنه افعلان قلبت ياؤه الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها وحذفت الهمزة لالتقا الساكنين فالهمزة زايدة ولامه محذوفة
وقيل انه من الانس ووزنه فعلان وانما ذكر هذا توجيها للقولين
المذكورين فلا وجه لما قيل انه لم يقع موقعه لعدم مناسبته لما قبله
ويدل لقول ابن عباس ان تصغيره انيسيان ولذا قيل كما تقدم

وان اول ناس اول الناس ... وقلت

ومن لم يكن ينسى الضغاين والذي ... تقدم من حقد فليس بناس

وقيل في توجيه ما صدر من ادم عليه الصلاة والسلام انه لم يقصد المخالفة
لما نهاه عنه استحلالا لها اي لعدها حلالا حتى لا يكون ذلك معصية ولكنه ادم

وزوجه

وزوجه اغتر بحلف ابليس لهما اي قسمه وقوله والله اني لكما لمن الناصحين في
تحسينه الاكل لهما من الشجرة وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا مخالفا للواقع
وقد روي عذر ادم اي اعتذاره عما صدر منه بمثل هذا المذكور من ظنه صدقه
لا قسامه لهما في بعض الاثار المروية عن السلف او الاحاديث وذلك
انه راهما في الجنة ونعيمها فبكى فقالا له ما يبكيك قال رحمة لكما الزوال
هذا النعيم عنكما فقالا فماذا يكون مانعا من زواله فزلهما بتاويله النهي
وقسمه على ما قاله قالوا وهو اول من وقع منه الحسد والكذب في اليمين
وقال ابن جرير حلف بالله لهما حتى غرهما وخدعهما بان الاكل ليس فيه مخالفة لما
نهى الله عنه والمؤمن يخدع مبني للمفعول اي من شانه انه يتخدع بتصديق
من عرف لسلامة صدره وظنه ان احدا لا ينافق ولا يكذب وليس هذا
لقلة اذعانه بل لانه لكونه لا يفعل ذلك يعتقد ان غيره مثله ولذا قيل
ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقد قيل في توجيه ذلك ايضا انه
نسي ولم ينو المخالفة للعهد الذي عهده الله له والنسيان مغتفر وفي تفسير
الثعلبي ان النسيان كان مواخذا به لنشاته عن اسباب اختيارية ثم نسخ
ذلك لذا قال الله تعالى ولم نجد له اي لادم عليه الصلاة والسلام عزما اي قصدا
للمخالفة لله فيما نهاه فان العزم التصميم على فعل او ترك وهو مستلزم ما ذكر
وتقدم فيه تفاسير اخر واكثر المفسرين على ان العزم معناه المراد منه هنا الحزم
وهو الاخذ بما فيه سداد بعد النظر التام فيه والصبر حتى يتيسر له مراده
من غير قلق واضطراب وقيل كان عند اكله سكران فلم يخالف قصدا والسكر لم
يكن حراما اذ ذاك والجنة ليست دار تكليف ايضا الا انه ورد ان خمر الجنة
ليس له سكر ولا خبال كخمور الدنيا ولا يخفى ان هذا الوجه في غاية الضعف
فالاولى تركه الا انه قول سعيد بن المسيب كما نقله البغوي وان ما ذكر غير
مسلم لاسيما ان قلنا ان الجنة ليست هي دار الخلد كما هو احد اقوال
المفسرين فيها ولذا قال المص وهذا القول ضعيف لانه تعالى وصف خمر الجنة بانها
لا تسكر فبنا في هذا الجواب وهو اشارة الى قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها
ينزفون فانه فسر بانها لا تذهب عقولهم من نزف عقله اذا ذهب والكلام
عليه مفصل في التفاسير فاذا كان ادم عليه الصلاة والسلام ناسيا على
احد الوجوه السابقة لم يكن ما فعله ادم معصية فلا يصح الاستدلال حينئذ
بالاية وكذلك اذا كان ملبسا عليه يعني تلبيس ابليس الذي غره به وقسمه
له بانه ناصح له وانه يريد خلوده في الجنة وعدم زوال نعمته وان نهي الله
له ليس بتحريمي مواخذ به كما يوخذ مما ياتي مخالطا اي وقع من ادم عليه الصلاة
والسلام الغلط بقبوله تلبيسه وتغريره له بانه لا اثم عليه في اكله اذ الاتفاق
من ايمة الدين على خروج الناسي والساهي من حكم التكليف يعني انه ليس مكلفا بنص القران

والحديث فلا يكتب عليه ذنب وايضا انه كان في جنة الخلد وليست دار تكليف
الا انه قيل ان السهو والنسيان كان مواخذا به شرعا ثم نسخ كما تقدم عن
الثعلبي وايضا قيل ان الجنة انما تصير دارا باحة دون تكليف بعد الحشر
واما قيل فلا علم انه فيه بحث اذ المراد به انه ليس فيها تكاليف الدنيا كالصلوات
الخمس والزكاة ونحوهما مما علم من الاحكام الشرعية اما اذا قال الله تعالى لاهل الجنة
امرتكم بكذا او نهيتكم عنه فانه لا تجوز نسخ الفتنة بلا شبهة وهذا مما لا ينبغي
الغفلة عنه وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وهو ابو محمد بن الحسين الاصفهاني
امام اهل السنة والكلام وكان في عصره اجل من تصدر للوعظ والتدريس التاليف
وله مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات عجيبة وله رحلة للهند وغيره ولما رجع
الى نيسابور مات في الطريق سنة ست واربعمايه فنقل لنيسابور ودفن بها
وقبره يزار ويستجاب عنده الدعا كما ذكره المورخون كابن خلكان وفورك
بضم الفا وسكون الواو وفتح الرا وكاف وتقدم في صدر الكتاب التردد في
انه مصروف او ممنوع من الصرف وغيره من العلما انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة
وفي عصمتهم من الصغاير قبلها خلاف وقد جوزه كثير ودليل ذلك قوله تعالى وعصى
ادم ربه فغوى ثم اجتباه اي اختاره لنبوته ربه فتاب عليه ما صدر منه قبل النبوة
وهدى اي هداه الى علمه فذكر ان الاجتبا والهدى مصدر بمعنى الهداية وليس
على هذا الوزن مصدر الا الهدي والسرى والتقى على كلام فيه في شرح
سيبويه كانا بعد العصيان لعطفه بثم كما لا يخفى فالمعنى ان الله ارتضاه
لنبوته وانه لم يصدر عنه ذنب بعد ما نبي والاجتبا الاختيار من جبيت
الما في الحوض اذا جمعته فالاجتبا جمعه للمعارف والعلوم الدينية وقد قيل
عليه انه في غاية البعد لان ظاهر الحال من سجود الملايكة لادم واظهار فضله
عليهم ومخاطبته في حضرته يمنع هذا الاحتمال اذ لا معنى للنبوة غير هذا
فالاستدلال به على نبوته اولى مما استدل به المص رحمه الله وقيل في الجواب
عما استدل به على تجويز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل اكلها
متولا لحل اكله وانه لا يصدر عنه معصية واشار الينا وبله بقوله ولا يعلم
ايها الشجرة التي نهي عنها بالبنا للمفعول اي التي نهاه الله عنها في الاية لانه تاول
نهي الله تعالى له بقوله لا تقربا هذه الشجرة الاية انما نهي عن شجرة مخصوصة لقوله من
هذه الشجرة لان اسم الاشارة موضوع لفرد معين مشاهد لاهل الجنس اي انه
نهي عن جنس هذه الشجرة الشامل لجميع افرادها وبعضهم قال ان اسم الاشارة
قد يشار به الى الجنس مجازا وبه صرح النحاة كما في اول شرح الكتاب والمراد
بالجنس الكلي مطلقا فيشمل الجنس والنوع وغيره ولبعض الشراح هنا كلام
لا محصل له ولذا اي لاجل انه تاول بما ذكر قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
قال الراغب التحفظ قلة الغفلة وحقيقته تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة

انتهى

انتهى والمراد ترك التيقظ والتنبه وقيل في الجواب وبيان تاويله انه تاول
ان الله تعالى لم ينه عنها نهي تحريم وانما هو نهي تنزيه عن خلاف الاولى وكونه لا يناسب
قوله فتكونا من الظالمين كما قيل سيأتي ما يدفعه في كلام المص فان قيل فعلى كل حال
مما ذكرته في توجيه ما صدر من ادم كيف يكون لا معصية فيه وهو مشكل
فقد قال تعالى في هذه القصة وعصى ادم ربه فاثبت له المعصية بما فعله وانت
قررت خلافه وقال فتاب عليه وهدى والتوبة انما تكون عن ذنب وقوله اي قول
ادم المحكي عنه في حديث الشفاعة في المحشر للخلق كما تقدم ويذكر ذنبه لما طلب الخلق منه
ان يشفع لهم في الخلاص من هول الموقف فقال لهم اذهبوا لغيري من الانبيا
فيذكر ذنبه وانه يستحي من ربه وقال اني نهيت عن اكل الشجرة اي عن اكل
شيء منها فعصيت بفعلي ما نهى الله عنه فهذا كله يقتضي انه صدر منه
ذنب ومعصية فينا فيما وجهته به فسيأتي الجواب عنه ومن اشباهه مما
يقتضي ارتكاب الذنوب مجملا مختصرا في اخر هذا الفصل ان شا الله تعالى
واما قصة يونس بن متى فقد سبق اي الكلام عليه بعض منها انفا اي قريبا من قولهم
استانفت الشي اذا ابتدائه وانف اسم فاعل منه صار بمعنى قريب وليس
في قصة يونس المذكورة في القران نص على ذنب صدر منه حتى يتمسك بها من جوزه
عليهم وانما ذكر فيها اي في قصته انه ابق اي فر وهرب وقد يفرق بين الاباق
والهرب بعد تخصيصه بالعبد فيخص الاباق بما كان بلا خوف كما في القاموس
وغيره ولذا عبر به لما فيه من المزايا هنا بخلاف الهرب وكان يونس كما تقدم
دعا قومه فلم يطيعوه فوعدهم العذاب فلما تاخر عن موعده خرج من بينهم
وذهب مغاضبا اي غضبان فمغاضب هنا كمسافر ليست كغيرها من المفاعلة وغضبه
على قومه لا على ربه وان قيل به واول وقيل انه خشي القتل وقد تقدم
تفصيله كما اشار اليه بقوله وقد تكلمنا عليه اي تقدم منا الكلام في يونس
وقصته وقيل انما نعم الله عليه اي عاب فعله ولامه عليه وكرهه وتم بكسر
القاف وقد تفتح خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب بهم وهو بين الظهور
فكان ينبغي له الثبات اعتمادا على ان الله يجيبه كما نجى نوحا وغيره من انبيايه
حتى اليه ما يريد وقيل بل لما وعدهم اي قوم يونس العذاب استعمل الوعد
مع العذاب مع انه يختص بالخير تهكما كقوله فبشرهم بعذاب اليم فلا وجه
لما قيل انه عام بحسب الوضع الاصلي ثم عفى الله عنهم لانه لما وعدهم العذاب
لثلاث ورا وامقدمات تضجوا الى الله تعالى ولبسوا المسوح وفرقوا بين
الامهات والاولاد وتابوا وقالوا امنا بيونس فعفى الله عنهم وهو صلى الله
عليه وسلم لا يعلم بذلك قال والله لا القاه بوجه كذاب ابدا لعدم علمه بما عاينوه
وخصهم الله بقبول توبة اليأس كما قال تعالى الا قوم يونس الاية وقيل بل
كانوا اي من عادتهم انهم يقتلون من كذب فخاف ذلك اي القتل لتخلف ما وعدهم

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقيل قابله وهب ضعف عن حمل اعباء الرسالة اعبا بالهمز جمع عبء كحمل
وهو الحمل الثقيل كما تقدم وكان كما قال وهب في خلقه ضيق ولذا اخرجه
الله عن اولي العزم بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تكن
كصاحب الحوت وقد تقدم الكلام انه لم يكذب بهم فان ما وعدهم به من
العذاب نزل بهم حتى راوا غمامة فيها دخان اظلتهم لكنهم لما تضرعوا
الى الله كشفه عنهم وهذا المذكور في قصته كله ليس فيه نص على معصية
صدرت منه حتى يستدل به على ما ادعوه كما تقدم الا على قوله مرغوب
عنه اي متروك لضعفه وهو انه خرج من غير اذن من الله في الخروج
وترك القيام حتى ياذن الله له وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون فالمفسرون
اي تباعد والفلك يكون مفردا وجمعا ومعناه السفينة والمشحون
بمعنى المملوء وتفسير ابق بتباعد مذهب المبرد فاشار به الى ان تفسير
بهذا يقتضي انه لم يعص الله ولم يخرج بغير اذنه كالعبد الابق من سيده
ولذا ذكره المص رحمه الله تابيدا لما قبله ومن لم يقف على مراده قال
ليس في ذكره هنا كبير فايدة فان كل ابق متباعد من سيده وانما
محل الاستدلال قوله فظن ان لن نقدر عليه وقد تقدم الكلام عليه واما
قوله عز وجل اني كنت من الظالمين فانه يقتضي انه صدر منه ذنب كما اشار
اليه بقوله فالظلم حقيقة معناه وضع الشيء في غير موضعه مطلقا فيشمل
الذنب وغيره ومنه ظلم السقا اذا شرب قبل ان يرويه فهذا اي جعله
من الظالمين اعتراف منه عند بعضهم بذنبه لتبادره من الظلم عرفا وشرعا
لا لغة كما تقدم فاما ان يكون ذنبه لخروجه عن قومه بغير اذن ربه في الخروج
من بينهم على عادة الانبيا اذا ارادوا الهجرة كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم لما هاجر الى المدينة وهو مفصل في الصحيحين او ذنبه ضعفه عما
حمله من اعباء الرسالة لضيق صدره كما تقدم او لدعائه بالعذاب على قومه
وهذا توجيه ضعيف لان الدعا على الغير اذا راى منه ما يسوءه لا يعد
ذنبا والى هذا اشار بقوله وقد دعا نوح على قومه بالهلاك فلم يواخذ اي لم
ينتقم الله ولم يعاقبه عليه وذلك قوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فدل هذا على ان عده ذنبا لا يتجه وقال الواسطي رحمه الله تقدمت ترجمته
في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم بقوله سبحانك اني كنت من الظالمين
ولم يقل سبحانك علمتك عن ضد ورظلم منك واضافه اي نسب الظلم الى
نفسه اعترافا ببراءة الله من مثله او لقصور البشرية حتى يجوز ذلك عليه
ولا يبري نفسه واستحقاقا لذلك وان لم يقع بالفعل فالحاصل انه ذكره
هضما لنفسه وبيانا لاستعداد البشر لمثله وانما يحفظهم الله بلطفه
ومثل هذا في تنزيه الله وبيان قصور نفسه قول ادم وحوي ربنا ظلمنا انفسنا

ابن اقبرس

مع ما تقدم من بيان العذر فيما صدر منهما وانما اضاف الظلم اليهما
اذ كانا اي ادم وحوي السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه
اي انزلهما الله فيه قبل الاكل من الشجرة في الجنة واخراجهما من الجنة اي جنة
الخلد التي وعد المومنون وقيل انها جنة وبستان اخر في الدنيا على
خلاف مشهور فيه للمفسرين وانزالهما من الجنة التي هي فوق السما الى الارض
الدنيا وقوله وضعهما الخ اشارة الى ان الظلم فيه بمعناه اللغوي وهو
وضع الشيء في غير موضعه مطلقا كما تقدم انفا فان قلت اذا كان
دعا نوح ليس بذنب فما قال اذ اطلب اهل المحشر منه الشفاعة اني دعوت
على قومي فخشي ان لا تقبل شفاعته قلت قد اجابوا عنه بانه ليس لانه
بذنب بل لان تحل بني دعوة عظيمة مستجابة فهو قدمها في الدنيا لما دعا
عليهم لا لانه ذنب وقيل غير ذلك وعاتب الله يونس دون نوح عليهما
الصلاة والسلام لان يونس لم يصبر وعجل الدعا ونوح دعاهم الف سنة
حتى مل من دعوتهم ويئس منهم واما قصة داود صلى الله عليه وسلم فلا يجب
كان الظاهر ان يقول لا يجوز او لا يصح ان يلتفت الى ما سطروه اي كتبه في كتبهم
الاخباريون اي اصحاب القصص ونسب الجمع على خلاف القياس لانه اراد
به قوما معينين كانصاري فاشبه العلم كانماري وعدم الالتفات كناية
عن عدم الاعتبار بذكر ذلك واعتقاده فانه لا يليق ببعض الصالحين فضلا
عن الانبيا لكنه اراد بعدم الوجوب الامتناع وعدل عن الظاهر لنكتة وقوله
عن فجار اهل الكتاب متعلق ببسط لتضمنه معنى نقل الذين بدلوا اي حرفوا كتبهم
وغيروا ما فيها بادخالهم ما لا اصل له وهو علة لعدم جواز النقل لما رووه
ونقله بعض المفسرين في تفاسيرهم وكان ينبغي لهم ان لا ينقلوه وذلك قولهم
ان داود صلى الله عليه وسلم كتب الى ايوب فايد جيشه ان ابعث اوريا
اي زوج المراة الحسنا التي راها داود وهو يصلي في محرابه فتعلق
قلبه بها كما مر الى وجه العدو قبل التابوت وكان من يتقدم مع التابوت
لا يجوز له ان يرجع حتى يفتح على يديه او يستشهد فقدمه ففتح على يديه
فكتب اليه ثانيا ان ابعثه الى موضع كذا امرة بعد مرة حتى قتل فتزوج امراته
ولم ينص الله تعالى في قصته في القران على شيء من ذلك الذي ذكروه في قصصهم
ولا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح يعتمد على روايته والمراد
بالصحيح هنا ما يشمل الحسن فانه اكثر اما يستعمله الفقها بهذا المعنى
والنبي نص الله عليه في القران قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن ماب
فهذا هو الصحيح نصا ثم انه لما ورد عليه ان في هذا النص ما يقتضي ايضا
صدور ذنب وفتنة تاب منها فما المراد بها وما الجواب عنها قال وقوله
فيه اي في هذا النص اواب اي كثير الرجوع عما صدر منه الى الله بالتوبة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فهو مثل تواب في ايهام صدور ذنب منه فمعنى فتناه في هذه الاية اختبرناه
اي جربناه وامتحناه والمراد فعلنا به فعل الممتحن ليظهر حاله للناس
من فتنت الذهب اذا صفيته من غشه وهذا حقيقته فليست الفتنة
هنا بايقاعه فيما يضره من الاثام كما هو المعنى المتداول في عرف اللغة ومعنى
اواب هنا كما قال قتادة في تفسيره مطيع لكثرة رجوعه لامره وهذا التفسير اولى
من تفسيره بتواب من الذنوب وهذا التفسير نقله البغوي عن ابن عباس
ايضا وقال ابن عباس وابن مسعود في تفسيره لفتنته ما زاد داود على ان قال
للرجل يعني اوريا زوج المراة الحسناء التي راها انزل لي عن امراتك اي اقرغ عنها
وطلقها لاتزوجها لانه ارسله لما يضره حتى قتل اكفلنيها اي ضمها الي
بالدخول تحت نكاحي ومنه الكفالة لانها ضم ذمة الى ذمة كما قصه الله في مرافعة
الملكين له وقوله ان هذا اخي الى قوله اكفلنيها وعرفني في الخطاب مما ضربه
الله مثلا لما صدر منه فعاتبه الله على ذلك الفعل الذي صدر منه ونبهه عليه
على ما فيه من خلاف الاولى اللايق بمقامه عدمه وانكر عليه شغله بالدنيا وما فيها
من النكاح ونحوه وهذا الذي قاله ابن عباس وابن مسعود هو الذي ينبغي ان
يعول عليه اي يعتمد عليه فيروى ويعتقد من امره وامر امثاله من رسل الله
عليهم الصلاة والسلام لا ما نقل عن اهل الكتاب وقد قيل انه انما خطبها اي طلب
تزوجها على خطبته بكسر الخاء وهي طلب الزوجة وهو من الخطابة بالضم وكان داود
صلى الله عليه وسلم لم يعلم بخطبته فلا ذنب اصلا وقيل على الذي عتب الله عليه
انه احب قلبه ان يستشهد لينزوج بامراته لا انه صرح به وباشر اسبابه كما مر
وهو ميل قلبي لا يواخذ به لانه خطر بقلبه انه لو استشهد تزوجها لانها
اعجبته وعلى هذه الوجوه لا معصية فيه اما طلب النزول عن زوجته فكان جائزا
عندهم كما كان في اول الهجرة بين الانصار والمهاجرين واما الخطبة على
الخطبة فانها وان كانت حراما عندنا بغير رضى وفراغ فلعله جائز عندهم
او لم يعلم بما اعلمه الله به فلا حرج عليه واما خطرات القلوب فلا يواخذ بها
وما عداه لا يجوز نسبته لهم ولا التحدث به ولذا قال علي رضي الله عنه من
حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته مائة وستين وهو حد
الفرية على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه القصة نظير قصة نبينا
صلى الله عليه وسلم مع زيد رضي الله عنه في زوجته ام المومنين زينب
بنت جحش كما ياتي لما راها الا انه صلى الله عليه وسلم لم يطلب من زوجها
فراقها بل قال له امسك عليك زوجك حتى زوجها الله له وفيه منقبة
عظيمة له وقد ابتلى الله بالنساء ثلاثة من الانبياء نبينا وداود ويوسف
عليهم الصلاة والسلام ابتلاء لحكم خفية منه وبقية الكلام على هذه القصص
مفصل في التفاسير وكتب الحديث فلا حاجة للتطويل بها هنا وكثرة القيل

والقال

والقال كما فعل في الشرح الجديد وحكى السمرقندي في تفسيره وقد قدمنا ترجمته
وانه ابو الليث الامام المشهور ان ذنبه الذي استغفر منه اي طلب مغفرته
والعفو عنه لم يكن ذنبا كما توهموه وانما هو قوله لاحد الخصمين اي الملكين اللذين
اتياه في صورة رجلين متخاصمين له لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه
وظلمه بتشديد اللام اي نسبه للظلم بقول خصمه اي بمجرد قوله من غير كشف
لحال خصمه وتثبت في امره وهو خلاف الاولى وقد قال ابن العربي انه لا يجوز
في ملة من الملل فما قاله السمرقندي لا يحدي هنا واجيب عنه بانه
انما قاله لانه راى خصمه سلم له مقالته ولم ينكر عليه فظنه رضي بما قاله
وكلام الله مبني على غاية الايجاز فكانه قال تمهل وعلى سكونه رضاه او هو
بتقدير ان كان كما تقول فقد ظلمك وقال الحليمي انه سمع قول المتظلم فاستعجل
ولم يساله عن ظلمه ولذا عاتبه ولم يرض فعله والاحسن ما قدمناه واياي نعني
ما اضيف في الاخبار اي ما نسب في الاخبار السابقة الى داود من ذلك الذي رووه
زهد احمد بن نصر وقد تقدمت ترجمته وابو تمام قال البرهان هو حبيب بن اوس
الطائي ونسبه معروف وانه هو الشاعر المشهور صاحب الديوان وترجمته
معروفة وبلاغته ورتبته معروفة في معرفته باللغة والعربية وهو في الطبقة
العليا من المولدين متقدم العصر والرتبة على المتنبي لكن لم ترمن عده
من علماء الحديث والتفسير فهو غلط من اشتراك الاسم وقد نقل المص في
هذا الكتاب كثيرا عن محمد الابهري من علماء المالكية من اهل طليطلة وهو يلقب
بابي تمام وهو المراد هنا وما قاله الشراح هنا واصحاب الحواشي من انه ابو
تمام الشاعر المشهور خطا فانا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيا مما يتعلق
بالامور الشرعية وانما غرهم الاشتراك اللفظي وهذا مما لا شبهة فيه
ويويده قوله وغيرهما من المحققين فان عد ابي تمام الشاعر محققا مما لا يعرف
فهو موبد للوهم فيه وقال الداودي تقدم الكلام عليه وترجمته ليس في قصة داود
صلى الله عليه وسلم واوريا خبر رواه المحدثون في كتبهم المعتمدة ثبت بفتح المثلثة
وسكون الموحدة وتا مثناة فوقية اي ملتبس بثبوت النقل فيه واوريا هو
ابن حنان زوج المراة التي تزوجها داود بعده كما تقدم وهي ام سليمان
نبي الله عليه الصلاة والسلام واوريا قال الانطاكي في حواشيه بضم الهمزة
وسكون الواو وكسر الراء المهملة ومثناة تحتية ومدة تليها همزة وضبطه غيره
بفتح الهمزة الاولى وقال البرهان لا اعلم فيه نقلا فلا يظن بنبي صحة قتل مسلم
كما قالوه ولا ينافيه ما قدمه من قوله انه صلى الله عليه وسلم احب بقلبه ان
يستشهد كما قيل فان المص لم يرتضه بل مرضه بقوله وقيل الخ مامر وما قيل
من ان كلام الداودي طعن في الروايات من غير دليل ليس بشي فان ما ورد
فيه ما لا يليق بمقام الانبيا والاقدام عليه من غير رواية صحيحة لا يليق

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والنافي لا يطلب منه دليل وقيل ان احد الخصمين الذين اختصما الى داود عليه
الاخر رجلان حقيقة لا ملكان في صورة رجلين وهما جبريل وميكائيل في نتاج جمع
نعجة وفي نسخة نتاج غنم على ظاهر الاية من غير تاويل بانهما ملكان اتياه في صورة
رجلين ينبهاه على ما صدر منه من خلاف الاولى لا كما قاله اصحاب القصص
وهذا وقع في بعض النسخ وليس في الام والحاصل ان ما اشتهر بين القصاص
واهل الكتاب واغتر به الحشوية لم يثبت والذي قصه الله عنه ليس فيه
ما ياباه مقام النبوة واما قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وما نقله اهل القصص
فيها مما يقتضي صدور ذنب منه كما تمسك به من جوز مثله على انبياء الله مما لا اصل له
في نص من القران ولا من الاحاديث الصحيحة واخوته ابناء يعقوب اثنا عشر من
زوجتين له راجيل ام يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين تزوجها بعد اختها
لا واسما اخوته مذكورة في التفاسير والتواريخ مع اختلاف في ضبط اسمائهم
واكبرهم اسمه روبيل فليس على يوسف فيها اي في تلك القصة تعقب اي اعتراض
مما يدل على طعن فيه او نقص ينسب اليه مما لا يناسب مقامه عليه الصلاة والسلام
وهو الكريم بن الكريم واصل العقب ان يمشي على اثره كانه يطؤ عقبه ثم استعمله
المصنفون بمعنى الاعتراض على يوسف فيقال تعقب كلامه اذا اورد عليه
ايرادا اي فلا اعتراض على يوسف نفسه فيما حكاه عنه كما بينه المفسرون
واما اخوته والاعتراض على ما صدر منهم من القاء يوسف في الجب وكذبهم على
ابيهم عليه الصلاة والسلام وعقوقهم له فلم تثبت نبوتهم حتى ينافي ما فعلوه
لانهم غير معصومين وقال السيوطي في رسالة سماها دفع التعسف عن
اخوة يوسف لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين نبوتهم ونقل عن ابن
زيد انه قال بنبوتهم وانكره اخرون والمفسرون منهم من قال انبياء ومنهم من
رده كالقرطبي والرازي وابن كثير ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزي
ومنهم من لم يتعرض له وفسر الاسباط باولاد يعقوب محسوبة قال بنبوتهم وسيأتي
بيانه فيلزم بالنصب في جواب النفي الكلام فاعله على افعالهم وتوجيهها وقوله
ذكر الاسباط وعددهم في القران عند ذكر الانبياء انهم انبياء وانما اراد زيد يعقوب لا اولاد
صلبه وهم من ولدهم بغير واسطة لحصوله لمن ما يخرج من صلب ظهرهم كما اشار
اليه المص قال المفسرون يريد من نبي بينا المجهول اي صار نبيا من ابناء الاسباط
لا اولاده لصلبه كما تقدم وقال ابن كثير لم يقم دليل على نبوتهم وظاهر القران خلافه
ومنهم من زعم انهم اوحي اليهم بعد ذلك لقوله تعالى والاسباط ولا دليل فيه لان
بطون بني اسرائيل يقال لهم اسباط كالقبائل في العرب والشعوب في العجم فلا يدل على
انه اوحي اليهم باعيانهم بل على ان ذرية يعقوب انبياء ولا وجه لتفسير الاسباط
باولاد يعقوب لصلبه كما قال ابن تيمية واصل السبط الشجرة الملتفة الاغصان
ثم اطلق على اولاد يعقوب لكثرتهم والسبط الحافد ايضا كما قيل للحسن والحسين

سبطا

سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اثنتي عشرة اسباطا انما صريح
في ان الاسباط الجماعات الكثيرة مطلقا فتخصيصه باولاد الصلب خطا ولم
يكن فيهم نبي قبل موسى غير يوسف وفي الحديث اكرم الناس يوسف بن يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي فلو كان اخوته انبياء شاركوه
في ذلك وما في قصتهم من العقوق والكذب صريح في عدم نبوتهم وانما نشا الغلط
من لفظ الاسباط كما قاله ابن تيمية في رسالة له في ذلك وقيل وهو احد الاقوال
الثلاثة كما فصلناه انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما حكاه الله عنهم في سورة يوسف
صغار الاسنان جمع سن وهو زمان العمر اي اطفالا غير مكلفين ولهذا لم يعيروا يوسف
حين اجتمعوا به بمصر بعد بعد العهد به اي لم يعرفوه لانهم فارقوه وهم غير مميزين
وفي عبارته لطيفة هنا ولهذا اي لكونهم حين صدر عنهم ما صدر قالوا لابيهم
ارسل معنا غدا اي نتجارى ونتسابق ونلعب واللعب لا يليق بالرجال وان ثبتت
لهم نبوة فبعد هذا الفعل على احد الاقوال المتقدمة والله اعلم بحقيقة حالهم وهذه الدلالة
بحسب الظاهر المتبادر فان الكبار قد يلعبون ويتسابقون وهو على قراءة
نرتع ونلعب بالنون وعلى القراءة الاخرى يرتع ويلعب بالياء المثناة التحتية هو
بضمير الغيبة ليوسف دونهم فلا دليل فيه وكذا عدم معرفتهم له انما يدل على صغرهم
وبعد عهدهم به لان مدة مفارقتهم اربعون سنة او ثمانون بحسب الظاهر اذ يجوز
ان لا يعرفوه لتغيير زيه وكونه بكهيئة الملوك ذوي الهيبة ولعدم قربهم من
مجلسه ومثله من الامارات الظنية يكتفى فيه بهذا القدر واما ما استدلوا به على
وقوع الذنب والمعصية منهم وهو قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
ضمير همت لامراة العزيز وضمير هم ليوسف عليه السلام والهم يكون بمعنى العزم
المصمم على امر وبمعنى ميل طبيعي غير اختياري وهما بالمعنى الاول وهو ارادتها
الفاحشة وهمه بالمعنى الثاني وهو غير مذموم اذ اكف عنه بل ممدوح يوجر عليه
لو سلم فان قلت بعدم وقوعه لانه في المعنى جواب لولا لا يجوز تقديمه عليها
على ما ياتي او قايم مقامه اي لولا رويته البرهان هم فيدل حينئذ على انه
لم يهم بها وما وقع في القصص من حل السراويل وما بعد ذلك كذب لا اصل له
وبرهان ربه قيل انه راى يعقوب عليه الصلاة والسلام عاضا على اصبعه
وهو يقول اتفعل فعل السفهاء وانت مكتوب من الانبياء بان تصورت له
صورته او راه حقيقة وفرج له السقف وقيل ضرب صدره بيده فخرجت
منه شهوته وقيل نودي بصوت من وراء الحجاب فقام هاربا ومضت خلفه
وقيل انما تمثل له جبريل فصده فعلى طريق جماعة من الفقهاء والمحققين ان هم
النفس لا يواخذ به مطلقا لانه امر اضطراري وفسره بقوله وليس سيئة اي خطيئة
ومعصية لقوله صلى الله عليه وسلم تتلا عن ربه يعني في الحديث القدسي الذي
رواه مسلم في صحيحه وهو حديث طويل اذا هم عبدي بسيئة اي عزم عليها

وقصدها فلم يعملها بان تركها خوفا من ربه كتبت له حسنة لمجاهدته نفسه بصرفها
عما تريده فلا معصية في هذا اي في هم يوسف اذن اي على هذا القول والتقدير
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين كابي بكر الباقلاني الذين راوا تعارض النصوص
قد تعذروا النظر في التوفيق بينهما فانهم فصلوا في ذلك تفصيلا فان الهم الذي يخطر
بالباله اذا وطنت عليه النفس عازمة على الفعل اي صممت وجزمت عليه واصل
معناه اتخذوه وطنا ثم نقل لما ذكر بعد ما كان مجازا لعلاقة ظاهرة يقال وطنت
نفسي واوطنتها اذا حملتها على امر فاستمرت سيئة تكتب عليه فهو مرفوع خبر
ان ونصبه خبر كان مقدرة بعيد واما ما لم توطن بالبناء للمفعول عليه النفس من همومها
جمع هم بمعنى نية وعزم وخواطرها عطف تفسير فهو المعفو عنه لما قبله وهذا هو
الذي يكون ان شاء الله هم يوسف من هذا القبيل المعفو عنه فلا يتم الاستدلال بهذه
القصة على تجويز الصغائر والحاصل انه ذهب كثير من العلماء الى انهم المرء
وخاطر نفسه لا يواخذ به فلا معصية في ذلك على هذا او ذهب بعض الفقهاء
والمحدثين الى ان الهم اذا لم توطن عليه النفس معفو عنه واذا وطنت عليه
وصممت كتبت سيئة والنصوص فيه متخالفة فما تقدم من حديث مسلم واحاديث
اخر في معناه يدل على انه لا يواخذ به وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله وقوله يواخذكم بما كسبت قلوبكم ونحوه يدل على خلافه والتوفيق
بينهما كما قاله الغزالي من ان اول ما يرد على القلب كرؤية امراة على الطريق
مال لها ويسمى حديث النفس وخاطرا والثاني ما يتولد منه من الرغبة
واعادة النظر وهو الميل الطبيعي والثالث حكم القلب بانه ينبغي ان
يفعل وينبغي اعادة النظر والرابع الصميم على ذلك وترك الصوارف عنه
كالحيا والاول لا يواخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا هيجان النفس
والميل والشهوة لانها ليست اختيارية وهي المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم
عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وهو الخواطر التي لا يتبعها هم وعزم واما
الاعتقاد وحكم النفس بانه ينبغي ان يفعل فيكون اضطراريا ولا يواخذ
به واختياريا فيواخذ به والرابع يواخذ به فان لم يفعل نظر فيه فان تركه
خوفا من الله وندما على همه كتب له حسنة لمجاهدته لنفسه وان تركه
لعائق وعذر غير خوف الله كتب عليه وفي الحديث ما يدل على هذا التفصيل
وهو كلام حسن وهم يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزما ونفسها منعه
منه خوف ربه فهو حسنة لا معصية ثم اشار الى الجواب عن سؤال مقدر
بقوله ويكون على تقدير انه معفو عنه قوله وما ابرئ نفسي الاية معناه وتفسيره
الذي بينه بقوله اي ما ابرئها من هذا الهم يعني ما انزهها عنه لانه امر
جبلي لا محذور فيه او يكون ذلك اي قوله ما ابرئ نفسي صدر منه على
طريق التواضع باظهار انه غير منزه عما يشين لان الكمال لله لا انه صدر منه

مثله

مثله حتى يتمسك به والاعتراف بمخالفة النفس اي ما ابرئها من الهم
بالمعاصي وقد فعلت ولكني خالفتها وصرفتها عن همها وهو امر حسن منه
لما بكسر اللام وتخفيف الميم زكي قيل وبري منه في الايات السابقة وهذا بناء
على ان قوله وما ابرئ نفسي من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام وقد قيل
انه من كلام امراة العزيز متصل بقولها ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
والوجهان مذكوران في التفاسير وعلى هذا لا يرد السؤال اصلا فكيف
تاييد لما هو بصدده من انه لا اعتراف بصدور ذنب منه في كلامه وقد
حكى ابو حاتم قيل ولعله ابن ابي حاتم في تفسيره عن ابي عبيدة معمر بن المثنى
وقد تقدمت ترجمته وابو حاتم الرازي هو الامام الحافظ الجليل محمد ابن
ادريس بن المنذر الحنظلي احد الاعلام في التفسير والحديث ولد سنة خمس
وتسعين ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين ان يوسف
عليه الصلاة والسلام لم يهم اي لم يقع منه هم بعد معصية وان الكلام اي
النظم القراني الذي نحن فيه فيه تقديم وتاخير اي وبيانه لقد همت امراة
العزيز به اي بيوسف وتكليفه بما ارادته ولولا ان راى برهان ربه لهم بها
قال الشريف المرتضى في كتابه الدرر والغرر انه على هذا يجري مجرى
قولهم كدت فقد كنت هلكت لولا اني تداركتك اي لولا تداركي هلكت
وان لم يقع هلاك واستشهد له بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع واستبعد قوم تقديم جواب
لولا عليها وهو اولى من حذفه وذكر شواهد استشهد بها على جواز تقديمه
ردبها على من قال انه لا يجوز انتهى فما قيل ان جواب لولا محذوف
لعدم جواز تقديمه غير مرضي وهذا مذهب الزمخشري والزجاج
لكن المرتضى علم من الائمة في العربية وغيرها فلذا اختير قوله ويقدر بلفظ
ما قبله او لواقع المعصية وامراة العزيز اسمها راعيل وقيل زليخا كاربخا
بفتح اوله وضمه خطا وقد قال تعالى حكاية عن المراة المذكورة انفا ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم واسم زوجها العزيز قطفير والمراودة الطلب من راد يرود
اذا جاء وذهب اي طلبت منه ان يضاجعها ومعنى استعصم امتنع
لعصمة الله له وفيه دليل على انه لم يقع منه هم بالمعنى الذي قالوه وما يؤيده
انه تعالى في حقه كذلك اي عصمناه لنصرف عنه السوء والفحشاء اي
ليلا تميل نفسه لما اريد منه من معصية الله والجار والمجرور في محل نصب او
رفع اي ثبتناه تثبيتا كذلك او امره كذلك والسوء الزنا او الذكر القبيح
او عقوبة الملك والفحشاء مواقعة المراة ونحوها مما يقبح وقال تعالى في
هذه القصة وغلقت الابواب معطوف على قوله راودته وغلق الباب قفله
والتفعيل للتكثير وقفلها لتخلو به لما ارادته وقالت هيت لك هيت اسم فعل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مبني على الفتح واللام للتبيين كما في سقيا لك وقال الراغب هيت قريب من
هلم وقرئ هيئت لك اي تهيأت لك وبنال هيت به اذا قلت له هيت لك انتهى
قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية اي قال حين راودته معاذ الله اي اعوذ
بالله منك ومما اردت التجا الى الله في دفع ما هممت به وهو منصوب على
المصدرية والمثوى بمعنى المقام من ثوى بالمكان اذا اقام به وقيل في معنى
ربي هنا انه الله تعالى وقيل الملك بكسر اللام وهو زوج زليخا وضميره انه للشان
خبر ربي احسن مثواي فالرب يطلق على الله وعلى غيره ومعناه المالك والسيد
والمربي والمنعم وفي اطلاقه على غير الله تفصيل في التفاسير مشهور وتقدم
سرا واو النهي على اطلاقه على غير الله تنزيهي ومعنى احسن مثواي انه احسن
القيام بي وتعهدني باكرامه لي وانعامه وقيل معنى هم بها انه هم بزجرها
ليمنعها عن مراودته ووعظها بتخويفها من الله ولحوق العار بها وقد
قال المفسرون كابن عطية انه وجه ضعيف لمخالفته للظاهر وقيل معنى
هم بها همها امتناعه اي عن معاملتها بما ارادته فهو من الهم بمعنى الغم والبا
للتعدية بمعنى اهمها اذا اوقعها في هم وحزن وهو بعيد وان كان فيه
مشاكلة وتحسين للتعقيد المعنوي فيه وقيل انه بعيد من اللغة لانه
بهذا المعنى متعد بنفسه يقال همه الامر اذا احزنه وقيل معنى هم ناظر
اليها وهو في غاية البعد وقيل معناه هم بضربها ودفعها حين امسكته
وهذا كله بتقدير مضاف والحاصل على هذه التاويلات
صرفه عما لا يليق بمقام النبوة وقيل هذا كله كان قبل نبوته بناء على
عدم العصمة قبلها وقد تقدم بيانه وقد ذكر بعضهم انه ما زال النساء يلمن
الى يوسف عليه الصلاة والسلام ميل شهوة لما جبلت عليه طباعهن حتى نباه الله تعالى
اي جعله نبيا فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من يراه عن
الاشتغال بالنظر الى حسنه وجماله ومهابة الانبيا امر معلوم كما نشاهده
في بعض العباد فضلا عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام واما خبر موسى صلى
الله عليه وسلم الذي استدل به على جواز صدور الذنب من الانبيا وما جرى له
مع قتيله الذي وكزه وهو رجل كافر كان طباخ فرعون لعنه الله وكان
يسخر الناس لحمل الحطب لمطبخ فرعون فسخر رجلا من بني اسرايل فاستغاث
منه بموسى عليه الصلاة والسلام لما كبر وكان موسى قويا في جسمه فنهاه
عن تسخيره فلم ينته فضربه بيده لدفع ظلمه فمات والوكز بمعنى وهو
الدفع ومنه من فرق بينهما بان الاول في الصدر والثاني في الظهر وقيل
باطراف الاصابع وقيل غير ذلك وهو امر سهل فقد نص الله تعالى في
القران على انه من عدوه اي كان كافرا من كفرة القبط وموسى موحد
قبل من بني اسرايل اي من قوم بينهم وبين بني اسرايل عداوة ومحاربة

فلا

فلا يمتنع عليه قتله لدفع ضرره مع انه لم يقصد بضربه قتله وانما قصد
دفعه ودفع ظلمه ومثله لا يحرم واشار الى ذلك بقوله قيل كان من القبط على
دين فرعون اي كان كافرا على ملة آمره بها من عبادته او غير ذلك والقبط
نبط مصر وقوم فرعون وهم جيل من الناس معروفون ودليل السورة اي السورة
تدل بمنطوقها في هذا كله اي فيما قصه الله من هذه القصة انه قبل نبوة موسى
فانه لما قتله فر خايفا فكان ما كان له مع شعيب عليه الصلاة والسلام
اي جرى له معه ما جرى وتزوج ابنته ثم تنبا لما فارقه لما قصه الله
وقبل النبوة لم يكن معصوما من الخطا فيصدر عنه مثل هذا وان لم يكن
معصية لانه لم يضربه بالة جارحة فهو خطا شبه عمد ولم يكن ثمت
شرع ولذا قال وقال قتادة وكزه بالعصا وليست جارحة بل مثقل ولم يتعمد
بضربه ويقصد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك اي فيما فعله موسى في هذه
القصة حتى يستدل بها على ما ادعوه وقوله اي قول موسى المحكي عنه
مما يقتضي ان ما صدر عنه معصية هذا من عمل الشيطان اي هذا
الذنب مما القاه الشيطان وقوله ظلمت نفسي بعمل ما قالوا انه معصية
ولذا قال فاغفر لي ما صدر مني فلولا انه ذنب لم يطلب مغفرة الله له
قال ابن جريج بصيغة التصغير وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
ابو الوليد ابو خالد القرشي مولاهم احد الاعلام الفقها قال موسى صلى الله
عليه وسلم ذلك المذكور من نسبة عمله للشيطان وطلب مغفرته من اجل انه لا ينبغي
اي لا يصح ويليق لنبي ان يقتل احدا حتى يومر بالبنا للمفعول اي يامره الله
او من له الامر ولذا كان صلى الله عليه وسلم في اول امره لم يوذن له في القتال
ثم اذن له في ذلك بعد ما هاجر المسلمون الهجرتين فموسى صلى الله عليه وسلم اذا
لم يوذن له في ذلك فهو غير جايز وقال النقاش في تفسيره لم يقتله موسى عن عمد
حال كونه مريد القتل والمقصود بالنفي الحال وانما وكزه وكزة مفعول مطلق موكد
يريد بها دفع ظلمه للناس وعدم تعديهم وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة اذ لم
يكن مامورا بشرع وهو مقتضى التلاوة اي ما يدل عليه نص القران المتلو وقوله
تعالى في قصته اي قصة موسى التي قصها الله في القران وفتناك فتونا قال الراغب
اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداته ويستعمل في
ادخال الانسان النار قال تعالى ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وتارة يستعمل
فيما يحصل منه العذاب كقوله الا في الفتنة سقطوا وتارة في الاختبار نحو فتناك
فتونا وجعلت الفتنة كالبلا في انهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من
شدة ورخا وهو في الشدة اظهر واكثر استعمالا انتهى واليه اشار بقوله اي
ابتلاك ابتلا بعد ابتلا اشارة الى ان الفتنة هنا بمعنى الابتلا اي الاختبار وانه
يكون بالخير وبالشر والشدة وان الفتون جمع فتن او فتنة على تقدير عدم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التاء والاعتداد بها فيدل على التكرار فلذا قال ابتلا بعد ابتلا ويجوز ان يكون
مصدرا كالقعود فالتكرار غير مراد ويوخذ ذلك من السياق قيل ذلك
الابتلا في هذه القصة يعني قتله القبطي وما جرى اي وقع واتفق له اي لموسى
مع فرعون وذلك ان فرعون راى رويا هالته فعبرها المعبرون والكهان بمولود
من بني اسرايل يكون على يديه زوال ملكه ودينه فامر القوابل بان كل ذكر
ولد منهم ياتين به ويذبحونه ففعلوا ذلك حتى وقع في بني اسرايل
موتان عظيم فقال له القبط نخشى فنا بني اسرايل فلا يبقى لنا خدم فنحتاج
الى استخدام امنا فامر ان يقتل الذكور منهم سنة ويتركون سنة فولد هرون
في سنة العفو ثم ولد موسى في سنة الذبح فخافت عليه امه فاوحي اليها
وحي الهام وقيل وحيا جاها فيه جبريل وان لم تكن نبية لان الملك كان
يراه غير الانبيا كمريم ثم ارتفع ذلك بعد مجي النبي صلى الله عليه وسلم فالفتنة
امه في صندوق والفتنة في النيل فدخل بيت فرعون واستوهبته امراته
اسية وكان له معه ما اشتهر من ذلك وهو المراد بالفتون اي ما وقع له
فيه من الشدايد حتى نباه الله واتخذه كليما وصفيا وسمته اسية حتى
اتخذته ولدا موسى ومعناه ماء وشجر بالقبطية لانه وجد في صندوق
ملقى في الماء وقيل معنى الفتون على هذا القاوه في التابوت اي الصندوق
الذي اتخذته له امه من خشب والذي اتخذه لها حزقيل وهو مومن ال فرعون
واليم وهو البحر والمراد به النيل وغير ذلك مما جرى له معه كما تقدم وقيل معناه
اي معنى الفتون في هذه الاية اخلصناه اخلاصا اي ابتليناه بامور شاهدت
قدرة الله ولطفه حتى صار صفوة له خالصا من كل امر لا يليق برسله عليهم
الصلاة والسلام فقربه واصطفاه لان الفتنة اصل معناها ان يذاب
الذهب حتى يصفا فتجوز به عما ذكر كما قال ابن جبير ومجاهد في تفسير هذه
الاية وعلى هذا فهو مستعار من قولهم فتنت الفضة في النار اذا
اذبتها وخلصتها من الغش فاستعير لخلاصه من الكدورات البشرية
والاخلاق الردية حتى اجتباه واصل الفتنة اي حقيقتها التي وضعت
لها الاختبار اي امتحان الاشيا وتجربتها ما يعلم به حالها واظهار ما بطن اي
خفي عن العيان في المحسوسات كالذهب والفضة الا انه استعمل في عرف
الشرع وهو ما عرف في تخاطب اهله ومعاملتهم في اختبار يودي اي يوصل
ويثمر ويفضي الى ما يكره المخبر بزنة المفعول وان كان عاما في اصله خص
بما ذكر كما فصله الراغب وقد سمعته انفا وعلم مما ذكر ان الفتنة هنا
ليس فيها ما يقتضي ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم المعاصي
لما عرفته من التاويل المذكور وكذلك مثل ما ذكر في تمسك بعضهم بالا يسلم
تمسكهم به ما روي في الخبر الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي

الله

الله عنه كما قاله السيوطي رحمه الله من ان ملك الموت الموكل بقبض الارواح
واسمه عزرايل كما ورد في بعض الاحاديث جاه اي موسى عليه الصلاة والسلام
كما ياتي غيرة اذا امر به فلطم عينه اي ضرب وجهه بيده فوقعت ضربته
على عينه ففقاها اي اخرج حدقته التي بها يبصر بلطمته وهو مهموز
وقول العامة مفقوع العين خطا في العين الحديث بالنصب اي اقرا
الحديث الخ لانه اقتصر على محل الشاهد منه الدال على انه موسى لم يطع
الملك الذي ارسله الله اليه ومثله بحسب الظاهر معصية واجاب
عنه المص بقوله ليس فيه اي في الحديث المذكور كما قالوه ما يحكم على موسى
عليه الصلاة والسلام بالتعدي على الملك وتخالفته فيما امره الله به وفعل
ما لا يجوز له بالرفع والجر عطفا على ما او على التعدي وكان الظاهر ما لا يجوز له
وعبر به لنكتة كما مر مثله ثم بين علة ما ذكره بقوله اذ هو ظاهر الامر اي
لا خفا فيه بين الوجه اي توجيهه واضح جايز الفعل اي فعله جايز من مثله لان
موسى عليه الصلاة والسلام دافع اسم فاعل مرفوع او فعل ماض من المدافعة
عن نفسه من اتاه لا تلافها فهو من قبيل دفع الصايل المتعدي عليه ومثله
جايز شرعا وقد تصور الملك وظهر له في صورة ادمي لان الملايكة اجسام لطيفة
مجردة تتصور في اي صورة اراذت لا قدر الله لها على ذلك كما قال تعالى
فتمثل لها بشرا سويا وكان جبريل ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وفي تصور الملايكة والجن في صور
مختلفة كلام لاهل الاصول والحكما وتعرض له الاصوليون المحدثون
فان صورتهم الاصلية عظيمة جدا فاذا برزوا بصورة اقل منها فهل
صورهم تضاءلت وتصاغرت كالغطن المنفوش اذ انضام وتضاغط من
غير ذهاب شي منه وهو الظاهر وللامام الشهرستاني فيه تحقيق في
بعض كتبه اذا افضت اليه النوبة اتينا به مفصلا ولا يمكن انه اي موسى
عليه الصلاة والسلام ملجيء فاي في وقت ضربه انه ملك الموت لظنه انه
ادمي نظر الظاهر حاله وعبر بعدم الامكان مبالغة في نفي العلم بملكيته
ومراده انه لم يعلم بذلك فلا يرد عليه ما قيل انه مر ابن له عدم
الامكان غايته انه ظاهر فيه مع احتمال غيره كما كانوا يتصورون
للانبيا عليهم الصلاة والسلام فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى اذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له اي الموسى عليه الصلاة والسلام فيها الملك امتحانا
من الله له مفعول لاجله تعليل لتصوره بغير صورته اي اختبار الموسى
حتى يصدر عنه ما يقتضي امورا فيها حكم خفية فلما جاه بعد اي بعد
ما جاه اولا ولطمه واعلم الله اي اعلم الله موسى عليه الصلاة والسلام
حين جاه ثانيا انه اي ملك رسوله اي رسول الله من ملايكته ارسله

الموت

التعدي مجاوزة الحد

قيل تفاعيه يتفاها تفاعلا نحو منقوع والقيل مفقوع الله خطا
ت

ابن اقبرس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله اليه لامر امره به استسلم جواب لما اي انقاد له وسلم له فيما اراده
بعد ما كان دفعه عنه اشداد فمع وهو استفعال من السلم والقاء
قياده لغيره كالاسلام قال تعالى يحكم بها النبيون الذين اسلموا اي
انقاد والحق وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا
الجواب الذي قرره من انه عليه الصلاة والسلام لم يعلم انه ملك الموت
امتحانا من الله له اسدها عندي افعل تفضيل من السداد وهو القوة
فيما اريد به كما قال الشاعر

اعلمه الرماية كل يوم • فلما استد ساعده رماني

على رواية استد بسين مهملة اي قوي وروايته اشتد بالمعجمة
غير مقبولة عندهم كما بيناه في شرح الدرة وهو تاويل شيخنا الامام
ابي عبد الله المازري وهو الامام الرحلة الفقيه المحدث البارع في سائر العلوم
وهو مالكي المذهب واسمه ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي شارح
المحصول وله شرح مسلم الذي بنى عليه المص شرحه المسمى بالاكمال
وله تاليف كثيرة مفيدة اجليلة وهو منسوب الى مازر بفتح الزاي المعجمة
وكسرها وهي بلدة بجزيرة صقلية توفي في ثامن ربيع الاول سنة
ست وثلاثين وخمسمائة وعمره ثلاث وثمانون سنة رحمه الله
وقد تاول اي حمله قديما اي قبل شيخه المذكور ابن عايشة وغيره فهو مما
ارتضاه علما السلف على صكه ولطمه بالحجة وفقع عين حجته اصل الصك
واللطم الضرب بالراحة او بشيء عريض وجا بمعنى مطلق الضرب لكنه كما
قال النووي في غاية البعد وان ساعده اللغة وابن عايشة هو عبيد
الله محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبد الله بن معمر القرشي التيمي
البصري المعروف بالعيشي نسبة لعيشة وهي لغة في عايشة او من تغليب
النسب لانه من ولد عايشة بنت طلحة بن عبيد الله وهو احد العلماء
الاشراف المحدثين المحققين وهو ثقة روى عنه البغوي وخلق كثير
توفي سنة مايتين وثمان وعشرين فهو متقدم على المازري بزمان كثير
فلذا قال المص قديما وهو كلام مستعمل في هذا الباب المراد به الزام الخصم الحجة
بعد ابطال حجته الخصم وما ارتضاه من الحجة في اللغة اي لغة العرب معروف
في كلامهم مشهور يقولون لطمه وصكه اذا اغلبه في المحاجة وفقا عينه
وعورها اذا افحمه بحجته والزمه الزاما لا يمكنه الجواب عنه بوجه
من الوجوه لكن صريح الحديث يابا ه فان فيه ما يقتضي انه على ظاهره
فان البخاري روى عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ارسل الله
ملك الموت الى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاءه صكه ففقا عينه فرجع
الى ربه وقال يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه

وقال

وقال له ارجع وقل له يضع يده على متن ثور وله بكل ما غطت يده من الشعر
بكل شعرة سنة فقال له ذلك فقال موسى ثم ماذا قال الموت فقال الان وسال
ربه ان يدنيه من الارض المقدسة مقدار رمية حجر فقال صلى الله عليه وسلم
لو كنت ثمت لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر ونحوه في
مسلم وهو بنا في هذا التاويل وكون العين متخيلة لا فقا بها يقتضي ان
ما يراه الانبيا عليهم الصلاة والسلام من صور الملايكة لا حقيقة له وهو
مذهب السالمية كما قاله القرطبي مع انه لا يجدي نفعا وارتضى القرطبي
الجواب بان الله تعالى كان اخبره بانه لا يموت حتى يخيره الله ويخيره بين
الموت والحياة فلما اتاه الملك بغتة ودخل عليه من غير استيذان شق
عليه ذلك وكان صلى الله عليه وسلم سريع الغضب ولذا لما رجع اليه
وخيره بين الحياة والموت انقاد له واستسلم قال وهو اصح الوجوه واما
قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وما حكي فيها اهل التفسير اي مما تمسك به القايلون
بتجويز صدور الذنب من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله عز وجل ولقد
فتنا سليمان فليس من الفتنة المنهي عنها انما هي بمعناها اللغوي كما تقدم ومعناه
ابتليناه اي عاملناه معاملة من يختبر حتى يظهر ما خفي امره على الناس وابتلاوه
المراد منه ما حكي عن النبي يعني به سليمان عليه الصلاة والسلام انه اي
سليمان قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين امراة كن
في نكاحه وكان ذلك جايزا في شريعته وقال التلمساني بقال اطوفن
والطيفن ثلاثيا ورباعيا من الطواف حول شيء انتهى وهو كناية عن
مجامعتهن بدليل قوله كلهن ياتين اي تاتي كل واحدة منهن بحمل تحمله
ثم تضعه بفارس اي راكب فرس يجاهد في سبيل الله اي في طريقه التي
يسلكها لقتال اعدا دينه وهو حديث صحيح روي في الصحيحين وغيرهما
من كتب الحديث وقوله الليلة منصوب على الظرفية ووقع اختلاف في عدة
النسا ففي البخاري مثل ما ذكره المص من انهن مائة او تسع وتسعون
على الشك وفي رواية غيره سبعين بالموحدة وفي رواية تسعين فقط
بالمثناة الفوقية وفي رواية للبخاري ستون وفي رواية لوهب ابن
منبه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام الف امراة ثلاث مائة مهورة
وغيرهن سراري وجمع بين الروايات بانه عد في بعضها المهورات
والغي السريات وفي بعضها عد الكل وعلى القول بانه لا مفهوم للعدد لا ينافي
الاقل الاكثر وان ضعف هذا القول فقال له صاحبه اي ملك كان
معه او قرينه او رجل كان يصحبه وقيل هو خاطره وهو بعيد وقيل
هو اصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة
ومثناة تحتية تليها الف قل ان شاء الله فلا تجزم بما قلته وفوضه الى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مشيئة الله تبركا وتيمنا حتى يتم فلم يقل ذلك لما وقع في رواية انه نسي
او لم يقله بلسانه اكتفاء بما في قلبه او جزم به لانه من قوة رجايه واعتماده
على كرم ربه فنبه على انه ينبغي تفويض التمني كغيره الى الله فليس في تركه
الشيئة ذنب يعد عليه كما توهم لاسيما وهو ليس بخبر فلم تحمل منهن اي ممن طاف
بهن الا امراة واحدة دون باقيهن والتي حملت منهن جاءت بشق رجل اي
بولد غير كامل كاسياتي والشق بمعنى النصف او البعض قال النبي صلى الله
عليه وسلم عند ما ذكر هذا والذي نفسي اي روحي وحياتي بيده اي بقبضة
قدرته وتصرفه ان شا احياها واوجدها وان شا اماتها واحياها وهو
قسم كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقسم به لو قال سليمان عليه الصلاة
والسلام ان شا الله لجاوا فرسانا جاهدوا في سبيل الله كما طلب وفي رواية
فرسان اجمعون وقوله ان شا الله لاستلزم الوقوع فقد لا يقع ما قرن
به كقول موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام ستجدني ان شا الله صابرا
وهو مستحب ويتحلل به مع اليمين وفي الحديث ما يدل على قوة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وقدرتهم على الجماع لكمال بنيتهم ورجولتهم
كما كان لنبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوف على جميع نسايه في الليلة
الواحدة كما تقدم قال اصحاب المعاني المراد بهم الذين يفسرون الاحاديث
ويقفون على معانيها الشق هو الجسد الذي القي على كرسيه الذي كان
يجلس عليه لاجرا احكام الملك فيه حين عرض عليه اي حين اذ عرضته
قابلته عليه ثم القته على كرسيه وهي اي هذه القصة المذكورة عقوبة
ومحنة بنون بعد الحا المهملة المعبر عنها بالفتنة وقيل بل مات ولده فالقي
على كرسيه ميتا وهو الشق المذكور وقيل ولد له ولد تام فاجتمعت الشياطين
عليه وقالوا ان عاش له ولد لم ننفك من البلا والشجرة فقالوا اقتلوا ولده
او نحبله فعلم بذلك سليمان فامر الريح ان تحمله على السحاب خوفا من
الشياطين فما قدر الله بان القاه على كرسيه ميتا لخوفه من غير الله
وهو معنى قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا وقيل ذنبه حرصه على ذكر وشبه
اي على ان يرزقه الله مائة ولد يجاهدون في سبيل الله وليس مثله
ذنبا حقيقيا كما توهموه وقيل عد تمنيه ذنبا لانه لم يستثن اي لم يقل
ان شا الله في كلامه ومثله يسمى استثنا في اللغة لان حقيقته كما قال
الراغب ابراز لفظ يقتضي رفع ما يوجبه عموم لفظ متقدم او رفع حكمه
لانه من الثني وهو الرجوع ومما يقتضي رفع ما يوجبه اللفظ هذا
قولك لا افعلن كذا ان شا الله انتهى فليس مجازا ولا يختص بما قال
النحاة فانه اصطلاح حادث خلافا لما يوهمه كلام شراح الكتاب لما
استغرقه الحرص هو استفعال من الغرق وهو الرسوب في الما وشاع في

الشمول

الشمول وعموم الاوقات وغلب عليه من التمني للاولاد المجاهدين وهو اشارة
الى الاعتذار عن فعله وبيان لانه ليس ذنبا حقيقيا كما قيل وانما هو ترك
للاولى وقيل عقوبته ان سلب ملكه لانه صلى الله عليه وسلم غزا جزيرة
واخذ بنتا لملكها كانت في غاية الجمال فاحبها وراها حزينة فسالها
عن سبب حزنها فاخبرته بانه لمفارقة ابيها فسالته ان يصوره لها
الشياطين فصوروا لها صورته فالبستها لباسه وعممتها فكانت
تذهب له تعبده مع جواريها فاخبره اصف بذلك فكسر صورته وندم
على ما جوزه لها فغرش رمادا يسجد عليه ويتضرع الى الله وكان له امراة
من نسايه يضع خاتم ملكه عندها اذا دخل الخلا او اراد الغسل من جنابة
حتى يلبسه على طهارة كاملة وكان ملكه في خاتمه فتمثل لها شيطان
يسمى صخرا بصورته واخذ الخاتم منها وجلس بهيئته على الكرسي اربعين
يوما عدد ما عبد الصنم في بيته وتغيرت هيأته حتى انكره الناس ثم وقع
الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فاصطادها سليمان عليه الصلاة والسلام
فوجد الخاتم فيها فتختم به وعاد له ملكه وحبس صخرا والقاه في البحر فهو
محبوس فيه الى الان في صندوق من حديد وذنبه انه احب ان يكون الحق لاختانه
على خصمه جمع ختن بزنة جبل وهو الصهر او كل من يكون من قبل المراة كالاب
والاخ وذلك كما قيل انه كانت له امراة يقال لها جرادة وكان مغرما بحبها فقالت له
ان فلانا من اهلي له حق عند اخر وانا احب ان تحكم له اذا جاءك فاجابها صلى الله
عليه وسلم لذلك ولكنه لم يفعل فعاقبه الله على مجرد الميل فكان ما كان من وضع
خاتمه عندها واخذ الشيطان له كما سمعته انفا وقيل او خذ بذنب قارفه بعض
نسايه هو ما تقدم من تصويرها لصورة ابيها واتخاذها له صنما تعبده في
داره وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم حتى اخبره به اصف كما تقدم فليس ذنبا له
في الحقيقة واصل معنى الاخذ حوز الشي كما تقدم فيتجوز به عن المجازاة وهو المراد
هنا قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم فيقال اخذه واخذه وواخذه
لغة غير فصيحة ولدا وجد في النسخ اخذ واوخذ ووخذ وقارفه بمعنى اكتسبه
وفعله واصل القرف والاقتراف قشر اللحا عن الشجرة والجلدة عن الجرح فاستعير
لما ذكر ولا يصح بحسب الرواية ما قال الاخباريون اي اصحاب القصص والتواريخ
وتقدم ان النسبة للجمع على خلاف القياس او هو كالانصاري كما تقدم لاختصاصه
ببعض انواعه من تشبه الشيطان به اي تمثله بصورته حين اخذ خاتم
ملكه من امراته وجلس على كرسي ملكه يحكم وانكروا سليمان لتغير هيئته كما مر
وفي بعض النسخ من خرافاتهم على فعله من تشبه الخ وهو بضم الخا المعجمة وفتح الرا
المخففة وفي كشف الكشاف عن الزمخشري انه سمع فيه خرافات بالتشديد جمع
خراريف ولم يسمعه من غيره فالعهدة عليه وتسلطه على ملكه وسلطنته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالتصرف في امته بالجور في حكمه وظلمهم قال السيوطي ما قال المص انه من خرافات
الاخبار بين اخرجه ابن ابي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا لكنه ماخوذ
من الاسرائيليات كما بينه في التفسير انتهى وفيه نظر لان اول كلامه مبنا في اخره
وخرافات جمع خرافة وهي الكذب كما في القاموس واصله اسم رجل من عذرة
خطفته الجن فلما تخلص منهم كان يحدث عنهم بعجايب راها منهم ثم قيل لكل
مستملح وامر غريب خرافة وضربه ابن الزبعرى مثلا للعبث فقال

• حياة ثم موت ثم نشر • حديث خرافة يا ام عمرو •

وقوله لان الشياطين لا يسلطون على هذا اي لا يقدرهم عليه لعصمته تعالى الانبياء
منهم كما قال فقد عصم الانبيا صونا لهم عن مثله ولانه مناف لامر الرسالة وان سيل
اي سال احد من الناس لاشكاله عليه فقال لم لم يقل سليمان عليه الصلاة
والسلام في القصة المذكورة حين تمنى الاولاد المجاهدين ان شا الله فعنه للعلل
اجوبة جمع جواب كغراب واغربة وفي المصباح يقال في جمع الجواب اجوبة
وجوابات الا ان ابن الجوزي نقل في غلط العوام عن العسكري ان العامة تقول
في جمع الجواب جوابات واجوبة وهو خطا مثل الذهاب مصدر وقال سيبويه
قولهم جوابات واجوبة مولد انتهى فليحرر فان صاحب المصباح ثقة فلعله سمع
نادرا ولم يقف عليه سيبويه وفي نسخة جوابان احدهما الخ وهو الصواب لانه
لم يذكر غير جوابين كما اشار لذلك بقوله اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه
نبي ان يقولها وذلك لحكمة اراده الله وانه نبي لينفذ امر الله تعالى وفي نسخة مراد
الله في ارادته لعدم وقوع ما تمناه امتحانا له لينبهه على الاولى به صلى الله
عليه وسلم والجواب الثاني انه لم يسمه صاحبه الذي قال له قل ان شا الله تعالى
وشغل عنه بامر شغله او لشدة توجهه الى الله وقوة رجايه فيه الا انه قيل
عليه ان ترك المشيئة ليست معصية حتى يحتاج لمثل هذا فكان المص ذهب الى
ان النهي في ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله نهي تحريم انتهى
ولم تر من ذهب لهذا حتى يتبعه المص ولا حاجة له فانه خلاف الظاهر لاسيما
للانبيا الذين تقتضي مقاماتهم تفويض جميع امورهم لله تعالى ولذا تاخر
الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يقله وقوله اي سليمان عليه الصلاة
والسلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قيل انه جواب سوال تقدير انك قلت
ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون من ساير الذنوب ومنهم
سليمان عليه الصلاة والسلام فكيف هذا مع ما سال من الله ان يوتيه
ملكا لا يكون لغيره وهذا يقتضي حبه للدنيا وتفرده بملك عظيم لا يتيسر لغيره
وفيه حرص وحسد لا يليق بزهد الانبيا في الدنيا وعدم رغبتهم فيها فاجاب
عنه بانه لم يفعل سليمان هذا اي طلبه لما ذكر غيرة بفتح الغين المعجمة
وتكسر في لغة والغيرة محبة امرا ابي لغيره على الدنيا اي على امور الدنيا كالمال

والملك

والملك ولا تنافسه بها اي عدها نفيسة عظيمة قضن بها عن الغير هذا
مراده وقال الراغب المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق
بهم من غير ادخال الضرر على غيره قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون انتهى
وهو هنا من نفس بكذا اذا رغب فيه وبخل به على غيره لا ما ذكره الراغب ولكن
مقصده في ذلك اي في سوال ما ذكر على ما ذكره المفسرون في معنى هذه
الاية ان لا يسلط عليه بالبنا للمجهول وقوله احد نايب الفاعل اي ان لا يسلطه
الله عليه ويسلطه عليه بان يمكنه من غلبته عليه كما سلط عليه الشيطان
وهو مخبر كما بيناه الذي سلبه اياه اي ملكه وعاد عليه لتقدم ذكره مدة
امتحانه اي في مدة ابتلا الله له بتسليط الشيطان لما اخذ خاتمه عليه
الصلاة والسلام من زوجته وظهر بصورته وتصرف في ملكه حتى انكر
الناس سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان وجد خاتمه في بطن سمكة
اصطادها كما مر الا ان الله لم يسلطه على زوجاته صلى الله عليه وسلم كما حكوه
تطهيرا لحرمه على قول من قال ذلك من اهل القصص والسير وقد علمت
انهم اخذوه من الاسرائيليات المنقولة عن اهل الكتاب وفي صحتها كلام
للمحدثين وقيل في توجيه ما طلبه سليمان بل اراد بقوله هب لي ملكا الخ ان
يكون له بن الله يفضل بها اهل زمانه وخاصة يختص بها من دون ساير رسل
الله وانبيايه ويويده ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من انه جاء
شيطان وهو يصلي اراد ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم ان يمسكه
ويربطه بساريه من سواري المسجد حتى يصبح ويراه الناس ثم تركه وقال
ذكرت قول اخي سليمان هب لي ملكا الخ فهذا يقتضي انه خاصية له خصه
الله بها ولذا قال بعض الشراح هنا لا ينبغي للمص ان يمرض هذا او يحكيه
بقيل كاختصاص غيره من انبيا الله ورسله بخواص منه اي من الله
خصه بها دون غيره وهذا لا ينافي الافضلية لانه قد يكون في المفضول
ما ليس في الفاضل وقيل انما طلب هذا ليكون دليلا وحجة على نبوته
لا رغبة في الدنيا ومنافسة فيها كالانة الحديد لابيه اي جعله لينا كالعجين
يصنع منه الزرد يستعين به على الجهاد واحيا الموتى لعيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كما تقدم ونحو هذا من خصايص
انبيا الله ورسله التي اكرمهم الله بها وجعلها معجزة دالة على نبوتهم وقد
تقرر انه لم يكن لنبي من الانبيا معجزة وخاصة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم
مثلها واعظم منها كما فصل في الخصايص وقد افردت بالتدوين واجل ما الف
فيها خصايص الامام الخيضري وفي شرح المواقف طلب سليمان الملك
لا يتيسر لغيره لم يكن حسدا منه وضنة بالملك بل لان كل نبي كان له ما يفتخر
به اهل زمانه وكانوا جبابرة يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاعوان فاراد صلى الله عليه وسلم ان يكون له من ذلك ما لا يقدر عليه غيره
فملكه الله ملكا عظيما ولم يجعله شاغلا له عن زهده وعبادته ليعلم الناس
ان زخارف الدنيا لا تلهي خواص عباده عن خدمته ولذا قدم الاستغفار
على طلبه فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا الخ وليكون ادعى للاجابة واما قصة
نوح عليه الصلاة والسلام وما فيها مما يقتضي انه شك في وعد الله له بقوله
انا منجوك الخ على ما ياتي ومثله بحسب الظاهر معصية ولم يذكر قصص الانبيا
مرتبة بحسب زمان الوقوع لانه راعى فيها ما هو اظهر حجة لمن جوز على انبيا الله
وقوع الذنوب منهم فلا يرد عليه ما قيل انه كان الاحسن ان يذكرها مرتبة فبدا
بقصة ادم ثم نوح وثم الخ القصص وظاهره اي ظاهر كلامه وما حكاه الله عنه
وذكر الضمير لتاويله بما ذكر العذر اي الاعتذار عن سوال ما ليس له به علم
لا الشك في وعد من لا يخلف الميعاد كما ياتي وانه اخذ اي تمسك فيها اي
قصته بالتاويل اي تاويل ما وعده به بان يريد الله باهله ما يشمل ابنه وظاهر
اللفظ بالجر عطفا على التاويل اي اخذ بظاهر تلفظه بقوله انا منجوك واهلك
متعلق باللفظ الا انه قيل عليه انه سهو لان ما ذكر وقع في قصة لوط في سورة
العنكبوت والذي في قصة نوح قولنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الاية وكونه حكاية بالمعنى ياباه انه متمسك بلفظه وان ساواه في
لفظ الاهل ولذا رايته ضرب عليه في بعض النسخ فطلب مقتضى هذا اللفظ
اي لفظ الاهل من غير نظر لحقيقته فقال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
واراد بطلبه ذلك علما طوي اي اخفي عن علمه فهو استعارة من الشي
المطوي عليه لفافة تخفيه قبل ان يظهر ما في داخلها من ذلك الامر اي امر ابنه
ومخالفته في ركوب السفينة لابيا فيه كما توهم لانه اي نوح عليه الصلاة والسلام
شك في وعد الله له بنجاة اهله فبين الله تعالى عليه بين لا يتعدى بعلى فكانه
ضمنه معنى نبه او نبي او هو تحريف من الناسخ انه ليس من اهله الذين
وعده الله بنجاتهم فيه ما تقدم فتذكره لكفره وعمله الذي هو غير صالح
فان مثله قاطع للقرابة القريبة ولذا امنع الارث بالكفر واختلاف
الملل وقيل سلمان منا اهل البيت وقد اعلمه الله انه من مغرقون والظلم اطلق على الكفر
بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون والظلم اطلق على الكفر
في القران كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ونهاه عن مخاطبته فيهم اي شفاعته
لهم وتكليمه في شانهم بالاية المذكورة وهو اشارة الى ان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لا يسالون من الله شيا بغير اذن لهم في الكلام فاوخذ بهذا التاويل
اي جازاهم الله واخذهم بتاويلهم الاهل الموعود بنجاتهم كما قال تعالى ولو
يواخذ الله الناس بظلمهم وعتب عليه اي عاتبه الله على مخاطبته له بقوله تعالى
اني اعظك ان تكون من الجاهلين فنسبه للجهل زجرا له ولله ان يخاطب

خلص

خلص عباده بما اراد لانه حين وعده بنجاة اهله استثنى من سبق
عليه القول من الناجين لاسيما وابنه كان بمعزل منه ففي دلالة الحال
ما يغني عن السوال واشفق هو اي خاف نوح عليه الصلاة والسلام من اقدامه
على ربه بسوال من ربه ما لم يوذن له في السوال فيه حيث لا يتكلم الا من اذن له
ثم بين عذره بقوله وكان نوح عليه الصلاة والسلام فيما حكاه النظام في تفسيره
وهو محمد بن الحسن الموصلي كما تقدم في ترجمته لا يعلم بكفر ابنه ولو علم ذلك لم يرج
من الله نجاته وقطع رحمه منه وقيل في الاية غير هذا التوجيه مما يقتضي
تبرئة مقام النبوة مما لا يليق بها وقيل انه لم يكن ابنه وانما كان ابن
امراته وقد قرئ في الشواذ ونادى نوح ابنها والقول بانه ولد على فراشه
ولم يكن ابنه وكان لغير فراشه مردود بان فراش الانبيا منزه عن مثله
واما قوله فخانتاهما فالمراد به خيانة الاذية والميل لاعدايه والا فلا
يجوز ان تنسب زوجات الانبيا لشي من ذلك بالاتفاق وكان هذا المذكور في
قصة نوح عليه الصلاة والسلام والاية المتلوة فيها لا يقتضي اي لا يحكم ويلزم
الحكم على نوح عليه الصلاة والسلام بمعصية صدرت منه سوى ما ذكرناه هو
استثنا منقطع اذ ليس فيما بعده معصية ومعرة تلحقه وتنبيه مقامه
من تاويله لما وعد به واقدامه بالسوال فيما لم يوذن له في السوال فيه ولا نهي عنه
صريحا لانه لم يتحقق دخوله في الذين ظلموا اذ لو كان كذلك كان معصية
وما روي في الصحيح كما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان نبيا قرصته اي عضته
نملة وفي رواية للبخاري لدغته نملة بدال مهملة وغين معجمة والقرص مخصوص
ببعض صغار الحشرات كالنمل والبرغوث ولذا قالوا قولهم اكلوني البراغيث
مجاز ولذا عبر عنه بصغير القتلا وهذا النبي قال الطيبي والحكيم الترمذي
انه موسى عليه الصلاة والسلام وقال المنذري انه عزير وقال البرهان
ان في ابي داود مرفوعا لا ادري اعزير نبي ام لا وصححه الحاكم في مسنده عن ابي
هريرة ولكن ثبت انه نبي فكان الله اطلعه بعد ذلك على نبوته في قرية النمل
القرية محل يجتمع فيه بيوت الناس ولا يطلق على منزل غيرهم من الدواب
وغيرهم قرية الا مجمع النمل لان اصله محل الاجتماع مطلقا من قرى الماء في
الحوض اذا جمعه فهو حقيقة لغوية او مجاز مشهور وفي كتب اللغة
تفرقة بين المساكن فقالوا يقال لمقر الانسان وطن وبلد ومقر الابل عطن
وللاسد عرين وغابة وللثعلب كناس وللذيب والضبع وجار وللطاير
والزنبور عش ووكر للبربوع والنمل قرية فهو على هذا حقيقة فاوحى
الله اليها قرصت امة من الامم الامة طايفة وجماعة من جنس واحد من المخلوقات
ففيه اشارة الى ان هذا النبي صدرت منه معصية ففيه دليل لمن جوز
على الانبيا صدور المعاصي منهم لمعاتبة الله له في ذلك وقوله تسبح بيان

www.alukah.net

لسبب النهي عما فعله لانه ما من شيء الا يسبح بحمده وفي قتله قطع لعبادته
وايضا فانه لا يجوز الاحراق للحيوان لما ورد من انه لا يعذب بالنار
الا خالقها وقيل انما عاتبه الله لانه اهلك من اذاه وغيره لما في بعض
الروات هلا نملة واحدة وسبب هذه القصة ان موسى عليه الصلاة
والسلام مر على قرية اهلك الله اهلها بذنب لهم فقال يا رب اهلكتهم
وفيهم صبيان ودواب لم تذنب وفيهم الطايع فاراد الله تعالى ان
ينبهه على ما خطر بباله فاشتد عليه الحر وترك تحت شجرة فنام في
ظلها فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل سليمان وغيره
يسمى ذر فنعل بها ما فعل واوحى الله اليه بما ظاهره العتاب ارشادا
له صلى الله عليه وسلم وقد قالوا انه جايز في شرعه وقد قالوا ايضا يجوز
قتل كل موذي من ذوي الارواح اما بالنار فلا يجوز الا قصاصا لمن احرق
بها انسانا علما فيه فليس فيما فعله معصية ولذا قال المص فليس في هذا
الحديث ما يقتضي ويدل على انه اتى معصية وفي نسخة على ان هذا الذي اتى
معصية ومعصية خبر ان وعايد الذي محذوف اي الذي اتاه معصية
بما فعل بها اراه اي علمه واعتقده صوابا بقتل من يؤذي جنسه اي بني ادم وقد
قال الفقها ان قتل النمل جايز لاذيته وعبر بمن لصدور فعل منه يشبه فعل
العقلا كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ويمنع المنفعة اي الانتفاع بما اباح
الله تعالى كالاستظلال بهذه الشجرة او افسادها اذ خير من الاطعمة واوضحه بقوله
الا ترى اي تعلم او تحقق ما هو كالمرئي المشاهد ان هذا النمل المتقدم وصحح
القرطبي انه موسى كما تقدم فان نارا تحت الشجرة لينتفع بظلها والنوم فيه
فلما اذته النملة بقرصها والتا للوحدة فيشمل المذكر والمونث تحول برحله من تحت
تلك الشجرة عنها اي عن الشجرة ورحل الرحل متاعه الذي يأوي اليه وما يوضع
على ظهر الدابة ليحمل عليه مخافة تكرار الاذى عليه من جنسها وليس فيما
اوحي اليه اليه ما يوجب اي يقتضي ويستلزم عليه معصية صدرت منه بانه اي
احتمال الصبر على ما يوذي اي حثه وحرضه من قولهم ندبه الى كذا اذا دعاه
اليه وترك التشفي تفعل من الشفا وهو الانتقام بما يشفي غيظه ويبرد
صدره كما قال تعالى في مدح الصبر وانه مما يجب عليه ولئن صبرتم لهو
خير للصابرين نزلت في غزوة احد وقتل حمزة رضي الله عنه وقد مثل به وحزن عليه
لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فصل في السير لا ظاهر فعله اي هذا
النبي انما كان لاجل انها اي النملة اذته هو خاصة دون غيره ممن نزل معه فكان
فعل هذا انتقاما لنفسه دون غيره وفطم مختصر بتوقفها في المستقبل من جنية النمل
هناك بيان لوجه احراق جميع النمل غير الموذية له ولم يأت اي لم يفعل ذلك
النبي في كل هذا امرا منعوله وان رفع جاز نهي عنه بل جايز الامر وقوله

فيعصي

فيعصي به بالنصب في جواب النفي ولا نص فيما اوحي الله اليه بذلك
اي بانه اتى بمعصية ولا بالتوبة من ذنب اتاه والاستغفار منه اي طلب مغفرته
لذنب اتاه قيل انما قال اذ ظاهر فعله لانه في الحقيقة انما وقع له ذلك
لوما على ما قاله في القرية التي اهلكها الله اقول هذا على تقدير تسليمه
لا ينافي المقصود من انه لا معصية في هذه القصة وما حكاه ايضا لا ذنب فيه
لانه انما سال الله عن ذلك ليبين له حكمة ما فعله فان قيل فما معنى قوله صلى
الله عليه وسلم في حديث ما من احد الا لم يذنب او كاد الا يحيى بن زكريا الخ وهذا
الحديث رواه الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ ما من
احد الا وقد اخطا او هم بخطيئة وسنده ضعيف واخرجه البزار عن
ابن عمر مرفوعا كما قال السيوطي في مناهل الصفا اقول ومتابعته
تقويه في الجملة فلا عبرة بمن انكره وروى الثعالبي ايضا عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل بني ادم يلقى الله عز
وجل بذنبه فيعذبه او يرحمه الا يحيى ابن زكريا فانه كان سيدا وحصورا
ونبيا من الصالحين ثم اهوى صلى الله عليه وسلم الى قذاه من الارض فاخذها
بيده وقال كان ذكره مثل هذه وقال قتاده وغيره ان الله احيى قلبه
بالطاعة والنبوة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية وهو غير مناف لما رواه
الثعالبي وحاصل ما هنا ان هذا الحديث يخالف
ما مر من عصمة الانبيا ويلايم ما استدل به المخالفون في ذلك ومعنى
الا انه وقع منه ذلك قليلا وكاد بمعنى قرب منه فهو بمعنى هم في الرواية
الاخرى وقوله او كما قال صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه وقع فيه روايات
مختلفة كما اشرنا اليه فالجواب عنه اي عما وقع في هذا الحديث انه كما تقدم من ذنوب الانبيا
التي وقعت من غير قصد منهم وعن سهو وعن غفلة منهم ومثله لا يوخذ به ولا
يلزم منه تفضيله على من عداه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا مما
وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها فصل معقود لدفع شبه نشات
مما قدمه فاذا نفيت عنهم اي عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
الذنوب والمعاصي عطف تفسير او هو من عطف السبب على مسببه لان الذنب
الاثم المترتب على المعصية بمخالفة امر الله ما ذكرته في الفصل الذي قبل
هذا من اختلاف المفسرين في توجيه ما صدر عنهم وتاويل المحققين لما هو معصية
بحسب الظاهر فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وظل بحسب معصيته
وما معنى ما تكرر في قصص الانبيا الواردة في القران والحديث من اعتراف
الانبيا بذنوبهم كما تقدم من نحو قولهم ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهم
واستغفارهم كقول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وبكايهم على ما سلف منهم
كما روي عن داود عليه الصلاة والسلام انه بكى حتى بلت دموعه الارض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واشفاقهم اي خوفهم من الله وهل يشفق ويخاف وينتاب بنا المجهول ويستغفر من
لا شي اي من غير شي صدر يخشى منه حتى يفعل ما ذكر فاعلم ايها السايل وفقنا
الله واياك جملة دعائية معترضة ان درجة الانبيا عليهم الصلاة والسلام والدرجة
في الاصل ما يصعد به لمكان عال ويراد به المنزلة الرفيعة نفسها وهو المراد به
هنا في الرفعة اي علو مقاماتهم حسا ومعنى والعلو عطف تفسير والمعرفة بالله فانهم
اعرف به من غيرهم وخشية في عباده بجر ورمعطوف على ما قبله اي معرفتهم بعادة
الله في معاملة عباده في سخطه ورضاه وعظيم سلطانه اي علو شانه وانه
القاهر فوق عباده وقوة بطشه اي اخذه القوي الشديد اذا اخذ كل جبار
عنيد مما يحملهم اي يحملهم بما يقتضيه اقتضاء تاما على الخوف منه فان من كان
اعرف بالله كان اشد خوفا منه جل جلاله هذا في موقعه مناسب غاية المناسبة
اي عظمت عظمته وهو مبالغة في وصفه بالعظمة في ذاته وصفاته والجليل
من اسمايه تعالى ابلغ من الكبير والعظيم لانه كمال الذات والصفات واسناده
مجازي كجد جده وفيه مبالغة قررت في المعاني والاشفاق اي الخوف من المواخذة
بما لا يواخذ به غيرهم فانهم لعلو مقاماتهم عند الله ورفعة شانهم لا يسامحهم
بما يسامح به غيرهم لانهم اجل من ان ينهاهم عن الاشيا ويفرط فيه فخوفهم
من الله اقوى من خوف غيرهم لانه خوف اجلال وانهم في نصرتهم بافعالهم الصادرة
منهم بما يولم بهوا عنها ولا اصروا عليها لانها امور مباحة جايزة وعوتبوا بسببها
او حذروا اي خوفوا من المواخذة بها اي ان يجازيهم الله عليها كاخذه
صلى الله عليه وسلم الفدية من اسرى بدر واذنه لمن تخلف عن الغزو كما تقدم
وهو امر جايز لكنه ترك فيه الاولى نظرا لما فيه من الفايدة العايدة للمسلمين
والتيسير على الامة واتوها اي فعلوها على وجه التاويل لما ورد فيه من نص
قبل حمل على تحمل غير ما اريد به لا ما اقتضاه ومثله يعذر فيه ولا يعد ذنبا
او السهو اي او فعلوها على وجه وقع منهم بسهو منهم ومثله معفو عنه غير
مواخذ به غيرهم كما تقدم بيانه او تربية اي زيادة من امور الدنيا المباحة لهم ولغيرهم
كطلب سليمان عليه الصلاة والسلام ان تحمل جميع نسايه بفرسان تجاهد
في سبيل الله كما تقدم فهو طلب زيادة مباحة ولا ضرر فيه خايفون وجلون
هو خبر ان في قوله انهم في نصرتهم وما بينهما اعتراض والوجل الخوف والاحسن
تفسيره هنا بمضطربين ليكون افيد وهي اي الامور المباحة المذكورة
ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم اي بالنسبة لهم وان كانت مباحة في اصلها فالمراد
بالمنصب مقامهم العلي وليس المنصب هنا بمعناه المتعارف وقد تقدم
بيانه ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لربهم ومراقبتهم له لا انها ذنوب حقيقة
كذنوب غيرهم من امتهم ثم بين مناسبة لاطلاقها بحسب الاشفاق فقال
فان الذنب في اصله ووضع مادته ماخوذ من الشي الدني اي الخسيس الرذل

اي

اي الردي المحقر والاخذ الاشتقاق البعيد وهو معنى قولهم دايرة الاخذ اوسع
من دايرة الاشتقاق ومنه ذنب كل شي اخره الذنب بفتحتين معروف واذناب
الناس رذالهم بضم الراء وهو جمع على فعال جات في كلمات معدودة اي ارذلهم
ومنه ارذل العمر لاخره فكان هذه ادنى افعالهم اي احقرها واخسها وكان
للتشبيه وفي نسخة وكانت هذه اي الامور التي نصرفوا فيها واسوا ما يرتكب ويقع
من احوالهم لجلالة قدرهم ونزاهة خلقهم وعصمتهم عن سفساف الامور وان
حماهم الله عن كل سوء في ذواتهم وصفاتهم لعظمهم وتنزيههم عما لا يليق بهم وعمارة
بواطنهم وظواهرهم في السر والعلانية والكلم الطيب الذي شغل به السنتهم وجميع
اقوالهم من التكلم بالخير والتسبيح والتهليل وحمد الله والذكر الظاهر اي ذكر
الله جلهم او الخفي بذكره سرا وجعله دايما مراقبا ملاحظا في قلوبهم والخشية
هي الخوف مع الاجلال والتعظيم لله تعالى واعظامه حق تعظيمه وقدره حق قدره
في السر والعلانية بالتخفيف مصدر كصلاحية وهي مقابل السر بمعنى الخفي من
الاعلان فمن كان هذا حاله اذا اشتغل بما لا يعنيه من المباحات كان سيئة
بالنسبة لمقامه وما طبع عليه واما غيرهم من غير الخواص فهو انما يتلوث اي
يتدنس يقال تلوث بالدم اذا تلطخ به ويقال به لوثة من جنون قال

وابي علي ما بي من عجمتي ولوثة اعرابي استبي لاديب

من الكباير اي كباير الذنوب وقد تقدم بيانها والقبايح اي ما يقبح شرعا
من الذنوب كباير بها وصغايرها والفواحش وهو ما ازداد قبحه وقد يراد
بالفاحشة الزنا ونحوه وهو الطناب هنا لانه بمعنى الكباير ما يكون بالاضافة
اي بالنسبة والقياس اليه وفي نسخة الى هذه الامور التي صدرت من
الانبيا وما هذه موصولة وقعت بدلا من مجرور من اي غير الانبيا يتلوث
من امورهم بالاضافة لما عد ذنبا منهم كالحسنة لغيرهم كما قال المتنبي

انا الفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال

فلا وجه لما قيل ان حقه ان يقول بما يكون بالبا الجارة كما وقع في بعض النسخ
او يقول يلوث باسقاط التا حتى يتعدى بنفسه المهمات جمع هنة وهي
وهي خصلة السوء وجنة اي اذا وصف بها غير النبي وقبلت في حقه كالحسنات
بالنسبة لغيابه وقال كالحسنات لان منها ما هو مباح ومكروه كراهة تنزيه
وجعلها حسنة لاخفائه وما قيل لانه لم يعهد ان يكون شي واحد
ذنبا في حق شخص وغير ذنب في حق اخر في شرعنا ليس بشي بل مثله كثير
فكم من شي وجب على الانبيا وعلى الخلفا والحكام وهو لا يجب على غيرهم
والجاد في التعبير بالهنات لانها بفتح الها والنون والف وتا والهنة
في الاصل مطلق الخصلة ثم خصت بخصلة السوء قال في الاساس يقال هناة
وهنوات وهنيات خصال سوء قال لبيد

اكرمت عرضي ان ينال بنحوه ان البري من الهناة سعيد

وما في بعض النسخ من الهبيات جمع هبيئة بيا ساكنة وهمزة تحريف من الناسخ
كما قيل حسنات الابرار هو اتقيا الامة سيات المقربين الى الله وهم الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وخلص الاوليا وليس هذا بحديث وانما هو من كلام ابي سعيد
الخراز من كبار مشايخ الصوفية اي يرونها ويعتقدونها الاضافة الى الفاعل
كالسيات وان لم تكن سيئة حقيقة فجعلها سيات وحسنات مبالغة ومجاز
وكذلك اي مثل ما ذكر في معنى الذنب وكونه يكون بالنسبة لمن اتصف به العصيان
الذي اتصف به بعض المقربين كما في قوله وعصى ادم ربه فغوى معناه في
اللغة الترك والمخالفة لا برما سوا كان واجبا ام لا فعلى يقتضي هذه اللفظة بحسب
معناها التي وضعت له كيف ما كانت اي على اي حالة وقعت من سهو او تاويل للامر
الذي امر به فهي تسمى مخالفة وترك وان لم تكن معصية شرعية مذمومة
عقلا وشرعا لانها معفوة مغفورة غير مواخذ بها كل احد فليس كل عاص اثم
وترك الطاعة اعم من فعل المعصية وهو سوال تقدير قد قلتم بعصمة الانبيا
وقد وصف الله بعضهم بانه عصاه وجوابه ظاهر قيل هذا مبني على
ان فعل الساهي حرام ومعصية لكنها مغفورة وهو مذهب لبعضهم وقيل
فعله لا يوصف بشي من الاحكام كفعل المكره والكلام عليه مفصل في كتب
الاصول وقوله تعالى في حق ادم عليه الصلاة والسلام غوى والغي الضلال
والمعصية فاطلاقه يقتضي خلاف ما قررتم من عصمة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ابي جهل ان تاكل الشجرة التي اكل منها هي التي نهي عنها والحي معناه في
اللغة الجهل فهذا معناه حقيقة ولغة ولو قال لم يعرف كان احسن واليق
بالادب وقيل معناه اخطا ما طلب من الخلود بدوام البقا كما ذكر في الاية
اذا كلها وخابت امنيته بضم الهمزة وتشديد الياء اذ لم يصل الى ما اراده وهي ما يتمناه
وجمعها اماني بالتشديد والتخفيف وفسره اهل اللغة بالضلال والجهل
والخطا معنى اخر وهو تفسير بلازم معناه وقال ابن الاعرابي معنى غوى فسد
عيشه بتغير حاله وقد قيل عليه ان ترتيبه بالفا بقوله عصى ادم ربه فغوى
ينافي تفسيره بالخطا والجهل الا ان يكون كان في شريعته غير معفو عنه ثم نسخ
وفيه نظر لانه اذا فسر بمعناه اللغوي كما قرره المص لا يرد عليه ما ذكر على ان
قصد به التهديد والتشديد باعتبار اسبابه الناشي عنها ثم استشهد لما قاله
بقصة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال وهذا يوسف جعله كانه مشاهد لاشتهار
قصته قد اوحد اي عوتب وجوزي قوله لصاحب السجن اي لصاحبه في السجن
الذي ظن انه ناج فاضافته لادنى ملابسة وفي نسخة لاحد صاحبي السجن
اذكرني عند ربك اي صف له قصتي واخبره بحالي فيخلصني من هذه الورطة
والمراد به الملك والقصة غنية عن البيان فانساه الشيطان ذكر ربه

المصدر

المصدر مضاف لمفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف سيده فلبث في
السجن بضع سنين البضع ما فوق الثلاث الى السبع او التسع او العشر
وقيل معناه ان الشيطان انسى يوسف عليه الصلاة والسلام ان يذكر الله
فابتغى الفرج من غيره تعالى غفلة منه واشار الى ذلك بقوله قيل انسى يوسف
ذكر الله تعالى فالمراد بربه الله والضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام وقيل
انسى صاحبه الذي كان معه في السجن وقال له اذكرني عند ربك ان يذكره لسيده
وهو الملك اي انسا الشيطان الشراب ان يذكر يوسف للملك قال النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه بن جرير والطبراني عن ابن عباس وابن
مردويه عن ابي هريرة وابو الشيخ عن ابي الحسن مرسلا وكذا عن عكرمة فهو
حديث صحيح لولا كلمة يوسف اي قوله لصاحبه في السجن اذكرني عند ربك
وطلبه من غير الله للفرج لبث اي مكث وما نافية في السجن ما لبث اي مدة لبثه
فما مصدرية زمانية وقال مالك بن دينار ابو يحيى البصري احد الاعلام الزاهد
الثقة اخرج له الاربعة والبخاري تعليقا وتوفي سنة مائة واثنين وثلاثين
واسمه محمد بن ابراهيم وله ترجمة في الميزان وهذا رواه الامام البغوي
عنه في تفسيره واخرجه ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا ما قال في لبث يوسف اي قوله
اذكرني عند ربك قيل له اي قال الله تعالى له بوحيه كما يأتي اتعدت من دوني اي
غيري من عبيدي وكيلا اي من تكل اليه امرك وتعتمد عليه في خلاصك لاطيلن
حبسك اي مدة مكثك في الحبس فقال يا رب انسي قلبي كثرة البلوى والمصائب
من حين القيت في الجب الى ان دخلت السجن فهذا ذنب عد عليه وعوقب به
مع انه ليس بمعصية شرعية لكن على مقامه يقتضي ان لا يذكر في الشدة غير
الله ولا يعول على مخلوق وقد قال الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل حين القي
في النار وقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا حسبي من سوالي علمه بحالي وقد رووا
ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاه في الحبس وبلغه ذلك في حديث طويل نقلوه
وقال بعضهم تراخذ الانبيا لومًا لهم بما قيل الذر جمع مثقال وهو وزن كل شي
ومقداره والذر جمع ذرة وهي اصغر النمل او يقال للهبا الذي يرى في شعاع الشمس
ولا زنة له اصلا فهو مبالغة في الخفة والمثقال في العرف الدينار وليس بمراد
هنا لمكانتهم اي لقربهم ورفعتهم عند ربهم ومن يحب احدا او يعتني
به لا يسامحه في ادنى شي يتعلق به ولذا قيل ضرب الحبيب اوجع ويتجاوز عن
سائر الخلق اي غيرهم وبا قيهم لعلمه بما لا تنه بهم قال ابن فارس اشتبه علي
اشتقاق لا ابالي حتى رايت قول ليلى الاخيلية
تبالى روايا هم هبالة بعدما وردن وحول الما بالجم تزجي
وقد قالوا فيه التبالي المبادرة للاستقاء عند قلة الما فيستقي احدهم وينتظره
غيره فمعنى ذلك لا ابادر له ولا انتظره لعدم اعتدادي به انتهى فما اضعاف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما اتوا به في اتيانهم بما يزيد على ما اتى به المقربون بمثله وامثاله وضعف
الشي ما يزيد عليه بمثله او باكثر كما فصله في الكشاف تابعا للازهري في
تهذيبه من سوء الادب في حق خالقهم المتفضل عليهم بالنعم الجليلة التي حقها
ان تقابل بطاعته وشكره فعصوه وارتكبوا ما لا ينبغي من المعاصي وقد
قال المحتج اي الذي اقام الحجة والدليل للفرقة الاولى القايلة بان الانبيا معصومون
من جميع الذنوب وان السهو والنسيان لا يواخذون به كغيرهم ما شان في حالهم
على سياق ما قلناه اي ما قررناه في بيان امرهم فاشكل عليهم ما قلته انفا من
انهم يؤاخذون بما لا يواخذ به غيرهم لعدم المبالاة بهم اذا كان الانبيا يواخذون
بعد المذكور من مثاقيل الذر بما لا يواخذ به فلا يعاقب به ولا يعاتب غيرهم اي غير
الانبيا من امتهم من السهو والنسيان ونحوه من ما ذكرته من الامور المباحة لهم
وحالهم اي حال الانبيا المواخذين بما ذكر لا رفع عند ربهم وهذه جملة حالية
وما في بعض النسخ فحالهم بالفا من تحريف الكتبة في الهم اي حال الانبيا اذن اي
اذا واخذوا بها اشق من غيرهم عند الله لكثرة ما اخذهم به وتشديده عليهم فيما
لم يشدد به على غيرهم مع انهم ليسوا كذلك وهذا ملخص سوء الفهم لتوهم قايله
ان الاعظم عند ربه لا يواخذ بترك الاولى وليس كذلك فان ذلك الحكمة والي
جواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها اشار بقوله فاعلم ايها السايل اكرمك الله
بهدايتك لوجه ما ذكرنا الانبيا لك المواخذة اي مواخذة الانبيا في هذا الذي
اخذهم به دون غيرهم مواخذة اي على مقدار غيرهم اي مواخذة غير الانبيا
بما ارتكبوه من الذنوب بمعاقبتهم في الدنيا والاخرة بل نقول في الفرق بين
مواخذتهم ومواخذة غيرهم وهو اضراب انتقالي من نفي مواخذتهم كغيرهم
انهم اي الانبيا والمقربين راتبة يواخذون بذلك المذكور من مثاقيل الذر في الدنيا
بما يبتليهم به فيها ليكون ذلك المواخذة زيادة في درجاتهم اي في علو مقاماتهم
العلية وجعله عين الزيادة وهو سببها مبالغة ويبقون بذلك اي بالمواخذة به
في الدنيا على قدر مراتبهم عنده كما ورد اشد الناس بلاء الامثل فالامثل ليكون
استشعارهم الاستشعار طلب الشعور والمراد به مقاساته او من الشعار وهو
اللباس الملاصق للبدن سببا لنمائه مصدر ميمي بمعنى النمو وهو الزيادة اي
لزيادة رتبهم اي علو مقاماتهم عند الله ثم استدل لما ذكره بقوله تعالى فقال كما قال
عز وجل واجتباه ربه اي اصطفاه وقربه باعلا رتبته عنده من جبي يجبي اذا جمع فانه
جمع فيه من الصفات الحميدة ما كان سببا لاصطفايه وقربه فتاب عليه وهدى
اي قبل توبته وارشده الى الاعتذار عما صدر منه والاستغفار فقال
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فاجتبا بزيادة
بعد النبوة وعطفه بثم اشارة لمزيد وزيادة مرقبه حتى كانه متراخ عنه وقال
الله تعالى لداود عليه الصلاة والسلام فغفرنا له ذلك اي ما صدر منه في خطبة امراة

اوريا

اوريا كما تقدم فاذكر الاية الى اخرها من قوله وان له عندنا لزلفى وحسن
ماب وهي صريحة فيما ذكره وقال عز وجل بعد قول موسى سبحانك تبت اليك
من سوال رويتك في الدنيا وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك فقال يا موسى
اني اصطفيتك على الناس اي اخترتك وقدمتك على اهل زمانك برسالاتي وبكلامي
بغير واسطة وكيفية بكلام تسمعه من ساير الجهات وقال الله تعالى بعد ذكر
فتنة سليمان في القا الجسد على كرسيه كما تقدم وانابة اي رجوعه الى الله وتوبته
فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء الاية الى قوله وحسن ماب فترتيبه على ذلك
ما عدده من النعم يقتضي ان الفتنة التي اناب منها ليست معصية لانها لو
كانت كذلك لم يترتب عليها ذلك وكونه له زلفى اي قرب من الله وحسن ماب
بمرجعه للجنة وهذا كله زيادة في درجاته ونماة لمرتبته عند ربه لا يخفى
وقال بعض المتكلمين ما يوهم ما قرره وارتضاه وازلة الانبيا جمع زلة من زل اذا
سقط وتجوز بها عن الذنب اي ما عد زلة وذنبا لهم وان لم يكن كذلك في الظاهر
اي في ظاهرها تدل عليه العبارة زلات وهي في الحقيقة اي في نفس الامر وعند
التحقيق انما هي كرامات اكرمهم الله بها لانه ابتلاهم بها ليثيبهم عليها وزلفا
بضم وفتح جمع زلفة اي قرب من الله تعالى باعلا مقامهم عنده واشارة الى
كونها مما ترتب على ابتلايهم بها من انعام الله عليهم بنعم لا تحصى
وهذا بخصوصه لا ياتي كونها مما خصهم الله به لان مثل هذه النعم الجليلة
لا تكون لغيرهم فلا يرد عليه ان المومنين مثابون بمصايب الدنيا اذا صبروا
عليها ورضوا او نقول انه اشار لعدم اختصاصهم بذلك بقوله وايضا اي
مثل ما ذكر من انه في الظاهر زلة وهو في الحقيقة نعمة وكرامة فليبنه غيرهم
من البشر اي يوقظه ويعلمه منهم اي الانبيا المذكورين او ممن ليس في درجتهم
من الاتقيا الذين ليسوا بانبيا بمواخذتهم بذلك الباء سببية متعلقة
بينبه او هي بمعنى على لان نبه يتعدى بعلى او ضمن معنى يشعر ويعلم
وذلك اشارة لما امتحنوا به مما صدر عنهم من خلاف الاولى وليس بذنب
فيستشعروا الحذر اي يستشعرون بالحذر وهو الخوف من الشعور او
الشعار كما مر انفا وليس من قولهم ليت شعري فانه تكلف لا داعي له ويعتقدوا
المحاسبة على ذلك لان مواخذة غير الانبيا تقتضي مواخذتهم بالطريق
الاولى وان كان ما ارتكبوه مباحا لكنه خلاف الاولى ويلتزموا الشكر على النعم
المترتبة على ما ابتلوا به كما تقدم او على كونهم لم يمتحنوا بذلك مع امتحان
من هو اعظم منهم ويعدوا بضم اليا التحتية وكسر العين وتشديد الدال
اي يحضروا او يهيئوا الصبر ليستعينوا به على التحمل جمع محنة وهي البلية
التي يمتحن الله بها صبره ورضاه كما قيل لله درّ الناس ياف فانها صدا
اللئام وصقل الاحرار ويتذكر ما في الصبر من الثواب لقوله انما يوفى

الصابرون اجرهم بغير حساب والمحنة كالفتنة تصفية المعادن من غشها فنقلت
لما ذكر وصارت فيه حقيقة ويلاحظ ما وقع من مثل ما وقع وفي نسخة
بملاحظة يا هل هذا النصاب اي المقام الرفيع من الانبيا والنصاب بمعنى الاصل
والحسب يقال فلان كريم المنصب والنصاب كالمعدن الاماس ومنه نصاب السكين
المحفوظ من الذنوب فكيف بمن سواهم اي غير الانبيا فاذا وقع اللوم لهم ففيهم
بالطريق الاولي لكونه من خلص عباد الله الذين يقتدى بهم كما تقدم ولهذا اي لما ذكر
من الحكمة في مواخذة الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما لم يواخذ به غيرهم قال صالح
ابن بشير وهو علم منقول من البشير مقابل النذير الواعظ الزاهد توفي سنة
اثنين وسبعين ومائة كما قاله ابن ماكولا المري بضم الميم وتشديد الراء المهملة نسبة
الى مرة قبيلة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان كان مصدرا فهو مبتدا
فقوله بسطة للتوابين اي توسعة لمن يتوب ويكثر التوبة والاستغفار لينبهوا
على فضلها وان كان فعلا مبنيا للمعلوم او المجهول اي ذكره الله فقوله بسطة
منصوب مفعول له وقال ابن عطا ابو العباس بن محمد بن سهل بن عطا الادمي شيخ
الصوفية وله في فهم القران لسان اختص به توفي سنة تسع او احدى عشرة
او ثمانية لم يكن ما نص الله تعالى عليه في القران من قصة صاحب الحوت يونس ابن
متى نبي الله صلى الله عليه وسلم نقصا له اي تنقيصا له بكونه ولي مغاضبا
ولم يصبر حتى يأذن الله له فيما اراد ولكن ذكره وقصته استزادة من نبينا صلى الله
عليه وسلم اي طلب منه ان يزيد صبره على قومه وقيل المراد انه زيادة في علمه
بما جرى للانبيا طلبها من ربه والصحيح الاول لانه المناسب لقوله ولا
تكن كصاحب الحوت اي في ضجره وفراق قومه حتى كان ما ذكره الله في قصته وايضا
فيقال لهم في الجواب عما ادعوه من تجويز الصغاير على الانبيا لا الزاما لمن سال عن معنى
قوله تعالى وعصى ادم ربه ونحوه كما قيل انكم ومن وافقكم على هذا القول
تقولون بتغفران الصغاير وان لم يتب منها باجتناب الكباير اي بسبب تركها
كما ذهب اليه كثير من اهل السنة تمسكا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وذهب كثيرون الى انها مقيدة بالمشية
كغيرها كقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والكلام فيه مشهور في كتب
الاصول ولا خلاف بين من يعتد به في عصمة الانبيا عن الكباير فما جوزته من
وقوع الصغاير عليهم متعلق بجوز ثم هي مغفورة على هذا القول والجملة خبر قوله ما وهو
بمعنى الوقوع لانه ينبه به على مذهب الغزالي الا كتفا بضمير ما بلا بس المبتدا
عن ضميره كما قدروه في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الاية
او تحمل ما بمعنى الصغاير فما معنى المواخذة الانبيا الله عليهم الصلاة
والسلام بها اي بالصغاير اذن اي مع اجتناب الكباير عندكم ايها القائلون بهذا
الراي وما معنى خوف الانبيا وتوبتهم منها اي من الصغاير وهي مغفورة بدون

توبة

توبة منها لو كانت اي وجدت منهم فما اجابوا به عن هذا فهو جوابنا عن المواخذة
بافعال السهو اي بما فعلوه سهوا او نسيانا والتاويل اي ما فعلوه لتاويلهم
الاوامر والنواهي الواردة فيه كما تقدم وهو جواب الرازي والقول بانفصالهم
عن هذا تقدم بعدم القول بذلك في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه
في حق غيرهم وانه عليه ان يصح النقل عنهم بالتزامه في حق الانبيا باباه انه
يعلم في حقهم بالطريق الاولي لانه جواب جدلي فتامله وقد تقدم ان التوبة
لا يلزم ان تكون عن ذنب فتذكره واشار اليه المص هنا بقوله وقد قيل ان
كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم حيث استغفر الله سبعين مرة كما مر وتوبته اي
قوله استغفر الله واتوب اليه وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان كانوا
معصومين من سائر الذنوب فذلك انما هو على وجه اي على طريق ولاجل
ملازمة الخشوع اي التذلل باظهار انه مذنب والعبودية والاعتراف بالتقصير
في اداء حق مولاه شكرا لله على نعمه جمع نعمة ونعم الله لا تحصى كما قال
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها كما قال تعالى فمن عرف نعم الله عليه
واظهر العجز عن شكرها فقد شكره تعالى شكرا عظيما فان الشكر كما يكون
باللسان يكون بالاركان كما تقرر عندهم وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم
كان يقول في كل مجلس استغفر الله واتوب اليه اكثر من مائة مع ما هو عليه من
العصمة والعبادة فلا معنى لما قيل انه لا يصح ايراد ما ذكر هنا على وجه
الدليل في محل النزاع كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور المتقدم
الذي فيه انه اكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا يا رسول
الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
وقد ذكره شاهدا لاظهار العبودية شكرا لله وقد امن بضم الهمزة وكسر
الميم المشددة مبني لما لم يسم فاعله قال البرهان في الصحاح أمنت فلانا فانا
آمن وأمنت غيري من الامن والامان فعلى هذا ينبغي ان يقول أومن انتهى
يعني ان أمن بالتشديد لا يصح ان يكون من الامن والامان وانما هو من
بمعنى قال الامين وليس كما قال فانه يقال أمنه بهذا المعنى ايضا وهذه
الجملة حالية والمومن له هو الله او الصحابة الذين قالوا له ان الله غفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر من المواخذة بما تقدم وما تاخر مما صدر
منه من ترك خلاف الاولي ونحوه الذي هو كالكذب بالنسبة لمقامه اولو
وقع وان لم يقع فقال صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا اي كثير
الشكر مبالغة فيه لعظم نعمه وكثرتها علي والاستفهام لانكار من ظن ان كثرة
عبادته خوفا من الذنوب وطلبا لمغفرتها فقال وان كان الله غمني برحمته
ومغفرته فان اللايق بي شكر الله على ما اولاني والحديث مذكور في الصحيحين
عن المغيرة بن شعبة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري كما تقدم

الشبكة الألوكة www.alukah.net

انى لاخشاكم لله اى اعظمكم له خشية والخشية الخوف مع المهابة للعظمة واعلمكم
بما اتقى وروى اني لاتقاكم لله واخشاكم له ومن علم ما يتقى وجزاءه وعظمة من يخشاه
كان ابعد منه واحذر وقال الحارث بن اسد هو العالم الرباني الذي فاق اهل عصره
في علم الباطن والظاهر وهو المشهور بالمحاسبي لكثرة ما كان يحاسب نفسه
ولزهده لما مات ابوه وخلف له مالا عظيما لم ياخذ منه شيئا مع احتياجه لان
اباه كان قدريا وقال لا يتوارث اهل ملتين وترجمته مفصلة في الميزان
توفي سنة ثلاث واربعين ومائتين خوف الملائكة من الله والانبيا عليهم الصلاة
والسلام خوف اعظام اى اجلالا وتعظيما لله وتعبد لله اى يقصد وبه
العبادة لانهم امنون من الله لاخباره لهم برضاه عنهم وانه يعطيهم في الدنيا
والاخرة من نعمه ما لا عين رات ولا اذن سمعت وقد فعلوا ذلك الى الاستغفار
والتوبة ليقتدى بهم بالبنا للفاعل على التنازع في الفاعل او هو مبني للمجهول
ويتسن بهم امة اى تتخذه سنة وعادة وقد قدم المص ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان شديد الخوف من ربه لانه اعلم به وهو مناسب لما هنا وهو يشهد لما
قاله امام السنة ابو الحسن الاشعري رحمه الله في كتاب الابانة من انه صلى
الله عليه وسلم كان يخاف الله بلا خلاف الا انه عند اهل الحق كان قبل ما امنه
الله من عقابه خايفا من عقابه وبعده من عتابه ولومه في الدنيا كما في قصة
ابن ام مكتوم وبعد تامينه لا يجوز ان يخاف عقابه مع اخباره بتامينه
خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وسائر الانبيا ما داموا مكلفين
في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سوا امنهم ام لا لنا انه لا يجوز ان يخاف
من شي الا بعد تجويز وقوعه ومع القطع بعدمه لا يجوز ذلك من عاقل
لانه يودي الى الشك في خبره هل هو صادق ام لا وهو باطل بالاتفاق انتهى
اقول في فتاوي شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي ما ينافيه كما مر فانه سيل
عن الانبيا والملائكة والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون مكر الله وعقابه
بعد اخبار الله لهم بخلافه فاجاب بان نفي خوف العقاب عن هولا مطلقا
باطل مصادم للنصوص لوجوه منها ان حقيقة الخوف كما في الاحيا الم القلب لتوقع
مكروه وهو اما خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله على ما ينبغي وهذا محقق في
جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يامن من
هذا احد والمامون منه الانسلاخ من النبوة والملكية والايمان في العشرة
وان جوز وقوعه والرجا والخوف متلازمان فان قلت يلزمه الشك فيما ذكر
قلت حقيقة الخوف ما مر والكمل على يقين من خبره تعالى لكنهم لشعورهم
بقدرة الله واستغنايهم عن خلقه وانه لا يسال عما يفعل ولا يجب عليه شي وخبره
تعالى يجوز ان يكون مشروطا بما انطوى عنا علمه وهذا انما يوجب الخوف
وقد سال زيد بن اسلم الشافعي لتدخل الملائكة في انهم لا يامنون مكر الله

مطلب خوف الانبيا العقاب

فقال

فقال نعم لما رواه ابن ابي حاتم انه تعالى قال للملائكة ما هذا الخوف الذي بلغ
بكم هذا وقد اثر لكم منزلة لم ينزلها غيركم قالوا ربنا لا يامن مكرك الا القوم
الخاسرون وقد ذكر ذلك في الملائكة والانبيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
وجبريل بكيا فقال الله لهما لم تبكيا وقد امنتكما فقالا نخشا ان يكون تامينك
مكرا بنا وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين وبدل لهذا قوله ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم وقوله صلى الله عليه وسلم في دعايه اللهم اني اعوذ برضاك من
سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وفي ادعيتهم مثله كثيرا ولو كان تشريعا قال
قولوا اللهم اني والمراد بتامينه الذي في الحديث الذي مر ان فيه اقلا اكون
عبدا شكورا خوفه من امور الدنيا واستيصال امته واما من الله فلا انتهى
ملخصا اقول هذا مما يشكل على ما قاله المص ومشايخ الصوفية فيما قالوه
نقله وعلى الاشعري لكنه موافق لما قاله ايمتنا الحنفية والشافعية كما
نقل في كتب الاصول والفروع من ان الامن من مكر الله واليامن من رحمته
كبيرة او كفر على ما تقرر عندهم فانا لو قلنا بما نقل عن الاشعري من ان
الملائكة والانبيا والعشرة المبشرة امنون من المكر والمراد به العقاب
كان ما قرره الفقها غير صحيح على الاطلاق لكن الامن من المكر تحقق
بل واجب في حق هولا ولو ادعى بعض خلص المتقين الزاهدين انه اشبه هولا
في امنه لم يكن به باس فضلا عن ان يكون كبيرة او كفرا الا انه يقتضي على كل
حال ان القول بانه كفر غير صحيح وايضا استدلالهم بقوله عز وجل لا ياس
من مكر الله الخ ولا ييأس من روح الله الخ غير صحيح لان معناه انه من صفات
الكفار والخاسرين لا ان من اتصف به كافر او خاسر ومثله يعرفه من يفهم
كلام العرب وفي كلام ابن حجر قصور يدركه من له ذوق وفكر سليم وهذا
بحث نفيس لم ار من حرره ومن لم يحم حول الحمى ههنا قال ما قال مما لا محصل
له فعض بالنواجذ على ما سمعته كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فمن علم ان الموت مورده والقيامة موعده والوقوف
بين يدي الله مشهده تحقق ان يطول حزنه ويبكي على نفسه وهذا من
حديث اخرجه الشيخان وقد تقدم وفيه من انواع البديع الطباق والموازنة
وايضا اى مثل ما تقدم في توجيه استغفار الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وتوبتهم مع عصمتهم فان للتوبة والاستغفار العادرين من الانبيا وممن
اقتدى بهم من خلص عباده معنى اخر لطيفا في غاية الحسن اشار اليه
بعض العلما وهو استدعا اى طلب ان يزيد الله رضاه عنهم ومحبته لهم لما ورد في
الحديث ان الله يفرح بتوبة عبده المومن والفرح في حقه بمعنى الرضا عنه
وانعامه عليهم وتوبة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما صدر منهم من ترك الاولى
ولما يخطر بقلوبهم من انهم لم يبلغوا واجبات الله تعالى حقها فاذا فعلوا ذلك مع ما هم

عرفني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه من المجاهدة زادت نعمه تعالى عليهم فلا يتوهم انه كيف يتوب من لا ذنب
له وكيف يتبهم الله على ما ابدوه من خلاف الواقع وقول بعضهم انه كلام
في محل النزاع من غير دليل كلام ركيك نزكه خير منه قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين اي المكثرين من قول اتوب اليك وان لم يكن له ذنب هضما لنفسه
لتوهمه قصورا ويحب المتطهرين هو اما على ظاهره او المراد به المتحترزين من
دنس المعاصي وسابقها المصر رحمه الله ليكون دليلا على ما قاله قبله واحداث
الرسل والانبيا اي تجديد ايجاد الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة
اي ارجاع امورهم الى الله وهي الفاظ مترادفة ذكرها للتاكيد وللاشارة
الى انها وقعت منهم كثيرا بعبارات مختلفة تفننا في كل حين اي في
غالب اوقاتهم واكثرها كما تقدم استدعا اي طلب واصل معناه طلب الدعوة
او الدعا فاستعمل مجازا مرسلا في مطلق الدعوة ويجوز ان يكون استعارة
لحمية الله لهم والاستغفار فيه معنى التوبة لانه طلب المغفرة وهي
من الغفر وهو الستر اي ستر ذنوبهم بغفرها وبينهما عموم من وجه فمن اقلع
عن الذنب نادما عازما على عدم العود اليه من غير دعا بالمغفرة وتضرع
تائب غير مستغفر ومن استغفر ربه من ذنبه مع عدم اقلاعه مستغفر
غير تائب ومن جمع بينهما مستغفر تائب وقد قال الله في القران لنبيه صلى
الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر كما تقدم تفسيره
وتاويله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وكررها فقال ثم
تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم لان التوبة الاولى اذنه لمن تخلف من
المنافقين في غزوة تبوك والثانية عن ان قلوبهم كادت تزيغ لما
تاسوه في غزوة العسرة او ذكر الاولى تفضلا منه والثانية على الذنب المذكور
وقال عز وجل ايضا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فامره
باستغفاره وتسبيحه بحمده وقد ذكر انه كان عظيم التوبة عليه والكلام
على هذا وانه نعي له نفسه معلوم في كتب التفسير والحديث وكان صلى الله
عليه وسلم يجتهد في العبادة بعد نزول هذه السورة ويقول كثيرا في ركوعه
وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ويقول بهذا امرت
فصل قد استبان لك اي تبين فيما قبل هذا والسين هنا
للتاكيد وليست للطلب هنا لان ما يطلب من شانه ان يتنافس فيه وقيل سين
انها للاطالة كما قيل لعار لو تفعلت اي اطلت لان من يتنفس يستانف
القول ويسهل عليه الاطالة وفيه ما لا يخفى ايها الناظر ما قررناه ما في
محل نصب مفعول ناظر وفي نسخة بما قررناه بالبا السببية فاذا تاملته بان
لك ياخي الحق وما هذه فاعل استبان يعني تبين لك وظهر الحق والامر المحقق
المقرر مما فصله من عصمته صلى الله عليه وسلم بحفظه وتخلقه بمكارم الشمائل

لاسيما

لاسيما من الجهل بمعرفة ذات الله وصفاته كساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فان فطرتهم على التوحيد والعلم به وبصفاته والاقرار بذلك او تبين لك عصمته
من كونه اي وجوده وخلقه كساير الانبيا على حالة تنافي العلم بشي من ذلك
اي من ذاته وصفاته كله جملة فهو لا يجهل شيا من ذلك اصلا لاسيما بعد النبوة
ونزول الوحي عليه لتقضايه بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالى لا يصطفي
الا هو كذلك اجماعا من كل المسلمين وعقلا لاقتضا العقل السليم له وقبلها
اي النبوة سمعا ونقلا لورود في الاحاديث الصحيحة ولاتفاق ايمة الدين
على عصمتهم من ذلك قبلها ولو قال من عصمتهم كان احسن لعدم احتياجه للتقدير
والمنصوبات تميز وسمعا هو كما بقوله نقلا لحديث البخاري كل مولود يولد على الفطرة
وابواه يهودانه وينصرانه او يمجسانه وهو معنى قوله تعالى فطرة الله التي فطر
الناس عليها كما تقرر في التفاسير وشروح الحديث وفي المواقف عصمة الانبيا
لاسيما نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام بالله وصفاته قبل النبوة وبعدها اجماع
عقلي لانه كفر والكفر لا يجوز على الانبيا قبل البعثة وبعدها عقلا واجماعا وما وقع
لابراهيم عليه الصلاة والسلام لالزام الحجة وليطمين قلبه لا لشك منه كما تقدم
وكذا كل ما يضاهيه من قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا بشي معطوف
على قوله بشي قبله اي ولا كونه على حالة تنافي العلم بشي مما قررناه من امور الشرع
الذي اوحي اليه بتبليغه واداه اي اوصله وبلغه عن ربه الوحي المامور بتبليغه
لامته قطعا اي مقطوع به متيقن بلا خلاف عقلا وشرعا لانه مناف لارساله
به وامره بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شي منه لان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام معصومون عن ذلك لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن
الله لانه لو لم يكن كذلك كان افترا على الله وهو باطل عقلا وشرعا وظاهره انه لا يقع منهم
ذلك سهوا ونسيانا ايضا وهو مذهب ابي اسحاق الاسفرايني وجوزه القاضي
ابو بكر لعدم منافاته للمعجزة فانهم لا يقرون عليه وكلام المص على خلافه وعصمته
من الكذب معطوف على عصمته في اول الفصل لما علمته من منافاة المعجزة له وخلف
القول اي انه صلى الله عليه وسلم معصوم عما يخالف الواقع من قوله ليلا يتهم
في تبليغه منذ نبأه الله وارسله فلم يصدر عنه شي منه وهو مستحيل منه
قصدا وغير قصد واستحالة ذلك اي الكذب والخلف عليه شرعا واجماعا من ائمة
الدين ونظرا وبرهانا اي استحالته شرعا واجماعا مدلول عليه النظر والدليل العقلي
فهو متحقق عقلا ونقلا وسقطت الواو العاطفة في بعض النسخ قبل قوله نظرا وهو
احسن من ثبوتها في بعضها وتنزيهه اي تنزيته عنه اي عن الكذب قبل النبوة
قطعا للتواتر فكان صلى الله عليه وسلم عندهم يسمى الامين كما مر لانه مامون في
اقواله وافعاله وتنزيهه عن الكباير اجماعا لرفعة قدره عنها ولا ينافيه
تجويز الحشوية له كما قيل لعدم الاعتداد بخلافهم وقوله اجماعا اشارة لرد

قول المعتزلة انه عقلا لا يثنا به على الحسن والقبح العقليين **وعن الصغائر تحقيقا**
اي امرا محققا والتجويز بعضهم لها لم يقل اجماعا ويجوز ان يريد بقوله تحقيقا
قصد ايقرينة قوله **وعن استدامة السهو والغفلة** عطف تفسير للسهو
لبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع نبه عليه بسرعة كما مر وقد قيل
يا سايلي عن رسول الله كيف سها ۞ والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شي سره فسها ۞ عما سوى الله في التعظيم لله
وتقدم كلامهم فيه وما فيه **وعن استمرار الغلط والنسيان عليه** حفظا له صلى
الله عليه وسلم بايقاظ قلبه وتنبيهه **فيما شرعه** بالجر ويجوز رفعه **في كل حالاته من**
رضى وغضب وجد بكسر الجيم ضد الهزل **ومزح** لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد كان يمزح
ولا يقول الا حقا كقوله صلى الله عليه وسلم لامراة لا تدخل الجنة عجوز لانهن يعدن
لسن الشبوبية **فيجب عليك** ايها الناظر لانه خطاب له بفرضه **ان تتلقاه** اي تاخذه
وتعلمه **باليمين** اي بالقبول والبين والبركة لانهم ياخذون بها ما يعتنون به فانها
جهة يسهل العمل بها عادة والعرب تقول لما تتمدح به اخذه بيمينه ولذا قال
الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد ۞ تلقاها عرابة باليمين
وتنزيه اي على ما ذكر من تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما ذكر **عن الضنين** بضاد معجمة
ونونين كالبخيل وزنا ومعنى من الضنة وهي شدة البخل وهو استعارة تمثيلية
بليغة كقول المتنبي ۞
وقوف تنحيي ضاع في الترب خاتمه ۞ اي تحرص على حفظ ما ذكر من تنزيه قدره
عما ذكر كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه منه وفيه
مع اليمين مراعاة النظير وقد فسر اليمين بالقوة وهو غير مناسب هنا لما
عرفته **وتقدر** بسكون القاف وكسر الدال من القدر وهو المنزلة الرفيعة كما في
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره **هذه الفصول** المعقودة لبيان ما يجب
اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم **حق قدرها** اي تعظمها حق تعظيمها اللائق
بها **وتعاقب فايدتها** لانها ما يجب اعتقاده وينال به عند الله مثوبة عظمى
وخطرها اي شرفها ومزيتها واصله ما يعطى عند الرهان لمن سبق فاستعير لما ذكر
فان من يجهل ما يجب اعتقاده **للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز له**
ما يصح في حقه **او يستحيل عليه** اي يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة **ولا يعرف**
صور احكامه اي الحكم المتصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة **لا يامن ان يعتقد**
في بعضها اي بعض الصور او الاحكام **خلاف ما هي عليه** فيعتقد في حقه ما لا
يجوز اعتقاده **ولا ينزهه عما لا يجوز** في حقه وفي بعض النسخ عما لا يجب اي لا يجوز
كذا فسره به بعضهم وفيه نظر **ان يضاف اليه** اي ينسب اليه ويوصف به
فيهلك اي يقع في امر يكون سببا لهلاكه في الدنيا والاخرة **من حيث لا يدري** لعدم علمه
بحقه وما يجب له وما يجوز عليه **ويسقط في هوة** بضم الهاء وتشديد الواو وهو

العميق

العميق كالبير **الدرك** بفتحتين وقد تسكن الراء وهو ما ينزل به الى **الاسفل**
من دركات المنازل **من النار** التعريف في النار للعهد والمراد نار جهنم التي في
الاخرة وهي هنا مجاز عن محلها وهي تستعمل كثيرا بهذا المعنى وهو عبارة عن
عقابه اشد العقاب في الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله **اذ ظن** هو مصدر
مبتدا مضافا بقوله **الباطل به** صلى الله عليه وسلم اي ظن ما ليس صحيحا في حقه
واعتقاده على طريق الجزم به **ما لا يجوز** شرعا وعقلا **عليه** صلى الله عليه وسلم **يحل**
بضم الياء وكسر الحاء المهملة وتشديد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد
اي يحل **صاحبه** اي صاحب ذلك الاعتقاد **دار البوار** اي يجعل حالا في دار
البوار يعني جهنم والبوار بفتح الموحدة هو الهلاك وهو من اسمائها وضبط
البرهان بحل بفتح اوله وضم ثانيه وصاحبه فاعله على هذا وهو جائز ايضا
ولا يتعين الا برواية كذلك **ولهذا** المذكور كله من عظيم قدره وخطره
ووجوب اعتقاد تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عما ذكره وان اعتقاد خلافه
يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الاسفل لما يودي اليه من الكفران اراد
تنقيصه بما ذكر **احتاط** عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ ما احتاط
وما زايدة كقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم والاحتياط افتعال من احاطه
اذا اخذ عليه حايطا ثم استعمل للمبالغة في الصيانة والحفظ وفي الاساس
احتاط واستحاط في امره بالغ في الاحتياط وتفسيره بالتحري في طلب الخير
خسية على من ذكر غير لايق هنا **على الرجلين اللذين راياه ليلا** اي في
ظلمة الليل **وهو معتكف في المسجد** يعني مسجده بالمدينة **مع صفية** ام
المومنين وكانت جالسة فتحدث معه صلى الله عليه وسلم ثم قامت فقام معها
يشيعها لبيتها فمرا به وابصراه فاسرعا وقوله في المسجد قيل انه متعلق
براياه لا بمعتكف ومع صفية حال من فاعل راي اي راياه حال كونه
مع صفية في بعض ازقة المدينة وقد جانبه نزوره لا فاعل معتكف كما قيل
والحديث في الصحيحين عن صفية بنت حيي بن اخطب بن سعيه بسين مهملة
مفتوحة وعين مهملة ساكنة بعدها مثناة تحتية وها او نون وكانت تحت
ابي الحقيق اليهودي فلما قتله صلى الله عليه وسلم واسلمت تزوجها وقصتها
في السيرة **فقال صلى الله عليه وسلم لهما انها** اي التي راياها تتحدث
مع صفية زوجتي لا اجنبية وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لهما
لما اسرعا على رسلكما اي تمهلا انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله صلى
الله عليه وسلم ما ذكر لظنهما انهما ظنا به ما لا يليق بمقامه وقد قال
الحفاظ انهما لم يعرفا ولم ينسبا في شي من كتب الحديث الا ان ابن العطار
تلميذ النووي قال في شرح العمدة زعم بعضهم انهما اسيد بن حضير وعباد
ابن بشير ووقع في رواية سفيان في البخاري فابصرهما رجل من الانصار

بالافراد وفي اخرى وهما من الانصار فيحتمل تعدد القصة وقال ابن حجر الاصل
عدم التعدد فهو محمول على ان احدهما كان تابعا للاخر فاختصر احدهما
بخطاب المشافهة ثم قال صلى الله عليه وسلم لهما بعدما قالاه ان الشيطان
يجري من ابن ادم بوسوسته له في باطنه مجرى الدم وهو داخل عروقه وفي رواية
اني خفت ان يقذف في قلوبكما شرا وظنا ان الشيطان الخ والمراد بابن ادم الجنس
فيشمل النساء وجريانه مجرى الدم قيل انه على ظاهره وانه اقدره على
الله على الدخول في عروق الناس ويتصل بقلوبهم وقيل انه تمثيل لشدة اتصاله
به ولزومه له واني خشيت عليكما ان يقذف اي يلقي ويوقع الشيطان في
قلوبكما شيا من الظن السيء فتهلكا فتستحقا في اثم يهلككما الله بما يحل بكما من الظن
العقوبة على ذلك الذنب فخشي صلى الله عليه وسلم عليهما ان يغويهما الشيطان
فيلقي في قلوبهما سوء ظن به وانه تكلم مع الجنبية فيؤديهما ذلك الى تنقيصه
وهو كفر يستحقان به دخول النار فيهلكا قبل ازالة علامتهما بما يفقدهما من
الهلاك والحديث في البخاري وغيره كما مر وفيه جواز خروج المعتكف من المسجد
لحاجة والارشاد للاحتراز من محل التهم وانه ينبغي للعالم ان يرشد غيره
لما فيه خير له الى غير ذلك للفوائد التي لا تحصى قال القاضي عياض المولف
رحمه الله هذه اي معرفة ما يجب اعتقاده فيه صلى الله عليه وسلم من
عصمته من ساير الذنوب ليلا يهلك اذا اعتقد خلافه اكرمك الله اي جعلك
الله مكرما بما هداك له مما يجب عليك معرفته احدى فوائد ما تكلمنا عليه
هو جزء هذه المبتدا او ما بينهما من الجملة الدعائية اعتراض في هذه الفصول
بصاد مهملة جمع فصل اي السابقة في بيان عصمة الانبياء عليهم الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وما يجب لهم علينا ولعل جاهلا لا يعلم يجهله
لانه هو الذي يخشى عليه من هذا التوهم ولعل هنا للاشفاق عليه
وخوفه من هلاكه اذا سمع شيا منها اي من الفصول المعقودة لتنزيه الانبيا
عليهم الصلاة والسلام عن النقايص يرى ويعتقد ان الكلام فيها جملة اي
جميعا فهو منصوب على الحال من فضول العلم خبر ان جمع فضل غلب على الامر
الذي يعد عبثا ومنه الفضولي ولذا انسب للجمع فيه وهو بضاد معجمة
بمعنى زيادة ثم ان الكف عن ذكرها اولى من ذكرها وهو جهل عظيم منه لانها
من اهم الامور وقد بان لك مما قررناه انه امر متعين واجب ذكره واعتقاده
للفايدة التي ذكرناها وهي ان فيها النجاة من الهلاك كما يرشدك الحديث
صفية الذي ذكره وفيه فايدة ثانية غير الذي قدمه يضطر بالبناء للمفعول
اي يحتاج اليها احتياجا شديدا لانها من ضروريات الدين في اصول
الفقه اي في القواعد الفقهية او في علم اصول الفقه وينبني عليها اي يترتب
ويتفرع مسايل لا تعد من الفقه اي مسايل الدين الشرعية وفروعه

اي لا تعد

اي كما تعد لكثرتها الا ان الانفعال من العد قليل في الاستعمال الا انه
كما قيل لغة ردية لا يكاد تعد ويخلص بها اي يخرج من عهدتها وسلم من
تشغيب تفعيل من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها وهو تهييج الشر
والصياح في الخصومة مختلفي الفقها اي اقوال الفقها المختلفة في عدة مسايل اي في
عدة مسايل تتعلق بالاعتقاد فيما يجوز على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ويجب لهم وهي اي الفايدة المضطر اليها الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه
وسلم وافعاله التي هي معظم سنته الواردة في حديثه لانها صفاته واقواله
وافعاله وتقرير اته في جميع احواله من الغضب والرضى والصحة والمرض وغير
ذلك مما قاله المحم ولابي شامة رحمه الله كتاب مستقل في افعاله صلى الله
عليه وسلم وما يجب الاقتداء به ويستحب فان منها ما هو تعبد وضرورة
وامور عادية وجبلية اختلفوا في لزوم الاقتداء به فيها واستحبابه فيما
لم يعلم انه قصد به التشريع فذهب الباقلاني والغزالي الى انه يندب
التاسي به في الامور الجبلية ولابي اسحاق فيها وجهان فيها اقوال
ثلاثة بالندب والاباحة والامتناع كذهابه للعيد من طريق ورجوعه من
اخرى وهذا اكله فيما لم يعلم حكمه بنص منه او من الصحابة رضي الله عنهم ولم يعلم
انه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وهو باب عظيم شانه واصل كبير من
اصول الفقه وقواعده المهمة لابتنا كثير من احكام الشرع عليه ولا بد من بنايه
اي جعله مبنيا على اساس وقاعدة يرجع اليها وهي انه متفرع على صدقه
صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه اي ما يبلغه لامته ومن بعث لهدايته وارشاده
وانه لا يجوز عليه السهو فيه اي فيما بلغه عن ربه لعصمة الله له عنه لمنافاته
لكونه صلى الله عليه وسلم ارسل مشرعا مبينا لامر ربه وعلى عصمته من المخالفة
في افعاله الصادرة عنه عمدا فلا يتوهم جوازه عليه ولا اعتقاده وبحسب بسكون
السين اختلافهم على مقداره في وقوع الصغاير من الانبيا كلهم عليهم الصلاة والسلام
لا سيما منه صلى الله عليه وسلم وقع خلاف بين الفقها وفي نسخة اختلاف في
امتثال الصغاير اي اتباعه بمجرد صدوره منه وعليه اكثر فقها المذاهب وقد بسط اي
فصل وبين وذكر بيانه في كتب ذلك العلم يعني الفقه واصوله فلا نطول به
الكلام في هذا الكتاب لانهم جزاهم الله خيرا كفونا مونته فلا حاجة لاعادته
هنا وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم اي القاضي وغيره والمفتي اي المجيب
السايل عن الامور الشرعية من علما الشرع وحكامه فيمن اضاف بنسبته ووصفه
للنبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور التي تجوز او تجب او تمتنع عليه ووصفه لها
صريحا او ضمنا كلا او بعضا فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه من الاوصاف
ولم يعرف مواقع الاجماع فيه نفيا واثباتا ولم يعرف ما وقع الخلاف فيه جوازا او
نفيا لبنى يصمم اي يجزم او يعزم عليه في الفتيا في ذلك اي امر الانبيا عليهم الصلاة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والسلام منعا وجوازا وفي نسخة الفتوى وفي القاموس افتى في الامر ابانه والفتيا
والفتوى ويفتح ما افتى به الفقيه انتهى وفيه تفصيل في المصباح كغيره
ومن اين يدري ويعلم بالعقل والنقل هل ما قاله في حق الانبيا في فتواه او حكمه
فيه نقص لهم او مدح لهم حتى يقدم عليه حكما وافتا فاما ان يجترئ اما بكسر
الهمزة وهمزتها مقررة في كتب العربية والاجترا افتعال من الجراة وهي
الاقدام على الشي من غير مبالاة بما فيه من الضرر وبينه وبين الشجاعة عموم
وخصوص كما بين في كتب الاخلاق على سفك دم مسلم حرام بان يحكم او يفتي
بكفره او قتله وهو غير مستحق لذلك والسفح والسفك بمعنى الاراقة والصب
تنبيه قال في العقايد العضدية لا يكفر احد من اهل القبلة الا بما فيه
نفي الصانع المختار او بما فيه شرك او انكار النبوة او انكار ما علم من الدين
بالضرورة او انكار مجمع عليه قطعا او استحلال محرم واما غير ذلك فالقايل
به مبتدع وليس بكافر انتهى وسياتي بيان ذلك واعلم ان شيخ الشهاب
ابن حجر الهيتمي قال في شرح المنهاج نقلا عن الزركشي ان ما وقع في كتب الحنفية
وفتاواهم من التكفير بالفاظ كثيرة كان المتورعون من متاخريهم ينكرون اكثرها
لمخالفتها لاصول ابي حنيفة وعقايدهم وليسوا من اهل الاجتهاد فليحذرها من
يراها منا ومنهم لانه يخاف على قايلها ان يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم من كفر
مسلما بغير حق فقد كفر انتهى وفي الفتاوى البزازية حكي عن بعض السلف
انه قال ما في الفتاوى من التكفير يكذا وكذا فذلك للتخويف والتهويل
وهو كلام باطل وحاشا ان يلعب امتنا الله تعالى على الاحكام من الحلال والحرام
ويكفر اهل الاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام وما ادى اليه
اجتهاد الامام اخذا من نص كلام الملك العلام او حديث سيد الرسل العظام
انتهى وهذا يحتمل ان يكون تاييدا لما قاله ايمتنا بانهم لا يقولون الا
ما نص عليه امام مذهبهم مستندا الى دليل من القران او الحديث الصحيح او هو
اعتراض على الجواب بان المقصود به التخويف والتهديد بانه لا يصح مثله من
التاويل الا في الحديث والتنزيل اما في كتب الفقه الموضوعة لبيان الحلال والحرام
وتعليم الناس حتى العوام فلا يصح فيها مثله لما فيه من اللبس او يسقط حقا من
حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بما يوهم نقصا فيه او يصح حرمة للنبي صلى الله عليه
وسلم اي امر احترامه امر اعم له صلى الله عليه وسلم كتجويز المعاصي عليه ونحوه مما لا يليق
به فلا يجوز لمسلم ان ينسب لنبينا وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام امرا
ينافي عصمتهم عمدا او سهوا قبل النبوة وبعدها وهو الذي ارتضاه كثير من ايمة
الدين واهل الاصول كما مر ثم ان المصنف في بيان عصمة الملايكة عليهم الصلاة
والسلام كما وردت به النصوص فقال وبسبيل هذا الباء بمعنى في اي ما جرى في
طريق هذا او في نسخة وسبيل هذا بدون باء وهذا اشارة لما ذكر من عصمة الانبيا

ماقد

ماقد اختلف ارباب اي اصحاب الاصول اي علما اصول الدين في العقايد وايمة
العلما اي كبار علما الشرع المقتدى بهم والمحققين اي اهل التحقيق من اعلامهم
في عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يعصون الله ولا يفعلون الا
ما يومرون فمنهم مثلهم في جريان الخلاف فيما هو لازم لهم والصحيح والصواب فيه
فصل في تحرير القول في عصمة الملايكة جمع ملك والتانيث الجمع وفي
اشتقاق الملك خلاف لاهل اللغة المشهور انه من الالوكة وهي الرسالة لانهم رسل
الله يرسلهم لما يريد واصل ما لك ثم قلب بدليل جمعه على ملايكة واختلفوا في حقيقتهم
والصحيح انهم اجسام لطيفة قادرة على التشكل وفي تشكلهم كلام ليس هذا محله وليس
الجن منهم على الصحيح خلافا لمن ذهب الى انهم جنس واحد وقد بيناه في حواشي
التفسير وتقدم الكلام في معنى العصمة قال الجلال الدواني العصمة عندنا ان لا يخلق
الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور انتهى اجمع المسلمون وفي نسخة
اتفق المسلمون على ان الملايكة مومنون بالله ورسله وشرايعه كما وصفهم الله في القران
فضلا اي ذو اقدر معظم مبجل واتفق ايمة المسلمين من علما الملة الاسلامية على ان حكم
المرسلين منهم حكم النبيين من البشر فهم سوا اي مساوون لهم في العصمة وتنزيههم
عما يزري هو اعمه لشرف قدرهم مما ذكرنا عصمتهم منه من الصغاير والكباير كما تقدم
تفصيله والجار والمجرور متعلق بالعصمة قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة
رسلا قال الواحدي الملايكة منهم رسل كجبرايل واسرافيل وميكايل وعزرايل ومنهم غير
رسل وقال بعضهم كلهم رسل ارسل بعضهم لبعض منهم وبعضهم الى الناس كجبريل
والحفظة والمصنف تبع فيما قاله الواحدي وهو المشهور وفي كلامه اشارة الى ان من
انكر الملايكة ليس بمسلم كالفلاسفة فانهم ذهبوا الى انها ارواح الفلكيات
وعقولها لتوهم انها حية فعالة لا عقول روحانية كما فصل في كتب الحكمة
ومطولات الكلام والنصوص القرانية شاهدة بخلافه وانهم اي رسل
الملايكة في حقوق الانبيا من حيث الوساطة بين الله وبينهم والتبليغ اليهم
فيما امرهم الله ان يبلغوه اليهم من الوحي فما لهم تعهم بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام مع الامم في تبليغ الاحكام اليهم وبيان المصالح لهم حسبما امرهم الله
بتبليغه والمراد بعصمتهم انهم لا يخالفون امره تعالى فلا ينافي ان الله لم يخلق لهم شهوة
ودواعي كما في الطباع البشرية وهو ظاهر غني عن البيان خلافا لمن تصدى للجواب
عنه واختلفوا في غير المرسلين منهم اي من الملايكة هل هم مساوون لهم في
في العصمة مما تقدم وعدمها فذهب طايفة من ايمة الدين الى عصمة جميعهم من
الرسل وغيرهم من المعاصي جميعها لان الله تعالى لم يخلق فيهم شهوة ولا داعية
لها واجمعوا لعصمتهم من جميعها وفي نسخة اجتمعت اي الفرقة والاولى اولى
بايات كقوله لا يعصون الله ما امرهم منصوب على نزع الخافض اي فيما امرهم
او بدل اشتمال من اسم الله اي امره ويفعلون ما يومرون به اي يبادرون لفعله

ابن ابرس

من غير تنقيص ولا تاخير فعلى هذا هو تاسيس وان حمل على ظاهره فهو تاكيد
والعطف بالواو يبعده قيل ولا دليل في هذه الاية لمدعاه من العموم
لانه عايد على خزنة النار قبله في قوله عليها ملايكة غلاظ شداد وهم
التسعة عشر وبه فسر في الكشاف فكانه لاحظ عدم الفرق بينهم وبين
غيرهم ولا يخفى ما فيه وبقوله وما منا الا له مقام معلوم لا يتعداه لغيره حيثما
امر وافيه حذف الموصوف اي ما احد منا او معشر او فريق وانا لنحن الصافون
اي الواقفون صفوفا كصفوف الصلاة في المقام المعين لنا ولما امرنا به
وتفسيره بالصافين اقدامنا في الصلاة لا وجه له هنا كما قيل وانا لنحن
المسبحون اي الملازمون لتقديس الله وتنزيهه عما لا يليق بشانه وقيل
معناه المصلون العابدون كما ورد في الحديث ان لهم صفوفا كصفوفنا وبقوله
ومن عنده اي الملايكة المقربون مكانة لا مكانا لتنزه الله عنه لا يستنكفون
عن عبادته اي يتذللون ويخضعون لعظمة الله ولا يستحسرون اي لا يتعبون
ويملون من العبادة التي امروا بها وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن
عبادته الاية لتلذذهم بعبادته وقوله كرام بررة صفة سفرة جمع سافر وهو
الكاتب وهم الكرام الكاتبون من الملايكة والبررة جمع بار وهو المطيع المتقي
ربه واما البر فجمع ابرار وقوله لا يمسه الا المطهرون هذا على ان المراد
به لا يمس القران في اللوح المحفوظ او في غير الا الملايكة المطهرون من الكدورات
الجسمانية والعلايق البشرية وقد فسر بانه لا يجوز ان يمسه من الناس الا
من تطهر من الحدث او لا يمسه الكفرة لنجاسة كفرهم فهو نفي بمعنى النهي ولا
شاهد فيه على هذا كما انه لا شاهد في قوله وما منا الا له مقام معلوم ان
فسر بانه ما من احد من المسلمين الا له مقام في الاخرة او يوم القيامة
وقد قيل ايضا انه لا شاهد فيه على رسل الملايكة اذ لا مخصص فيه وقد اشار
الى عمومه في الكشاف ونحوه مما هو بمعناه من السمعيات اي النصوص القرانية
الواردة في حق الملايكة كقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
او ما هو مسموع من الشارع من كتاب او سنة وذهبت طايفة من العلما الى
ان هذا اي ما ذكر من امر العصمة خصوص اي مخصوص كما وقع في بعض النسخ
للمرسلين والمقربين منهم اي من الملايكة دون غيرهم والمقربون هم الكروبيون
بتشديد الراء وتخفيفها وانشد ابو علي كروبية منهم ركوع وسجد وكافة
مبدلة من القاف او اصله من كرب بمعنى دنا يقال هو كرب الخلق
اي قوته سموا به لقوتهم او لصبرهم على العبادة او هو من الكرب لشدة خوفهم
من الله واحفظوا ما شيا ذكرها اهل التفسير نحن نذكرها ان شا الله وفي نسخة بعد بالبنا
على الضم وتبين الوجه فيها اي القول الموجه المرضي مستعار من الوجه المعروف
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم اي كمال مقامهم الرفيع العالي منزلته عند

ابن اقبرس

دلجي

الله

الله عن جميع ما يحط اي ينقص وينزله من حط الحمل اذا انزله من مكان عال الى
اسفل منه من رتبتهم ومنزلتهم هو مقامهم عن جليل مقدارهم اي قدرهم
الجليل فهم معصومون عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ولا يجوز ذلك
عليهم ولا يقدرون عليه ورايت بعض شيوخنا اشار اي قال والاشارة
تطلق بهذا المعنى كثيرا الى ان بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة اي انه
لا حاجة بالنفي الباء بمعنى اللام اي لا حاجة له الى الكلام في عصمتهم قيل اكتفا
بما ورد واشتهر في حقهم ومدحهم من النصوص في القران والحديث وقيل انه
لكونهم غير مرئيين لنا ولم نؤمر بالاقتداء بهم بخلاف الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فانا متبعون لاقوالهم وافعالهم مقتدون بهم فلا بد من معرفة عصمتهم
واعتقادها للوثوق بهم حتى امتثال اوامرهم ونواهيهم للامر وقيل انما اراد
انه يجب الكف عن الكلام في جميعهم لانه امر مشكل لا ينكر فيه الا بدليل قطعي
لا انه لا فايدة فيه وانا اقول ان الكلام في ذلك اي في عصمة الملايكة
لازم كالكلام في عصمة الانبيا وفي نسخة ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الانبيا من الفوايد الثلاثة التي ذكرناها فانهم وسايط بين الله ورسله ونسبتهم
للرسل كنسبة الرسل لامتهم فلو لم يكونوا معصومين لم يحصل الوثوق
للرسل بما يلقوه ويسري ذلك لنا فلا فرق اذن سوى فايدة الكلام في
الاقوال والافعال اي الفايدة التي ذكرها في اقوال الرسل وافعالهم فهي
ساقطة هنا اي في حق الملايكة لعدم اطلاعنا على اقوالهم وافعالهم ولسنا مكلفين
باتباعهم فيها كالانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا داعي لعصمتهم فيها عمدا
ولا سهوا لعدم طرو ما لا يليق فيما احتج به من لم يثبت عصمة جميعهم وقال
بوجوب عصمة الرسل منهم فقط قصة هاروت وماروت هما علمان للملكين
بيابل ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا عربيين من الهرت والمرت
صرفا وما ذكر فيها اي القصة اهل الاخبار وعلما التاريخ ونقله جمع
ناقل مثل كاتب وكتبه مضاف لقوله المفسرين اي من عتمد على النقل
من الصحف دون تحقيق وفي نسخة ونقله المفسرون بفعل ماض وفاعل
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما بمحبة المراة وعقابهما على
ما فعلاه كما ستسمعه قريبا مع ما فيه ردا وقبولا وما وقع من السحر
فتنة للناس وان السحر من اعتقده وعمل به فقد كفر كما ياتي واما من تعلمه
ليتوقاه ويتداوى منه فلا كما قيل
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
وللفقها فيه وفي قتل الساحر كلام طويل الذيل ليس هذا محل تفصيله فاعلمه
خطابا عام لكل واقف على هذا الكلام طالب للعلم به اكرمك الله بهدايتك للحق
ان هذه الاخبار المذكورة في قصة هاروت وماروت لم يرو منها شي عن يعتد

ابن اقبرس

دلجي

قيل

به من المحدثين لا سقيم اي ضعيف ولا صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
هو اي ما تضمنته قصتهما شيء يؤخذ اي يستنبط بقياس وفي نسخة بالقياس
اي ليس مما يجري فيه القياس على غيره مما ورد من الايات والاحاديث الصحيحة
فلا ينبغي الخوض فيه نفيا واثباتا وهذا الذي ذكره من انه لم يرد فيه حديث
ضعيف ولا صحيح رده وكاتقله السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث
الشفا بانه ورد من طرق كثيرة منها ما في مسند احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما
مرفوعا ورواه ابن حبان والبيهقي وابن جرير وابن حميد في مسنده وابن ابي
الدنيا وغيرهم من طرق عديدة وقال ابن حجر في شرح البخاري ان له طرقا تفيد
العلم بصحته وكذا في حواشي البرهان الحلبي وذكر مسندا عن ابن عمر رضي
الله عنهما انه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول لما اهبط الله ادم الى الارض
قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها الاية قالوا ربنا نحن اطوع لك من بني
ادم فقال الله لهم ايكم يهبط للارض قالوا ربنا هاروت وماروت
فاهبطا فتمثلت لهما الزهرة امراة حسناء من البشر فراوداها عن نفسها
فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك فابيا فذهبت واتت
بابن جار لها تحمله فراوداها فقالت لا حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا
ثم راوداها مرة اخرى فاتت بقدح خمر فقالت لا حتى تشرباه فشرباه وسكرا
فتكلما بكلمة الكفر وقتلا الصبي فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
فاختارا عذاب الدنيا فعلقا بين السماء والارض والزهرة بضم الزاي وفتح
الهاء وتسكينها الحسن ولا مانع منه تخفيفا ويقال لها بالفارسية ناهيد
وتخفف فيقال ناهيد وفي رواية ابن عباس ان الله انزلهما حكمان بين
الناس وان الزهرة قالت لهما اخبراني بما تصعدان به الى السماء قالا باسم
الله الاعظم وعلماها اياه فطارت الى السماء فمسخت كوكبا وقد جمع الجلال
السيوطي طرق هذا الحديث في تاليف مستقل فبلغت نيفا وعشرين طريقا
وقوله والذي اي من ذكر هذه القصة في القران جواب سوال تقديره انك
قلت ان هذه لم تثبت عنه صلى الله عليه وسلم فما تقول في ذكرها في القران
في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة الاية فاجاب بقوله
اختلف المفسرون في معناه اي معنى ما ذكر في هذه الاية فانكر ما قال بعضهم فيه
اي في معناه كثير من السلف كما سنذكره فلا حاجة لذكره هنا وهذه الاخبار التي
ذكرها بعض المفسرين منقولة من كتب اليهود في الاسرائيليات وافتراء اي كذب
على انبياء الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام كما قصه الله اي حكاه في اول الايات
من افترائهم بذلك على سليمان بتكفيرهم اي نسبته الى الكفر الذي رده الله تعالى بقوله

اياه

وما

وما كفر سليمان الخ وقد انطوت اي اشتملت واحتوت هذه القصة على شنع
عظيمة بضم الشين المعجمة وفتح النون وعين مهملة جمع شنعة اي قبيحة شائعة
من شنع عليه اذا اشاع قبائحه وذلك كما ياتي بيانه انهم كتبوا سحرا وبرجيات
على لسان اصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام ودفنوها
تحت مصلى سليمان فتزع ملكه ثم لما مات استخرجوها وقالوا انما ملكه بهذه
فانكرها صلحاؤهم واقبل عليها السفلة ورفضوا كتب انبيائهم ونسبوا
سليمان عليه الصلاة والسلام للكفر والسحر فبراه الله منه وهاتان تحرير اي
تحرير تحريرا حسنا من جرم بمهملتين بينهما موحدة اذا حسنه وزينه
وفيه تورية لانه يقال جرم اذا كتبه بالحبر ففيه ايهام لمعنى نكتته لتبيينه
في ذكر المذكور في قصة هاروت وماروت ما يكشف غطا هذه الاشكالات
اي ما يزيل لبسه واشكاله ببيان الحق فيه وفيه استعارة مكنية وتخييلية
او مصرحتان باستعارة الكشف للازالة والغطا للبس ان شاء الله اي ان
اراده بيمنه وبركته فاختلف اولا في هاروت وماروت اي في حقيقتهما وجنسهما
لان بيان الحقيقة ينبغي تقديمه على بيان احوالهما وهل هما ملكان بفتح اللام
اي في جواب هذا السوال وهو تفسير للاختلاف وجهته او انسيان نسبة
الى الانس خلاف الجن اي من بني ادم وهل هما المراد بالملكين في قوله وما
انزل على الملكين في الاية بان يكونا بدلا منه ام لا وهل القراءة ملكين بفتح اللام
وهي قراءة السبعة او ملكين بكسرها وهي قراءة شاذة منقولة عن الحسن البصري
وغيره كما ياتي وهل ما في قوله وما انزل على الملكين و في قوله ما يعلمان من احد نافية او
موجبة اي غير نافية من الايجاب ضد النفي فهي على هذا موصولة او موصوفة
وهو ظاهر وكونهما ملكين بفتح اللام مذهب الجمهور وقرائته متواترة وعلى
قراءة الكسر يلزم كونهما انسيين تصورا بصورتهما الاصلية لانه المتبادر
وكونهما من الملائكة امرهما الله بالهبوط للارض والحكم بين الناس كما تقدم في الحديث
فتصورا بصورة البشر لتقدرهما على التشكل بعيدا من دلالة اللفظ والاحتمال
البعيد لا يعول عليه فايراده هنا غير منجه والقائل بانهما ملكين بالكسر استدل
بظاهر حديث رواته عائشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها انهارا انهما
رجلين معلقين برجليهما وفيه الاحتمال السابق ايضا فالاحتجاج به غير
تام فان كانت ما في ما انزل نافية كان معطوفا على ما كفر سليمان اي لم يكفر
ولم ينزل على الملكين شيء من السحر وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل البعض
وما بينهما اعتراض وهو رد على اليهود لعنهم الله فيما افتروه على الانبياء والملائكة
والا فهي موصولة او موصوفة وقوله من احد بالي كونها غير نافية ولذا قال بعض
الشراح انه لم يذكره احد من المفسرين وان المعنى عليه غير ظاهر والكلام في ذلك
مفصل في التفاسير فاكثر المفسرين يقول ان الله امتحن الناس بالملكين اي ابتلاهم

عرضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعاملهم معاملة المحنة لامرهم حتى يظهر حالهم والملكين تثنية ملك بفتح اللام
فانزلهما لتعليم السحر لهما وتبيينه وان علمه كفر وفي نسخة عمله بتقديم الميم
على اللام وجعله كفرا مبالغة لانه سببه فهو مجاز كرعينا الغيث والمطر فلن
يعلمه ويعمل به معتقدا حله كفر لاعتقاده ما هو حرام اجماعا حلالا ومن تركه
آمن اي دام وهو مومن على ايمانه اذ الكافر بمجرد تركه السحر لا يصير مومنا وهذا
مذهب مالك وعزاه المص في شرح مسلم الى سيدنا احمد بن حنبل فهو عندهما كافر
يقتل ولا يستتاب كالزنديق عنده وهو عند الشافعي كبيرة ان لم يكن فيه ما يقتضي
الكفر فلا يقتل وتقبل توبته فان قتل بسحره قتل قصاصا عنده وقيل تلزمه
الدية والكفارة وعند غير الشافعية فيه خلاف ودليل ما قال الله عز وجل انما
نحن فتنة فلا تكفر فان قولهما على طريق النصح حتى روي ان تكرره سبع مرات
يقتضي انه كفر وما قيل من انه لا دليل فيه لاحتمال ان الله يعاقبه بسلب
الايمان منه اي لا تفعله فانه سبب لسوء الخاتمة خلاف الظاهر وتعليمهما
الناس تعليم انذار مبتدا وخبر والناس مفعول المصدر الاول وهو جواب
عما استدلوا به اي انما علموه لهم ليعرفوه ويحذروا منه فهو انذار وتخويف
لهم من وباله ثم وضحه بقوله اي يقولان يعني الملكين لمن جا يطلب تعلمه منهما
لا تفعل اي لا تتعلم وفي نسخة لا تقل فانه يفرق بين المرء وزوجه اي هو سبب
لذلك بما يلقيه في قلوبهما من البغض الموجب لمفارقة احدهما الاخر وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله اي بتقديره وارادته والسحر له تاثيرات
غير ذلك وانما خصه لكثرته والجمهور على ان السحر له حقيقة تحدث عند
نطقه ببعض الكلمات او فعل بعض الاشيا بخاصية اوجدها الله عنده وقيل
انه تخييل باطل وانه لا اثر له غير تفريق الزوجين والاول هو الصحيح كما قاله
المازري ولا يتعلمون ما يضرهم تفعل من الحيلة بالحا المهملة اي لا ينالون شرا واجيل السحرة
التي يفعلونها من التمويه والنفث في العقد ونحوه وروي لا يتخيلون بخا
معجمة وهو ظن الشي على خلاف ما هو عليه واكثرهم على الاول ويويده تعديه
بالبا او هي سببية فانه سحر اي امر غير محمود ولا جايز فلا تكفروا بفعله لانه كفر
او مودي اليه كما بيناه فعلى هذا كفي السحر بعد نهيهما عنه وبيان ضرره وكفر
فاعله طاعة فيما فيه من النهي عن المنكر ونصح فيما فيه امر به اي امرهما الله به
باظهاره وبيان حاله ليس بمعصية يستدل بها على عدم عصمة بعض الملايكة
وهو جواب عن سوال تقديره انما فعلا ما هو جايز في نفسه بانه في حقهما
جايز كالمفتي والواعظ التي يتكلم بكلمات الكفر ليتجنب وهو مامور بذلك
فهو في حقه غير ممنوع وهي لغيرهما فتنة بلية تهلكه بعقاب الله له وروى
ابن وهب هو الامام عبد الله بن وهب المصري وقد تقدمت ترجمته
عن خالد بن ابي عمران التجيبي التونسي قاضي افريقية ومحدثها توفي

سنة

سنة مايه وتسعة وثلاثين واخرج له اصحاب السنن ووثقوه وكان مستجاب
الدعوة وله تفسير انه ذكر عنده هاروت وماروت فذكرا انهما يعلمان السحر من طلب تعلمه
منهما فقال نحن ننزههما عن هذا اي تعليم السحر فقرا بعضهم ردا لما قاله مايند
مخالف لظاهر قول الله وما انزل على الملكين الاية احتج بها بنا على الظاهر من ان ما
موصولة وعلى قراة الجمهور بفتح اللام فقال خالد مجيبا له لم ينزل عليهما بالبنا للفاعل
او المفعول وهو انكار لما قاله وانه ليس ما فهمه مراد الله وان لها معنى غير ما يظهر
منها لتاويلها وسياتي ان شا الله تعالى فهذا خالد على جلالته اي عظم قدره
وجعله لشهرته كانه حاضر مشاهد عنده وعلمه بالتفسير والحديث ننزههما
اي الملكين من تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انه ماذون لهما في تعليمه لان الله امرهما
بتعليمه انذارا للناس وليس معصية في حقهما كما سمعته انفا بشرط بطه بمعنى
شرط كما وقع في بعض النسخ ايضا ان بينا انه كفر فيعلماه بما فيه من المحذور
وانه امتحان من الله وابتلاء عطف تفسير فغير خالد جعل ما موصولة ايجابية
مثبتة لا تنزل السحر عليهما وهي عند نافية كما ياتي ولكنه امر بتعليمه لانذارهم
وتحذيرهم من مضاره وبيان انه ابتلا من الله فكيف لا ننزههما هو مضارع
مسند الى خالد او له مثناة تحتية وقيل انه مبدوء بالنون مسند للمتكلم وغيره
اي كيف لا ننزه نحن الملكين عن الكباير والصغاير كشرب الخمر وقتل النفس
والزنا والكفر بالتكلم بكلمة الكفر ونحوه المذكورة في تلك الاخبار التي رووها
كما سمعته وفصلناه قريبا فننزههما عن هذا بعلم من تنزيه خالد لهما عن
السحر وتعليمه بشرطه المذكور بالطريق الاولى وقول خالد الذي نقله المص عنه
لم ينزل عليهما بالتشديد والتخفيف مبنيا للمجهول الذي دل عليه قوله وما انزل
على الملكين الى يريد بقوله ذلك ان ما في هذه الاية نافية وهو قول ابن عباس رضي
الله عنهما وبه اقتدى خالد وهو يقول كما في بعض الشروح ان المراد بالملكين
جبريل وميكاييل وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل البعض وغيره
لم يذهب لهذا كما تقدم وهذا القول لم ينقل به جمهور المفسرين والمحدثين
كما عرفته ذا الكي في تفسيره وقد تقدمت ترجمته وتقدير الكلام عند ابن عباس
وخالد اذا كانت ما نافية وانه معطوف على قوله وما كفر سليمان نبي الله صلى
الله عليه وسلم يريد بالسحر الذي افتعلته الشياطين عليه اي افترته وكذبت
في نسبته اليه قال في الاساس مفتعل مختلق مصنوع يعني لا اصل له قال
ذو الرمة غرايب قد عرفن بكل افق من الافاق تفتعل افتعالا
فاتهم في ذلك اليهود كما قيل ان الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسيه
فلما مات وذهب علما مملكته قالوا ان تحت كرسيه كذا فحفروا واستخرجوا
الكتب فقالوا ان سليمان كان ساحرا فلما نزل القران بذكره قال اليهود
انه ساحر فنزلت الاية بتكذيبهم اي تكذيبا لهم كما رواه الطبراني عن ابن جبير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسند صحيح لكن فيه ان الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها فلما
مات استخرجتها وقالوا هذا هو العلم الذي كتمه عن الناس وراد ابن اسحاق
انهم نقشوا خاتما كخاتم سليمان وختموا به الكتاب وعنوانه هذا ما كتبه
اصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخاير كنوز العلم الذي
انزله الله على سليمان فاخفاه عنا ثم قرأوا كتب السحر والكفر على الناس وقوله
ما انزل على الملكين اي شيء من السحر وهذا ابيان لانها نافية وهو قول ضعيف
قال مكي قرا اي الملكان جبريل وميكايل كما تقدم ادعى اليهود عليهما انهما
نزلا بالسحر وتعليمه افترا عليهما كما ادعوا على سليمان عليه الصلاة والسلام
انه ساحر اعتقد السحر وعمل به افترا عليه فاكذبهم الله اي بين كذبهم
في ذلك كله مما نسبوه لجبريل وميكايل وسليمان بقوله ولكن اضراب ابطالي
الشياطين كفروا بكذبهم على الله وملايكته ورسله وعلمهم السحر وتدوينه وهم
الذين يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وبابل
علم ارض ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث سميت بها لتبلبل الالسنة واللغات
بها بعد الطوفان وهي بالعراق وما قيل انها بالمغرب قول ضعيف جدا
وقيل هما اي هاروت وماروت رجلان لا ملكان تعلماه اي تعلما السحر وهو
قول مردود وبابل يضاف لها على هذا وقال الحسن هو الحسن البصري وقد تقدم
بيانه هاروت وماروت علجان تثنية علج وهو الغليظ من كفار العجم اي ما عدا
العرب ويطلق على كل شديد من الكفار مطلقا من قولهم هو مستعلج الوجه
اي غليظه واعتلجوا اضطربوا وقرا الحسن وما انزل على الملكين بكسر اللام
كما تقدم بيانه ونكون ما ايجابا اي موصولة لا نافية على هذا القول والقراة
والمعنى الذي انزل على هذين الرجلين وكذلك اي كما قرا الحسن قرا عبد الرحمن ابن
ابزى بكسر اللام وبه قرا ابن عباس في الشواذ والضحاك وعبد الرحمن هذا
صحابي كما جزم به النووي والذهبي واختلف في ابيه فقيل انه صحابي
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصلى خلفه وقيل انه تابعي لم يدركه
وابزى بفتح الهمزة وسكون الموحدة وزاي معجمة والف مقصورة يقال
ابزى اذا اوسع خطوه وقد اخرج له الستة وغيرهم كاحمد في مسنده وهو
خزاعي ولكنه قال الملكان هنا اي في هذه الاية المراد بهما داود وسليمان صلى الله
عليهما وسلم ويكون ما نافية على ما تقدم ولا شك انهما معصومان فلا يكون ما موصولة
وقيل كانا ملكين على انه بكسر اللام في هذه القراة من بني اسرايل هو لقب يعقوب
ومعناه صفوة الله واليه ينسب بنوا ابراهيم فمسخهما الله بما وقع منهما حكاه
السمرقندي قيل انه بسكون الراء والنون وتقدم بيانه والقراة بكسر اللام
كامر والشاذ ما فوق العشرة على الصحيح وقيل ما فوق السبعة والكلام عليه
في الاصول وعلم القراات مشغول نحمل بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اي

ماتحمل

ما تحمل عليه وتفسر به الاية يعني قوله وما انزل على الملكين الخ على تقدير مكي
بجعل ما نافية معطوف على ما كفر سليمان حسن على القول بانهما لم يومرا بتعليمه
ابتلاء وامتحانا كما تقدم وحسنه كانه ينزه الملايكة عن المعاصي ويذهب الرجس اي
الاثم وجزاه عنهم ويطهرهم تطهيرا اي يبرئهم عن المعاصي واوساخها
وهو اقتباس استعير فيه الرجس للمعاصي والتطهير للعصمة منها وتحقيقه
في الكشاف وشروحه وقد وصفهم الله اي وصف الملايكة في القران بانهم مطهرون
من دناس العيوب كالمعاصي وهذا بناء على احد التفاسير فيها كما تقدم ولا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقد تقدم بيانه واعلم ان ما ذكره
المص في قصة هاروت وماروت من انها لا اصل لها بحسب الرواية ولا من
جهة الدراية على ما هو الاصح من ملكيتهم لانهم معصومون والملك المعصوم
لا يليق ان ينسب اليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما امر مردود اما الاول فلما
عرفته فيما مر من انه ورد في حديث من طرق كثيرة باسانيد صحيحة كما قاله الحافظ
ابن حجر والسيوطي قال وجمعت طرقه في جزء مستقل الى اخر ما مر فالتردد فيه
لا ينبغي واما ما انكره من انه نسب للملايكة ما لا يليق بهم ولا يصح نسبته
لهم فتحقيق الوجه فيه ان الله تعالى لما جعل ادم عليه الصلاة والسلام خليفة
والخلافة في اولاده وقالت الملايكة سوال استفسار اتجعل فيها خلفا يفسدون
في الارض فقال لو جعلت فيكم ما فيهم من الشهوة كنتم مثلهم فتعجبوا من ذلك
فامرهم باختيار من يحكم في الارض فاختاروا هذين الملكين فاودع فيهما جبلة
شهوة بشرية وتمثلا بصورتهم فلما اهبطها ورايا الزهرة فتنا بها وكان
ما كان مما قصصناه عليك فاذا عرفت هذا اسقط هذا الاعتراض لانهما
لما حولا عن الملكية واودع فيهما شهوة البشر لا ينكر مثله منهما لان المعصوم
الملك ما دام على اصل ملكيته فاذا خرج عنها التحق بالبشر فلا ينكر ان يصدر
منهما ما يصدر منهم وهذا هو الحق الحقيق وما يذكرونه في الاستدلال
على ما ادعوه من ان الملايكة غير معصومين والمعصوم منهم الرسل فقط قصة
ابليس لما عصى الله وابى السجود لادم عليه الصلاة والسلام على القول بانه كان
من الملايكة وفيه خلاف مشهور كما اشار اليه بقوله وانه كان من الملايكة ربيا
فيهم وكن خزان الجنة من احواله وخزان بضم فتح وتشديد جمع خازن كحزنة من
الحزن وهو حفظ الخزاين والمراد به حفظتها وحراسها وانه استثناه الله من
الملايكة بقوله فسجدوا والاصل في الاستثنا الاتصال المقتضي لانه منهم ولو لم
يكن منهم داخلا في امرهم بالسجود لم يكن مستحقا للطرد وغيره وهذا ايضا لا يتفق
عليه مبني للمجهول اي لم يتفق عليه العلما حتى يتم الاستدلال به مع معارضته
لقوله في اية اخرى كان من الجن وان اوله الذاهبون الى الاول وهو منقول
عن ابن عباس والكلام فيه مشهور غني عن البيان بل الاكثر منهم ينفون ذلك ويقولون

ابليس صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انه ابو الجن وهو المسمى بالجان ايضا ومنهم من قال انه ابو الشياطين وان
للجن جنس غير هم الجان ابوهم وان الشياطين لا يسلمون ولا يموتون الا معه
والجن منهم مسلم وكافر ويموتون كالبشر ويحشرون ويدخلون النار والجنة
كما انا دم ابو الانس وهو اي هذا القول قول الحسن وقتادة وابن زيد
وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتقدمت تراجم هولا كلهم وقال شهر بن حوشب
شهر بمعجمة بزنة ضرب وحوشب بفتح الحا وسكون الواو وفتح الشين المعجمة
وموحدة وهو ممن روى عنه ووثقوه وضعفه بعضهم وتوفي سنة احدى عشرة
ومايه وقيل في تاريخ موته غير ذلك وله ترجمة في الميزان كان من الجن الذين طردتهم
الملايكة في الارض حين افسدوا فيها والاستثنا من غير الجنس وهو الاستثنا
المنقطع شايع من شاع الخبر اذا اشتهر بين الناس في كلام العرب سايغ بسين
مهملة وغين معجمة اخره ومعناه جايز من ساغ الشراب اذا سهل شربه وطاب
استعير لما ذكر يعني انه مسموع من اهل اللسان غير ممتنع بحسب العقل والفهم
ثم استدل بقوله تعالى ما لهم به اي الذين اختلفوا في قتل عيسى من علم الا اتباع
الظن والظن ليس من العلم وكذا اتباعه وقد اخرج منه وليس من جنسه اي
لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه وتاويله بما يسكن اليه النفس بصحبه ولا يجعله
متصلا كما قيل واما كون ابليس ملكا او جنيا او ان الجن والملك نوع واحد
من عنصر واحد والجن من نار مخالط لدخانه والملك من صافي نوره كما قرره
البيضاوي والكلام على هذه الاقوال الثلاثة وعلى حقيقة الجن والملك لا يسعه
هذا المقام ومما رووه من الاخبار كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم
عن يحيى بن كثير ان خلقا اي طايفة من الملايكة عصوا فيما امرهم به وهذا بناء
على عدم عصمة جميعهم فحرفوا ضبطه بعضهم بالفا من التحريف اي طردوا وصرفوا
عن مقامهم وفي بعض الشروح انه بالقاف من تحريق النار والرا المهملة مشددة
فيهما مع بنا المجهول لكن قوله وامروا ان يسجدوا لادم فابوا السجود له يابا ه
بعد تحريقهم وفنايهم كيف يوسروا بالسجود له الا ان يقدر واخرون امروا
بالسجود فحرفوا هو كالذي قبله ولو ضبط الاول بالفا والثاني بالقاف جاز على
انه قصد التجنيس فليحرر واخرون كذلك اي امروا بالسجود لادم فابوا فحرفوا
حتى سجد له من ذكر الله في قوله تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس في اخبار
اي ما ذكره الله في القران مع اخبار اخر في معنى الاية لا اصل لها اي لا يعتمد
عليها يقال لكلام لا يصح هذا لا اصل له فيكتفي بنفي الاصل عن نفيها يردها
صحيح الاخبار المنافية لها الدالة على عصمة الملايكة كما في الايات المتقدمة فلا
يشتغل بها الباب الثاني فيما يخصهم من الامور التي تختص بالانبيا
من الصفات والسمات التي تكون لهم في الدنيا سوا كانت واجبة او مندوبة او مباحة
او لا وفيما يطرا اي يحدث ويوجد وهو مهموز الاخر وقد تبدل همزته بحرف علة

يقال

يقال طرا عليه كذا اذا عرض له فلذا فسره وبينه بقوله من العوارض جمع عارض
واصل معناه ما يبدو وعرضه ثم استعمل فيما يعرض ويحدث من سقم وغيره
وقوله البشرية تخصيص له لان العوارض تعرض للبشر من بني ادم وغيرهم
لما ذكر في الفصول التي قبل هذا مما يتعلق بالانبيا من عصمتهم من الكباير
والصغاير والحقه ببيان عصمة الملايكة وهو مما يتعلق بالامور الاخروية
شرع فيما يتعلق بهم من الامور الدنيوية لما بينهما من التقابل فقال
قد قدمنا في هذا الكتاب انه اي نبينا صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا والرسل
اي بقيتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من البشر اي افراد كاملة من
هذا النوع فيجري عليهم ما يجري على غيرهم من لوازم البشرية وان جسمه وظاهره
الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق ببنيته متحقق للبشرية لا يخالف
غيره في شي منها فلذا قال يجوز عليه اي يجوز ان يطرا عليه من الافات جمع افة كعاهة
وزنا ومعنى وهو ما يفسد ما اصابه ويضره قال السرقسطي في افعاله اي
القوم اوقاتا اذا دخلت عليهم مشقة وقد مر والتغيرات اي الانتقال من
حال الى حال كالمرض والصحة والالام بالمد جمع الم وهو كما قال الراغب الوجع
الشديد ومنه عذاب اليم اي مولم والاسقام جمع سقم بفتحتين وسقم بضم
فسكون وهو المرض المختص بالبدن لان منها ما هو نفساني ومشترك كوجع
كاس الحمام التجرع الشرب قدر ما يجرعه بعد جرعة وكاس بهمزة تبدل
الفا قدح الشراب ما دام فيه والا فهو زجاجة وقدح والحمام بكسر الحا المهملة
الموت من حم الامر اذا قضي وقدر لانه بقضايه وقدره وفيه استعارة
مكنية مرشحة شبه بالمسكر كما في الحديث ان للموت لسكرات لازالة العقل
فاثبت له الكاس تخييلا واثبت التجرع ترشيحا وكون اضافة الكاس كاضافة
لجين المار كيك وتاخيره عن الاسقام والالام واقع موقعه ما يجوز على غيره
من البشر لان المساواة في الجسمية تقتضي المساواة في قبول العوارض
كما تقرر في الحكمة وعلم الكلام وما موصولة فاعل يجوز الاول وهذا كله
اي ما جوز عليه وعلى ساير الانبيا من جواز ان يطرا عليهم كغيرهم العوارض
البشرية من الالام وغيرها ليس بنقيصة فيه لانه امور طبيعية
غير كسبية لا يعد مثله نقصا الا عند بعض العقول القاصرة
كما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لان الشي انما يسمى
ناقصا بالاضافة اي بالنسبة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه كما يتفاوت بعض
افراد الناس ويفوق بعضهم بعضا بالفضايل والاخلاق الحميدة وقد
كتب الله اي قضى وقدر في الازل قضا مبرما على اهل هذه الدار يعني
دار الدنيا انهم فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون الى البرزخ ثم الى منازلهم
في الاخرة وهذا واقع في القران خطابا لادم وحوي والمراد عمومه لهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولغيرهم ومنه اقتبس المص وخلق جميع البشر بمدرجة الغبر مدرجة
بفتح الميم اسم مكان بمعنى الطريق قال الراغب يقال لقارعة الطريق مدرجة
وفلان يتدارج اي يتصعد درجة درجة ودرج مشى فهي بحال المشي
والغبر بكسر الغين المعجمة وفتح المثناة التحتية وراء مهملة يقال غبر الدهر
حوادثه المتغيرة من حال الى حال وهو مفرد بزنة عنب او جمع غبرة وهي
الامر المتغير والباء بمعنى في او للملابسة وهذه فقرة بليغة لانه جعل
دارهم الدنيا على طريق يمر عليها حوادث الدهر والمراد انهم مستعدون لها
لا محالة وفيه اشارة الى ان الدنيا دار ممر لا مقر وفيه استعارة مكنية
شبه حوادث الدهر بقوم سالكين في طريق هولا ساكنون فهو في غاية الحسن
فقد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يحتمل انه اشارة
الى ما كان يطرء عليه من الامراض مطلقا كما رواه البخاري انه صلى الله
عليه وسلم كان يتوعك وعكا شديدا وذلك ليزداد اجره ويحتمل انه اشارة
الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض موته والكلام عليه مفصل في كتب
الحديث والسير فلا حاجة للتطويل بذكره كما فعله بعضهم هنا وقوله
واشتكى بمعنى مرض ايضا قيل وانما ذكره اشارة الى انه ورد في الحديث
تارة التعبير عنه بانه مرض وتارة بانه اشتكى وليس المراد به معناه
المشهور لما يوثر من صبره والرضى بما يفعله الله به وروي ان جبريل كان
يرقيه صلى الله عليه وسلم في مرضه فيقول بسم الله ارقيك من كل شيء يوذيك
من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك واطابه الحر والقر والحر
بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء المهملة وهو شدة سخونة الهواء في الصيف
وضده القر بضم القاف وتشديد الراء وهو شدة البرد ويجوز فتح
قافه للازدواج وادر كذلك الجوع والعطش وهو من الله ليزداد اجره بصبره ومجاهدته
تعليما لامته ولو اراد خلافه لملا الله له الدنيا رزقا ونعما وفي ذلك
ايضا رياضة يتصفى بها الذهن وتخف الروح لكنه يظهره في صورة العجز
تادبا مع الله تعالى ومخالفة لاهل الملل في ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال
لا رهبانية في الدين وهذا في بعض الاحيان وان كان يواصل الصوم ويقول
اني لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقين فان لكل مقام حالا
يخصه وقد حققه المحدثون وابن سينا في مقامات العارفين في اخر الاشارات
ولحق فعل ماض بلام وحاء مهملة وقاف الغضب وهو ثوران النفس لارادة الانتقام
وكان غضبه صلى الله عليه وسلم اذا وقع من غيره مالا يرضاه والضجر بضاد معجمة
وجيم وراء مهملة بمعنى القلق وقيلة الملل والسامة من الحاح بعض الناس
من الاعراب والمولفة قلوبهم وهذا كله ورد في الاحاديث الصحيحة وناله اي
حصل له صلى الله عليه وسلم الاعياء والتعب هو عطف تفسير للاعياء فانهما بمعنى

واحد

واحد فكان يعرض له هذا كله كما يعرض لغيره من البشر ومسه الضعف في بدنه
اخر عمره والكبر المراد به هرم الشيخوخة وهذه كلها امور جبلية تحدث
لنوع الانسان لا يسلم منها احد لا نبي ولا غيره ولا يعد ذلك نقصا فكان
صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا في تهجده كما رواه مسلم ولو قصد السجود
فجعلها فترات برايية فهم الضعف والكبر وسقط اي وقع صلى الله
عليه وسلم من فوق فرسه فجحش بضم الجيم وكسر الحاء المهملة وشين معجمة
مبني لما لم يسم فاعله اي خدش والخدش جرح في الجلد وقال الخليل هو
كالخدش واكثر شقه بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف اي جانبه الايمن
وهو في حديث من احاديث الصحيحين وكان ذلك في ذي الحجة سنة خمس
وفي البخاري عن انس انه صلى الله عليه وسلم سقط عن فرسه فجحشت
ساقه او كتفه وشج الكفار في وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب
الراس فيشق ثم استعمل في غيره من الاعضاء والذي شجه ابن قميئة فاسند
ما وقع من البعض للكل كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما تقدم وكسروا رباعيته
بتخفيف الياء بزنة ثمانية وهي السن التي بين الثنية والناب وجمع على
رباعيات وفي التعبير بالكسر اشارة الى انها ذهبت منها فلقة ولم تسقط
من اصلها وكان هذا في وقعة احد فشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته
السفلى وجحشت ركبته وسال الدم على وجهه وهشمت الخوذة التي على
راسه الشريف كما فصل في السير وهو لا ينافي كون الله عصمه من الناس
ان قلنا ان اية العصمة نزلت قبل والا فالعصمة انما هي عن القتل كما مر
وقد فصله الامام الخيضري في خصايصه وسحر بالبناء للمجهول السحر بسين
مثلثة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر اهدت له زينب
بنت الحارث اليهودية شاة مشوية وكانت سالت اي اعضاء الشاة
احب اليه فقالوا الذراع فاكثرت من السم فيه وقد منه اليه فلما مضغه
صلى الله عليه وسلم لم يسغه واكل منه بشر بن البراء فمات بعد ذلك وقال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه امسكوا فانها مسمومة وقال ما حملك على هذا
قالت ان كنت نبيا لم تسلمت منه فاعلم بك والا اراح الله الناس منك فاجتمع صلى
الله عليه وسلم على كاهله كما ياتي وروي انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها وفي
رواية انه قتلها قال الواقدي رحمه الله وهو الثبت وجمع بينهما بانه
تركها اولا ثم لما مات بشر بن البراء قتلها وقيل انها اخت مرحب اليهودي ولذا
ترك قتلها اول الامر وتفصيله في السير وسحر بالبناء للمجهول والساحر له
لبيد بن الاعصم كما مر ترك ذكره لشهرتها ولخسته او لعدم تعلق الغرض
به وهو يهودي من بني زريق وقيل انه منافق اصلا ظاهرا وارتضاه
ابن الجوزي وكان ذلك في مرجعه من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة

سبع وقيل انه كان حليفا في بني زريق يحسن السحر فجعل له اليهود جعلا
على ان يسحره صلى الله عليه وسلم فاثر فيه سحره اربعين ليلة وقيل ستة اشهر
وقيل انه مكث سنة وباقي في رواية يحيى بن يعمر ما يؤيد هذا الاخير وان
السهيلي قال انه المعتمد **وتداوى** صلى الله عليه وسلم كما يتداوى غيره فهو من
جملة ما يلحقه من العوارض البشرية فتداوى من لدغة عقرب بما وملح لما
لدغته في اصبعه وهو يصلي كما في مسند بن ابي شيبة عن ابن مسعود فاتي
بما وملح جعل فيه اصبعه الشريف **واحتجم** على كتفه لما ضغ من الشاة
المسمومة كما تقدم وبالحجامة يخرج السم مع الدم او يضعف الدم فلا
يوصل السم على القلب الا انه لم ينزل به صلى الله عليه وسلم اثره حتى مات
لاجل ان يرزقه الله الشهادة وفصلها كما روي في كتب الحديث **وانتشر** انفعال
من النشر بنون وشين معجمة وراء مهملة وفي نسخة تنشر والنشرة بمعنى
الرقية والتعوذ والتحقيق ان النشرة بالضم والفتح ما يقرأ عليه ادعية
وتعاويذ ثم يغسل بها من به مرض ونحوه سميت لنشرة لنشر الما فيها **وتعوذ**
بذال معجمة من العوذة وهي الرقية باعوذ بالله ونحوه ثم عمت ورقيته صلى الله
عليه وسلم لنفسه ورقية جبريل له مروية من طرق كقوله اعوذ بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وغيره **ثم** بعد هذا كله
قضى نحبه كغيره وقضا النحب كناية عن الموت واصل معنى النحب النذر الواجب
فيقال ذلك كانه لتحتمه كان نذرا في ذمته يقضيه بموته كما يقال قضى اجله
واستوفاه وقيل النحب الموت من النحيب وهو البكا والتحقيق ما قدمناه **فتوفي**
صلى الله عليه وسلم اي توفاه الله **ولحق بالرفيق الاعلى** وهم الانبيا والملايكة
عليهم الصلاة والسلام والرفيق بمعنى المرافق يقع على الواحد وغيره قال تعالى
وحسن اولئك رفيقا وقيل الرفيق المراد به الله لرفقه بعباده او لانه معهم اينما
كانوا وعن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال عند موته
بل الرفيق الاعلى وذلك انه خير بين بقايه في الدنيا وبين ما عند الله فاختار
ما عنده **وخلص** بوفاته **من الدنيا** التي هي **دار المحن** وفي نسخة الامتحان
والبلوى لما كان يقاسيه من اعدا الدين وتبليغ امانة الله **وهذه** الامور المذكورة
التي كانت تصيبه صلى الله عليه وسلم **من سمات البشر** اي من صفاتهم وعلاماتهم
المختصة بهم من السمة وهي الوسم والعلامة **التي لا يحيص عنها** اي لا يتخلص
منها احد من الخلق نبيا كان او غيره قال الراغب يقال من محيص وما للناس محيص
من حيص بيص او من حاص بمعنى حاد عما فيه شدة فهو مكروه **واصاب غيره**
من الانبيا ما هو اعظم منها اي من الامور التي اصابت النبي صلى الله عليه وسلم **فقتلوا**
قتلا بغير حق كما وقع ليحيى بن زكريا فالقتل وقع لبعض الانبيا كما قال تعالى
يقتلون النبيين بغير حق ولبعض رسل الله الا ان الله عصمهم من القتل حين

الدعوي

الدعوي وفي مقاتلة الكفار المامورين بها كما ذكره علما التفسير والاخبار
وكقتل يحيى وانتقام الله ممن قتله بان سلط عليهم بخت نصر فقتل منهم
سبعين الفا كما فصله المورخون وفي نسخة قتلوا تقتيلا والمصدر محقق لتاكيد
القتل **ورموا في النار** كابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم رماه فيها نمرود بن بنار
عال نمرود فصارت النار عليه بردا وسلاما وكذا اخرجيس كما في قصص
الانبيا للثعالبي **ونشروا بالمناشير** جمع منشار ويقال ميشار بابدال
النون وبهمز وهي الة من حديد معروفة ينشق به الخشب وهو مشتق
من النشر لتفريقه المنشور قطعا وفي المنشار لغات يقال نشره ونشره
وفي جمعه مياشير ومواشير فيصح ضبط ما هنا بالياء وقول ابن قتيبة
ان مناشير عامية كما نقل عنه لا ادري وجهه والذي نشر زكريا صلى الله
عليه وسلم لما قتل الملك يحيى فوقع به ما وقع من قتل نبيه اذ سلط الله عليه
عدوا فهرب زكريا من الملك فارسل خلفه من يطلبه وادركه الطلب فانشقت
له شجرة فدخل فيها فامسك الشيطان هدب ازاره خارجا من الشجرة
فدلهم الشيطان عليه فنشروا الشجرة وزكريا وقيل سبب هربه انهم
اتهموه بمريم **ومنهم** اي الانبيا **من وفاه الله** اي صانه **ذلك** اي القتل والحرق
والنشر ووقى بمعنى حفظ وستر يتعدى لمفعولين وفي الحديث يقي
بالصدقة وجهه النار **في بعض الاوقات** كما وقع في يوسف عليه الصلاة والسلام
لما نجاه الله من السجن وابراهيم عليه الصلاة والسلام من احراق النار **ومنهم من عصمه**
وحفظه من القتل وان وقع له بعض ما يوذيه **كما عصم بعد** مبني على الضم اي بعد
ما تسلط عليه الاعدا **نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس** كما قال
تعالى والله يعصمك من الناس كما تقدم **فلين لم يكف** من كفه يكفه بالتشديد ويجوز
تخفيفه بجزمه بحذف اخره كيرمي وهو الظاهر على النسخة الاولى **نبينا** صلى الله
عليه وسلم وهو مفعول مقدم **وربه** فاعل موخر وفي نسخة عن نبينا **ابن**
قمية مفعول ثان وقمية بالهمز بزنة فعلة من قمي بمعنى صغر وذل وهو
عبد الله بن قمية الذي جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم اقماك الله
اي اذلك الله فرماه الله من شاهق جبل لما انصرف فتقطع قطعا وقصته
في السير **يوم احد** اليوم بمعناه الحقيقي او المراد به غزوتها كقولهم ايام العرب
لوقايعهم وهو بهذا المعنى مشهور ومنه وذكرهم بايام الله **ولا محيد عن**
عبور عداه بكسر العين مقصور جمع عدو وفيه كلام في كتب اللغة والنحو **عند**
دعوته للاسلام **اهل الطايف** هي بلاد ثقيف بقرب مكة سميت بها لانها
طافت على الما في الطوفان او لان جبريل عليه الصلاة والسلام اقتطعها
من الشام وطاف بها البيت وقيل لانه بني عليها طوف اي حايط وهذا
كان سنة عشر من النبوة بعد موت ابي طالب وقد نالت منه صلى الله عليه وسلم

قريش منالها فخرج الى الطايف وحده او معه زيد بن حارثه يلتمس نصرة
ثقيف له فقام على ناس من اشرافهم ودعاهم للاسلام فابوا واغروا به
سفهاءهم فاطالوا عليه وحصبوه حتى ادموا ساقيه وهو ذاهب ثم كفهم
الله عنه وحجبهم عنه فجلس عند حايط لهم وكان ما فصل في السير من
عرضه نفسه على قبايل العرب فلقد اخذ الله عز وجل اي غطى وحجب على عيون
قريش يقال اخذ على عينه وعلى يده اذا كفه ومنعه فالعيون جمع عين بمعنى
الباصرة او بمعنى الرئية والجاسوس وكان ذلك عند خروجه من مكة الى غار
بجبل ثور هذا هو الصحيح وفي نسخة ابي ثور وهي غلط لانه انما يعرف بثور
وهو جبل معروف على يمين مكة لما تشاوروا في امره صلى الله عليه وسلم
بدار الندوة ثم اجمعوا على قتله فامر عليا كرم الله وجهه بالنوم على
فراشه فخرج صلى الله عليه وسلم عليهم وهم عند داره وقد اخذ الله على
عيونهم ونثر على رؤسهم ترابا وسمي ثورا لنزول ثور بن عبد مناف عنده
وثور اسم جبل ايضا بالمدينة كما في القاموس وغيره واهل المدينة تعرفه فلا عبرة بمن
انكره كابن عبد السلام واسكت الله عنه صلى الله عليه وسلم سيف غورث بن الحرث
الاعرابي كما في البخاري وغورث بغين معجمة على الصحيح وقيل مهملة وواو وراء مهملة
وثاء مثلثة وروي مصغرا وهو بزنة جعفر وهو عند الخطيب بكاف بدل
المثلثة وقيل اسمه دعثور بن الحارث والظاهر انه غيره في قصة اخرى
وكان في بعض غزواته ادركتهم القايلة فنزلوا بوادي كثير العضاه فنزل صلى الله
عليه وسلم بظل شجرة علق بها سيفه وتفرقوا عنه وناموا فبعد حين دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالفوه فاذا اعرابي جالس عنده فقال ان هذا
اتاني وانا نايم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من
يمنعك مني قلت الله وها هو جالس ولم يعاقبه وهو من المشركين والغورة
ذات الرقاع وهو من غطفان ومحارب وكان قال لقومه انا اقتل لكم محمدا
وروي ان جبريل دفع صدره فسقط السيف من يده واسلم وذهب لقومه
فدعاهم للاسلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم الخ كما تقدم ذلك كله واسكت الله عنه صلى الله عليه
حجر ابي جهل ابن هشام لعنه الله اذ اراد ان يرميه صلى الله عليه وسلم به
وكان قال لقريش لارضخنه غدا بحجر احمله لا اكاد اطيق حمله فامنعوني من
بني عبد مناف فارتقبه غداة يومه حتى اتى المسجد يصلي فاخذ الحجر ومضى
له فلما اراد رميه صلى الله عليه وسلم يبست عليه يده ثم عاد متغير اللون
فسالوه فقال عرض دونه فحل لم ار مثله عظما هم ان يأكلني فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنى لاخذه واسكت الله عنه صلى الله عليه وسلم
فرس سراقة هو سلوا قة بن مالك بن جعشم الكناني كان جعل له قريش دية من

أخذ

أخذ من ابي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج مستخفيا للهجرة
وهو من هدج القافة وفضته في ذهابه خلفهما فلما ادركهما ساخت قوايم
فرسه في الارض وكادت تبتلعه فطلب الامان فامنه ونجا وعاد الى اخر القصة
المشهورة وهو شجاع شاعر مجيد اسلم وحسن اسلامه ومات سنة اربع وعشرين
في خلافة عثمان قلت ولما كف يده عنهما شرفه الله بالاسلام والباسه
سوارى كسرى كما مر بيانه ولبيد لم يقه من سحر ابن الاعصم لبيد اليهودي
كما تقدم فلقد وقاه ما هو اعظم خطرا من سحره من سم اليهودية من قصتها
التي تقدمت قريبا وسياتي الكلام على سحره وهذا جواب عن سوال تقديره
انك قررت ان الله ميزه عن سائر الانبيا بوقايته وجعله في حصن صيانته
فلم لم يعصمه من ابن الاعصم فاجاب بانه ابتلاه به تكثيرا لثوابه ونعمه
ما صرف عنه من مصايبه واقدوقاه ما هو اعظم منه وهو السم القاتل فلا وجه
لما قيل من انه لا فايدة فيه وسياتي بيان فايدته مع انه توطية لقوله وهكذا
سائر انبيايه اي عادة الله مع سائر انبيايه اي بقية انبيا الله منهم
مبتلى بالمصايب تكثيرا لاجورهم ومنهم معافى تكريما لهم وحفظا وذلك اي
ابتلاوهم او كون احوالهم مختلفة من تمام حكمته الجارية في مخلوقاته ليظهر بابتلايهم
مع صبرهم ورضاهم في السراء والضراء شرفهم في هذه المقامات اي احوالهم
المتفاوتة ويغير امرهم بصبرهم على ما لا يطيقه غيرهم وتتم كلمته فيهم يعني
امره لهم بالصبر على الاذى حتى يكون لهم العاقبة الحسنى ليتحقق بانجائهم ما ابتلاهم
به بشرى لهم اي انهم من جنس البشر الذين في دار المصايب ويرتفع وفي نسخة
يرفع اي يزيل الالتباس في امور الدنيا عن اهل الضعف اي من ضعف عقله من
العوام فيهم اي في انبيا الله بتوهمهم لضعف عقولهم انهم ليسوا كغيرهم ممن
يغشاه البلاء ويعرض له الموت والفنا ولذا ارتد بعض جهلة الاعراب لما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتلاهم ليعرف الناس انهم كغيرهم في العوارض البشرية
ليلا يضلوا بفساد اعتقادهم فيهم بما يظهر من العجايب اي خوارق العادات وبدايع
المعجزات التي تظهر على ايديهم وتصدر منهم بامر الله تاييدا كانشقاق القمر واحيا
الموتى ونحوه فيقولون من يقدر على هذا كيف يمرض ويسحر ويعرض له ما يعرض
لضعفا الخلق ضلالا اي ضلالا كضلال النصارى بعيسى بن مريم عليه الصلاة
والسلام لما راوا معجزاته جعلوه الها وقالوا ما قالوا لجهلهم وعدم دقة نظرهم
والنصارى على فرق يطول الكلام في بيان اعتقاداتهم الباطلة وتزييف ما قالوه
وقد الف في ذلك عدة كتب اجلها كتاب ابن تيمية والقرطبي ومقامنا يضيق عن
الكلام عليها اذ المراد شرح ما قاله المص حتى يسهل فهمه على المبتدين ويكون
في محنتهم بما ابتلاهم به الله تعالى تسلية لانفسهم فيقتدوا بهم اذا نزلت بهم
المصايب ويصبروا كما صبروا ووفورا اجورهم الوفور الكثرة والزيادة عند

ربهم اذا رجعوا اليه وجازاهم بما صبروا عليه وليعرفوا نعمة السلامة والعافية
تماما اي يتم ذلك بانعامه على الذي احسن اليهم اولا بنعمة الوجود والتحلي
وغيرهما من النعم الدنيوية فيزيدها باعظم منها من النعم الاخروية التي لا يعادلها
شي مجازاة لصبرهم وشكرهم وقال بعض المحققين هذه الطواري جمع طاري
بالهمز وتبدل ياء وهي ما يطرأ اي يحدث ويتجدد والتغيرات اي تغير احوالهم من صحة
لسقم وسعة لضيق ونحوه المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية دون
ارواحهم ونفوسهم القدسية المقصود بها والغايدة في ايجادها لهم في
اجسادهم مقاومة البشر اي ان يكونوا بطباعهم مساوين لامثالهم فيلهوا
حتى يقدروا على القيام بامورهم ويعاناة بنوا دلم بمباشرتهم ومخالطتهم
لشاكلة الجنس اي مشابهتهم لهم في الخلق والخلق ولذا كانت الرسل من البشر دون
الملايكة ولو جعل خلقهم ملكيا لم يطيقوا اشياما ذكر كما ترى بعض الناس
لا يقدر على عشرة العوام وتنفر منهم لمنافرة الطباع واما بواطنهم اي امورهم
التي لا تحس من عقولهم وقواهم الروحانية وقلوبهم وحواسهم الباطنة وهو
جمع باطن خلاف الظاهر فمنزهة اي سالمة مبراة عن ذلك غالبا وقد يعرض
لها شي منه معفو عنه لكنها في غالب احوالها معصومة منه مطهرة عما
يشينها كتغير العقل وقد يعرض له احيانا ما لا يعتبره كالاغما الذي وقع له
صلى الله عليه وسلم في مرض موته فبواطنهم متعلقة بالملا الاعلى وفي نسخة
بالرفيق الاعلى وقد تقدم ان الرفيق فعيل بمعنى فاعل يستوي فيه الواحد
وغيره وهم ارواح الانبيا الساكنين في عليين والملايكة فهو عطف تفسير
على هذا لاخذها اي لاخذ البواطن وتلقيها وارجاع ضمير اخذها لاخبار
السما وغيرها بعد عنهم اي الملايكة وتلقيها الوحي النازل عليهم لتبليغه
ما ارسل به منهم اي من الملايكة وما قيل عليه من ان حذف قوله غالبا احسن بل
واجب لا وجه له لما بيناه من بيان مراده به قال القايل بعض المحققين
المحكي عنه ما ذكره الى هنا وهو دليل لما قاله وقد قال صلى الله عليه وسلم
في حديث قد تقدم بسنده ان عيني بتشديد الياء مثنى عين مضافة لياء المتكلم
تنامان اي يعرض لهما النوم حتى لا يحسان احساسا ظاهرا متعارفا ولا ينام
قلبي اي لا ينقطع شعوره وادراكه بالكلية وهذا باعتبار الغالب من احواله
صلى الله عليه وسلم اذ قد ينام نوما ينقطع به شعور عينه وقلبه كما تقدم
في حديث الوادي الذي نام فيه حتى فاتته الصلاة وبهذا علمت ان قوله
غالبا في محله كما مر وفيه دليل على ان ظاهره كغيره وقال صلى الله عليه وسلم
اني لست كهيئتكم اي ليس حالي كحالكم وتقدم المراد بالهيئة هنا اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني بفتح ياء يطعمني وفتح ياء يسقيني ويجوز ضمها يقال سقاه واسقاه
بمعنى وهو في صومه صوم الوصال على حقيقته او ما ول بما تقوى به روحه

من

من المعارف الالهية التي تقوم مقام الطعام والشراب في تقوية الروح
التي تسري للبدن وفيه كلام مشهور تقدم طرف منه وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث اخر اني لست انسى ولكن انسى ليستن بي تقدم
فيه ما يغني عن الاعادة فاخبر صلى الله عليه وسلم في هذه الاحاديث
ان سره اي ما خفي من امره وباطنه عطف تفسير لسره لروحه التي بها الحياة
وقيام البدن وهذا حقيقتها ولها معان اخر خلاف جسمه وظاهره
اي مخالفته لها فيما يعتريهما من التغيرات والالام لغيره من سائر البشر
كما قرر في اول هذا الفصل وان الافات جمع افة وتقدم بيانها التي تخل
ظاهره اي ما يشاهد من جسده الشريف فقط وبينه بقوله فمن ضعف
بانحطاط القوى لمرض او كبر وجوع لفقد الغذا وما به قوام البدن من
بدل ما يتحلل منه وسهر بفقد النوم الذي به راحة البدن واستراحة
الحواس ونوم يستريح به بدنه وقواه وقال المعري وفضيلة النوم
الخروج باهله عن عالم هو بالاذى مجبول لا يحل بضم الحا المهملة من الحلول
منها اي من هذه المذكورات كلها من التغيرات باطنه اي حواسه
الباطنة بخلاف غيره من البشر فانه يعرض له تغيرات في الظاهر
والباطن مما يعد بعضه نقصا فيه في حكم الباطن اشارة الى محل المخالفة
لتساويهما في الظاهر كما تقدم ثم وضحه بقوله لان غيره من البشر بل ساير
الانبيا ولم يصرح به لعلمه مما قدمه اذا نام استغرق النوم بالرفع فاعل استغرق
جسمه وقلبه مفعوله اي شغلهما واثر فيهما تاثيرا تاما يعطل حواسه
الظاهرة والباطنة بخلاف الانبيا فانه يشغل ظاهرهم دون باطنهم فاول
كالميت كما قال ابن عربي رحمه الله تعالى

فيا نايم الليل هنيته ٭ فقبل الممات سكنت القبورا

ولذا قيل النوم اخو الموت وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب
لعدم استغراقه في نومه وحضور القلب مجاز عن ادراكه وشعوره
وغيره كان قلبه فارقه او يريد به لازمه فهو استعارة او مجاز مرسل
ومثله كثير في استعمالهم فحاله صلى الله عليه وسلم في نومه كما هو في يقظته
بفتح القاف وقد تسكن في الشعر كما مر وهي ضد النوم اي حاضر الحواس
والمشاعر فيهما كما ذكرناه سابقا وتقدم انه باعتبار غالب احواله حتى قد جا
اي روي في بعض الاثار اي الاحاديث والاثر ورد بهذا المعنى وقد
يخص بغيره من الاخبار انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا اي مصونا محفوظا
واصل الحرس ملازمة من يحفظ من الناس فحرسه به عما ذكر من الحدث هو ما ينقض
الوضوء وطهارته كما هو معروف في الاستعمال في حالة نومه لانه
انما يحدث لعدم الشعور به كما قال صلى الله عليه وسلم العينان وكاء السه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لكون قلبه يقظان كما ذكرناه والحدث انما يعرض لعدم شعوره
به كما قال صلى الله عليه وسلم القلب والحواس الباطنة وقد ذهب الفقهاء
الى ان نومه كان لا ينقض وضوءه وعدوه من خصايصه صلى الله عليه
وسلم واما نوم غيره فينقض وضوءه ما لم يكن جالسا متمكنا بشرطه على
الصحيح ومن قال بخلافه فليس معتمدا عليه كما بينه الفقهاء في كتبهم
وقد روى المحدثون باسانيد صحيحة كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم
كان ينام حتى يسمع خطيطه ثم يقوم فيصلي من غير تجديد لوضوئه
وما قيل من ان فيه بحثا لانه اذا كان حاضر القلب فهو يقظان
وهو حينيذ ليس مظنة الحدث ونقض الوضوء حتى يجعل غاية لكونه
محروسا ويستشهد له بالاشارة ليس بشيء لانه اذا نامت حراسة الظاهر
يقتضي ذلك لان الاحكام منوطة بالظاهر دون الباطن وكذلك اي كما ان
نوم غيره ليس كنومه لكونه غير محروس من الحدث غيره اي غير النبي صلى
الله عليه وسلم اذا جاع بترك غذايه اكثر من معتاده ضعف لذلك اي لجوعه
تضعف بنيته واجسمه وخارت قوته بخاء معجمة وراء مهملة اي ارتخت
وضعفت من الخور وهو اللين والضعف وقيل معنى خارت ذهبت
وانكسرت فتعطلت بالكلية جملته اي جميعه ظاهره وباطنه مخالفا للانبيا
عليهم الصلاة والسلام الذين تتعطل ظواهرهم دون بواطنهم وهو صلى
الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه اي يعرض له ذلك اي تعطل
جملته لقوله صلى الله عليه وسلم ولا ينام قلبي وانه اي حاله بخلافهم اي
يخالف حال غيره من البشر لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البخاري في وصاله الصوم ونهي غيره عنه وقولهم له انك تواصل
صومك فقال لهم اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني
تقدم بيانه قال الملم وكذلك اي كما قال بعض المحققين ان التغيرات
الطارية على البشر تختص بظواهر الانبيا دون بواطنهم اقول انه
صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال البشرية كلها من وصب بيان للاحوال
والوصب الالم الدايم وقد جا بمعنى التعب وهو اولى هنا ليلا يتكرر مع
قوله ومرض وان صح جعله عطف تفسير او موكدا وضجر هو قلق واضطراب
من بعض الامور وغضب تقدم بيانه وانه صلى الله عليه وسلم لا يغضب
لنفسه بل لله اذا خولف امره لم يحر بالجيم مضارع بمعنى واقع وحدث
على باطنه ما يخل اي يوقع خللا وتشويشا به صلى الله عليه وسلم والضمير
لباطنه اي لم يسر له من ظاهره ما يخل به ولا فاض منه بفا وضاد
معجمة اي ظهر من فاض الانا بالما اذا امتلا منه حتى تدفق من جوانبه
على لسانه وجوارحه اي اعضايه الظاهرة جمع جارحة بمعنى عضو

كما يقع

كما يقع لبعض الناس في المه وغضبه انه يتكلم ويتحرك بحركات مختلفة لانه لا يملك
نفسه في بعض احواله ما لا يليق به اي لا يناسب علو مقامه كهذيان بعض
المرضى وخرافاتهم وشتم من غضب منه كما يعترض اي يعرض لغيره من البشر اذا
ابتلي بشيء من ذلك مما ناخذ اي نشرع بعد بالبنا على الضم في بيانه اي ما لحق فيه
فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة كما في حديث
رواه البخاري انه صلى الله عليه وسلم سحر كما تقدم وهذا مما طعن به بعض
الملحدين في عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس كما حدثنا به الشيخ ابو محمد الغساني
بقراءتي عليه نسبة لغسان قبيلة باليمن وهو في الاصل اسم ماء نزلوا عليه فسموا به
قال حدثنا حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن
علي بن محمد بن خلف المغافري القروي وهو الحافظ القابسي كما تقدم
قال حدثنا محمد بن احمد هو ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن يوسف
هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور وهو
غني عن البيان قال حدثنا عبد الله بن اسماعيل الهباري توفي سنة مايتين
وخمسين قال حدثنا ابو اسامة حماد بن اسامة الكوفي توفي سنة احدى ومايتين
وعمره ثمانون واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن هشام بن عروة عن ابيه
تقدم الكلام عليهما عن عايشة ام المومنين رضي الله عنها قالت سحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبيد المجهول وتقدم ان الذي سحره لبيد بن الاعصم وهو يهودي
او منافق كان حليفا لليهود وجمع بينهما بانه كان يخفي اليهودية ويظهر
النفاق وكان في سنة سبع واختلف في مدة سحره فقيل اربعين يوما
وقيل سنة اشهر وقيل سنة كما تقدم واعتمده السهيلي وجمع بينهما بان
ذلك باعتبار ظهوره وشدة تاثيره حتى انه صلى الله عليه وسلم ليخيل
اليه اي يقع في خياله توهما لا اصل له وليس بمعنى يظن لانه لا يتعدى
بالى انه فعل الشيء وما فعله لما وقع به من الم السحر وفي رواية اخرى لهذا
الحديث حتى كان يخيل له انه ياتي النساء ولا ياتيهن اي يتوهم انه جامعهن
وهو لم يجامعهن وهو المراد بالشيء في تلك الرواية لكنه لم يصرح به
تادبا لا سيما وفي رواية عايشة فاستحييت من ذكره الحديث اي اقرا
الحديث واذكره بتمامه كما هو في الصحيحين عن عايشة كان صلى الله عليه
وسلم ذات يوم او ذات ليلة وهو عندي دعا ثم قال اشعرت ان الله
افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر
عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجعه قال مطبوب اي مسحور قال
من طبه قال لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطه وجف طلع نخلة ذكر في
بير ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فوقفها
ولم يستخرجها والكلام عليه مشهور تقدم بعضه واذا كان هذا الامر المذكور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من التباس الامر على المسحور بتخيل فعل ما لم يفعله فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك الالتباس وعلى اي حال وقع له وكيف جاز عليه ذلك الامر الذي
جاز على غيره من تاثير السحر فيه وهو معصوم جملة حالية هي محل انكار السايل
الذي توهم ان مثله ينافي عصمته عليه الصلاة والسلام فالاستفهام
هنا انكاري لاعتقاده عدم طرو التغيرات الباطنة عليه وهذا استانف
له فاجاب عنه بقوله فاعلم ايها السايل عن سحره وفقنا الله واياك للوقوف
على الحق وتحقيقه وهي جملة اعتراضية دعائية اشارة الى ان قصده في
كتابه هذا ارشاد طالبي الحق له ان هذا الحديث صحيح متفق عليه اي مما اتفق
على صحته اهل الحديث او اتفق على روايته الشيخان وقد طعنت فيه الملحدة
الطعن الضرب برمح ونحوه استعير لاسناد ما لا يليق من النقايص والمحال
الطايفة من اهل الغواية الفاسدة من الحد بمعنى حاد عن الطريق
وفي للسببية اي طعنوا بسببه في مقام النبوة وتذرعت بذال
معجمة وراء مشددة وعين مهملتين من الذريعة كالوسيلة وزنا ومعنى
واصلها شرك الصايد استعير لما ذكر ووجه ظاهر والباء سببية وقال
البرهان في المقتفى انه بدال مهملة اي لبست درعا اي تقوت به وظنته
دليلا ينفعهم لسخف عقولها بضم السين المهملة بمعنى رقتها وضعفها
وتلبيسها على اشطن اهلها ضعف عقله فرجع عليهم الى التشكيك في الشرع اي يوقع
بعضهم بعضا في شك في احكام الشريعة بتوهم انه يخيل عليه فيها والى
متعلقة بتذرع وهو يعني انه بذال معجمة وقد نزه الله الشرع طهره عما
يشينه والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل بضم اوله في امره اي دينه وما يتعلق به
لبسا اي شيا يصير امره ملتبسا بغيره مما لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض
جعله مرضا مبالغة لانه سبب لتغير المزاج وانفعاله فينشا عنه امور
غير طبيعية كالنسيان وهو معدود من الامراض والامور الروحانية
يسري للبدن نفعا وضرا والاطبا يعترفون بذلك وعارض من العلل جمع علة
والعارض هنا بمعنى العرض وهو عند الاطبا ما يزول بسرعة من الامراض
وهو عند المتكلمين والحكما ما لا يقوم بنفسه يجوز عليه تخصيص له لاخراج
ما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم منها كالجنون وكانواع الامراض التي جوزوها
عليه مما لا ينكر عروضه له صلى الله عليه وسلم وعلى سايرالانبيا ولا يقدح اي لا يعد
نقصا وعيبا قادحا في نبوته صلى الله عليه وسلم من الامراض كالجذام والبرص
وغيره مما صان الله انبياه لخلقه لهم على اكمل خلق وانمه ومزاجه صلى الله عليه وسلم
اعدل الامزجة وهذا مبني على ان السحر له حقيقة مؤثرة ينشو عنه تغيرات
وامراض وهو مذهب الجمهور ويشهد له القران والسنة خلافا لمن قال
انه تخييل لا حقيقة له واليه ذهب ابن حزم وغيره والسحر عند الجمهور على انواع

منه

منه ما لا حقيقة له وهو شعبذة ومنه ما له حقيقة بمعاونة الشياطين
وخواص بعض الامور كما تقدم ويا تي ايضا عن الراغب واما ما ورد في الحديث
السابق انه صلى الله عليه وسلم كان يخيل اليه انه فعل الشي وهو لا يفعله
كما تقدم بيانه فليس في هذا اي امر يدخل بضم اوله مضارع ادخل
عليه صلى الله عليه وسلم داخلة اي نقصا وعيبا وفسادا كما يقال امر مدخول
اي معيب في شي من تبليغه او شريعته قال الراغب الدخول نقيض الخروج
والدخل كناية عن الفساد والعداوة كالدغل ودعوة النسب بفتح الحا قال تعالى
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم او يقدح اي يعيب في صدقه فيما بلغه وشرعه كما
توهم الطاعنون به لانه يسري الى ان يقال ان جبريل والملايكة التي كان صلى
الله عليه وسلم يراها امور متخيلة وحاشاه من ذلك لقيام الدليل المؤيد بمعجزاته
والاجماع من المسلمين وايمة الدين على عصمته صلى الله عليه وسلم من هذا اي
مما يدخل عليه داخلة في شرعه وتبليغه عن ربه وهذا برمته من كلام المازري
في المعلم قال انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعم انه يحط من منصب النبوة
وقالوا كلما ادي الى ذلك فهو باطل وتجويزه بعد الثقة بما شرعوه من
الشرايع اذ يحتمل على هذا انه صلى الله عليه وسلم يرى جبريل وليس هو
وانه يوحى اليه ولم يوح اليه وهو مردود لان الدليل قام على صدقه صلى الله
عليه وسلم فيما بلغه عن الله وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدة
بصدقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل انتهى وانما هذا اي انه
يخيل اليه فعل شي لم يفعله ليس عاما بل في امور مخصوصة هي فيما يجوز طروه
بالهمز وتركه اي عروضه في امور دنياه التي لم يبعث من التوحيد والاحكام
المشروعة وفي نسخة امر مفرد وفي اخرى من امور اي ما لا يتعلق بشريعته
وتبليغه ولا فضل بتشديد المعجمة وبنا المجهول من اجلها اي من اجل اموره
الدنيوية وانما هو برفعته وزيادة اجره وهو صلى الله عليه وسلم فيها اي
في امور الدنيا عرضة بضم فسكون اي بمعرض يحدث له فيه مستعد للافات
اي التغيرات التي تلحقه كسائر البشر بعرض له ما يعرض لهم لحكمة تقدمت
فغير بعيد اي اذا كان عرضة لها فلا يبعد ان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم من
امورها اي من امور الدنيا التي لا تتعلق بالتشريع فالفا فصيحة في
جواب شرط مقدر ما لا حقيقة له مما يتوهم انه فعله ولم يفعله ثم يتجلى عنه اي
يزول وينكشف فشبهه بغمام او صداع فيه مكنية وتخييلا او هو حقيقة
عرفية فيه كما كان متعلق بيتجلى اي حاله لما كان عليه قبل ما عرض له او
المراد كما كان حاله وهو مسحور وايضا اي كما دفع ما توهموه بما ذكرتين بوجه
اخر فقد فسر هذا الفصل يعني يخيل اليه الشي الحديث الاخر هو فاعل فسر
اي بين المراد به برواية الثانية من قوله حتى يخيل اليه انه

يأتي أهله يعني زوجاته والأهل ورد بمعنى الزوجة كثيرا والحال أنه لا يأتيهن
يعني يتوهم أنه جامعهن وهو لم يجامعهن كقوله فأتوا حرثكم أني شئتم
فهو تصريح بأنه من أموره الدنيوية لا الشرعية فلا ضير فيه وقد قال سفيان
أي ابن عيينة كما صرح به في سنده في البخاري وهذا التخيل أشد ما يكون من السحر
أي غاية ما يؤثره تخييل أنه فعل ما لم يفعله ولذا قالت عائشة رضي الله
عنها حتى كان يخيل إليه فإن حتى للغاية فلا يبلغ أكثر من ذلك كقلب الأعيان
ونحوه من تغيير الماهيات وهذا مبني على أن السحر تخيلات لا حقيقة لها
كالشعبذة والمحققون على خلافه كما مر وقد قال الراغب أنه على أنواع منها هذا
وهو المشار إليه بقوله تعالى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وقوله فسحروا أعين
الناس والثاني استجلاب أمور بمعاونة الشياطين وإليه يشير قوله ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والثالث فعل بقوته تغيير الصور
والطبائع فيجعل الإنسان حمارا ولا حقيقة له عند المحصلين انتهى وقد
تقدم أن الأول من جنس الأمراض ولذا قال صلى الله عليه وسلم شفاني الله
منه فإنه المتبادر من الشفاء وبعضهم هنا كلام لا طائل فيه ولم يأت عن أحد
من المحدثين في خبر منها أي من الأخبار المروية عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى
الله عليه وسلم نقل عنه في ذلك أي في قصة سحره قول بخلاف ما كان أخبر
به من أنه قال أنه فعل ولم يفعله أي لم ينقل عنه في حال سحره قول صدر عنه غير
هذا الذي فسر في الحديث وإنما كانت الأمور المنقولة عنه خواطر وتخيلات
من قبيل الوسوسة التي تعرض للعقلاء كثيرا من غير تأثير في عقولهم وعلمهم
بمهمات أمورهم فلا اعتراض في شيء كما توهم وقد قيل في الجواب عما استشكلوه
أن المراد بالحديث المذكور في سحره أنه كان يخيل له ويقع في خاطره النبي أنه فعله وما فعله بمجرد
خطوره بباله لكنه تخييل لا يعتقد صحته لبقاء قلبه وسلامة ذهنه النبي
لا يؤثر فيها مثل هذه التخيلات وهي سحابة صيف عن قريب تنقشع فتكون
اعتقاداته صلى الله عليه وسلم كلها على السداد بفتح السين بمعنى الاستقامة
وأموره كلها مستقيمة كاملة وإدراكه كذلك لمعرفته صلى الله عليه وسلم بأن
ما عرض له تخيل لا يعتد به وأما بكسر السين فهو ما يسد به أسته الدكر أم
وركاب وفيه بيان في شرحنا لدرة الغواص وأقواله كلها جارية على الصحة
فهي كلها صحيحة صادقة إذ لم يقع الخلف في شيء من أقواله وقول عائشة السابق
يخيل له فعل ما لم يفعله لا ينافي ما قرره لأن التخيل بمعنى التوهم وكون
الخيال فوق باطنية مدركة مما اصطلح عليه الحكماء فهو وما يبنى عليه لا وجه
لإيراده هنا كما توهم هذا المذكور في جواب ما وقع في هذا الحديث ما وقفت
عليه لأحد من المحدثين أو الأشعرية أو الفقهاء المالكية في هذا الحديث الذي
رويته عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة عن هذا وفي

عرضي

أخرى

أخرى على هذا وهو ظاهر مع ما وضحناه من معنى كلامهم في تفسيره وزدناه
بيانا زاد هنا بتعدي لمفعولين من تلويحاتهم أي من إشاراتهم له من غير تصريح
به ومحل وجه منها أي من الوجوه التي ذكرها الأئمة مقنع اسم فاعل يؤرث
أي كاف ومغن عن غيره لمن كان له قناعة تغنيه عن الوجوه الضعيفة والأقوال
الواهية والتكلفات الباردة ويجوز فتح ميمه ونونه مصدر ميمي يقال هو
مقنع في الأمر بزنة جعفر والأول هو الصواب من غير تكلف لكنه الضمير
للشأن والأمر قد ظهر لي في هذا الحديث المتقدم في السحر تأويل وتفسير له أجلى
أي أظهر من غيره من التأويلات التي ذكروها وتقدم بعض منها وأبعد من مطاعن
ذوي الأضاليل أي أكثر تبعيدا لمن له عقل سليم عما طعن به أهل الضلال مما
تقدم بيانه فأضاليل جمع لا واحد له كالمذاكير أو جمع لمفرد مقدر أو موجود
فقيل جمع ضليل بكسرتين مشدد اللام صيغة مبالغة كشريب ولذا
قيل لامرئ القيس الملك الضليل وقيل جمع أضلولة بالضم وهو ما يضل به
من تكلمه ولو قيل أنه جمع أضلال على خلاف القياس لم يبعد بسببها ويؤخذ
ذلك التأويل الأجلى من نفس الحديث أي حديث السحر وهو أن عبد الرزاق بن همام
الصنعاني قد روى هذا الحديث أي رواه في مصنفه عن الزهري عن ابن المسيب
واسمه سعيد كما تقدم وعن عروة ابن الزبير تقدم أيضا وقال فيه أي في الحديث
الذي رواه عنهما أي عن سعيد وعروة سحر يهودي بني زريق بالأحناف
وبنو زريق بتقديم الزاي المعجمة والتصغير طائفة منهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مفعول سحر وفاعله يهودي وهو لا يأتي لهم وقد يذكر وتدخله اللام
فجعلوه أي السحر في بئر أي بئر ذروان كما تقدم حتى كاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي قرب من أن ينكر بصره أي ما أبصره أو ينكر نفس رؤيته لتأثير السحر
فيه ثم دله الله على ما صنعوا أخبار الملك به وبالمحل الذي وضع فيه فاستخرجه
من البئر على رواية وقيل أنه صلى الله عليه وسلم أمر بدفنه ولم يخرجه
من البئر وكانوا أمروا غلاما من اليهود كان يدخل بيته صلى الله عليه وسلم فأخذ
شعرات من شعر رأسه الشريف وشيئا من أسنان مشطه فعقد وأفيه
عقد أو دفنوه في تلك البئر فلما أنزل الله عليه المعوذتين واستخرج السحر
وحلت عقده شفاه الله والكلام عليه طويل مفصل في شروح الصحيحين
فلا نطيل به وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر كما رواه عبد الرزاق
أنفا ويعمر بفتح الياء التحتية وبالميم المفتوحة وتضم وهو ممنوع من الصرف
للعلمية ووزن الفعل ويحيى هو قاضي مرو وهو أول من نقط المصحف
وتوفي سنة تسعين قال فيه أي في مصنف عبد الرزاق خمس رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا المجهول أي منع عن عائشة أي عن جماعها رضي الله عنها سنة
هي مدة السحر كما تقدم عن السهيلي فبينا هو نائم حقيقة أو مضطجع بين

النوم واليقظة كما في رواية وبينا للمناجاة كبينا ونضاف وتحتاج لجواب
كما بينه النجاة اتاه ملكان هما جبريل وميكايل فقعد احدهما عند راسه والاخر
عند رجليه الحديث اي اذكرا او اقراه الى اخر ما تقدم وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي منع من الجماع عن عائشة خاصة سنة على احد الاقوال السابقة
وخص منعه عنها دون غيرها لانها كانت احب ازواجه اليه صلى الله عليه وسلم
حتى انكر بصره يعني تغيرت قوته الباصرة عما كانت عليه قبل ان يسحر لا انه
فقده بالكلية لما في بعض روايات الحديث السابقة حتى كاد ينكر بصره اي
قارب فقده ولم يفقده من قولهم نكرته فتنكر اذا غيرته فتغير كما في الاساس
ولم يعده مجازا وروى البيهقي صاحب السنن بسند ضعيف عن محمد بن سعد
هو كاتب الواقدي وصاحب الطبقات كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما
مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم اي منع عن النسا ان اريد به الجنس لم يخالف الرواية التي
قبله والا خالفها والطعام والشراب فكان لا يشتهي ولا يتناول شيا منهما
لتغير مزاجه كساير المرضى فهبط اي نزل من السما عليه ملكان هما ميكايل وجبريل
وذكر القصة بتمامها وتقدم ان القصة انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي
الله عنها ان الله اخبرني بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر
رضي الله عنهم فنزحوا ماء البير فاذا هو مثل نقاعة الحنا ثم رفعوا الراعوفة
وهي صخرة في قعر البير فاخرجوا جفا ومشاطة وهو شعر راسه الشريف
واسنان مشط ووترا معقودا فيه احدى عشر عقدة وتمثال صورته من
شمع غرز فيه ابر فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالمعوذتين فكان
كلما قرا اية منهما انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم تعقبه راحة
فاعترف لبيد بانه وضعه فعفي عنه فقد استبان لك اي تبين وظهر
من مضمون هذه الروايات اي ما تضمنته واشتملت عليه ان السحر الذي سحر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما تسلط من السلاطة وهي التمكن من بدنه فقهره والمراد
تاثيره على ظاهره اي ظاهر بدنه الشريف وجوارحه واعضايه دون بطنه لا على قلبه
واعتقاده وعقله اذ لم يؤثر فيه نقص اصلا وانما اي السحر انما اثر في بصره بتغيرا
حتى كاد ينكره كما تقدم وجسده عن وطي نسايه وعن طعامه فاضعف جسمه فامرضه
فهو كساير الامراض لا ينكر عروضه للانبيا عليهم الصلاة والسلام ويكون معنى
قوله يخيل اليه انه ياتي اهله هذا جواب سوال تقديره اذا قلت ان السحر لا يؤثر الا
في ظاهر بدنه يرد عليك انه تخييل ما لم يقع واقعا يقتضي خللا في الذهن
والادراك فهو مناف لما قلته وقوله حتى اسم كان وخبره مقدر يدل عليه
ما بعده اذ لا يصح اقتران الخبر بأي المفسرة ومثله كثير في كلام المصنفين
وفي الاساس رجل نشط طيب النفس للعمل ومتقدم عادته اي ما اعتاده صلى
الله عليه وسلم قبل السحر القدرة على النسا فاعل يظهر اي قدرته وقوته على جماعهن

فاذا

فاذا دنى منهن اي قرب منهن ليجامعهن اصابته اخذة السحر بضم الهمزة وسكون
الخاء وذال معجمة وهي امر تاخذه السحر يحبس المرء عن انتشار الة الجماع تسميه
العامة رباطا وهي نوع من السحر وينال به اخذة من الجن ايضا كانها اخذت
قوته فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري اي يعرض ويغشى من اخذ قيل هو بضم الهمزة
وتشديد الخا المعجمة وذال معجمة من التاخيذ وفي نسخة وخذ بالواو اي منع
من الجماع كما قيل والظاهر عليهما ان يفسر بمن صنع له اخذه السحر السابقة
واعترض بينا المجهول اي عرض له عارض من مرض ونحوه والظاهر انه من العارض
المعروف بين السحرة الذين يدعون الجن وهو المناسب للاخذة ولعله الضمير
للشان وفي نسخة حذفه لشاهد هذا اشار سفيان بن عيينه فيما نقله عنه
سابقا بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر اي اعظم انواعه ان يخيل له فعل
ما لم يفعله وتقدم ما فيه ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى من احد الروايتين
في الحديث اعني قولها انه يخيل له انه فعل الشي وهو ما فعله والشي مبهم في روايتها
دون الاخرى فيحتمل انه من باب ما اختيل من بصره اي قوة نظره
لا نفس عينه وهو ما انكره كما ذكر في الحديث من انه كان يخيل اليه الى اخره
وبينه بقوله فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه وشاهد فعلا من غيره
انه فعله وصدر منه على وجه مخصوص ولم يكن صدر منه على ما يخيل اليه وذلك
لما اصابه في بصره وضعف نظره من الم السحر لا لشي طرا عليه في عينه بفتح العين وسكون الياء
المثناة التحتية بعني تغيرا كسا ريسير تغيرا بمعني متغير وتين واذا كان هذا
اي ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم على ما قرره لم يكن فيما ذكر من اصابة
السحر له في هذه الرتبة من غير زيادة فيه وتاثيره فيه بمجرد ضعف بصر
غير قار ما يدخل لبسا عليه بان يوثر في عقله وتمييزه اي يسري لباطنه ولا يجد
به الملحد الزايغ عن الحق بطعنه في الانبيا عليهم الصلاة والسلام المعترض به
على انه يلزم من تاثير السحر فيه تخيل ما لا حقيقة له يورث شكا فيما يراه من
الملايكة كما تقدم انسا اي امرا يستانس به اي تهامه الفاسدة او حدث
عنده علما ينقص به مقام النبوة من قولهم انست منه كذا اذا علمته
او ابصرته فصل هذه الامور المذكورة في الفصل المتقدم
حاله صلى الله عليه وسلم في جسمه الشريف ظاهرا وباطنا واما احواله في امور الدنيا
اي في الامور المتعلقة بها فنحن نسرها بفتح النون وضمها وسكون السين المهملة
وضم البا الموحدة وكسرها وراء مهملة والضمير راجع لامور الدنيا يقال سبره
واسبره اذا اختبره كما في الصحاح واصل معناه ان يدس في الجرح مرودا
ليعلم عمقه ثم شاع فيما ذكر وهو عند اهل الاصول استقصا افراد امر كلي
واقسامه والمراد هنا تبيينها على اسلوبها اي نوردها على طريقها المتقدم في
هذا الكتاب والاسلوب بضم الهمزة الفن والطريقة يقال اساليب الكلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لفنونه بالعقد اي الاعتقاد متعلق بنسبر والقول والفعل اي نستوفي
اقسامها النظرية واللفظية والعملية اما العقد منها اي ما يتعلق من احواله
صلى الله عليه وسلم في امور الدنيا بالعلم بها والاعتقاد فقد يعتقد صلى الله عليه
وسلم الشي من امور الدنيا على وجه اي وقوعه على وجه من الوجوه في بادي الراي
ويظهر خلافه اي يظهر له انه على خلافه في الواقع ونفس الامر او يكون منه اي من
الشي الذي هو من امور الدنيا على شك فيه او يكون منه على ظن بان يترجح عنده
احد طرفي الوقوع وعدمه بخلاف امور الشرع فانه صلى الله عليه وسلم
لا يتردد فيها لانه معصوم عن الخطا وان قلنا بجواز اجتهاده فيها لانه مستند
للوحي ايضا ثم اورد شاهدا لانه قد يعتقد شيا من امور الدنيا على خلاف
ما هو عليه وهو حديث رواه مسلم تقدمت الاشارة اليه مرارا فقال كما حدثنا
ابو بكر بن ابي شيبة تقدم بيانه وغير واحد قراءة وسماعا اشارة الى انه رواه
من طرق قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال
حدثنا ابو الحسن الكلام فيه كالكلام في سيبويه في بنايه على الكسر واعرابه اعراب ما لا
ينصرف وان المحدثين يضمون ما قبل الياء ويفتحونها كما اشتهر عنهم قال
حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه قال حدثنا مسلم
ابن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبد الله بن الرومي بن محمد
او ابن عمر بن زنبل بغدادي ثقة حافظ توفي سنة مائتين وست وثلاثين ولم يخرج
له من اصحاب الكتب الستة غير مسلم وعباس العنبري بن عبد الله بن اسماعيل
ابن توبة ابو الفضل العنبري البصري الحافظ توفي سنة مائتين وستة
واربعين واحمد المعقري هو احمد بن جعفر والمعقري بفتح الميم وسكون
العين وفتح القاف وقيل بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة
لمعقر ناحية من اليمن قالوا حدثنا النضر بن محمد الجرشي اليمامي وله ترجمة في
الميزان قال حدثني عكرمة بن عمار وقد تقدم قال حدثنا ابو النجاشي عطا ابن
صهيب الثقة قال حدثنا رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة
ومثناة تحتية ساكنة وجيم توفي سنة اربع وسبعين من الهجرة واخرج له
الستة وهو انصاري صحابي شهد احدا قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
لما هاجر من مكة وهم يابرون النخل بضم الباء الموحدة بعد الهمزة الساكنة والجملة
حالية وتاييرها ان ياخذ من طلع النخلة الذكر ما يوضع في طلع غيرها
حيث يشق فيلقح يقال ابرها واباريها بالتشديد وروي هنا يوبرون
مشددا والقاحها ان تخرج ثمرتها صالحة لا شيصا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد رآهم على رؤس الشجر وهم يابرون كما في مسلم
ما تصنعون استفهام تقريري قالوا شي كنا نصنعه وهو التاييرليثمر ثمرا
حسنا قال لهم لو لم تفعلوا كان خيرا اي لو تركتم التاييرللنخل كان خيرا

من

من تاييرها وروي ما اظن ذلك يغني شيا فاخبروا بذلك فتركوه
اي التاييرفيبست بنون وقاف وفتحف بعضهم بنون وفا قاله
ابن قرقول اي ثمرتها او تغيرت فصارت شيصا غير مستوية فذكروا
ذلك اي نقصها له صلى الله عليه وسلم فقال انما انا بشر اصيب واخطي
في امور الدنيا التي لم يوح الي فيها بشي ولكن اذا امرتكم بشي من ديني فخذوا به
اي تمسكوا به ولا تخالفوني فيه واذا امرتكم بشي من رايي اي يكون رايا في
امور الدنيا الصرفة فانما انا بشر مثلكم قد ارى راي والامر بخلافه في
امور الدنيا فلا يجب اتباعه وفي رواية لمسلم عن انس رضي الله عنه انتم اعلم
بامر دنياكم اي بجميع احوالها واضاف الدنيا لهم لانه صلى الله عليه وسلم
لا يريد شيا منها ولا يلتفت اليه وفي حديث اخر رواه مسلم عن طلحة رضي
الله عنه في هذه القصة انما ظننت بما قلته لكم ظنا مني انه لا يلزم ما فعلتموه
فلا تواخذوني بالظن اي لا تجدوا علي في نفسكم كدرا فيما ظننته خيرا قلتين خلافه
قال ابن رشد في كتاب البيان والتحصيل هذا الحديث روي بالفاظ
مختلفة متقاربة معنى كقوله صلى الله عليه وسلم ما انا بزارع ولا صاحب
نخل ولا مناقاة اذ كل حكي ما سمع وانما نفى الظن بانه لا يلزم لاختصاصه
بالحيوان ولم يكن ذلك عن وحي كما قاله الطحاوي وقال ابو الوليد انه صلى
الله عليه وسلم تبين له انه لا تاثير في الصلاح والافساد لغير الله الا
ان الله قد يجري العادة باسباب لذلك تعلم بالتجربة كالتاييرو هو صلى
الله عليه وسلم لم يستول له تجربة فيه وقيل عليه ان عدم علمه به بعيد
فالاولى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم نبههم على توكل الخواص بترك
الاسباب الذي هو من مقامات الانبيا دون غيرهم وقوله لا تواخذوني
الى اخره المراد انه ظنهم من اهل هذا المقام فلما اخبروه بحالهم ردهم لها
وقال لهم انتم اعلم بحالكم واستدل بهذا على ان الاجماع في امور الدنيا
لا يعتد به لرجوعه صلى الله عليه وسلم لقولهم كما رجع لهم في منزل بدر
كما في التلويح اي ويأتي في كلامه قريبا وقال ابن ابي شريف انه ممنوع وقول
الرسول صلى الله عليه وسلم حجة في الامور الدنيوية وغيرها لانه اما بوحي
او باجتهاد لا يقر على الخطا فيه ومراجعته كانت قبل استقرار اجتهاده
والتلقيح من ربط المسبب بالسبب ولو شا الله صلحت الثمرة بدونه وهو
اعتقادنا وقوله انتم اعلم لا ينافيه وفيه بحث فتدبر وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنهما الذي رواه البزار بسند حسن في قصة الخرص بفتح الخاء
المعجمة وسكون الراء وهو الحزر والتخمين لما على النخل والكرم من الرطب
والعنب ووجبت الزكاة بعث السلطان من يحيها فخمنها وقال
يخرج منها كذا وكذا فيبين قدره ومقدار عشره فيثبته عليهم فاذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جاوقت الجذاذ اخذه وفايدته التوسعة على ارباب الثمار فيتناولوا
منه ما ارادوا وهذا كان على عهده صلى الله عليه وسلم وعلى عهد الخلفا
ولذا جوزه بعضهم ومنعه بعضهم لانه تخمين وفيه غرر واما
الخرص بكسر الخا فاسم للتمر وص وقال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر
اي انا مقصور على صفة البشرية التي يجوز عليها الاصابة وعدمها وقيل
هو قصر قلب خلا فالمن يعتقد او يظن ان الخطا في الامور الدنيوية لا يجوز
عليه فعكس اعتقادهم فيما لا تعلق له بالشرع والوحي فما حدثتكم عن الله فهو حق
لا يجوز الخلف فيه وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل نفسي براي لامر
خطر على نفسي فانما انا بشر اخطي تارة واصيب اخرى قيل هذا مما يستدل
به على جواز خطايه في اجتهاده وقيل لا دليل فيه لانه لم يقله باجتهاد
وانما هو ظن سنح له وقد تقدم ما فيه قريبا وهذا على ما قررناه من انه صلى
الله عليه وسلم قد يرى شيا من امور الدنيا على وجه يظهر خلافه كما اشار
اليه بقوله فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه
واجتهاد وشرع بالتخفيف والتشديد اي اظهره وبينه وسنة سنها وهذا
كله مبني على انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في بعض الاحيان وهو الصحيح
كما تقرر في الاصول واذا اجتهد لا يخطي ولا يقر على الخطا وقد وقع له
ذلك ولا حجة لمن منعه في قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ونحوه لانه اذا اذن له فيه كان وحيا مع انه الهام والهام الانبيا قسم من
الوحي والمراد بالسنة الطريقة المحمدية من اقواله وافعاله وسنها بمعنى
جعلها امرا متبعا وطريقا مهيعا لا ما يقابل الفرض فهي بالمعنى اللغوي
وقوله فيما قاله من قبل نفسه تخصيص مفروغ منه يقرر في بحث الاجتهاد
من كتب اصول الفقه فمن قال انه تخصيص من غير مخصص مع ما اطال فيه
من الزوايد وضرب في حديد بارد غني عن الرد وكما حكى محمد بن اسحاق
رحمه الله في كتاب المغازي مما يشابه ما قبله من امور الدنيا انه صلى الله عليه
وسلم لما نزل في غزوة بدر وبدر اسم ذلك المكان ويبين فيه تسمية باسم صاحبها
كما مر بادي بناه بدر اي ابعدها واقلها ماء وليس محل نزول ونزلت قريش
بالعدوة القصوى من الوادي والمسلمون بكثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
وسبقهم المشركون الى الما واحرزوه وحفروا الهم قليبا واصبح المسلمون وبعضهم
على غير طهارة يحتاج للما واصابهم الظما ولم يصلوا الا وسوس الشيطان لبعضهم
في ذلك والغرا عنه فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشربوا واستقوا
وتطهروا وثبتت الاقدام وزالت وساوس الشيطان كما قال تعالى وينزل عليكم من
السما ما ليطهركم به الاية وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل بادي مياهها قال له
الحباب بضم الحا المهملة وموحدتين علم منقول من اسم الثعبان ابن المنذر رضي الله عنه

ابن حموح

ابن حموح بن زيد بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي الانصاري
الصحابي الذي يقال له ذو الراي توفي كهلا في خلافة عمر رضي الله عنه اهذا
المحل الذي انزلنا فيه يا رسول الله منزل انزلكه الله عز وجل اي امرك
بالنزول فيه ليس لنا ان نتقدمه ونتنزل فيما هو اولى منه لانا لا نخالف
امر الله بوحيه ام هو الراي اي راي منك بلا امر من الله يجب اتباعه
وليس تعريفه للاستغراق العرفي اي انه هو الراي الكامل كما قيل
لانه لا يناسب هنا والحرب اي ام هو محل مناسب لمحاربة الاعدا والنصر
فهو مجاز بذكر المسبب وارادة السبب والمكيدة اي الكيد والمكر لان
الحرب خدعة والمكيدة مصدر ميمي بمعنى الكيد وهو الحيلة لايقاع ما يريده
من السوء ويسمى الحرب كيدا لقوله في الحديث لم يلق كيدا اي حربا فقال صلى
الله عليه وسلم مجيبا له رضي الله عنه لا اي لم يامرني الله بنزوله بل هو الراي
والحرب والمكيدة اي نزلته برايي فيه لما ذكر فقال له الحباب ليس هذا المحل بمنزل
مناسب لما ذكر لبعده عن الما وكثرة رمله انهض اي قم من هنا وانتقل حتى ياتي
ادنى اي اقرب ما من القوم وهم قريش فننزله اي ننزل فيه ثم نغور ما وراه اي نشده
ونطمه حتى يذهب ماوه الذي يمتنع به الاعدا وقوله ما وراه موصولة بالظرف
مقصورة وروي ما بالمد ما بعده صفته من القلب بضم القاف واللام وقد يسكن
وهو جمع قليب وهو البير الذي لم تطو اي لم تبن اطرافها بالحجارة وتغور بضم
النون وتشديد الواو وبينهما غين معجمة او مهملة كما قال في المقتفى وقال
السهيلي انه بضم العين المهملة وسكون الواو وفي حواشي السيرة لابي ذر الخشني
من رواه بغين معجمة معناه نذهبه وندفنه ومن رواه بمهملة معناه
نفسده انتهى وفي اهماله مناسبة للعين لا تخفى فنشرب اي المسلمون منه ولا
يشربون اي الكفار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحباب اشرت بالراي
ايه بالراي الصواب الحسن وفعل صلى الله عليه وسلم ما قاله الحباب بن المنذر
له فنزل على الما وبنى حوضا يشربون منه الى اخر ما ذكره ابن اسحاق في سيرته
وروى ابن سعد ان جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم وقال له الراي ما اشار
به الحباب ثم ذكر ما دعاه للمشاورة فقال وقد قال الله له صلى الله عليه وسلم وشاورهم
في الامر الامر للندب لا للوجوب وانما امره بذلك تطييبا لخاطرهم وقلوبهم ورفعا
لمقدارهم لان كبرا العرب كانوا اذا لم يشاوروا شق ذلك على نفوسهم فامره
بذلك رعاية لهم وتشريفا لمن بعدهم وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكمل عقلا واسدهم رايا واختلف في ذلك فقيل كان فيما لم ينزل فيه
وحي ليجتهد فيه ويجتهدوا معه فان الاجتهاد بحضرته جايز ايضا كما تقرر
في الاصول وقيل انه مخصوص بامور الدنيا ومصالح الحرب فانهم جربوها فاعلموا
شدايدها وكلام المص يوي لهذا ولذا قال وارادة اي النبي صلى الله عليه وسلم

مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة الحاصل من نخلها وكان ذلك في
غزوة الخندق لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والحارث
ابن عوف المري وهما قايد اغطفان بان يعطيهما ما ذكر فاستشار الانصار رضي الله
عنهم اي شاورهم ليري رايهم والمستشار منهم سعد بن معاذ وسعد بن عباده
رضي الله عنهما فلما اخبروه برايهم في ذلك وهو ما قال له سعد بن معاذ يا رسول
الله قد كنا نحن وهولا القوم على الشرك وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه
وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها ثمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام
وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم
الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم رجع عنه اي عن رايه في اعطايهم وقال السعد
انت وذاك كما ذكره ابن اسحاق في مغازيه وساق القصة بتمامها وذلك لما اشتد
الامر على المسلمين وظهر من المنافقين ما ظهر بعث صلى الله عليه وسلم اليهما بذلك
واراد ان يكتب به صحيفة فلما استشار فيه السعدين قال له ابن معاذ امرك
الله بهذا قال لا ولكن اردت دفعهم فقال له صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه
انفا وتناول الصحيفة ومحاها وجرى ما جرى حتى هزم الله الاحزاب وحده
واعز نبيه وجنده فمثل هذا المذكور من قصة الحباب والانصار وغيره
واشباهه مما يضاهيه من امور الدنيا التي لا اعتنا له صلى الله عليه وسلم بها
ولا مدخل فيها لعلم ديانة اي امور متعلقة بالشرع والدين واحكامه ولا
اعتقادها ولا بالجر عطف على قوله علم ديانة اي ليس مما امر صلى الله عليه وسلم
باعتقاده وتبليغه لامته وتعليمه لهم يجوز عليه فيه ما ذكرناه من ان يعتقده
على وجه فيظهر له خلافه لانه ليس من مهمات الدين والجملة خبر قوله
هذا اذ ليس في هذا كله تعبد له صلى الله عليه وسلم لانه ليس مما عنده ولا محطة
بحا وظا مهملتين من الحط وهو التنزيل الاسفل اي لا يحط على مقامه ولا يعيبه
وانما هي امور اعتيادية اي جارية على عادة الناس فيها لان العلم والاحكام يعرفها
من جربها واعتني بها وهو صلى الله عليه وسلم لا يعتني بها وهو صلى الله عليه وسلم
ولا يخالطها فضلا عن تجربتها وجعلها همه اي امر اهتم به وتعبد به وهو صلى الله
عليه وسلم لا يلتفت لها وشغل نفسه بها اي بامور الدنيا وعناها وزاولها والنبي صلى
الله عليه وسلم منزه القلب اي قلبه مملوء بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها من اجلال وتكريم
وتنزيه وتعظيم لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتى يخطر ببالة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي ... فان ترد الزيادة هات قلبا

وقد تقدم ومشحون علمت انه بمعنى مملوء غير خال منها يقال شحن السفينة اذا ملأها
ملان الجوانح جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر وجعل معرفة الله وصفاته ملي قلبه
اشارة الى انها اول ما علمه وانها اعتقادات وهي اول ما تجب كما قيل

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وجعل

وجعل ما علمه بعده فيما يتعلق بعلوم الشريعة ملأ صدره لورود عليه بعدها
وهو في غاية الحسن والاتقان وقيل كني بالجوانح عن نفسه مجازا مرسلا من اطلاق
الجزء على الكل ولا يخفى ما فيه مقيد البال بمصالح الامة الدنيوية والاخروية والبال
هنا بمعنى الخاطر الذي يخطر على النفس لا بمعنى القلب وان ورد بهذا المعنى
لانه اراد ان افكاره صلى الله عليه وسلم وخواطره بعد معرفة الله تعالى وتلقي
ما اوحي اليه لا تشتغل الا بمصالح الامة المذكورة والمراد امورهم التي بها صلاح
دينهم بتعليمهم ما يجب لهم وعليهم من الطاعات والاعتقاد والمراد بالدنيوية ما يتعلق
بدنياهم في معاملاتهم ونحوها من الامور الشرعية ولله در فيما اتي به مرتبا
مع التفنن في العبارة حتى ذكر ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم اولا من معرفة ربه
ملا قلبه ثم ما يتعلق به من تلقي الوحي ملا صدره ثم جعل ما يتعلق بامته وتبليغهم
وتعليمهم خواطر وافكارا فاعرفه ولكن هذا اي ما يعتقده ويظهر خلافه انما يكون
اي يقع له صلى الله عليه وسلم ويتفق في بعض الامور الدنيوية العادية التي
تعرف بالتجربة وكثرة المزاولة ومع انه ايضا انما يجوز صدوره منه مخالفا لما هو
عليه في النادر ايضا والا فالعلامة عقله صلى الله عليه وسلم وشدة حذقه تقتضي
انه اعلم الناس بامور دنياهم ايضا لان او فر الناس عقلا وقد اطلعه الله على
اسرار الوجود من مذموم ومحمود وقوله صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامر دنياكم
انما اراد به تطييب قلوبهم كما مر وان لا يزكي نفسه تواضعا منه وما ندر منه
وقوعه كان فيما سبيله اي طريق العلم به التدقيق اي تدقيق النظر فيه بتكريره وصرفه
في خراسة الدنيا اي حفظ امور الدنيا وصونها واستنمائها اي طلب زيادتها ونموها وثمرتها
وهو امر ناشي عن محبتها والحرص على تحصيلها وهو صلى الله عليه وسلم لا يريد حرث
الدنيا ولا يشغل بها خاطره ومع ذلك ما وقع منه عدم العلم بها الا نادرا الا في الكثير
من امورها الموذن الذي يعلم كثرته من اطلع عليه انه صدر بسبب البلة والغفلة
البلة والبلاهة نقص في العقل وهو صلى الله عليه وسلم اكمل الناس وارجحهم
عقلا والغفلة دون البلة وهي كونه لعدم حذقه يغفل عن بعض الامور وما
ورد في الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم كما في النهاية الغافلون
عن الشر لانهم مطبوعون على الخير وحسن الظن بالناس لان نقص العقل لا يمدح
به ولبعضهم في بعض الحمقى وقد بنى له دارا حسنة من خرقة

دارك يا هذا غدت جنة ... وان اهل الجنة البله

وقد تواتر بالنقل تواترا معنويا كتواتر كرم حاتم وشجاعة علي كرم الله وجهه ممن لا يمكن
تواطيهم على الكذب في الجميع لا في مادة بخصوصها عنه صلى الله عليه وسلم متعلق
بتواتر من المعرفة بامور الدنيا واحوالها تفصيلا من غير الامور المشروعة ومعرفة
دقايق اي الامور الدقيقة التي تخفى على كثير منهم مصالحها اي حاجاتهم التي بها
صلاح العالم في المعاش وسياسة فرق اهلها عربا وعجما على اختلاف عقولهم وطبايعهم

وعاداتهم والسنتهم والسياسة حكم الناس وضبط امورهم الجارية بينهم حتى
لا يتعدى بعضهم على بعض يقال ساسه يسوسه اذا حكم عليه بما يجعله منقادا
ما هو ما موصولة او موصوفة فاعل تواتر مجن في البشر اي امور يعجز البشر
عن مثلها والبشر بنو ادم سموا به لظهور بشرتهم اي ظاهر جلدهم من غير استتار
بشعر ووبر كالحيوانات كما قد نبهنا عليه في باب مجمل انه من هذا الكتاب
كما تقدم تفصيله فلا حاجة لاعادته هنا لانه صلى الله عليه وسلم لما فوض له الامامة
العظمى على جميع الخلق والحكم بينهم ودعوتهم لطاعته لزمه ان يعلم جميع احوال الناس
دنيوية ودينية ليتم امره وينتاتي له ما امر به فلا يخفى عليه الا امور قليلة لا يضره
عدم العلم بها ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحكم بالسلطنة والقضاء والفتوى كما
فصلوه وسبق الفرق بين احكامه فيها **فصل** قال المص **واما ما يعتقده**
صلى الله عليه وسلم **في امور احكام البشر** اي ما يحكم به عليهم في امورهم التي ترفع
اليه من الامور **الجارية على يديه** اي الواقعة عنده فاستعار الجري على يديه لهذا
وقضاياها اي امورهم التي ترفع اليه صلى الله عليه وسلم ليقضي فيها بما اراه الله **ومعرفة المحق**
من المبطل ضمن المعرفة معنى التمييز فعداه بمن والمحق والمبطل اسما فاعل بمعنى من
هو على الحق او الباطل وكونه اسم مفعول كما قيل ركبك من غير داع له **وعلم المصلح**
من المفسد اي اهل الصلاح والفساد **فهذا العمل الباطن فيه** اي جاء في هذه الطريقة
السابقة في امور الدنيا التي قد يظهر لدنها ما الامر بخلافه احيانا ولا يضره لما سبق
وهو وان كان لا يخفى الله عنه علمه اصلا كما قاله بعض العارفين يظهره الله منه
ليلا تقتل به بعض امته لتوهمه انه يعلم الغيب فيقعون فيما وقع فيه النصارى
فلذا كان يستره كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

لم يتجنبا ما تعيي العقول به ... حرصا علينا فلم ترب ولم تهم

لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان مسندا وابو داود وعنه
رواه المص لعلو سنده فيه كما مر وتقدمت الاشارة اليه مرارا **انما انا بشر** لا اعلم
الغيب **وانكم تختصمون الي** في امور عندي وترد ون حكمها الي **ولعل بعضكم ان يكون الحن**
بحجته بعض اي اعرف باقامة الحجة وافصح في بيانها ممن يخاصمه واصل معنى
اللحن الميل عن الاستقامة ومنه اللحن في الاعراب لميله عن الصواب
واللحن الطرب ومنه الحان القراءة وفي الاساس لحن بحجته فطن لها فيفهمها
لما يشاء وفلان الحن بحجته من صاحبه انتهى اي افصح منه واقدر على اقامة الحجة
فاقضي له واحكم **على نحو** بالتنوين اي على نوع وضرب **مما أسمع** من كلامه بحسب
الظاهر منه **فمن قضيت له من حق اخيه بشيء** ولو قليلا اي حكمت له بشيء ليس له
حق فيه وانما هو حق لخصمه ويعبر بالاخ عن الخصم كقوله تعالى ان هذا اخي له
تسع وتسعون نعجة للاستعطاف والحث على عدم الحيف **فلا يأخذ منه شيئا** ليس
حقه **فانما اقطع له** بما اعطيه من حق غيره **قطعة من النار** فجعل ما ياخذه بغير

حق

حق قطعة من نار جهنم مبالغة في حرمته عليه واستحقاقه للعذاب ترله منزلة
عذابه حقيقة كما في قوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
في بطونهم نارا وحاصله ان حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ولكنه ان خالف
الواقع لا يحل حراما ولا يحرم حلالا لانا نحكم بالظاهر وعند الله علم السرائر وهذا
في الاموال والدماء وغيرها فالحكم ينفذ بحسب الظاهر ويبقى الباطن في الاخرة
وقد وقع الخلاف بين الفقهاء في بعض احكام الفروج كما لو شهد شاهدا زور
على رجل انه طلق امراته وحكم الحاكم بالفرقة بينهما وهو لم يقع منه طلاق في
نفس الامر فهل يجوز له ان ينكحها بعد الحكم المذكور ام لا فيه قولان كما في كتب
الفروع **حدثنا الفقيه ابو الوليد** رحمه الله تقدم بيانه **قال حدثنا الحسن بن محمد**
هو الحافظ ابو علي الغساني وقد تقدم **قال اخبرنا ابو عمر** عبد الله بن محمد
ابن عبد المؤمن القرطبي كان من لقي بن داسة واخذ عنه وترجمه الذهبي
قال حدثنا ابو بكر هو ابن داسه راوي سنن ابي داود كما تقدم **قال حدثنا ابو**
داود الامام المشهور صاحب السنن وقد تقدم **قال حدثنا محمد بن كثير**
بكاف مفتوحة ومثلثة مكسورة وتحتية ساكنة وهو ابن كثير العبدي
البصري الامام المشهور اخرج السنة توفي سنة مائتين وثلاث وعشرين
وعمره تسعون سنة وترجمته في الميزان **قال حدثنا** وفي نسخة اخبرنا **سفيان**
اي الثوري لا ابن عيينة لانه الذي يروي عنه ابن كثير وبه صرح عبد الغني
فيحمل المطلق عليه **عن هشام بن عروة عن ابيه** عروة وقد تقدم الكلام عليهما
عن زينب بنت ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها وزينب هذه بنت
ابي سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صحابية تزوجها عبد
الله بن زمعة توفيت سنة ثلاث وسبعين **عن ام سلمة** ام المؤمنين المذكورة
واسمها هند وقيل رملة كما تقدم **قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث**
المذكور يعني انما انا بشر الخ وقدم المتن على السند هنا وهو جائز لانه مبين
لما عقد له الفصل كالترجمة له وعدل فيه عن رواية الصحيحين لعلو سنده
في سنن ابي داود ولانه ضمه لما هو مشهور معلوم تقوية له **وفي رواية**
الزهري بن شهاب الامام المشهور **عن عروة** تقدمت ترجمته **فلعل بعضكم** وقع في
هذه الرواية بالفاء الفصيحة وفيه **ابلغ من بعض** مكان الحن فهو من البلاغة ليوافق
معنى الرواية الاخرى وما قيل انه من البلوغ وهو الوصول اي اسرع وصولا
للحجة مع انه غير مناسب مخالف للظاهر فلا حاجة لتكلفه وقيل انه من
المبالغة والزيادة في اجتهاده بترويج حجته **فاحسب انه صادق** فيما ادعاه
بحسب الظاهر وان وما بعده ساد مسد مفعولي احسب **فاقضي له** اي احكم
له بما اظنه حقه **وهو** صلى الله عليه وسلم يجري بمثناة فوقية **احكامه** مرفوع نائب
فاعله او بتحتية مضمومة واحكامه منصوبة **على الظاهر** من الامر وما تقتضيه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويجري على موجب بضم الميم وفتح الجيم اي ما تقتضيه غلبات الظن اي ما يغلب
تحققه في ظنه بحسب ظاهر الحال وجمع غلبات باعتبار تعدد الخصومات
ثم بين سبب غلبة ظنه بما قضى به فقال شهادة الشاهد اي بسبب ذلك ويمين
الحالف اذا حلف فانه يغلب على الظن صدقه والمراد اليمين الذي يقتضيه
الشرع في محله ولذا قال الحالف من غير تعيين فلا وجه لصرفه للعان من غير
ما يشعر به في العبارة وظن بعضهم ان يمين الحالف المراد بها اليمين مع شاهد
واحد الذي حكم به بعض الائمة ولا حاجة تدعوله ومراعات الاشبه اي بما هو
اكثر شبها بالحق بما فيه من القرائن وظن بعضهم ان الاشبه المراد به شبه الولد
في الملاعنة وما حكم فيه بالظاهر اللقطة وما فيها من معرفة العفاص وهو بكسر
العين المهملة وفا مفتوحة مخففة قبل الالف وصاد مهملة وهو وعاء من جلد
ونحوه يوجد فيه اللقطة والوكا بكسر الواو ما يربطه فاذا عرفها وجاء
طالبها يسال عن اماراتها فاذا بينها تدفع له لغلبة الظن بانه صاحبها
وهو اشارة لما ورد في الحديث الصحيح وعرفها سنة ثم احفظ عفاصها
ووكاءها فان جاء احد يخبرك بها والا فانفقها مع مقتضى حكمة تعالى في ذلك
اي اقتضت حكمة الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ان يحكم بالظاهر
ليقتدي به من بعده من حكام امته ولو اراد ان يطلعه الله تعالى في كل
قضية على حقيقتها فعل ولكنه لا يتيسر لمن بعده اتباعه في احكامه وهذه
الاحكام وان خالفت الواقع لا خطا فيها لانه مامور بالحكم به وليس من
قبيل اجتهاده حتى يقال انه لا يخطي فيه ولا يقر على الخطا فينا في ما تقدم وهو
ظاهر جدا فانه صلى الله عليه وسلم لو شا لاطلعه الله على اسرار غيبه
اي ما خفي منها فاراد الله ان لا يطلعه وانه اذا اطلعه لا يظهر لهذه الحكمة
ومخبات ضمائر امته اي ما اضمروه واخفوه في انفسهم مما لا يطلع عليه
الا الله عالم الغيب وهي جمع مخبات اسم مفعول مشدد الباء اي المطمئنة
غير ظاهرة وخبايا الارض في الحديث الزرع لاستتاره اذ بذر وفي الحديث
ابتغوا الرزق في خبايا الارض وقال الشاعر

تتبع خبايا الارض وادع مليكها ... لعلك يوما ان تجاب وترزقا

فتولى الحكم بحسب ما يعلمه يعني لو اطلعه الله على السرائر لحكم بها كان يحكم
بعلمه فيها دون حاجة له في حكمه الى اعتراف اي اقرار من الخصم او بينة تشهد عليه
او يمين تتوجه على المنكر او شبهة اي مشابهة في الامر الحق كما تقدم والامر بخلافه
ولكن لما امر الله امته في اتباعه في احكامه التي شرعها لهم والاقتداء به في افعاله الشرعية
واحواله وقضاياه اي احكامه صلى الله عليه وسلم في غزواته وغيرها وكان هذا الامر
الذي امر باتباعه فيه لو كان مما يختص صلى الله عليه وسلم بعلمه الذي اعلمه الله
به مما خفي على غيره ويورثه الله تعالى به اي يخصه صلى الله عليه وسلم به دون امته

لانه

لانه وحي منه او الهام له لم يكن للامة سبيل اي طريق لهم للاقتداء به في شيء من ذلك
لعدم علمهم به لانه مما اثره الله به ولا قائم مقامه بعده صلى الله عليه وسلم بقضية من
قضايا في امر من الامور الدينية لاحد من حكام امته وخلفائه في شريعته واحكامه
لانا لا نعلم ما اطلع عليه باطلاع الله له على ما خفي منه هو في تلك القضية حكمه هو اذا
في ذلك بالمكنون اي الخفي من اعلام الله له بما اطلعه الله من سرائرهم التي اخفاها عن غيره
من الامة وهذا مما لا تعلم الامة لانه تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فاجرى الله حكامه الشرعية على ظواهرهم التي يستوي فيها هو صلى الله عليه وسلم
وغيره من البشر من امته في زمنه وبعده وهذا باعتبار اكثر احواله والا فمن
خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له ان يحكم بعلمه وقد اطلعه الله على كثير من
السرائر والمضمرات لكنه لم يومر بالحكم بالامور الباطنة كالخضر على القول بنبوته
وهو الاصح كما مر لكنه لم يكن له امة تقتدي به وقد انكر موسى عليه الصلاة والسلام
قتل الطاعن على انه اذن له فيه فلما علمه سلمه له وللسيوطي في ان نبينا صلى الله عليه
وسلم كان له الحكم بالباطن ايضا اذ لم يخش من التهم وساق ادلتها قضايا لا نطيل
بها هنا وحكمه على الظاهر كان تارة بالقضاء وتارة بالسياسة والسلطنة اي
الامامة العظمى وتارة بالفتوى كما فصله ابن السبكي في قواعده مع
الفرق بينها فارجع اليه ان اردته ليتم اقتداء امته في تعيين قضاياه التي
وقعت في احكامه بين الناس ويتم بضم التحتية وفاعله ضمير يعود الى الله عز
وجل واقتداء امته بالنصب مفعوله ويجوز فتحها ورفع اقتداء على الفاعلية
وتنزيل احكامه على قواعد شرعه واجرائها في جزئياتها وما لو اما انوا بقصر الهمزة
اي يفعلوا ما فعلوا من ذلك اي من قضاياه وتنزيل احكامه على علم ويقين من اي
طريقته في شريعته التي بينها لامته اذ البيان بالفعل الذي فعله في احكامه اوقع في
النفوس واثبت طمانينة منه اي من البيان بالقول وارفع لاحتمال اللفظ
للتاويل والتجوز وتاويل التاول بخلاف الفعل فانه لا يجري فيه مثله مع موافقته
للظاهر فلا خفاء فيه فكان حمله اي الفعل لا النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل على
الظاهر اجلى بالجيم افعل تفضيل اي اظهر واوضح عطف تفسير في البيان لكل احد يشاهده
في وجوه الاحكام جمع وجه وهو ما يتوجه منه ويحمل عليه كما يقال في هذا وجهان
اي توجيهان وجعله من قبيل الجين الما والاستعارة المكنية والتخييلية كما قيل
صرف له عن الظاهر من غير داع له واكثر فايدة لموجبات بفتح الجيم اي
ما يقتضيه موجبات المشاجر وهو بضم الجيم مصدر بمعنى الخصام الواقع في المنازعات
والدعاوي من شجر بينهم كذا اذا وقع وجرى وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي
اي وقع بينهم من امور اقتضاها الاجتهاد وانما كان الفعل اظهر لانه مشاهد
محسوس وفي الحديث ليس الخبر كالمعاينة فان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلاة
والسلام بما فعل قومه بعده فلم يلق الالواح فلما عاين ذلك القاها رواه

الطبراني وغيره وهذا حديث صحيح وزعم بعضهم ان القول اقوى لان الفعل قد
يطول فيتاخر البيان ورد بان القول قد يطول وليقتدي بذلك الفعل الصادر
عنه حكام امته بعده ويستوثق اي يتمسك بما يوثق عنه اي بما روي او ينتظم وينضبط
على القواعد الشرعية وفيه روايتان احداهما انه مبني للمعلوم بسينين مهملتين
بمعنى انتظم وهو استفعال من الاتساق قال تعالى والقمر اذا اتسق والثانية
انه روي بمثلثة بعد الواو مبني للمجهول اي يتمسك بما يوثق عنه اي ينقل نقلا
صحيحا شايعا وفي بعض الحواشي انه تصحيف وليس كما قال لان المستعمل من الاول
الاتساق دون الاستفعال فكلاهما صحيح خلافا لمن رد الثاني وينضبط قانون شريعته
وهي القضايا الكلية المنطبقة على جزئياتها فيتعرف منها احكامها حلالا وحرامه
وغيرهما ثم اجاب عن سوال مقدر فقال وطي ذلك عنه اي اخفاوه مستعار
من طوي المتاع في صوان له وفيه اشارة لجلالته ونفاسته وانما اخفاه لانه من علم
الغيب المغيب عن غيره الذي استاثر اي انفرد واختص به عالم الغيب عز وجل فلا
يظهر على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى لعله من رسول بيان للمرتضى فيعلمه منه اي يطلعه
على بعضه بما شا بوحي والهام او فراسة ليكون معجزة له او كرامة اكرمه الله بها
ويستاثر اي يختص بما شا مما طوي عليه عن غيره فانه لا يعلم جميع المغيبات الا الله والرسول
في الاية من البشر او رسل الملايكة وفيه كلام ذكرناه في حواشي القاضي وقد اطلع
الله رسوله صلى الله عليه وسلم على كثير من المغيبات وحديث حذيفة بن اليمان
في الفتن التي تحدث الى اخر الزمان حديث طويل مشهور وخطبته صلى الله عليه
وسلم التي ذكر فيها ما سيقع لامته مذكورة في بعض كتب الحديث وقد فصله
ابن كثير في كتاب الفتن ولا يقدح هذا اي عدم اطلاعه على بعض المغيبات
في نبوته صلى الله عليه وسلم وكونه من ارتضى للرسالة ولا يعصم بالفا والصاد المهملة
قالوا هو الكسر من غير ابانة وفسر بالكسر الحل والثاني انسب بقوله عروة من
عصمة والعروة ما يدخل فيه الزر وما يعقد به شيء عصمته وحفظه بلباس ساتر
له له عري وازرار يمسكه بطريق الاستعارة المكنية المخيلة لان للعصمة
جهات يتمسك بها وهو دفع لشبهة وردت وهي انه صلى الله عليه وسلم
اذا حكم بظاهر يخالف الواقع توهم انه يخالف لعصمته وليس كذلك لانه مامور
به لحكمة تقدمت فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة
بامور الدنيا التي لا تعلق لها بالشرع من اخباره عن احواله التي لها تعلق به
صلى الله عليه وسلم في نفسه وسائر اموره واخباره عن احوال غيره الدنيوية
وما يفعل هو في المستقبل او فعله فيما مضى مما صدر منه صلى الله عليه وسلم
فقد منا ان الخلف هو بضم الخا وسكون اللام اعم من الكذب لانه يكون في الامور
التي يعبر عنها بجملة الكنايية فيما يمتنع عليه صلى الله عليه وسلم فلا يصدر عنه
امر يخالف نفس الامر لانه معصوم في اقواله وافعاله في كل حال من احواله البشرية

وعلى

وعلى اي وجه من وجوه احواله التي يقع عليها وبينه بقوله من عمد او سهو وصحة او مرض ورضى او غضب
فانه صلى الله عليه وسلم اي محفوظ من الله عن ان يصدر عنه خلف في شي من اخباره
هذا الامر الذي عصم فيه من اقواله فيما طريقه الخبر المحض اي طريقه التي
ورد فيها قوله وخبره اذا من الخبر المحض اي الصريح الذي ليس من قبيل المعاريض
التي يراد بها التورية مما يدخل الصدق والكذب يعني الخبر فانه ما يحتمل الصدق
والكذب في حد ذاته بقطع النظر عن عوارضه فاما المعاريض جمع معرض من التعريض
خلاف الصريح وهو النص الذي لا يحتمل التاويل من القول يقال عرضته في معرض
كلامه ومعرضه بغير الف وفي الحديث ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب
المفهم ظاهر هو صريح لفظها الموضوع له خلاف باطنها اي ما خفي منها
مما يؤول به لقصد التورية فجايز ورودها بالتلفظ بها ويقصد غير ظاهرها
منه صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية دون الامور الشرعية لا سيما تقدم
الكلام عليها وانها استثنا عند النحاة يكون ما بعدها اولى بالحكم مما قبلها
لقصد المصلحة اي اذا كان في اخفا المعاريض مصلحة ومنفعة كتوريته صلى الله عليه وسلم
عن وجه مغازيه اي جهته صلى الله عليه وسلم التي يتوجه اليها في غزواته فان
فيها مصلحة والتورية عندهم ان يكون اللفظ له معنيان قريب وبعيد فيقصد
البعيد وهي تفعلة من الوري كانه وراه لستر المراد منه بايهام غيره لئلا
ياخذ اي يتاهب العدو الذي قصد غزوه حذره بكسر الحا المهملة وسكون الذال
المعجمة قبل الا مهملة اي يتيقظ لما يحذره ويخافه فلا يفرط وفي البخاري لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها وفي قوله ياخذ
حذره دون يحذر كلام في الكشاف ونشر وجه وكما اي مثل توريته ومعاريضه
في غزواته ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من ممازحة المزاح مفرد ويسمى احماضا ودعابة
بضم الدال وبالعين المهملتين وموحدة وهي بمعنى الممازحة وذكرها لورودها
في حديث كان فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وقيل في علي كرم الله وجهه ايضا
لولا دعابة فيه وانما كان يفعله احيانا لبسط امته اي ليسرهم ويشرح صدورهم
وقد ورد البسط بهذا المعنى في اللغة على طريق التجوز لان المنبسط يعتقد اسارير
جبهته وعند الفرح ينبسط فينشرح وفي امثال العامة البسط مذوق وهو
البشاشة وطلاقة الوجه وتطييب قلوب المومنين من اصحابه رضي الله عنهم وفي نسخة
من صحابته ومن بيانية او تبعيضية اي جعلها طيبة مسرورة وتاكيد اي
محبتهم وفي نسخة تحبيبهم لان المرء انما يمازح من يحبه ويطرح التكلف بينه وبينه
ومسرة تقوله كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي
عن انس رضي الله عنه وصححاه لاحملنك على ابن الناقة وروي عن ابي هريرة
ايضا وهو انه صلى الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني
فباسطه صلى الله عليه وسلم بما عساه ان يكون ثم قال له انا احملك على ابن الناقة

www.alukah.net

فسبق لخاطره من لفظ البنوة استصغاره فقال يا رسول الله ما يغني عني ابن الناقة
فقال له صلى الله عليه وسلم وتلك وهل يلد الجمل الا الناقة وانما كان صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك معهم اذهابا لوحشتهم ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم من مهابته في نفوسهم
فيانسهم بذلك وليعلم الناس حسن الخلق في المعاشرة وما ورد من النهي عن المزح
انما هو عن كثرته المفرطة واستعماله مع كل احد في غير محله فكان صلى الله عليه وسلم
يلاعب الاطفال ويمج الماء في وجوههم وافواههم والاخبار في هذا الباب مبسوطة
في كتب الحديث واموره صلى الله عليه وسلم مع البدوي الذي كان يسمى زهيرا
مشهورة وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي حاتم وغيره للمرأة التي سألته
عن زوجها كما اخرجه ابن ابي الدنيا عن زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له زوجي يدعوك فقال لها امن هو اهو الذي بعينه
بياض فقالت لا والله ما بعينه بياض فقال لها صلى الله عليه وسلم ما من احد الا
بعينه بياض يعني به البياض المحيط بالحدقة وهي توهمته غشاوة على حدقته
مضرة بالبصر واللفظ يحتملها والاستفهام تقريري ثم اشار الى بيان ذلك بقوله
وهذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم مداعبة كله صدق لان كل جمل ابن ناقة لصدق
الابن على الصغير والكبير وان تبادر منه صغره عرفا وكل انسان بعينه بياض محيط
بحدقته وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي والطبراني
عن ابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهم بسند حسن اني لامزح ولا اقول الا حقا ولفظ
الحديث انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني اداعبكم لا اقول الا
حقا فالنهي عنه في قوله لا تمار اخاك ولا تمازحه وفي قول عمر رضي الله عنه لمن مزح استخف
به وقول ابن العاص يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيتجرى عليك
محمول على الكثرة منه في غير محله وعلى غير سنته صلى الله عليه وسلم فمثله مذموم منهي
عنه هذا كله اي ما صدر من مماز حته على وجه الحقيقة وغيره فيما بابه اي نوعه الوارد
فيه الخبر اي الاخبار عاله نسبة خارجية كامر فاما ما بابه غير الخبر من الانشاء مما
صورته صورة الامر والنهي المعروفين عند اهل العربية في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا
القول بصدوره منه لعصمته ولا يجوز على صلى الله عليه وسلم ان يامر احدا بشيء منها احدا
عن شيء وهو صلى الله عليه وسلم يعطي خلافه جملة حالية لبيان ان من الامر والنهي بخلاف ما عنده
وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خائنة
قلب ان يكون فاعل فعل اي ينبغي ان يكون الى اخره هذا هو الظاهر وكونه
مبتدا تكلف لا داعي له وخائنة مصدر بمعنى خيانة كالعافية وخائنة الاعين
ان يضمر في نفسه خلاف ما يظهر فاذا اراد اظهاره اومأ بعينه ولظهوره من
العين نسب لها قال تعالى يعلم خائنة الاعين اي ما تخون فيه بسارقة النظر والغمز
وخائنة القلب خيانته واذا لم يجز له ان يشير بطرفه لخلاف ما في قلبه فكيف
بهذا اقالوا وهذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه لا يجوز لهم

هذا

هذا لما فيه من ارتكاب ما لا يليق بهم وهذا من حديث رواه الحاكم والنسائي
وابو داود وهو انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة امرهم الا يقاتلوا الا من قاتلهم
الا نفرا سماهم وامرهم بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح العامري وكان ممن اسلم وهاجر وصار كاتب الوحي ثم ارتد
وذهب لقريش وقال ما بلغه صلى الله عليه وسلم من انه كان يكتب في الوحي بعض
كلام له كامر وكان اخا لعثمان من الرضاع فغيبه ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ما اطمأن الناس فاستامنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت
طويلا ثم قال نعم فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم ما سكت الا لينهض احد ليضرب
عنقه فقال رجل من الانصار هلا اومأت الينا يا رسول الله فقال ما كان لنبي
ان يخون ثم حسن اسلامه وهو احد النجباء الكرماء العقلاء فان قلت فما معنى قوله
تعالى في قصة زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي كانت خديجة رضي الله عنها اشترته
ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بمكة وهو ابن ثمان سنين من رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعشر او عشرين سنة فتبناه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى كان يقال له ابن محمد حتى نزل عليه قوله تعالى ادعوهم لابائهم
وكان قدم ابوه وعمه لفدائه فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عبد
المطلب انتم اهل حرم الله وجيرانه وقد جئناك في ابن لنا عندك فقال ايزهو
قالا زيد قال فهلا غير ذلك قالا ما هو قال اخيره فان اختاركم فهو لكم وان
اختارني فهو له فدعاه وخيره فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
انت مكان الاب والعم فقالا ويحك تختار العبودية على الحرية قال
نعم قد رايت منه ما لا اختار عليه احدا غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن حضره اشهدوا انه ابني يرثني وارثه الى اخر ما ذكر في السير واذ تقول للذي انعم
الله عليه وانعمت عليه الاية وهذا السؤال وارد على قول انه صلى الله عليه وسلم
لا يامر بخلاف ما في نفسه وما يصدر منه خيانة قلب لان قوله امسك عليك زوجك
واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
منافي له بحسب الظاهر وانعام الله عليه بهدايته للاسلام وما وسع عليه في
الدارين وانعام الرسول عليه باعتاقه وتقريبه ومحبته له وكانت زوجته
زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام اميمة بنت عبد المطلب وكانت من اجمل
النساء واشرفهن فاتى صلى الله عليه وسلم زيدا لحاجة فلم يجده فوقع نظره
عليها فاعجبه حسنها ووقعت في قلبه اعظم موقع فقال سبحان مقلب
القلوب وانصرف فلما جاء زيد اخبرته بذلك ففطن زيد لوقوعها في قلبه
والقى الله في نفسه كراهيتها فقال يا رسول الله اني اريد مفارقة زوجتي
فقال له ما رابك منها قال ما رابني منها شيء وما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي
وتؤذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في امرها فابى وطلقها فاجاب عنه المص بقوله فاعلم ايها السايل عن هذه
القضية اكرمك الله عز وجل كما اكرمت مقام النبوة ونزهته عما لا يليق به ولا تستريب
اي لا تقع في ريبة وشك في شيء من امور صلى الله عليه وسلم واصل الريب قلق
النفس واضطرابها ثم نقل للشك وفي الحديث الشك ريبة والصدق طمانينة
اي لا تشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر من ان صلى الله
عليه وسلم اخفى في نفسه امر الخشية طعن الناس فيه بحبها وارادة طلاقها وامره
بامساكها وهو يريد خلاف الظاهر كما قال وان يامر زيدا بامساكها في عقد نكاحه
ولا يفارقها وهو صلى الله عليه وسلم يحب تطليقه اياها ليتزوجها كما ذكره جماعة من المفسرين
بانه اظهر خلاف ما في نفسه وامره بما لم يرده وانه خشي قالة الناس فيه كما نقل
بعضهم عن قتادة وابن عباس رضي الله عنهم وهو غير لايق بمقامه صلى الله عليه
وسلم واصح ما قيل في هذا الامر المذكور في هذه الاية ما حكاه بعض اهل التفسير
وفي نسخة رواه اهل التفسير عن زين العابدين علي بن حسين بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه احد السبعة انه كان قبل وقوع هذه القصة اعلم نبيه صلى الله
عليه وسلم ان زينب بنت جحش ستكون من ازواجه امهات المومنين بعد ما تزوجها
زيد وهي تحت نكاحه فلما شكاها اليه زيد بانها تتعظم عليه لشرفها وهو من
الموالي قال له امسك عليك زوجك لانه فهم من شكايته انه يستاذنه في
طلاقها واتق الله فلا تؤذها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا سبب واخفى
منه اي من زيد في نفسه لم يصرح له به حياء منه ان يطلع الناس على انه سيتزوجها
وان لم يكن فيه امر مستقبح وانما كتم سره وما اعلمه الله به من انه ستزوجها
وفي نسخة سيزوجها الله له مما الله تعالى مبديه ومظهره بابرازه في الخارج بتمام التزويج
وطلاق زيد لها كما قال تعالى ليلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم الاية
قال ابن العربي فان قلت فلم قال له امسك عليك بعد ما اخبره الله
بانه سيزوجها له قلت ليعلمه ما لم يعلمه من كراهة زيد لها ورغبته
في طلاقها حتى لا يبقى في نفسه شيء منها وعلى هذا التفسير لم يبق في القصة
اشكال ابدا وروي نحوه عن عمرو بن فايد بفا والف وهمزة ودال مهملة وفي
الاكمال انه بالفا والقاف وذكره الذهبي فقال عمرو بن قايد الاودي
وقال الدارقطني وغيره انه ضعيف متروك الحديث معتزلي قدري لا يفهم
الحديث وهو بصري يكنى ابا علي قال البرهان وهو في النسخ التي وقفت عليها
بالقاف وفيه نظر عن الزهري بن شهاب كما تقدم قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
بعلمه مضارع من الاعلام ان الله يزوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها وقيدها
ببنت جحش ليخرج غيرها فان من امهات المومنين زينب اخرى هي بنت خزيمة
ام المساكين فذلك هو الامر الذي اخفى في نفسه لاستحيائه من اظهاره ويصحح
هذا الذي رواه الزهري قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا في اخر الاية وكان

امر

امر الله مفعولا لا فادته انه امر اراده قبل ذلك ونفى عنه الحرج في تزوج منكوحة
من تبناه لانه ليس كالولد الحقيقي اي لا بد لك ان تتزوجها لانه قدره ازلا وانما
تزوجها لحكمة رتب عليها احكاما شرعية ويوضح هذا الامر الذي قرره المفسرون
ان الله لم يرد اي لم يظهر من امره اي من شانه صلى الله عليه وسلم في هذه القصة
معها اي مع زينب رضي الله عنها غير زواجها اي تزويجه اياها فدل ما ابداه
الله من امره على انه اي تزوجها له بامر الله هو الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم
في نفسه لا انه اخفى في نفسه غير ما امره الله به وانما الذي اخفاه شيء مما اعلمه
الله تعالى به لا عبرة بما توهمه فانه تعالى لم يرد شيئا غير زواجه بها فدل
على انه هو الذي اخفاه كما تقرر ولو كان امرا اخر ابداه وما في الكشاف من
قوله فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقول حين قال له زيد اريد ان
افارقها وكان من المحنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت
الذي اراده الله تعالى منه ان يصمت او يقول له انت اعلم بشانك انتهى غفلة
اعتراه في تخلف الارادة فاحذرها وقوله تعالى في القصة الى قصة زينب المذكورة
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله والحرج في الاصل الضيق واريد
به الاثم اي لا اثم عليك فيما قدره لك ووسع عليك في امر النكاح وسنة الله منصوب
على الاغراء وهو مصدر لفعل علم من السياق اي سن ذلك سنة وطريقة شرعية
كانت لمن قبلك من الانبياء في تزوج من يريد او في تعدد المنكوحات وكثرتها
كما وقع لداود وسليمان وغيرهما من الرسل عليهم الصلاة والسلام وفرض بمعنى
قضى وقدر لا من الفرض مقابل السنة ففي ذكره مع السنة توارية وطباق
بليغ فيه من اللطف ما لا يخفى حسنه فدل ما ذكر في قوله ما كان على النبي من
حرج على انه لم يكن عليه صلى الله عليه وسلم حرج اي تضييق ولا اثم يقتضي العقاب
عليه في الامر الذي فعله وقد قدره الله واعلمه به وقال الطبري محمد بن جرير وقد
تقدمت ترجمته ما كان الله اي ما فعل وقدر ان يؤثم نبيه عليه الصلاة والسلام
اي يوقعه في اثم وذنب فيما احل مثال فعله اي احل مثله لمن قبله من الرسل عليهم
الصلاة والسلام يعني ان الاية دالة على ان ما فعله لا اثم فيه لانه قال تعالى سنة
الله في الذين خلوا من قبل اي مضوا وتقدموا اي من قبلك من النبيين فيما احل لهم فلما قال
انما فعلته من سنن الانبياء الذين من قبلك دل على انه مشروع لا اثم فيه فدلت
الاية على بطلان غير ما قيل له لدلالة الاية عليه نصا ظاهرا ولو كان الامر
على خلاف ما ذكر وتفسير ما اخفاه بما ذهب اليه غيره على ما روي في حديث عبد ابن
حميد عن قتادة وقوله فيما نقل عنه من وقوعها اي زينب رضي الله عنها من قلب
النبي صلى الله عليه وسلم اي انه لما راها وقعت في قلبه موقعا عظيما لشغفه
بها عند ما اعجبته بحسنها الذي راعه ومن محبته طلاق زيد لها ليتزوجها
لتعلق قلبه بمحبتها لكان فيه اعظم الحرج اي الاثم غير اللايق به والتضييق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

علي زيد بارادة مفارقة منكوحته وحاشاه صلى الله عليه وسلم من مثله ولكان
ايضا فيه ما لا يليق به اي لا يحسن صدوره منه ولا ينبغي له من مد عينيه الى ما نهي
عنه اي عن طلبه وتمنيه ومد العين اطالة النظر حتى لا يرده لاستحسانه له فهو
بتقدير مضاف او تجوز في العين وهو كناية عن تطلب الامر وارادته ارادة قوية
وبين المنهي عنه بقوله من زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وزخرفها وبهجتها
وهذا اشارة الى ان ما وقع في القران العظيم تمثال به لانه نزل لما وردت سبع
قوافل من بصري فيها طيب وامتعة نفيسة فقال المسلمون لو كان لنا هذا
تقوينا به وانفقناه في سبيل الله فانزل الله عليه ولقد آتيناك سبعا من المثاني
الاية اي هذه خير لكم من القوافل السبع فلا تمدوا اعينكم نحوها وكل هذا
لا يليق بمقامه صلى الله عليه وسلم وزهده في الدنيا فما قيل من ان مجرد وقوعها
في قلبه صلى الله عليه وسلم من غير ان يبدو منه شيء لا اثم فيه وكذا محبته وميله
لطلاقها من غير تكلم به لا اثم فيه فكيف يكون اعظم الحرج فيه نظر ولكان هذا
اي لو كان ما اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه بعد ما اعجبته زينب وارادة
ان يطلقها ابي صح هذا كان من الحسد المذموم لان الزوجة الحسنا نعمة من الله
بها فهو بذكر يتزوالها عنه وقيد بالمذموم لان الغبطة حسد غير مذموم
لان معناها ان يتمنى ان يكون له نعمة كنعمة غيره من غير تمني زوالها وهذا
في امور الدنيا لا في الدين واقبح الحسد تمني زوال نعمة لغيره لا تحصل له الذي
لا يرضاه صفة للحسد ولا يتسم به اي لا يتصف به من الوسم وهو العلامة واصلها
ان يكون بكي ونحوه كما مر الانبيا تنازعه يرضى ويتسم فكيف بسيد الانبيا الذي هو
اعظمهم واشرفهم نفسا صلى الله عليه وسلم والاستفهام تعجبي انكاري والمراد
به استبعاد صدور الحسد منه ومنهم صلى الله عليه وسلم قال القشيري عبد الكريم
ابن هوازن صاحب الرسالة الامام المفسر الزاهد شيخ الصوفية وراس الشافعية
المشهور وهذا المنقول عن قتادة من انه صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته واراد
طلاقها اقدام من قايله اولا دون حاكيه عنه اي جراة على مقام النبوة
وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم الذي يجب ان يعتقد فيه
ويعظمه اي زيادة على غيره في الشرف وعلو المرتبة على امور الدنيا وكيف يقال
انه صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته مما يقتضي انه لم يرها قبل ولا يعرفها
وهي بنت عمته عليه الصلاة والسلام لانها بنت اميمة بنت عبد المطلب كما مر
ولم يزل يراها منذ ولدت الى ان بلغت فهو صلى الله عليه وسلم يعرفها ويعرف جمالها
كيف لا يعرفها ولا كان النسا ولو اجنبيات يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم لمزيد
بعفته وعصمته وهو الذي زوجها لزيد مولاه رضي الله عنه وانما جعل الله طلاق زينب
اي لزينب بعد ما زوجها له وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها بما قدره وامره
به كما تقدم لحكمة ولهذا لم يتزوجها قبل زيد ليعلمهم حكما شرعيا وهو ما اشار

اليه

اليه بقوله لان لا تحرم التبني اي اتخاذ ابن غيره ابنا له ليلا يظن الناس انه يحرم من تزوج
حليلة من تبناه كما يحرم بين الاب وابنه الحقيقي حليلة كل على الاخر وابطال سنة
اي الطريقة الجارية بين الناس في جعل المتبني ابنا حقيقة يحرم منه ما يحرم
منه كما كان في الجاهلية وما قيل من ان القول الذي رده المص ثابت بالقول
الصحيح ثم فسره بما ارتضاه المص تخليط لا حاجة للاطالة به الا ان ابنة الشافعية
قالوا انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له النكاح بغير الرضي
وانه اذا رغب في نكاح امراة لزم اجابته وحرم على غيره خطبتها فان كانت تحت
زوج وجب عليه طلاقها لانه يجب على كل احد ان يكون صلى الله عليه وسلم احب
اليه من نفسه واهله وولده كما قاله القرافي وقال ابن حجر في شرح البخاري الذي
صح بالادلة القوية ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية
والنظر اليها كما كان يدخل على ام حرام وينام عندها وتفلي راسه وهي اجنبية منه
وكان صلى الله عليه وسلم زوج زيدا زينب كما مر وساق مهرها من عنده وكانت
هي واخوها ابيان ذلك لشرف النسب وقراية الرسول صلى الله عليه وسلم
وكان لها رضي الله عنها حدة وشهامة كما قال تعالى في بيان هذه القضية وما فيها من
الحكم ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي ليس ابا حقيقيا لاحد منهم فانه صلى
الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر وابنه ابراهيم مات صغيرا لم يبلغ سن الرجولة
ومن جوز ان يقال له اب المومنين كما يقال لنسايه امهات المومنين فانما هي
ابوة شفقة وتعظيم وكان زيد رضي الله عنه يقال له ابن محمد فلما نزلت
الاية لم يقل له ذلك فعوض منه الله عنه بذكر اسمه في القران المتلو في المحاريب
ولم يقع هذا لغيره من الامة واما الحسن والحسين رضي الله عنهما فليست
بنوتهما حقيقة كما لا يخفى فلا يثبت لاحد حكم البنوة الحقيقية منه صلى
الله عليه وسلم ولذا قال الله عز وجل في هذه الاية لكيلا يكون على المومنين حرج
اي تضييق في امر النكاح وهو تعليل لقوله زوجناكها اي شرعنا لك ذلك
توسيعا على الامة لا خاصة لنفسك في ازواج ادعيايهم جمع دعي بمعنى
مدعو وهو من يلصق بنسبه بنسب غيره وليس بينهما بنوة حقيقية وقوله
اذا قضوا منهن وطرا بالتزوج والنكاح ونحوه مثل ما ذكر وبمعناه معروف
لا يخفى عليك تقدمت ترجمته وقال ابو الليث السمرقندي تقدم بيانه ايضا فان
قيل اذا كان الله قد زوجه صلى الله عليه وسلم زيدا بما سماكها بقوله امسك عليك زوجك
فهو ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته صلى الله عليه وسلم
فنهاه اي نهى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها واخراجها من زوجيته
انه يكرمها اي بين زينب وزيد وهو تعليل لنهيه الفه اي محبة لانها لم ترض
بشرفها وكانت تطيل لسانها عليه فالقى الله في قلبه كراهتها حتى احب

فراقها ليقضي الله امرا كان مفعولا واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه قدر
لها نكاحا له وامره به فلما طلقها زيد خشي صلى الله عليه وسلم قول الناس
باعتبار ما اعتادوه في الجاهلية انه يتزوج امراة ابنه لتوهمهم ان
التبني كالبنوة الحقيقية وانما خشيه وهو لا اثم فيه كراهة القيل
لمن لا يعرف حقيقة الحال كما هو حقيقة الاشراف فامره بتزويجها ازالة لما
يخشاه ليباح ذلك لامته افتداء به صلى الله عليه وسلم توسعة عليهم كما قال
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم عنهم الحرج لينفيه عنه بالطريق الاولى
تطييبا لنفسه صلى الله عليه وسلم وازالة لطعن الجهلة وحاصله تاويل
ما وقع في هذه القصة مما يخالف ظاهره ما يقتضيه مقامه لامره بما
يريد خلافه ومحبته لها وهي تحت نكاح غيره فاشار الى الجواب عما ذكر وقد قيل
كان امره صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها قمعا للشهوة اي منعا لها وزجرا
لها يقال قمعه فانقمع اذا كفه وذلله والشهوة ميل النفس لما تستلذه
وردا للنفس عن هواها اي عما تهواه من الصور الجميلة وحكاه بقيل اشارة
الى انه غير مرضي عنده فلا وجه لاستحسانه لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن
في نفسه هوى وحاشاه من مثله وهذا اذا جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم
انه راها فاعجبته واستحسنها لا سيما وقد مر انه صلى الله عليه وسلم كان راها قبل
وكان يعرفها ويعرف جمالها الا انه ليس بمنكر ولذا قال ومثل هذا القيل على ما فيه
لا نكرة فيه اي لا تنكر محنته في المجلة والنكرة ضد المعرفة في اصطلاح النحاة واصلها
كل ما لا يعرف فتنتل وخص لما طبع عليه ابن ادم من محبة الحسن من الصور وغيرها
مما يشاهد غيره ونظرة الفجاة اي النظر الذي وقع بغتة من غير قصد والفجاة
بضم الفا والمد ويجوز قصره بضم فسكون والفجاة بالفتح المرة منه معفو عنها اي
لا حرج فيها ولا اثم لانه لم يقصد وهو جواب عن سوال تقديره كيف نظر صلى الله
عليه وسلم لغير محرم مثلي ثم قمع نفسه عنها بصيغة الماضي ويجوز ان يكون مصدرا
وكذا في قوله وامر زيدا بامساكها في نكاحه وتقوى الله فيها بعد ذكر ما يعينها
واما ما ذكر تلك الزيادات النبي ذكرها بعض المفسرين في القصة من انه تعلق قلبه
صلى الله عليه وسلم بها واراد ان يطلقها واخفى ذلك في نفسه ونحو مما يليق
بنزاهته والتعويل اي المعول عليه المعتمد في هذه القصة على ما ذكرناه وهو
القول الذي ارتضاه والقول بانه لا باس فيما قالوه لا وجه له وهو الاولى
وان جاز غيره لكنه لا يناسب مقامه وان كان جايزا فتنته ما ذكرناه عن علي
ابن الحسين وهو الامام زين العابدين كما تقدم وحكاه النسفي في تفسيره كما تقدم
وقول ابن عطية رحمه الله وتقدمت ترجمته وصححه اي جزم بانه القول الصحيح
واستحسنه القاضي الفقيه لما فيه من صيانة مقام النبوة عما لا يليق واعتمده وعليه
قول ابو بكر بن فورك تقدم ضبطه في ترجمته مع ما فيه وقال انه اي هذا القول الذي

اعتمده

اعتمده معنى ذلك المذكور في هذه الاية والقصة عند المحققين من اهل التفسير قال
ابن فورك رحمه الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك
اي عن ان يظهر امرا في نفسه خلافه وان كان امرا جايزا له والنفاق في الاصل
معناه الاخفاء ماخوذ من نافقا اليربوع وهو مخرجه الذي يخفيه ثم نقل
في الشرع لاخفاء الكفر واظهار الاسلام واستعمل بعد ذلك استعمالا شايعا
لاخفاء كل امر لا يرتضى ومنه الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وعد منها
الكذب وغيره كما صرحوا به فلذا قال واظهار خلاف ما في نفسه فهو عطف
تفسير موضح لما اراده فلا وجه لما قيل انها عبارة مستبشعة الى اخر ما اطال
به من غير طايل نعم لو تركها كان احسن لكنه حكاها عن غيره فلا عهدة
عليه فيها ومراد ابن فورك التغليظ على قايل هذه المقالة وتغليظه بان من جوز
عليه صلى الله عليه وسلم مثل هذا امثل من جوز عليه الكفر والنفاق والمعرض لم يقف
على مراده وقد نزهه الله عز وجل عن ذلك الذي قاله بعض المفسرين بقوله تعالى ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله اي قضى وقدر من تزويجه صلى الله عليه وسلم زينب فهذا
صريح في رد ما قاله بعض المفسرين وصريح فيما ارتضاه قال ابن فورك ومن ظن
ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم انه وقع في قلبه محبتها واراد انه ان زيدا يفارقها
واخفى ذلك في نفسه فقد اخطا خطا فاحشا ولذا جعل نسبته له كنسبة النفاق
له صلى الله عليه وسلم فالتعبير به للتشنيع على قايله وبعد تنزيهه عنه
كيف يعترض عليه قيل وما افتة الاخبار الا رواتها قال ابن فورك
وليس معنى الخشية هنا يعني في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه الخوف
بل معناه المقصود هنا وفي تسخة معناها اي الخشية وعلى الاول الضمير للفظ المذكور
الاستحيا اي يستحي منهم اي من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه اي من تبناه وهو زيد
وهذا اعني قوله وعليه عول ابن فورك الى هنا سقط من بعض النسخ واستحياؤه
لشرفه المقتضي ان لا يسمع مقالة من احد وان لم تضره شرعا وكذا نفس عرضه
وان خصيته اي استحياه صلى الله عليه وسلم انما كان من ارجاف المنافقين واليهود
اي اشاعتها هو مكروه بزعمهم واصل الرجف الاضطراب وايقاعه اما
بالفعل واما بالقول ويقال الارا جيف ملا فيه الفتن كما قلت

السن الناس اذا ما انطلقت ... فهو بذر للبلايا والمحن
فاحذر الالسن مما انطلقت ... فالارا جيف ملا فيه الفتن

وتشغيبهم من الشغب بغين معجمة ساكنة ومفتوحة وهو يودي الى الشر من
الاكاذيب على المسلمين بذكر ما ينقص نبيهم صلى الله عليه وسلم فان ما يسوه يوهم
بقولهم تزوج زوجة ابنه لزعمهم انه غير جايز كالابن الصلبي جهلا منهم
ونقصا بعد تنبيه اي تحريمه عن نكاح حلايل الابناء جمع حليلة وهي الزوجة المنكوحة
تلبيسا منهم بجعل المتبني كالابن الحقيقي وقد قال تعالى وحلايل ابنايكم الذين من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اصلا بكم كما كان اي وقع من ازاجيفهم وتشغيبهم فعتبه الله على هذا عتب محبة
وتسلية لعدم قبحه ونزهه عن الالتفات اليهم والاعتداد بقالتهم فيما احل له
وقدره من هذا النكاح من غير حرج فيه وهذا العتاب كما عتب على مراعاة رضى ازواجه
النازل لذلك العتب في سورة التحريم قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه ويجوز لك بلا حرج اي انه مثله
في انه عتب ملاطفة وتسلية على ما استحي منه لشرف مقامه صلى الله عليه وسلم
عن ان يصل اليه غبار الاوهام وقد يروى عن الحسن البصري رضي الله
عنه اي رواه الترمذي وصححه وقدمه على قوله وعائشة رضي الله تعالى عنها لانه
هو الذي رواه عنها فقدمه على عادة الاسانيد فلا يقال كان ينبغي تقديمها عليه
لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي اليه بمعاتبته لكم هذه
الاية اي اية التحريم لاية زيد وزينب رضي الله عنهما كما قيل لما فيها علة
للكتم من عتبه صريحا وابدا ما اخفاه مما جرى بينه وبين ازواجه فيها وهذا
الحديث فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يحب العسل والحلوى فدخل على حفصة
رضي الله عنها ومكث عندها اكثر من عادته فسالت عنه فقيل اهدي لها
عكة عسل فسقته منه فاتفق على ان يقلن له نجد منك رائحة المغافير
وهو شيء كريه الرائحة اذا رعته النحل اثر في عسلها فقال لا اعود له بعد
هذا والقصة مفصلة في كتب التفسير والحديث فصل فيما وقع له
صلى الله عليه وسلم في مرض موته مخالفا لما قدمه فان قلت سايلا عما يخالف
ما قررته فقد تقرر عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع احواله
واوقاته وانه لا يقع منه فيها اي في اقواله خلف اي مخالف للواقع ولا
اضطراب اي اختلاف وتناف فهي كلها متساوية لا تختلف في عمد وقصد ولا سهو
ونسيان ولا ضعف في بدنه ولا مرض بتغير مزاجه الشريف ولا جد هو ضد الهزل
ولا مزح كما تقدم ولا رضى على غيره ولا غضب لوقوع ما لا يرضاه الله فما معنى الحديث
الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين في وصيته لاصحابه رضي الله
تعالى عنهم في مرض موته الذي حدثنا به شهيد ابو علي بن سكرة كما تقدم قال ثنا
القاضي ابو الوليد الباجي وتقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو ذر الهروي
وقد تقدمت ايضا قال حدثنا ابو محمد بن حموية السرخسي وابو الهيثم الكشميهني
كما تقدم ايضا وابو اسحاق المستملي وقد تقدم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري قال
حدثنا علي بن عبد الله ابو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح المديني الحافظ
الامام العظيم روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي سنة اربع وثلاثين ومائتين
وعمره ثلاث وسبعون والمديني بالياء نسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال

ابن

ابن الاثير وهو في الاكثر مدني والنسبة لمدينة ابن اخر نحو سبعة وفي الصحاح المدني
نسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والمديني نسبة للمدينة التي بناها
المنصور وقال ابن الصلاح في المسلسل المديني نسبة الى مدينة اصبهان
المسماة انتهى وقد تقدم الكلام فيه ايضا والمديني هذا له ترجمة في
الميزان كما قاله البرهان قال حدثنا عبد الرزاق بن همام الحافظ وقد تقدم
انه معمر بن راشد بفتح الميمين كما تقدم وهذا هو الصواب وما في بعض النسخ
من قوله عبد الرزاق عن همام خطا لان عبد الرزاق لا يروي عن همام واسم
ابيه همام ويروي عن معمر عن الزهري محمد بن شهاب كما تقدم عن عبيد بن
عبد الله بن العلم بن عتبة الاعمى احد الفقهاء السبعة مشهور توفي سنة ثمان
ومائة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتضر بالبناء للمفعول بمعنى حضرة الموت وظهور علاماته وهو محتضر اسم مفعول
بمعنى دنو موته وهو المراد ويقال المحتضر به مس من الجن وكان هذا يوم الخميس قبل
وفاته صلى الله عليه وسلم بايام والحديث صحيح رواه البخاري وغيره واحتضر
يكون متعديا ولازما فيقال احتضره بمعنى حضره وفي نسخة حضر والصحيح الاول
وفي البيت يعني بيته صلى الله عليه وسلم رجال من كبار الصحابة وقرابته رضي الله
تعالى عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اي اقبلوا علي واصل معناه تعالوا وهذا
على لغة من يلحق به الضمائر من تميم واهل الحجاز يستعملونه مفردا مبنيا على الفتح
للواحد المذكر وغيره قال تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا لبيان
ما يهمكم في دينكم ودنياكم حتى لا يقع بينهم اختلاف بعده والمراد امر بكتابته
وجوز بعضهم حمله على ظاهره وانه صلى الله عليه وسلم يكتب بيده وذلك معجزة له
وتقدم ما فيه مرارا لن تضلوا اي لا يقع منكم امر تضلون به بعده اي بعد كتابته
والعمل بما فيه والعمل به فقال بعضهم هو عمر رضي الله تعالى عنه كما بيناه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد غلبه اي اشتد وقوي عليه الوجع اي المرض وهذا هو محل
الشبهة والسؤال لانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم في حال المرض وصحته
وسائر احواله الحديث وفي رواية اخرى لهذا الحديث الوجع اي احضر واما بكتب
فيه اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا وهذه اكد من الاولى لقوله فيها لن وابدا
فتنازعوا اي وقع بينهم نزاع واختلاف في مجلسه صلى الله عليه وسلم هل يكتبون
ام لا فقالوا كما في البخاري ما شانه اهجر من الهجر بالضم وسياتي بيانه قيل انه ظهر
لعمر رضي الله تعالى عنه ان ما اراد كتابته ما فيه ارشادهم للاصلح وما لا يجب لانه
صلى الله عليه وسلم لم يترك مما يجب تبليغه شيئا وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب
من شيء وقيل انه اراد كتابة امور شرعية على وجه يرفع الخلاف بينهم وقال
سفيان اراد ان يبين امر الخلافة بعده حتى لا يختلفوا فيها وياتي في كلام المص
حكايته غير منسوب ويؤيده ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال في اول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مرضه لعايشة ادعي لي اباك واخاك اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن
ويقول قايل ويابى الله عز وجل والمومنون الا ابا بكر وايد الاول بقول عمر حسبنا
كتاب الله وهو شاهد لهذا ايضا وقال الخطابي انما ذهب عمر الى انه لو نص
على شي او اشيا بطلت اقوال العلما والاجتهاد ورده ابن الجوزي بانه لا يلزم
ما ذكر لان الحوادث لا تنحصر وقال انما اراد عمر رضي الله عنه ان ما يكتبه في
المرض ربما يجد له المنافقون سبيلا للكلام فيه وما قيل من انه صلى الله عليه
وسلم اوتي جوامع الكلم فيجوز ان يكتب ما يشتمل جميع الاحكام ويستخرج منه
بسهولة حتى لا يحتاج الى اجتهاد يحتمد وتخريج عالم وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم من ان يقول في مرضه ما يطعن فيه طاعن لاستقامة ذهنه في سايرا
احواله ولفظ الحديث كما في البخاري لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
البيت رجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه المرض وعندنا القران
حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب
لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال قوموا
وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين ان يكتب لاختلافهم ولغطهم وقال الشهر ستاني انه اول اختلاف
وقع في الاسلام استفهموه اي قولهم اهجر بهمزة الاستفهام الانكاري للهجر بضم
الهما استفهموا من توقف في امتثال امره بالكتابة اي ايصدر عنه هجر وهو الهذيان
وما يفتح من القول وهو صلى الله عليه وسلم معصوم منزه عن مثله في سايرا احواله وقال
الراغب يقال هجر واهجر اذا تكلم من غير قصد وقيل المراد استخبروه عما اراد انركه او لا ام لا
فقال صلى الله عليه وسلم دعوني اي اتركوا النزاع عندي واللغط فانه لا ينبغي ان يقع
مثله عند نبي من امته فالذي انا فيه من مراقبة الله والتاهب للغاية وانتظار
رسله الداعين الى الرفيق الاعلى خير من الاشتغال بامركم واستفهامكم وكلامكم ولغطكم
وفي بعض طرقه اي طرق هذا الحديث المروية عنه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
يهجر بفتح اوله وضم ثالثه اي ياتي بهجر من القول وهو على تقدير الاستفهام الانكاري
وليس من الهجر بمعنى ترك الكتابة والاعراض عنها كما قيل وهذه رواية الاسماعيلي
من طريق بن خلاد عن سفيان وفي رواية كما في البخاري هجر ماض بدون استفهام ويروى
اهجر بالاستفهام والمصدر المرفوع ويروى اهجرا بالاستفهام ونصب المصدر اي
ايهجر هجرا بضم الها والروايات كلها تدل على انه استفهام ملفوظا او مقدرا لكنهم
اختلفوا في هاء اهجر مضمومة او مفتوحة والاول هو المشهور ولابن قرقول
فيه كلام وقد افرد بعضهم هذا بتاليف مستقل وفي بعض الحواشي ما يدل على انه
يجوز في ها الهجر الضم والفتح وليس ببعيد ان ساعدته الرواية وفي كلام
المص ما يوافقه زفيه اي في هذا الحديث فقال عمر رضي الله تعالى عنه ان النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
بالبنا على الضم اي كافينا عن غيره مصدر بمعنى اسم الفاعل اي محسب وكافلنا
وفي نسخة حسبنا اي هو كافينا وكثر اللغط وهو ارتفاع الاصوات واختلاطها
حتى لا تكاد تفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم قوموا وابعدوا عني
اراد ذهابهم من مجلسه حتى لا يشتغل بهم عما هو فيه وفي رواية في الصحيح ايضا واختلف
اهل البيت اي من كان في بيته صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
اذ ذاك او اقرباؤه منهم كابن عباس رضي الله تعالى عنهما واختصموا اي
نازع بعضهم بعضا فمنهم من يقول قربوا الكاتب او الكتاب يكتب لكم بالرفع
والجزم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا تتمسكوا به فتهتدوا اي يامر بالكتابة
ومنهم من يقول ما قال عمر رضي الله تعالى عنه من قوله حسبنا كتاب الله شفقة
ولحكمة علمها ولذا لم ينكر عليه قوله كما سياتي قال البيتيا المالكية او الاشعرية
او ايمة الحديث بقرينة المقام في هذا الحديث المروي عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض التي تطرا عليه في ظاهر جسمه دون
باطنه اذ لم تكن منفرة وما يكون من عوارضها اي ما يعرض منها من الالام والتغير
من شدة وجع يوله وغشي اي اغما خفيف ونحوه مما يعرض على جسمه وهو
معصوم عن ان يكون اي يوجد منه من القول انفاذ لكم اي في خلاله ويتخلل منه وهو جمع
شي كما تقدم ما يطعن في نبوته اي يقدح فيها من مخالفتها للواقع ويودي الى فساد
شريعته لتطرقه للشك في اخباره واحكامه من هذيان اي كلام غير مفيد اي
اختلال في كلام كتناقضه ومخالفته الواقع والعقل لنزاهته صلى الله عليه وسلم
وعصمته وكماله في جميع حالاته كما شوهد منه في مرضه الى ان سلم روحه
الشريفة الى مالكها وعلى هذا الامر الذي قرره من عصمته في اقواله ونزاهته
لا يصح رواية من روى هجر بدون استفهام من الهجر بالضم والفتح اي معناه هذي
اي تكلم بكلام كثير لا فايدة فيه ولا انتظام لمقايله ممن لا يعرف قدره عليه
الصلاة والسلام لخلل في دينه او عقله او لقرب عهده بالاسلام فتوهم
انه يعرض له صلى الله عليه وسلم من المرض ما يعرض لغيره من تخليطه في كلامه
لخلل في عقله وحاشاه من مثله ويقال هجر يهجر كنصر ينصر هجرا بفتح اوله
وسكون ثانيه كما في بعض الشروح وسياتي ما فيه اذا هذي بالذال المعجمة
من الهذيان واهجر مزيد كاكرم هجرا بضم اوله بوزن قفل وهو اسم مصدر
ومصدره الاهجار اذا افحش اي تكلم بكلام قبيح عن قصد والاول بغير قصد
واهجر بفتح الهمزة هجر كاكرم وما في بعض الشروح انه بضم اوله وسكون ثانيه
سهو من الناسخ وصوابه بفتح اوله تعديه هجرا اي ثلاثيه معدي بالهمزة
وقد قيل عليه ان هجر واهجر لازمان وصوابه هجر واهجر بمعنى سوا الا ان يريد
بتعديه تعديه عن الحد فيه وتجاوزه وهو بعيد انتهى وما ذكره هو الذي

يقتضيه كلام اهل اللغة **وانما الاصيلي** اشارة الى رد ما قبله وقد قيل عليه انه غير
مسلم لانه ان اراد رده بحسب الرواية فهو غير صحيح لانه ثابت في صحيح البخاري
وان اراد بحسب المعنى فكذلك لانه يقدر فيه همزة الاستفهام وحذفها
كثير في كلامهم كقوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك الخ وقول الشاعر

فوالله لا ادري وان كنت داريا ... بسبع رمين الجمار ام بثمان

ولك ان تجيب عنه بان مراده انه غير صحيح ان لم تقدر الهمزة وقوله **والاولى** اي ان
قدرت لان الاصل خلافه ولولا هذا لم يصادف قوله الاصح والاولى محزه **اهجر**
يعني بهمزة الاستفهام الانكاري حيث لا ينسب له ما لا يليق بمقامه وقابله
قاله على **طريق الانكار على من قال لا تكتب** ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتابته لانه لا يجوز مخالفته كما تقدم في كلام ابن عباس رد اعلى من اباه وعلله
بشدة وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في مرضه وصحته واتقابل لا تكتب عمر
رضي الله تعالى عنه والمراد عليه بقوله الخ بعض الصحابة ووجه ما قاله عمر
ما تقدم وسياتي تتمته **وهكذا رواية ابي ذر في صحيح البخاري** اي ثبت عنده روايته
بهمزة الاستفهام ملفوظة من مشايخه ثابتة **من جميع الرواة في حديث الزهري**
المتقدم ذكره قبل **وفي حديث محمد بن سلام** هو الامام الحافظ الذي روى
عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين وسلام بتخفيف
اللام عند الاكثر كما قاله الذهبي والمزي وغيرهما وجوز بعضهم تشديدها
ايضا وعنه بعضهم انهما اثنان فالكبير منهما بالتخفيف والصغير بالتشديد
وهو محمد بن سلام بن السكن البيكندي وعلى كل حال فالاصح في هذا عندهم
التخفيف **عن ابن عيينة** يعني به سفيان لان اولاد عيينة عشرة منهم خمسة
اشتهروا بالعلم والحديث وخمسة لم يشتهروا بذلك ولذا قال ابن الصلاح انهم
خمسة واكبرهم واشهرهم سفيان **وكذا ضبطه الاصيلي** بهمزة وفتحات **بخطه في**
كتابه يعني به صحيح البخاري الذي رواه وضبطه بقلمه كما ذكر والاصيلي تقدم
بيانه واصيل بلد بالاندلس **وكذا ضبطه بخطه غيره** اي غير الاصيلي ممن روى
عن البخاري وكتبه ممن يعتمد عليه **من هذه الطرق** اي طريق الزهري وغيره **وكذا روينا عن**
مسلم كما رواه البخاري **في حديث سفيان** بن عيينة يعني في روايته **وروينا**
ايضا عن غيره اي في غير مسلم فصح عنده من طرق ثبوت الهمزة فيه رد او انكارا على
من ابى الكتابة اي اتجعله كغيره ممن يصدر عنه وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم منزه عنه وقول عمر رضي الله عنه انما هو رد عني من نازعه لا ردا
على النبي صلى الله عليه وسلم كما يعلم مما ياتي **وقد يحمل عليه** اي على هذه يحمله بمعناه
رواية من رواه بدون همزة **فيحمل على حذف الف الاستفهام** يعني الهمزة لانه
يطلق عليها الف كما في المغني وغيره **والتقدير على هذا اهجر** وحذفها وتقديرها
جائز كما تقدم والقرينة على حذفها عقلية للعلم بعدم اتصافه صلى الله عليه وسلم

بمعناه

بمعناه **او ان يحمل** ويوجه **قول القائل هجر** بغير استفهام **او اهجر** بالهمزة
والاستفهام عما لا يتوهم فيه اذا ثبتت هذه الرواية فانما صدرت **دهشة**
اي حيرة تذهل من امر عظيم يبغته **من قائل ذلك** اي قوله هجر ونحوه **حيرة**
تشغله عما يقوله **لعظيم ما شاهد من حال الرسول** صلى الله عليه وسلم مما يشق عليه
فيذهله عما يقول **وشدة وجعه** والمه المؤثر في قلوب محبيه **وهول المقام الذي**
اختلف فيه عليه اي شق عليه اي مخالفتهم له فيما امر به **وهول الامر الذي هم** صلى
الله عليه وسلم **بالكتابة فيه** اي هم بان يكتب في شانه فانه انما يهم في حال الحاجة
بكتابة امر الا وهو امر عظيم لم يظهر الى الآن فربما شق عليهم او خشي منه ومن
عواقبه كامر الخلافة مثلا حتى ان القائل لشدة دهشته **ابسط لفظا** التحري
ومراعاة حسن تعبيره وفي نسخة لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الى اخره
بدل قوله **او** يحمل قوله على انه **اجرى الهجر** بضم الهاء **مجرى** بضم الميم ويجوز فتحها
ولا يتعين الاول كما توهم **شدة الوجع** اي استعمله مجازا في لازم معناه ولم يرد
حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث كان يوعك كما يوعك الرجلان
وزيادة المه للطف بنبيه وكثرة ثوابه **لانه** اي القائل **اعتقد انه يجوز عليه الهجر**
بالضم اي الهذيان **كما حمله** اي دعاهم وحرضهم **الاشفاق** اي الخوف عليه صلى الله عليه وسلم
لشفقتهم عليه ومحبتهم له **على جراسة** حرا عليه من ان يصيبه مكروه او عدو
والله يقول جملة حالية **والله يعصمك من الناس** فمع هذا لا حاجة لجراستهم له لكن لشدة
محبتهم دعتهم لذلك كما قيل

ان المحب بسوء ظن مولع ... وبخوفه مما فعلوه احترسا من غير حاجة

واما على رواية هجر بهمزة الاستفهام وضم الهاء
منصوبا منونا ويجوز فتحها وقيل انه الصواب وفيه نظر **وهي رواية ابي اسحاق**
المستملي في الصحيح اي صحيح البخاري لانه احد رواته وفي نسخة السلمي ولم يبينوه
والمعروف انما هو الاول والظاهر انه تحريف من النساخ **في حديث ابن جبير عن ابن**
عباس رضي الله تعالى عنهما **من رواية شعبة فتكون هذا** اي الوصف بالهجر
راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم **ومخاطبته لهم من بعضهم** فيكون بعض الصحابة
قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله عليه وسلم من يكتب فهو على
هذا مفعول فعل مقدر تقديره اي جرى اختلافكم اي بسبب الاختلاف واللغط
على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق باختلافكم **وبين يديه** اي في حضوره **هجرا** بضم
فسكون **ومنكرا من القول** عطف تفسير وضحه بقوله **والهجر بالضم الفحش في النطق** اي النطق
بما يقبح ولا يليق بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم **وقد اختلف العلماء في هذا الحديث**
اي في معناه المراد به **وكيف اختلفوا بعد امره** صلى الله عليه وسلم **لهم ان ياتوا بالكتاب**
ليكتب فيه ما لا يضلون بعده **فقال بعضهم** اي بعض المختلفين في بيانه وتاويله
اوامر النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه جمع امر وامور فهو جمع الجمع وما فيه
بينهم ايجابها اي ما اريد به الايجاب منها **من ندبها** اي مندوبها **ومن اباحتها** اي مباحها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والعاطف فيه محذوف بقرائن قوية اي بالقرائن اللايحة من سياقه وان كان
اصله الايجاب وليس هذا مبنيا على ان الامر مشترك بين هذه المعاني الثلاثة ولا
يتعين لاحدها بدون قرينة كما هو قول لبعض اهل الاصول مع ما فيه وما عليه
فلا نطول به فلعله قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم حين سمعه منه
ما فهموا من ظاهره وهو فاعل ظهر انه اي امره صلى الله عليه وسلم بقوله هلموا
لم يكن ذلك الامر منه عزمة اي امرا عزم عليه عزما مصمما فيجب امتثاله بل هو
امر رده الى اختياره فهو مشاورة مخيرا فيه ولذا اختلفوا فيه وراجعوه وبعضهم
اي بعض الصحابة لم يفهم ذلك فظنه واجبا لا يجوز مخالفته فانكر على من خالف فيه
فقال استفهموه اي استخبروه صلى الله عليه وسلم عما اراد بامره فلما اختلفوا فيما
بينهم كف عنه صلى الله عليه وسلم فقال قوموا عني وكف القايل عن طلب الاستفهام
اذ لم يكن بالبا والتا اي يوجد او هي ناقصة عزمة واجبة الامتثال بالرفع
والنصب ولما راى صلى الله عليه وسلم او الكاف ولما بكسر اللام وتخفيف الميم
ولا يجوز الفتح والتشديد وفي نسخة ولما راوه من صواب راي عمر رضي الله تعالى
عنه هؤلاء الذين يلوث بهذا الوجه قالوا وعلى هذا يكون امتناع عمر رضي الله تعالى عنه
من كتابة ذلك الكتاب اشفاقا وحذرا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في
تلك الحال اي حال وجعه والمه املاء الكتاب او اشفاقه من ان يدخل عليه مشقة
من ذلك الاملا كما يشهد له انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع فهذا
صريح في شفقته عليه من التعب وتالمه مع علمه بانه صلى الله عليه وسلم لم يدع شيا
الا اعلمهم به بكتاب الله وسنته ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليوخر بيان امر من
مهمات الدين وقد قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقيل خشي عمر رضي الله تعالى
عنه وخاف ان يكتب امورا يجزعون عنها ولا يوفونها حقها فيحلهم ملوم اي يقعون في الحرج
اي ما يضيق عليهم من الاثام بالمخالفة لما امرهم به وراى عمر رضي الله تعالى عنه براية
هذا ايضا ان الاوفق بالامة اي الاسهل والاكثر رفقا بهم في تلك الامور التي اراد
كتابتها لهم سعة الاجتهاد اي ما يتوسعون فيه باجتهادهم واستنباطهم من النصوص
المتناهية وحكم النظر اي نظر من يجتهد في الادلة المقدمات التي يريد الاستنباط
منها نظرا صحيحا مقرونا بشرايطه وطلب الصواب بالنظر في الادلة والنصوص
ومقتضياتها وموانعها فيكون المجتهد المصيب والمجتهد المخطي في الحكم الشرعي
ماجورا مثابا اما الاول فله اجران اجر اجتهاده فقط لبذله جهده في طلب الصواب
والحق وهذا بنا على ان المصيب واحد منهما والقول بان كل مجتهد مصيب
ليس مرضيا كما بين في كتب الاصول واجر المخطي انما هو على سعيه وطلبه
للحق لا على خطايه لكنه لا اثم عليه في اجتهاده اذا كان من اهله على الصحيح
وتفصيله في كتب الاصول وقد علم عمر رضي الله تعالى عنه تقرر الشريعة اي انه
صلى الله عليه وسلم قررها وبينها لهم قبل مرضه ولم يترك شيا مما يحتاجون

اليه

اليه وتاسيس الملة اي احكام قواعدها وما ينبني عليه احكامها المحكمة
التي لم يهمل منها شي وعلى ان الله تعالى في اخر ما انزله اليوم المراد به الوقت
الحاضر في اخر عمره صلى الله عليه وسلم اكملت لكم دينكم فلم يترك شيا مما يحتاجون
اليه لم يبينه لهم من نحا او ضمنا ولم يرشدهم لطرق استنباطه فلذا ترك
ما يريد كتابته لحكمة هداه الله لها وهذه الاية نزلت يوم جمعة او
ليلتها بعرفة في الحج الاكبر ولما قراها صلى الله عليه وسلم بكى عمر رضي الله تعالى
عنه لان التمام ينذر على انقضا امر الوحي وعلم عمر ايضا قوله صلى الله عليه وسلم
اوصيكم بالتمسك بكتاب الله بامتثال اوامره ونواهيه والتادب باداب وما فيه
من مكارم الاخلاق وعترتي بكسر العين ومثناتين فوقيتين اولاها ساكنة
بينهما راء مهملة مفتوحة وهم اهل بيته صلى الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم
الزكاة من بني هاشم وبني المطلب وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة
خطبها صلى الله عليه وسلم وسماهما فيه ثقلين كما ياتي تعظيما لشانهما
فقال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي اخصا اقاربه وعترته صلى
الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل اهل بيته الاقربون وهم اولاد علي
رضي الله تعالى عنه وقيل عترته الاقربون والابعدون من قريش والمشهور
انهم اهل بيته الذين تحرم عليهم الزكاة انتهى وما قيل من ان هذا يقتضي
انما امر به النبي صلى الله عليه وسلم الا فايدة فيه وهو بعيد وغير لايق
ليس بشي لما علمت فتنبه وقول عمر رضي الله تعالى عنه حسبنا كتاب الله تعالى
لكفايته عما عداه في امر الكتاب لا رد من عمر رضي الله تعالى عنه على امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمن يكتب لهم كتابا وقد استبعد هذا من السياق
جدا فالحق ما سياتي وليس فيه شين لعمر وشبهة يحتاج للدفع بهذا وقد
قيل في الجواب عن قول عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تقدير تسليمه
انه انما خشي عمر رضي الله تعالى عنه تطرق المنافقين اي وصولهم من طريق نفاقهم
ومن وصول من في قلبه مرض لمفسدة على الاسلام واهله بالهمود لما كتب في ذلك
اي بسبب الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل اي ان يكذبوا
باسنادهم ما ليس فيه له واصل معنى التقول تكلف القول وفسر بما ذكر قوله
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل وجمع الاقاويل تحقيرا لما يقولونه او انه
خشي ان يتقولوا ما يكتب فيه بنا وبلات باطلة كما وقع من بعض الزنادقة كادعا
الرافضة اي ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى لعلي كرم الله وجهه وتسميتهم
له الوصي لذلك وان بعض الصحابة كتب ذلك وغير ذلك مما افتراه الرافضة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته كان فيه الوصية بخلافة علي فلذا
منع منه عمر وهو كذب منهم عليه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لرفضهم
زيد بن علي لامور فقتلوها وقيل غير ذلك وهم فرق بطول ذكرهم وقيل في توجيهه

www.alukah.net

انه اي امره كان من النبي صلى الله عليه وسلم امر على طريق المشورة والتخيير تطييبا
لقلوبهم لا امر ايجاب لا يجوز مخالفته والمشورة بفتح الميم وضم الشين وسكون
الواو وبزنة مثوبة في الافصح ويجوز سكون الشين وفتح الواو وقول الحريري
في الدرة انه خطأ منه كما فصلناه في شرحها وهي اي المشورة من شرت العسل
اذا جنيته والاختيار اي التخيير لا الايجاب وليتنظر هل يختلفون على ذلك الامر الذي
اراد ان يكتب امر تتفقون عليه فلما اختلفوا فيه وتنازعوا تركه وكف عنهم لانهم عصوا
وفرطوا في امر لا بد منه وقالت طائفة اخرى في معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
مجيبا لما طلبته اي كانوا سألوه ان يعهد اليهم بما يكتبونه عنه فاجابهم بقوله
هلموا الى اخره لا انه ابتدا بالامر به حتى يقال لا ينبغي مخالفته فيه بل اقتضاه اي
طلبه منه بعض اصحابه ممن كان عنده فاجابهم اي ما رغبوه فيه وكره ذلك غيرهم اي غير
من طلبه كعمر رضي الله تعالى عنه لتثقله صلى الله عليه وسلم في مرضه شفقة منه لعلل التي
ذكرناها سابقا واستدل بالبنا للمجهول اي على صحة هذا التاويل في مثل هذه
القصة اي قصة الكتاب المذكور بقول العباس رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البخاري
لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأله
عن الخلافة بعده فان كان الامر اي امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا
اهل البيت علمناه فلا ينازع فيه احد وان كان لغيرنا لم نطلبه ولم نرجه وكراهة
علي رضي الله تعالى عنه هذا اي ما قاله العباس رضي الله تعالى عنه له وقوله لعمه العباس ولا
افعل اي لا انطلق ولا اسأل الحديث رواه البخاري مسندا وفيه ان عليا
خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه فقال له
العباس كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبح بحمد الله بارئا
فاخذ بيده وقال له بعد ثلاث عبد العصا واني والله اراه متوفيا في
مرضه هذا واني لاعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا اليه
نسأله فيمن هذا الامر بعده فان كان فينا علمنا وان كان في غيرنا اوصاه بنا
فقال انا والله لا اسأله ولو كان فينا اعطيناه للناس بعده واستدل ايضا
لما ذكر من انه كان مجيبا لا آمرا الى الفوائد المروية بقوله صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث دعوني فان الذي انا فيه خير من ان يكتب الكتاب فانه لو كان امرا فيه
بواجب لم يقل ان تركه خير منه اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر اي اهماله
وتركه وخير من ترككم اي تركي لكم او ترككم كتاب الوصية ومن بيان لما هو فيه
وكتاب الله بالنصب مفعول معه اي مصاحبين بكتاب الله والتمسك به فانه
حسبكم فاياكم ان تختلفوا فيه فتهلكوا كمن قبلكم من الامم وتفشلوا ان تنازعتم
فيه وقد قيل انه كان مراده صلى الله عليه وسلم كتابة هذا شفقة عليهم
وان تدعوني ان شرطية والجملة معطوفة على جملة دعوني مما طلبتم اي من كتابة الكتاب
الذي طلبتموه فاجبتكم والجواب مقدر اي فهو خير لكم ويجوز فتحها وذكر بينا

المجهول

المجهول ان الذي طلب كتابه لهم امر الخلافة بعده وتعيين ذلك اي تعيين من يكون
خليفة بعده واعلم ان هذا هو الصواب كما قاله ابن تيمية في كتاب الرد
على الروافض وانه ورد مفسرا في الحديث المروي في الصحيحين كما مر في قوله
صلى الله عليه وسلم لعائشة ادعي لي ابا بكر واخاك ولا يجوز غيره لانه لا يخلو
من ان يكون امرا واجبا اوحي اليه به قبل مرضه او اوحي اليه به في مرضه والاول
لا يصح لان فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز والثاني لو كان بلغه
من غير طلبه كتاب ونحوه وحينئذ فانما قال عمر رضي الله تعالى عنه ما قاله
لانه علم وعلم غيره كعائشة رضي الله تعالى عنها وغيرها من كبار الصحابة
ولزوم ذكره لذكر بعده عمر فربما اشمأزت منه بعض النفوس القاصرة وقد علم ان
الله منجزه وان اخفاه في حياته اولى وما سواه هذا القول لا وجه له فلذا
ختم به هذا الفصل وكثر ذكره فيه والقول بانه بعيد لا وجه له فصل
في ذكر شبهة اخرى فيما قرره من عصمته صلى الله عليه وسلم في رضاه وغضبه
فان قيل فما وجه حديثه الذي رواه مسلم اي توجيهه بما يوافق ما قررناه ورواه المص
من طريقه مسندا ايضا اي المماثل للحديث الذي قدمه الذي حدثناه الفقيه
ابو محمد القشيري بقراءتي عليه قال حدثنا ابو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر الفارسي قال
حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن خيا تقدم بيانه رجال هذا السند كلهم قال حدثنا
مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم قال
حدثنا ليث عن سعيد هو المقبري وقد تقدم ابن ابي سعيد اسمه كيسان كما تقدم
عن سالم مولى النصريين بنون وصاد مهملة وهو ابن عبد الله النصري روى
له اصحاب الكتب الاربعة نسبة لجماعة تسمى النصر كما بين في اسماء الرجال
قال سمعت ابا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول تقدم الكلام على ابي هريرة وعلى
هذا التركيب من جهة العربية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما
محمد بشر الحصر فيه اما في ادعاء ليست احوالي الا من جنس احوال البشر الذي
يطرأ عليه ما يطرأ عليهم من العوارض البشرية وليس بين يامنها فهو يغضب
احيانا لله لا لنفسه كما يغضب البشر وعدل عن التكلم الى الغيبة بذكر اسمه
تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لربه ففيه التفات على راي الجمهور افتعال
من الاخذ فتاوه مبدلة لا اصلية كما تبين في العربية عند كم عهدا يعني
انه صلى الله عليه وسلم عاهد الله عهدا فيما بينه وبينه لن تخلفنيه يعني
وانك وعدتني بانجاز عهدي وانك لا تخلف الميعاد وفي قوله اتخذت
التفات من الغيبة للتكلم لبيان انه متلذذ بمناجاته مترقبا ثم فسر العهد
الذي عهده بقوله فايما مؤمن آذيته اي فعلت معه شيئا يؤذيه وهو مستحق
له كحد وتعزير اقتضاه فانه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم لا يؤذي احدا
لا يستحق الاذية كما لا يخفى او سببته او جلدته هذا من جملة الاذاية فينبغي

www.alukah.net

تخصيصها بغير ما ذكر لان الخاص لا يعطف على العام باو فاجعلها اتئد باعتبار
المذكورات والفا في جواب ايما لتضمنها معنى الشرط كفارة له اي مكفرة لذنوبه
وفيه اشارة الى ان ما فعله في مقابلة ذنب صدر منه لا لحظ نفسه وهو
صيغة مبالغة ملحقة باسماء الاجناس وقربة اي فعلة مقربة له تقربه بها
اليك اي تنبيه بها ثوابا ترفعه بها منزلة عندك لانه تعالى منزه عن الجهة
والقرب المكاني لانه من صفة الاجسام يوم القيامة ابرحين يتعرض الاعمال ويحاسب
العباد وفي رواية اخرى لهذا الحديث فايما احد بالجر وما مزيدة ويجوز رفعه
دعوت عليه دعوة في حال الغضب عليه قال في المقتفى وفيه نظر لان هذا ليس من
حديث ابي هريرة وانما هو حديث اخر عن انس رضي الله عنه فمقتضى الظاهر ان يقول
وفي رواية انس ونحوه يعني ان سياقه يقتضي انه من رواية ابي هريرة التي مرت
وليس كذلك قلت الامر فيه سهل وذكر الرواية وتنكيرها يقتضي مخالفتها لما
قبلها سندا ومتنا وهو ظاهر فلا وجه لما قاله وفي رواية اخرى ليس اي المدعو عليه او المذكور
لها باهل اي مستحق لها اي لهذه الفعلة وهذا هو المشكل لانه صلى الله عليه وسلم
لا يفعل فعلا باحد الا ويستحقه وسيأتي توجيهه وفي رواية اخرى ايما رجل من المسلمين سببته
وشتمته او لعنته اي دعوت عليه دعوة باللعنة واصل معناها الطرد والابعاد مطلقا
او جلدته فاجعلها اي المذكورات له زكاة اي طهارة من ذنوبه او زيادة في حسناته لان الزكاة
تكون بمعنى الطهارة والنماء فاستعيرت لما ذكر صلاة ورحمة عطف تفسير او تفسير
الصلاة بالعطف والرأفة فيتغايران او هو مفصل في تفسير قوله تعالى اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة ثم بين وجه الشبهة والسؤال بقوله وكيف يصح ويجوز
والاستفهام انكاري ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن فعلى اي
حال يصح صدور مثله عنه وسب من لا يستحق السب لقوله في رواية ليس لها باهل
وجلد من لا يستحق الجلد وقوله او بسكون الواو وفتحها وهمزة الاستفهام بفعل مثل ذلك
الامر المذكور عند الغضب اي في حال غضبه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في جميع احواله
فاعلم شرح الله صدرك اي فسح فيه ووسعه لقبول الحق فيما نحن فيه ونوره بمعرفته
والجملة دعائية معترضة لتعرف الحق في هذا اه قوله صلى الله عليه وسلم في بعض
الروايات اولا فيما تقدم ليس لها باهل اي ليس مستحقا لما فعله به اي عندك
يا رب اي في علمك مما هو باطل امره اي حقيقته التي تخفى على غيره وعند الله في القرآن
تكون تارة بمعنى علمه وتارة بمعنى حكمه والمراد هنا الاول كما بيناه في حواشي القاضي
البيضاوي فان حكمه صلى الله عليه وسلم بين امته كما تقدم على الظاهر من الحال غالبا كما
قال صلى الله عليه وسلم من انه انما يحكم بالظاهر كما تقدم والحكمة التي ذكرناها من انه
لتقتدي به امته ولو اوحي اليه ما في نفس الامر وحكم به لم يمكن امته الاقتداء به
في احكامه بعده كما مر فحكم صلى الله عليه وسلم بمقتضى الظاهر جلده او اوذيه بسببه
او لعنه اي دعا عليه باللعنة اي طرده بما اقتضاه عنده اي في حضوره او في علمه

حال

حال ظاهره الذي ظهر له ولغيره والدعاء باللعن شرعا انما يجوز على من كان غير
معين كافرا كان او غير كافر كلعنة الله على الظالم او على معين مات على كفره
واما على معين كافرا كان او لا فلا يجوز لجواز ان يسلم فلا يكون ملعونا اي مطرودا
عن رحمة الله الا انه قيل انه كان جائزا للنبي صلى الله عليه وسلم ولو كان على غير
الكافرين فهو اما من خصائصه او منسوخ ثم دعا صلى الله عليه وسلم لمن دعا عليه
بقوله اللهم اجعله كفارة له لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي
وصفه الله به بقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ونحوه
وحذره بالجر عطف على شفقته اي خوفه ان يقبل الله تعالى فيمن دعا عليه دعوته بقوله
اللهم اجعله الخ ان يجعل الله هو مفعول دعا دعاه عليه ولعنته لرحمة لمن
دعا به عليه فهو معنى قوله ليس لها اي المدعو عليه ليس في علم الله اهلا
اي مستحقا لما دعي به عليه لانه صلى الله عليه وسلم بجبلته الغضب بمقتضى
البشرية اي يدعو به بعضه ويستفزه الضجر اي القلق وضيق الصدر ممن عصاه
وخالفه اي تحرك بسرعة لان يفعل مثل هذا الدعاء من السب واخوته بمن لا يستحقه
في الباطن وان استحقه بحسب الظاهر من مسلم صدر منه ذلك وهذا معنى تفسير
به الحديث وهو صحيح مستقيم مقبول لا يمنعه شيء ولا يفهم من قوله صلى الله
عليه وسلم في هذا الحديث اغضب كما يغضب البشر حمله وبعثه على ما لا يجب فعله اذ هو
صلى الله عليه وسلم منزه عن مثله بل يجوز ان يكون المراد بقوله فايما ان الغضب لله هو
الذي حمله على معاقبته بلعنه او سبه كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم
ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله او يجاب بجواب
اخر هو انه اي الذنب الذي عاقبه عليه وفي نسخ وانه بالواو كان مما يحتمل ويجوز
عطف تفسير ليحتمل عفوه صلى الله عليه وسلم عنه وترك المعاقبة عليه بالسب ونحوه
او كان ذلك الذنب مما خير بالبناء للمجهول اي خيره الله تعالى بين المعاقبة والعفو عنه
وفي نسخة او العفو والصواب عطفه بالواو لاقتضاء التخيير لشيئين ولا حاجة
لجعل او بمعنى الواو وهذا الجواب قريب مما قبله وقد يحمل الدعاء الوارد في هذا
الحديث على انه خرج مخرج الاشفاق والخوف منه صلى الله عليه وسلم على امته وتعليم
امته الخوف من الله تعالى ومعاصيه من الصغائر والحذر من تعديه وتجاوز حدود
الله اي ما حده الله تعالى مما لا يجوز الخروج عنه وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا
وما ورد من دعواته على غير واحد اي على كثير من الناس في غير موطن اي في مواطن
ومحال كثيرة صدر فيها الدعاء عليهم على ما صدر من غير العقد اي العزم وتصميم القلب
والقصد منه للدعاء عليهم بل دعوات صدرت منه مما جرت عادة العرب في محاوراتهم
يدعون على مخاطبيهم بنحو قاتله الله وويل امه ولا اب له لمن قصد مدحه وتحسين
فعله وهو مشهور في غير لسان العرب ايضا وليس المراد بها اي بهذه الدعوات
الاجابة اي دعا عليه يطلبون استجابته فيهم بوقوع ما دعوا به كقوله صلى الله عليه وسلم

في حديث رواه الشيخان تربت يمينك قال في النهاية ترب الرجل اذا افتقر كانه التصق
بالتراب واترب اذا استغنى اما على همزة السلب او على معنى صار ماله كالتراب
كثرة وقد ورد كل منهما بمعنى الاخر وروي يدك ويداك وتنسب لليد لان بها الكسب
وليس المراد به الدعا عليه وقد صدر هذا منه صلى الله عليه وسلم مرارا فمن لام
المومنين ام سلمة رضي الله تعالى عنها كما رواه البخاري انها قالت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي من الحق هل على المراة من غسل اذا هي احتلمت فقال
نعم اذا رات الما فغطت وجهها وقالت او تحتلم المراة قال نعم تربت يمينك فبم يشبهها
ولدها ووقع في احاديث اخر ايضا كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا اشبع الله بطنك قاله صلى الله عليه وسلم لمعاوية
رضي الله تعالى عنه ولكن الذي رواه مسلم لا اشبع الله بطنه قال البيهقي فما
شبع بعدها ابدا وكان رضي الله عنه مشهورا بالبطنة حتى قالوا للاكول
كان في امعائه معاوية والحديث قد علمت انه عن ابن عباس ولفظه قال كنت
مع الصبيان فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب فقال
اذهب فادع لي معاوية قال فجئته وقلت هو ياكل فقال ثانيا اذهب فادعه
فجئته وقلت هو ياكل فامرني فجئته وقلت هو ياكل فقال صلى الله عليه وسلم
لا اشبع الله بطنه فحينئذ في ما قاله المص شي لان الله تعالى استجاب
دعاه فيه فليس من هذا الباب الذي جرت به العادة من غير قصد وقوله
صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم عن عايشة رضي الله تعالى عنها
عقرى حلقى وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي ام المومنين رضي الله
تعالى عنها في حجة الوداع وهو في البخاري بسنده عن عايشة قالت خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى
الله عليه وسلم ما اراها الا حابستنا الى اخره وهذا يقال للتعجب بدون قصد
الدعا واصله صفة للمراة المؤذية المشومة واختلف في لفظه ومعناه
فقيل معنى حلقى اصابها وجع في حلقها وقيل معناه تحلقهم اي يستاصلهم
كما يستاصل الحالق الشعر وعقرى من العقر وهو عرقبة الدواب او من العقر وهو
رفع الصوت ويجوز تنوينهما وعدمه على ان الف التانيث كسكرى وعلى جعلها
ليست للتانيث فكل منهما صواب ومحلهما رفع خبرا او نصب على المصدرية والمحدثون
يروونه غير منون والمعروف عند اللغويين تنوينه وغيرها اي غير الدعوات المذكورة
من المروي دعواته صلى الله عليه وسلم التي لم يرد بها الدعا على من خاطبه وانما يراد المدح
او التعجب على عادة العرب في مخاطباتهم ووجهه كما قالوه في نحو قاتله الله انه يقصد
به دفع العين عنه بجعله كالمذموم المدعو عليه فهو من قبيل الذم الذي يراد به
المدح وقد ورد في صفته صلى الله عليه وسلم في غير حديث اي في احاديث كثيرة تقدم بعضها
ما رواه وهو في صحيح البخاري وغيره انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا صيغة

مبالغة

شبكة الألوكة
www.alukah.net